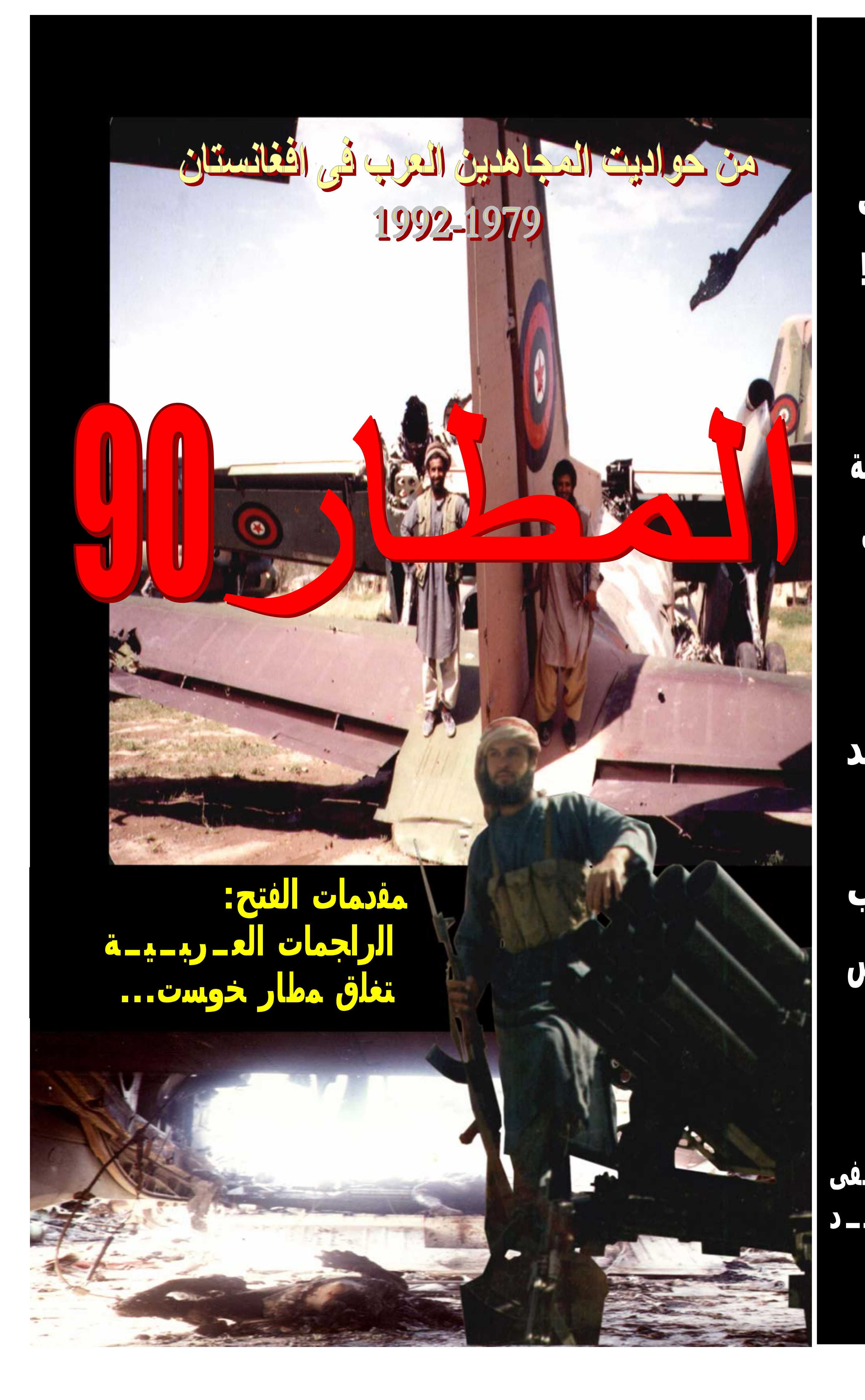


ثرثرة
فوق
سقف
العا !

سلسلة
كتب
من
أدب
ا طاريد

الكتاب
ا امس
5

بقلم:
مصطفى
حـامـد

الكاتب في سطور

_ مصطفى حامد .

من مواليد مصر عام 1945 محافظة الشرقية/ مدينة بلبيس. ـ

تخرج من جامعة الأسكندرية كلية الهندسة عام1969 ـ

ـ عمل في الصحافة خلال فترة السبعينات ،في عدد من الصحف الأهلية في أبو ظبي .

ـ كتب عن الجهاد الأفغاني وشارك فية منذ عام 1979 قبل التدخل السوفيتي .

ـ في 1985 أقام مع أسرته في باكستان . وعمل هناك مديراً لمكتب صحيفة

الإتحاد الظبيانية حتي عام 1986 .

ـ أقام في أفغانستان منذ عام 1993 وحتي الحملة الأمريكية عام 2001م .

ـ تعرف عن قرب علي عدد من الشخصيات العربية الهامة التي عملت في القضية الأفغانية مثل الدكتورعبدا عزام وتميم العدناني وأسامة بن لادن الذي يعتبره صديقاً شخصياً له .

ـ له مجموعة من الكتب لم تنشر جميعها . وتدور حول تجربة العرب في الجهاد الأفغاني ، الذي عاصره منذ بدايته وحتي نهايته .

ـ تعرف عن قرب علي حركة طالبان ، وأميرها الملا محمد عمر ، وربطته بهم علاقة طيبة .

ـ من قندهار عمل مراسلاً لقناة الجزيرة القطرية لمدة عام ، إلي ما قبل الحرب الأمريكية علي أفغانستان .

فهرس

بدأ التسجيل فى مدينة خوست..فى15 مايو1998

أفغانستان..أمريكا تصنع لنا هزيمة

دخل عام 1990 وهو يحمل كل نذر الخطر، سواء على المستوى الشخصى أو مستوى القضية الأفغانية التى أنغمسنا فيها حتى الآذان.

أنقضى العام الدامى (1989) وقد أفضى بناء إلى عام يليه ينذر بنهايتنـا نحن المجـاهدين العرب ونهاية القضية الإسلامية فى أفغانستان. لقد دخلت الولايات المتحدة عملياً فى ساحـة العمل المباشر ضد الشعب الأفغانى ، والمجاهدين بوجه خاص ، وضد التواجد العربى الجهادى فوق أراضى أفغاستان وباكستان.

وكانت ضربة مؤلمة فى الظهر. فقد ظهر من عملية إغتيال الدكتور عبد ا عـزام تواطـؤ السلطات الباكستانية، وتورط واضح من المخابرات السعودية، وبدايات لعنصـر جديـد على الساحة الأفغانية وهو المخابرات المصرية التى تحولت بالتدريج إلى أهم قوة ضاربـة ضـد التواجد العربى خاصة فى مرحلة الإجهاز النهائى على ذلك التواجد.

لقد فقد التجمع العربى قياداته "الشرعية"، المتمثلة فى الدكتور عزام الذى أغتيل فى بشـاور، وأسامة بن لادن الذى إحتجزته السلطات السعودية ومنعته من السفر، وقد حماه ذلك ، فى ظنى من أن يلاقى مصير الدكتور عزام.

لقد كانت القيادات "الشرعية" للعرب فى بشاور أقل كثيراً من المستوى المطلوب، حتى أنهـا كانت فى نظرى الشخصى أيضاً، ضارة فى مواقف عديدة ، خاصة فى مأساة جلال آباد، لكن فقدانها زاد الأمر سؤاً لإستحالة ظهور قيادة بديلة.

فعلى الأقل ليس هناك من يمتلك شئ من القدرات المالية الهائلة لدى الرجلين(عزام، وبن لادن) ناهيك عن الأضواء الإعلامية المتراكمة عبر سنوات التى مع المعايشة الميدانية جعلت منهما نجمان فى سماء التجربة العربية فى أفغانستان .

لقد دفع الدكتور عزام حياته ثمناً لخروجه عن "قوانين اللعبة" بأن حوّل دفة الجهاد صـــوب إسرائيل.

أما أسامه بن لادن فقد كان هدفه الأساسى هو هدم النظام الشيوعى فى جنوب اليمن ، موطن عائلته ، لذا حافظ على رأسه فوق كتفيه لكونه لم يصطدم مع الإرادة الدولية "الأمريكية" التى بدأت تنحو فى أتجاه تطبيع العلاقات الشيوعية الإسلامية، فى المنطقة العربية والإسلامية عامة لذلك بعد تفتت الكتلة الشيوعية بدأ بن لادن يواجه المتاعب مع حكومة السعودية.

* كنت أرى الأخطار تتزايد على المجاهدين العرب، بينما هؤلاء منغمسون فى أنماط عبثية من النشاطات الجهادية، وأفكار مشوشة وأحياناً خطيرة، فى مجالات الفقه أو الحركة أو السياسة. وكان التكاثر الإنشطارى "الأميبى" قد بلغ مداه بين التجمعات فى بشاور والتى وصل الطابع الوطنى فيها ذروته ، رغم كل دعاوى الأممية أو (الأمة الإسلامية الواحدة).

كانت قنوات الإتصال بينى وبين الوسط العربى فى بشاور قد تحسنت نسبياً على بعض مستويات ذلك الوسط، ولكنها ظلت بشكل عام ضعيفة وصعبة. كنت أرى من واجبى نقل العديد من الرسائل إلى ذلك الوسط، وهما بالتحديد رسالتان أولاهما تتعلق بذلك الوسط نفسه، مصيره وقضاياه، والثانية تتعلق بأفغانستان والوضع الحرج الذى وصلت اليـه القضيـة الإسلامية فيها، فى ظل إجماع دولى على أحباط الجهاد الإسلامى وفرض علمانية غربية على البلاد.

* جاء إختيارى للعمل مع حقانى فى إصدار مجلة خاصة به، كنوع من الحفاظ على إتصالى الدائم والقريب مع جبهات القتال خاصة مع حقانى الذى كنت أراه مرشحاً للخروج من أزمة العمل العسكرى فى أفغانستان وإحراز نصر يحول المسار الأساسى للجهاد نحو النجاح الكامل وحسم المعركة خاصة فى منطقة مثل خوست والتى أفضت سابقاً فى شرح مزاياها العسكرية والسياسية.

وقد أثبتت الأحداث صحة ذلك.

* والهدف الثانى من إقدامى على العمل فى المجلة هو تقديم وجبة إعلامية مفيدة للوسـ ـ ـط الجهادى العربى وتقديم نمط آخر من التعامل مع الأحداث العسكرية على ساحة أفغانسـ ـتان، تكون قريبة من الطابع الواقعى أو العلمى بعيداً عن الحماسات الفارغة والقاتلة غالباً ، كما حدث فى الإعلام العربى فى بشاور حول مجزرة جلال آباد ، كما رأينا سابقاً.

وقد أثبتت الأحداث خطائى الفادح فى ذلك المجال، فالقليل من الأعجاب الذى صادف تـ ـلك التحليلات العسكرية فى مجلتنا تلك ،وإسمها منبع الجهاد، لايمكن مقارنتها بتاتاً بشلال الإنتقاد والتهكم من عموم الوسط العربى. والأدهى من ذلك هو الأثر الذى أحدثته تلك المقـ ـالات فى أوساط الإستخبارات العربية والأمريكية، خاصة ما كان يكتبه زميلى فى المجلة ، العقيد متقاعد محمد المكاوى ،" أبو المنذر" من تحليلات عميقة فى مجال تخصصه العسكرى وتناولـ ـ ـه لمعارك أفغانستان الهامة فى جلال آباد وكابل وغيرها ، والتوجه السياسى المصاحب لتـ ـلك الكتابات العسكرية ، من جانبى ومن جانب زميلى ، كان معادياً بوضوح للسياسات الأمريكية. لذا لم يكن مستغرباً أن تلقيت وأياه "صدمة أمنية" عندما تحركت المخابرات الباكستانية لإبعادى وأياه عن باكستان، فكنا أول ضحايا الحملة الأمنية الدولية ضد المجاهدين العرب فى أفغانستان. بشكل عام كان النجاح حليفى إلى درجة ما فى العمل فى المجال الأفغانى فقد تطور عمـ ـلى الصحفى فى مجلة منبع الجهاد من مجرد متابعة لصيقه لما يحدث داخل تلك الجبهة الخطيرة فى خوست، متطوراً إلى مشاركة حميمة فى أخطر نقاط تلك المعركة ألا وهى قطع الإتصال الجوى بين خوست والعالم الخارجى ، خاصه كابل.

من هنا جاءت عملية "المطار 90" التى نجحت بشكل خارق للعادة، ثم تلتها بعد ستة أشـ ـهر تقريباً عملية " المطار الجديد" والتى نجحت هى الأخرى ، ولكن بشكل أقل نسبياً ، من عمليتنا الأولى، ولكن فى ظروف غير عادية فى صعوبتها وخطورتها فإذا وضعنا ذلك في الحسبان تكون هى الأخرى لاتقل عن مثيلتها من حيث الإنجاز بل أن لتلك العملية دوراً لايمكن نكرانه فى الوصول إلى النصر النهائى فى خوست وفتح المدينة (90/3/31).

وسوف نتعرض لتلك العمليات بشئ من التفصيل فيما بعد.

* أما العمل على الجبهة العربية فكنت أعتبره فشلاً متنامياً يمضى بى من مرحلة إلى أخرى ، رغم نجاحات جزئية ومحدودة ، ولكن لم أجد لها أثراً على من تعاملت معهم. وكان أهم معالم فشلى فى المجال العربى لذلك العام "1990" هى تلك المحاضرات التى ألقيتها بالمشاركة مع زميلى "أبو مصعب السورى" فى معسكر جهاد وال فى خوست، وكان الحضور هم أهم كوادر تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن.

وقد أدت تلك "الدورة السياسية" كما أطلقوا عليها إلى إنشقاق محدود فى داخل التنظيم فقد تحول عدد من الحضور إلى تيار التكفير(!) لا لشئ إلا لأنهم إكتشفوا فظاعة العمل السياسى المحيط

بالقضية الأفغانية فأصدروا حكماً عاماً بتكفير الجميع ، عرباً وأفغاناً ، وإن كنت أشك فى أنهم أصابونى بنفس التهمة، ولكنهم على أى حال تدخلوا " عسكرياً" لإفشال آخر مهمة قتالية كنـ ـت موكل بها فى أفغانستان ، كما سيمر علينا فيما بعد.

****

* عدت أستكشف منطقة خوست مرة أخرى . لقد مرت مياه كثيرة من تحت الجسر، فإلى أى مدى تغيرت الحياه على شاطئ النهر؟ فمنذ خريف 89 قمت بجولات واسعة فى أنحاء المنطقة وقابلت الأصدقاء القدماء من القادة وتحدثت معهم كثيراً حول المعارك الأخيرة والوضع الراهن ورؤاهم للمستقبل.

كانت المعنويات عالية فالإنتصارات متوالية ، وليس أفضل من الإنتصارات فى رفع معنويات الناس. لقد حصل المجاهدون على المزيد من الأرض والمزيد من الغنائم، ومن جهة الغرب إقتربوا من المدينة أكثر من أى وقت مضى.

بعض من تلك الجولات الأولى كانت برفقة الصديق "أبو الحارث الأردني" الذى كان أميراً على المجموعة العربية الرئيسية فى خوست، والتى وصفتها فيما مضى أنها أفضل مجموعة عربية عملت فى أفغانستان، ومازال ذلك رأيى حتى الآن،كلما أستعرضت نشاط العرب فى الجبهات.

أبو الحارث شاب فى بداية الثلاثينات من العمر، ينتمى إلى بادية الأردن، فليـ ـس غريبـ ـاً إذاً خشونته في المعاملة، وغلظته التى أكتسبته العديد من الأعداء، خاصة مع صراحته الفطـ ـرية، ولكن من أتيحت له مثلى أن يتعرف عليه من قرب، يكتشف فيه شخصاً طيب القلب عطوفـ ـاً. ورغم ذكائه إلا أنه كان عظيم الكراهية للسياسة وكل ما يمت لها بصلة، شديد الإيمان بالبندقية فى حل أى مشكلة، كنت أخالفه فى ذلك الرأى، لكنى حافظت على صداقة قويـ ـة مع ذلك الشاب الصلب الشجاع. وكانت لنا نفس الرؤية بالنسبة لقضية أفغانستان عامة، وأهمية منطقة خوست وقيادة حقانى ذات الأهمية المحورية، وأظنه الوحيد من العرب ، بعد إستشـ ـهاد عبـ ـد الرحمن ، الذى كان على نفس الإتفاق الكبير معى فى ذلك المجال.

فى بداية عملى الصحفى الجديد، قمت بعدة جولات فى مناطق خوست التى فتحـ ـت جديـ ـداً، والمناطق القديمة أيضاً فى"بارى"، "وتوده شنى" و"دروازجى" فى الجبال الجنوبية فى مقابل المطار، وجبل تورغار الذى مازال صامداً فى عناد فى وجه المجاهدين.

لقد سجلت الكثير جداً من المعلومات والتعليمات والمشـ ـاهدات وكتبت بعضهـ ـا في هيئـ ـة موضوعات صحفية.

لقد عادت إلّى مرة أخرى ذلك (الشعور المنعش بإعادة إكتشاف الأماكن المحببة). ولننظر الآن كيف رأيت المعبر الحدودى في "غلام خان" الذى يقود إلى أماكن الجبهة الجنوبية فى بارى وما جاورها، ورغم أننى لا أستطيع أن أحصى عدد المرات التى عبرت فيها ذلك المنفذ إلا أننى رجعت أراه وكأننى أفعل ذلك لأول مرة.

وهذه هى صورة "غلام خان" كما رأيتها في بدايات عام 1990 وقد نشرتها مجلة أفغانستان . (العدد 19يناير /فبراير 1990).

****

غلام خان: قرية على هامش الحرب

[ينظر رجل الميليشيا من حرس الحدود إلى داخل السيارة المكدسة ثم يشير بتراخ إلى زميله الجالس على حافة الطريق ممسكاً بطرف الحبل لكي يرخى قبضته فتعبر السيارة الحبل المدلى عبر الطريق لتلامس عجلاتها الأرض الأفغانية.
ولتصافح الأعين آخر كلمة وداع من مخفر الحدود منقوشة على لافته قديمة حفرت فوقهـ ـا كلمات أكسبتها الأيام طابعا جنائزياً "خدا حافظ"، كلمات لها معنى آخر وأنت فى طريقك إلى الأرض الأفغانية والأصداء المكتومة لإنفجارات ليست شديدة البعد وسحابات من الدخان تنتقل بتثاقل من فوق الجبال.
"غلام خان" إسم آخر نقطة على الحدود وأول قرية أفغانية علي الجانب الآخر. تستقبلك القرية بمساحة لا بأس بها من المقابر المنقوشة بعشرات الأعلام الملونة التى تميز مقابر الشهداء، ويهبط بنا الطريق إلى واد متسع يسلكه مجرى مائى ضيق ولكنه صاف وعزب، أما "غـ ـلام خان" نفسها فقد بدأت هذه الأيام تتنفس من جديد بعد أن أصابها الإختناق منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.
المبانى محطمة وبعض شرفات المنازل معلقة على دعائم خشبية منهارة، منازل ودكاكـ ـين تناثرت حوائطها الحجرية وسقوفها الخشبية .أنها آثار السكتة القلبية التى أصابت القرية عندما دهمتها الطائرات السوفيتية الصنع لتباغت القرية التى كانت تعيش فى حالة من الإزدهـ ـار الإقتصادى، وأزدهرت فيها التجارة خاصة بالمواد الغذائية. وإعتمدت عليها فى ذلك القرى الأكثر عمقاً ومراكز المجاهدين التى تغص بهم منطقه خوست، وفى ذروة الإنتعاش نسيت القرية أن الحرب قريبة جداً وأن العدو لن يرضى بأن تفلت قرية أفغانية واحدة من دفع ضريبة الحرب. وفى ضحى يوم صيف نزلت أطنان القنابل على رؤوس سكان القرية لكى تضعهم فى حين فجأة داخل إطار الحرب، وسقط أكثر من خمسين قتيلاً تحت أنقاض القرية.
كانت عملية تنشيط للذاكرة حتى لا ينسى أحد أن السوفييت مازالوا فى أفغانسـ ـتان، وحملـ ـت الطائرات رسالة التذكير ليس فقط إلي قرية " غلام خان" بـ ـل إلى ما خلفـ ـها من معسـ ـكرات المهاجرين حتى السوق المتواضع الذى يبعد كيلو مترات معدودة خلف الحدود تلقى بدورة عدة قنابل من العيار الثقيل فقتل هناك أكثر من مائة مهاجر بين رجل وأمرأة وطفل. ودمـ ـ ـ ـرت بضائع بسيطة كانت معروضة وأسر كثيرة فى إنتظار أثمانها حتى تسد رمقها بالفتات.
سـ ـوق الخيل كانت قائمة فى ذلك اليوم وفيها كان المهاجرون من الشمال يعرضون للبيع دوابهم التى نقلتهم عبر الجبال فى رحلة شاقة مهلكة طوال أسابيع.
لابد من بيع الدواب ثم باقى الممتلكات البسيطة حتى تمر الأشهر الأولى البطيئة عسى بعدها أن تأتى معونات من مفوضية المهاجرين.
فى ذلك اليوم الدامى إختلطت دماء الخيل بدماء المهاجرين، وتعجنت أكياس الدقيق والسكر الاسود باللحم البشرى المشوى.
ولكن إرادة الحياة لدى الإنسان أقوى من ذكريات الموت .فعادت "غلام خان" هذه الأيام لتدب بخطواتها من جديد على مسرح الحياة وتنبش لنفسها موضعاً علي حافة الحرب.
إشتد إوار الحرب فى خوست وزحفت الحياة تدريجياً فى زقاق القرية. وبدأت أقفاص الفاكهة تجد مكاناً فى صدارة الدكاكين القليلة التى إستعادت عافيتها، وجزار القرية علق كتل اللحـ ـ م

الحمراء لجاموسة عتيقة، ورحب المجاهدون بوجود سوق قريبة منهم توفر المسافة وتختصـر الزمن.
ولكن التجارة التى دبت فيها دماء الحياة دافقة كانت تجارة "الخردة" أي القطع المعدنيـ ـة من بقايا القنابل التى تلقيها الطائرات، فلا أقل من ستة "مراكز تجارية" قد شيدت لإستقبـال أكوام الخردة، وتحولت التجارة إلى مصدر رزق لكثيرين ضاقت أمامهم وسائل الرزق خاف الحدود ففضلوا النبش عنها بين أنياب الموت.
فى الصباح يتجمع جامعوا "الخردة" من معسكرات المهاجرين حاملين أكياس قديمة أو مفارش من القماش ويستأجرون سيارة تحملهم إلى أرض الوطن قرب مراكز المجاهدين يقضون يوماً أو أياماً فى التجول بين المراكز والبحث بين الجبال عن بقايا قنبلة أو صاروخ، يعمل أحدهم منفرداً أو مع إبن أو أخ أو صديق لجمع الخردة فى أكوام وحشرها فى أكياس.
وإشتداد المعارك ، كما هو حادث حالياً ، يعنى لهم سعة فى الرزق، ولا مجال للحديـ ث عن الخطر ، الذى أصبح عضواً دائماً فى العائلة الأفغانية، لا يغيب، ولكن لا يكاد أحد يشـ ـعر بوجوده أو يعمل له حساباً.
وفى كل ميدان يحظى الجرئ بالنصيب الأوفر، شأن ؤلئك الشباب من العاملين فى تلك التجارة خاف الخط الأول للمجاهدين وأحياناً أمامه، لجمع نصيب أوفـ ر من القطـ ع المعدنيـ ـة، ومن نوعيات أفضل. هناك توجد قطع نحاسية أكثر وكثير من "الماسات" وهو الإسم الذى يطلقونـ ه على الكتلة الحديدية الثقيلة المثبتة على مقدمة أنواع القنابل التى ترميها الطائرات.
هؤلاء الشباب لا تنقصهم الجسارة، فالصواريخ تسقط حولهم ويتضاحكون كلما أخافهم أحـ دها بدون أن يحدث فيهم ضرراً وزودوا أنفسهم بقفازات ثقيله تحمى أيديهم من الحرارة وهـ ـ ـ م يلتقطون قطع الحديد الحمراء التى إنفجرت تواً من أحدى القنابل ولا تنقصهم اللياقة وهـ ـ ـ م ينحدرون من التلال أو يصعدون إلى ذروتها فى خفة الظباء، ولا تنقصهم العزيمة والقوة وهم يحملو غنائمهم إلى مكان آمن قرب طريق السيارات أو على ظهـ ـور أحـ د الجمـ ـال التى إستأجروها أو يمتلكونها.
القرية التى بدأت تشفى من ذكريات الموت "غلام خان" رتبت مصدر ثروتها الجديدة من تجارة الخردة وفقاً للأسلوب القبلى التقليدى.
فالتجار المتحكمون فى هذه الفرع المتخصص ينتمون جميعاً إلي نفس القرية ومن أبناء القبيلة ذاتها، والتنافس بينهم محكوم وله قوانينه، فالأسعار ثابته ومتفق عليها وبعد ذلك للبائع الحرية أن يبيع لمن يشاء بدون ضغوط أو إغراء.
وذلك النشاط التجارى مرتبط بالحالة العسكرية السائدة فى المنطقة ويعطى مؤشراً لا بأس به عن مجريات الأمور، فالقرية هى أول ما يصادف القادم إلى الأرض الأفغانية و"المحلات المتخصصه" فى تلك "الخردة الحربية" تعطيه نشرة أخبار أولية عن الأوضاع، فمن الذخائر المتاحة يمكن معرفة معلومات لابأس بها. فتوافر قطع كثيرة من صواريخ سكود يعنى أن العدو فى أزمة وتوافر كعوب المدفعية الفارغة يعنى أن المجاهدين يقصفون بشدة، وكميات الشظايا من قنابل الطائرات تعطى مؤشراً لنشاط العدو الجوى. فى أيام كتلك تجد الأطنان من تـ ـلك القطع لأن طائرات العدو تهاجم لأكثر من أثنتى عشرة ساعة يومياً "وهكذا".
وإذا كانت تجارة الحديد"العسكرية"هى النشاط الأكثر ربحاً والأكثرحجماً فى نشاط غلام خان

التجارى فإن تجارة المواد الغذائية تليها فى الأهمية لخدمة القرى وبعض مراكز المجاهدين. وبعد ذلك تجارة " المحروقات" وأهمها البترول فهناك محطة واحدة لتموين السيارات أو بيوت الأهالى، كما أن هناك "مراكز" لشراء وبيع الأخشاب المحلية التى لا تصلح لغيـر الطبـخ والتدفئة.
قليل من الدواب الداجنة تعبر طرقات القرية التى مازالت شبه مهجورة ،القلائل يدفعهم الفضول لكى يزحفوا من قراهم القريبة لمشاهدة العالم التجارى فى "غلام خان" أما القرية نفسها فلـم تسقط ذكريات الموت من عقلها الباطن لذلك فهى تتحرك على هامش الحرب ولكن بحذر زائد]
****

* كانت (سياحتى العسكرية) مع أبو الحارث مفيدة بشكل خاص لكونه قد إشترك مع مجموعته فى العديد من المعارك الهامة التى جرت هناك، إضافة إلى صلاته التى توطدت مع أكثـر "[كومندانات" حقانى، ثم أنه ،أى أبو الحارث ، يتمتع بذاكرة فولاذية ، لايكاد يتفلت منها شئ، وهى ميزة لم تكن مشتركة بيننا.
* من معالم تلك السياحة العسكرية، تلك الرحلة إلى منطقة "دروازجى" حيث مركز لراجمـة صواريخ تعمل ضد المطار، تديرها جماعة "عبد المنان" الشهيد الذى خلفه أخوه "جولاب" فى قيادة المجموعة، وهم أصدقاء قدماء لنا منذ أيامنا الأولى في خوست.
(ولنشاهد) تلك الرحلة، كما صورتها فى مجلة أفغانستان (نوفمبر 1989)، وقد كانت رحلة ذات فائدة كبيرة لى عند تخطيطى للعمل ضد المطار فى عملية (المطار 90) وكان عنوان المقال: "خوست مدينه ولدت محاصرة" .
****

خوست.. مدينة ولدت محاصرة

{ تحركت بنا السيارة على طريق أشد وعورة من سطح القمر، وتكدس الصندوق الخلفى للسيارة بصناديق الطعام وبعض الذخائر بالإضافة إلى سبعة مجاهدين بأسلحتهم وهى حمولة تزيد عن ضعف السعة الطبيعية للسيارة فى الظروف العادية.
لاشك أن التحرك فى تلك المسالك يكون أكثر يسراً على ظهور البغال ولكنها هى الأخرى أقل مما ينبغى. والسيارة على أية حال تصل فى وقت أقل وإن كانت تسـبب رضوضـاً أكثر فى ركاب الصندوق الخلفى بشكل خاص.
وحتى راكبى الدرجة الممتازة إلى جانب السائق فى كابينة القيادة لا يخلو الأمر بالنسبة إليهـم من منغصات أقل حدة تتمثل فى رضوض وخبطات الأسلحة التى تحيط بخصورهم وبيـن أرجلهم، والذى لم يعتد منهم على تلك التجربة قد يتعرض لجروح خطيرة.
الطائرات هى آخر ما يفكرون فيه، ولا يفكر السائق فى التوقف عند ظهور الطائـرات إلا إذا كان فى منطقة مكشوفة للغاية.
توجهت بنا السيارة إلي الجانب الشرقى من وادى خوست عبر المسالك الجبلية، كنا فى ذلك الوقت نسير فى محاذاة مطار المدينة تقريباً على مسافة أقل من خمسة كيلو مترات وتفصلنا عنه عدة سلاسل جبلية متدرجة فى الإنخفاض حتى تصل إلى سهل خوست نفسه حيث يبدأ النسق الدفاعى عن المطار.
لايبدو من معالم الحياة شئ يذكر فى خوست نفسها سوى حركة قليلة لبعض المركبـات فى

أماكن متناثرة تجر خلفها خيطاً طويلاً من الغبار.
أزمة الوقود الخانقة تجعل تحرك المركبات محسوباً بعناية، كذلك قذائف المجاهدين علي المدينة تجعل من الخطورة التحرك بغير حساب.
يرتبط ذلك بلا شك بالحصار الطويل المرهق الذى فرضه المجاهدين على المدينة حتى وكأنها ولدت محاصرة.
ووصلت الأزمة ذروتها حين تطورت أسلحة المجاهدين لتصل إلى مدرج مطار المدينة الترابى وتختلط أتربة القذائف بأتربة الطائرات التى تحاول جاهدة أن تجد منفذاً آمناً للهبوط والصعود.
وتضاءلت فرص السلامة تدريجياً حتى صارت أخطر مهمة فى حرب أفغانستان ، بالنسـ ـبة للطيارين على الأقل ، هى أن يمارسوا الهبوط أو الصعود من مدرج (الموت المرتقب) لمطار خوست.
تتهادى سيارتنا فى رحلتنا غير المريحة وعند كل " مطب" عنيف يتصاعد تكبير المجموعة المرحة التى تتكسد فى المؤخرة، ثم تعقبها ضحكات حادة طليقة على منظر زميل قد طارت عمامته أو إنخلع حذاؤه أو أصابته رضة مؤلمة فى "مكان ما".
صفير القنابل هو الآخر لا يزعج أحداً إلا المستجدين من الضيوف العابرين الذين يأتون أحياناً كسياح من عالم آخر مندهش دوماً لما يحدث فى عالم المجاهدين الأفغان.
تصفر القنبلة وتنفجر أمامنا أو خلفنا، فلا يتوقف أحد ولا يبالى.إلى جانب طريق السيارة ، هذا إذا كان ذلك الشئ يسمى طريقاً، هناك حفر عميقة للغاية تظهر على فترات متباعدة، أنها قذائف ثقيله ،لا تقل الواحدة عن 500 رطل، أطلقتها الطائرات على أثر عجلات سيارات المجاهدين لتخريب طرق إنتقالهم.
المحاولة ساذجة للغاية وغير فعالة ، فهذه الحفر الضخمة سرعان ما تردمها السيول أو يتكفل بها عدد من المجاهدين بمعاولهم فيعيدوا الطريق إلى وعورته الأولى بعد إزالة آثار القصف الجوى.
الآن موسم جفاف فى المنطقة. الأمطار الشتوية لم تنزل بعد والأعشاب الخضراء التى كانت تزين الجبال أصبحت غطاء أصفر من الهشيم يتحول بسهولة إلي طعام سائغ لشظايا القنابل المشتعلة فتسرى النيران إلى الجبل بأكمله ليتحول إلى شعلة مضيئة من النيران وسحابة ملتفة من الدخان .
ويكون المنظر مهيباً خاصة فى الليل، ولا شك أن ذلك يبعث التسرية وينعش الأمل الكاذب فى نفوس ضباط الجيش الحكومي فأعمدة الدخان والأتربة تبعث فيهم السعادة.
هكذا قال ذلك "الكومندان" ذو اللحية الكثيفة التى خطها الشيب وهو يضحك بسعادة حقيقيـ ـة كاشفاً عن أسنان ناصعة البياض. كان هو قائد الموقع الذى نقصده فى مقابل الطرف الشرقى لمدرج المطار.
لقد نقلنا بسيارته "التويوتا" المستهلكة من منطقة بارى حيث نقابل الطرف الغربى للمطـ ـار قاصداً بنا إلى منطقة "دروازجى" عند الطرف الشرقى حيث جماعته هناك تترصد لمحاولات العدو لإستخدام المطار فيفتحون نيرانهم على الطائرات.
(منذ يومين إحترقت طائرة فى المطار وتفجرت حمولتها من الذخائر، قتل الطيار ومساعده

ومهندس الطائرة. لقد إلتقطنا رسالة لاسلكية بهذا الخصوص بثها العدو من خوست لقيادته فى كابل).
تابع الكومندان حديثه متدفقاً بحماس وثقة:(سترى بنفسك خمس طائرات على مدرج المطار أصابتها صواريخ المجاهدين. هناك عدد آخر بين الأشجار المحيطة بالمطار خاصة الجانب الشمالى، سترى كل ذلك عندما نصل أما تلك الطائرات التى إحترقت يمكنك ملاحظة العديد من أكوام الهياكل المحترقة على جوانب المدرج وبين الأشجار).
توقفت السيارة لتبادل التحية مع مجموعة من المجاهدين العابرين على الأقدام، كانوا قادمين من "دروازجى" وهى المنطقه التى تقصدها قافلتنا الصغيرة. وبطريقة سريعة وجماعية تبودلت التحيات الشخصية وعشرات الأسئلة عن مراكز المجاهدين وأخبارهم كل شئ بخير (ا شكر) هكذا ردد الجميع وهم يحمدون ا على سلامة الإخوة فى المراكز، ثم تحركت كل قافلـة فى حال سبيلها.
أخيراً توقفت السيارة وصاح السائق طالباً من الجميع أن ينزلوا حامداً ا على السلامة.
بحثت عن أثر المركز فلم يظهر سوى غطاء من القماش السميك معلق بحرف جـ ـرف على جانب الطريق واضح أنه المسجد الخاص بالمجموعة إلى جانبه عدة أحجار توقد بينها نيران فوقها غلاية شاى كبيرة الحجم سوداء اللون.
الشاى علي وشك التجهيز شعرت بسعادة شاركنى فيها الجميع فليس فى العالم أفضل من كوب من الشاى الأخضر بعد رحلة شاقة كهذه.
خمسة من الشباب لايزيد عمر أكبرهم عن العشرين جاؤا مهرولين للترحـ ـيب "بالكومنـ دان" والضيوف، وهناك ثلاثة أكبر عمراً رفعوا أصواتهم ملوحين فى خليط من عبارات الترحيب والإستفسار.
المجموعة الأولى تتبادل العناق مع القادمين بينما الموكب يتزايد تدريجياً بظهور أشخاص من هنا وهناك. المنطقة مناسبة للإختفاء بأعشابها الطويلة المتشابكة وشجيرات مثل النخيل الذى لا يتعدى إرتفاعه نصف متر. الساحة أمام المركز مليئة بالوهاد أما الجبال المرتفعة فتحيـط به من مسافات ليست بعيدة. وإلى الشمال والغرب هناك جبل ممتد على شكل سلسلة متماوجه فى غربها نقطة للترصد ومراقبة المدينة والمطار وإلى شرقها "منطقة النيران" حيث تقف قاذفة صواريخ (بى/إم/12) رأيناها بصعوبة، تقف على حافة جرف حاد وقد بدأت الشمس تنحـ در إلى الغروب والرؤية أصبحت صعبة فالشمس تنحدر إلي الطرف الغربى للوادى حيث تحجبها عنا الجبال التى يحتمى بها الموقع.
*هل تصعدون الآن لرؤية المطار والمدينة؟ تساءل الكومندان الطيب. كانت صلابته وقوتـه الواضحة تبرهن على سلامة طويته فى سؤاله هذا ولكن حالتنا المذرية كانت كافية للإجابة على سؤاله بأننا حتماً لا نستطيع.
حفظاً لماء الوجه تعللنا بتأخر الوقت وقرب غروب الشمس وحلول الظلام وطلبنا تأجيل الرحلة إلى صباح الغد.
نظرت إلى نقطة الترصد حيث من المفروض أن نصعد صباحاً. الجبل ليس مرتفعاً فحسب بل أن ثلثه الأعلى يقف عمودياً تقريباً بقمة سوداء تشمخ بأنفها فى تحد عات.
تنهدت بألم وتمتم جارى: (ا المستعان). باقى دقائق حتى يجهز الشاى. تقدم الكومنـ دان فى موكبه بين مجاهدين نحو راجمة الصواريخ. رحنا نتفحصها وهى تقف شامخة على حافـ ـة

الجرف وفوهاتها الإثنتا عشرة مصوبة فى إتجاه مدرج المطار، وغرفة الـ رامى على بعـ ـ د مترين إلى اليمين فى حفرة على جانب الجرف يستحيل تقريباً إصابتها بنيران العدو التى تأتى من صوب الوادى.
وضع القومندان يديه معقودتان فوق صدره وحرك رأسه متنهداً فى أسى، وقال بصوت يعتصر آلما: (مرمى نشته).
كان الخبر سيئاً للغاية فلا توجد قذائف للراجمة وأوضح القائد أن ذلك يحدث كثيراً لفتـ ـ رات طويلة. فالحصول على قذائف لتلك الراجمات أصبح صعباً للغاية بعد أن كان متوافراً أكثر من طلقات الكلاشنكوف.
* منذ متى الأزمة؟
* منذ عدة أشهر.
* ما السبب فى ذلك؟
* لا ندرى فالمساعدات قلت كثيراً .
جاءت صيحة الدعوة إلى الشاى من جانب طباخ المركز وهو أحد الشباب العاملين فى الخدمة بالمعسكر.
جلسنا على شكل حلقة بيضاوية حول فناجين الشاى التى فقدت رونقها بعد أن تكسرت حوافها وكشط طلاؤها الأبيض من أماكن عديدة.
تبسم جارى وقال بصوت خافت:(فناجين منذ عهد داود) .
سمع أحدهم ذلك فإنفجر ضاحكاً وأبلغ الحاضرين بصوت عال بذلك التعليق الساخر. فإنفجروا ضاحكين وشعر الكومندان بخجل وأسرع يقدم إعتذاراته ويلقى اللوم على قسم الإمداد الذى يشترى لهم أرخص الأشياء.
لم يكن هناك شئ يستحق الإعتذار فالشاي فى حد ذاته كان مطلوباً بشدة بعد رحلتنا المرهقة. ومع حبات السكر التى طلاها التراب كان طعم الشاى أروع من أن يوصف، فالجوع والعطش كفيلان بإضفاء روعة على ما هو أبشع من ذلك.
الشعور بالإنتعاش سرى بين المجموعة وإنطلق الحدث على سجيته بين الجميع، نسمات الليل المنعشة تنبعث من تجاه الوادى الذى يظهر طرفه الشرقى من فرجة بين الجبال التى نجلـ ـس بينها.
أشياء تبدو صغيرة ولكنها تكون مصدر سعادة حقيقية هنا ، مثل مجرد خلع الحذاء بعد رحلة شاقة وغمس القدم فى جدول ماء بارد أو تعريضها لنسمة هواء منعشة، كم يبعث ذلك فى النفس المجهدة سعادة لا توصف ولا تقدر بثمن؟.
ولكن هناك أيضاً يتعلم الجميع أن كل شئ مؤقت ولا شئ يدوم حتى السعـ ـ ادة مع كوب من الشاى الأخضر ونسمة باردة فى المساء يمكن أن تنقطع فجأة إما بإزعاج خفيف أو بمأسـ ـ اة حقيقية.
لقد إهتزت الأقداح العتيقة فى أيدينا وبعضنا سقط الشاى الساخن على أطراف أنامله من جراء قذيفة ثقيلة إنفجرت على سفح الجبل المقابل. كان صوت الإنفجار مريعاً ليس فقط لشدته التى يقشعر لها البدن ولكن لكونه غير متوقع فى لحظة صفاء مدهشة كتلك التى نحياها الآن بعد رحلتنا الشاقة، ومع ذلك ضحك الجميع لم يتذمر أحد فقد تعودوا ذلك.
(إنه قصف روتينى. . أنهم يعرفون أننا هنا فقد كانت هذه المنطقة لهم حتى وقت قريب لكننا

طردناهم من هنا منذ مدة قصيرة الجبل الذى خلفنا ونستخدمه للإستطلاع ومراقبة المدينة كان مركزاً لهم وما زالت الألغام موجودة فوقه..).
تولى الكومندان شرح الموقف وعادت البهجة إلي الجلسة حتى وصل أسماعنا آذان المغـ ـرب من جهة القاذف الصاروخى حيث وقف المؤذن إلى جانبه يؤذن بصوت عذب أضاف لمسة روحانية إلى شاعرية المكان.
طعام العشاء أعقب صلاة المغرب مباشرة. وفى منتصف حلقة الجالسين وضع طبـ ـقان من الأرز الأبيض ولأجل الضيوف أضيف السكر إلى سطح الأرز. أعضاء المعسكر أكلوا بشهية والضيوف أكتفوا بما يقيهم الجوع ليلاً. نسمات الليل المنعشة أحيت الأمل بسهرة مؤنسة حول أكواب الشاى الأخضر. ولكن الموقف تبدل فجأة إلى صورة مغايرة تماماً لحالـ ـة الصفـاء والأنس التى توهمها الضيوف . عدة قنابل سقطت قرب المعسكر.
دعاهم الكومندان إلى دخول المغارة الرئيسية التى تقع على بعد أمتار قليلة ومع ذلك كانـ ـت رحلة شاقة بعد أن إزدادت حدة القصف وسقطت عدة صواريخ (بى / إم /41) قـ ـرب مكان الجلوس، فسقط البعض بين الأحجار وقذف البعض أنفسهم تحت حافة الجرف، وتسابق الجميع نحو فتحة المغارة، وآذانهم معلقة فى الفضاء للتصنت على زئير القذائف القادمة.
القومندان يتلقي رسالة لاسلكية على جهازه الصغير المعلق بكتفه، مجموعة الإستكشاف فوق الجبل أبلغته بوجود طائرة نقل تحاول الهبوط فى مطار المدينة. الموقف إذن أصبح مفهوماً لدينا . ولو أن مجاهدى المعسكر لم يكونوا فى حاجة للرسالة اللاسلكية كى يعرفوا سر القصف المفاجئ وأنه مجرد تأمين لهبوط الطائرة، فمنطقتهم مصدر خطر على مدرج المطار.
تجمعنا فى المغارة وسط ضحكات الشباب وتعليقاتهم فهذه المغامرات المفاجئة تشعل حيويتهم وتبث التجديد والإثارة فى هدوء الحياة وسط الجبال الصامته.
إنطلاق صاروخ من مكان قريب فتساءل أحد الضيوف وهو ينظر بدهشةإلى الكومندان.
* ما هذا ؟
* صواريخ المجاهدين تتجه نحو المطار.
* من أين؟ ألم تقل أن ليس لديكم صواريخ؟.
* فى هذا المركز نعم أما مركزنا المجاور ففيه عدد لا بأس به.
القذائف تتساقط فوق سقف المغارة وقرب المداخل فتحرك الجميع صوب الطرف الأقصى للمغارة التي تمتد حوالى أربعة أمتار فى بطن الجبل، بعض الشظايا المشتعلة تسـ ـللت إلى الداخل فكسرت المصباح فأظلمت المغارة وكان الضيوف معذورين فى تبخر حالـ ـة المـ ـرح والإنشراح التى إنتابتهم منذ قليل.
كان أحدهم على وشك أن يسأل عن موعد توقف هذا القصف لولا وصول مكالمة أخرى عبر جهاز اللاسلكى جعلت الشباب يضجون بالتكبير لقد أصيبت الطائرة على مدرج المطـ ـ ـار وشوهدت النيران وهي تسرى فى هيكلها . سيارات مختلفة تتجه صوب الطائرة ربما للإطفاء والإسعاف.
* (زنده باد.. ا أكبر).
صيحات متلاحقة أشاعت الدفء والثقة في هذا الجمع المكوم عند الطرف المغلق للمغارة، بينما القذائف تتفجر بجنون حول المغارة التى كادت تترنح، ولكن أحداً لم يبال بذلك حتى الضيوف

لم يسأل أحدهم عن موعد توقف القصف.} إ .هـ

****

* والذى لم أذكره عن تلك المغامرة هو أن القصف قد إستمر إلى ما بعد منتصف الليل، حتى كادت مغارتنا أن تتهاوى وأن كثير من الشظايا قد وصل إلى قرب نهاية المغارة لذا بقيـ ـنا ملتصقين فى نقرة صغيرة على جانب المغارة قرب نهايتـ ـها، لقـ د نسى هؤلاء الـ دروس المستخلصة من معركة جاور التى من بينها وجود مغارات متصلة من الداخل تتيح مخـ ارج للطوارئ ، ولكن وجود راجمة الصواريخ قريبة من المغارة نسبياً أوحت لى بفكرة هامـ ـ ـة إستخدمتها فيما بعد أثناء عملية (المطار 90) ولكننى جعلت الراجمة ملاصقة تقريباً لحافـ ـة المغارة مع تحصين الراجمة ومدخل المغارة بأكياس الرمل، وكان ذلك الأجراء عظيم الأهمية والقيمة فى ظروف عمليتنا تلك كما سنرى فيما بعد.

فى الصباح إصطحبنا دليلاً أخذنى مع أبو الحارث، رفيقى فى تلك الرحلة، حتى يوصلنا إلى القمة عبر الألغام المحيطة بها، وهناك شاهدت الطائرة المصابة وقد تفحمت، بينما لف صمت رهيب المطار وإنعدمت الحركة حوله.

قضيت فترة أعاين كل بوصة فى المطار وما حوله وأكوام الحطام الذى تكوم على الحافـ ـة الشمالية والجنوبية ، ثم حملقت بعض الوقت فى جبل (تورغار) والتحصينات فوقه والخنـ ادق المحيطة بحوافه العليا.

وأخيراً لفت أبو الحارث نظرى إلى أن الشمس أصبحت محرقة، وأن مرافقنا قد غادرنا ونزل إلى المعسكر.

كان علينا أن ننزل بمفردنا كى نواجهنا (مشكلة بسيطة) وهى عدم معرفتنا بمواضع الألغام، ولم يكن مناسباً أن نصرخ من أعلى طالبين من جماعة "الكوتشى" إرسال دليل منهم كى يأخذنا.

فذلك التصرف يعنى أن نكون موضع سخرية أبدية منهم، ففضلنا أن نعتمـ ـد على ا وعلى أنفسنا فى الخروج من الورطة حتى ولو كلفنا ذلك أرواحنا. فأخذنا نقفز من صخرة إلى أخرى مثل عنزين رشيقين، متفادين وضع أقدامنا على مناطق ترابية قد تحتوى فى أحشـ ـائها على الموت فى صورة لغم.

وبالطبع نجحنا لأن رصيدنا الثابت من العمر لم يستنفذ بعد.

وقد تأكد لنا ذلك عدة مرات، فقد كادت الطائرات أن تقضى علينا ثلاث مرات في رحلة واحدة كنا خلالها نستطلع مناطق غرب الوادى في "نادرشاه كوت" و"دوامندو" و"دراجى".

ورغم خطورة ما تعرضنا له إلا أنه أفادنى كثيراً فى معرفة قدرات سلاح الطيران في المناطق المفتوحة فى وادى خوست، ومعرفة تكتيكات جديدة جداً بالنسبة لى فى إستخدام تلك الطائرات للقنابل العنقودية.

لقد كانت المرة الأولى التى أشاهد فيها قصفاً بمثل تلك القنابل على طول مسافة أكثر من عشرة كيلومترات متواصلة ومستقيمة وفى نفس الوقت.

كان ذلك فوق طريق تسلكه سيارات المجاهدين فى الوادى، وكادت سيارتنا أن تقع وسط ذلك الجحيم، ولكن ا سلم. وأستنتجت وقتها أن عدداً كبيراً من الطائرات تقصف متتابعة على خط مستقيم ،أو أن العدو يستخدم قاذفات قنابل ذات حمولات غير عادية، أى قاذفات إستراتيجيـ ـة ومعني ذلك أن السوفييت مازالوا يقصفوننا، وكان المشهد مهيباً، لكنه أتاح الفرصة لسائـ ـ ق

سيارتنا أن يقطع مسافة كبيرة من رحلتنا فى الودى تحت ستار سحب هائلة من التراب والدخان بدون الخوف من قصف جوى جديد أو تدخل من مدفعية العدو الثقيلة أو الدبابات.
أثناء نفس الجولة، التى إستغرقت عدة أيام ، زرنا منطقه دراجى. ثم تمركز كبير للمجاهدين فى منطقه"لاغوري" إلى الغرب قرب الجبال وهي على مسافة متساوية تقريباً بين دراجى ونادر شاه كوت. لذا إستخدمت منطقة (قفز) عليها أثناء العمليات الماضية.
ومن حسن الحظ أن وجدنا هناك مولوى حنيف شاه، ومولوى بختر جان، وكلاهما قام بـ ـدور بارز فى فتح نادر شاه كوت وقاد كل منهما مئة مجاهد لقطع طرق الاتصال بين نـ ـادر شاه كوت وبين خوست و دراجى ونجحا في مهمتهما، وقد سمعنا منهما ما حدث بالتفصيـ ـل، وكان حديثاً مفيداً وشيقاً لولا قصف الطيران علينا الذى أوشك على أصابتنا عدة مرات.
وكان المركز مزدحماً بشدة بالأفراد والدبابات والسيارات وأكوام الذخيرة وكلها من غنائـ ـم الحرب الأخيرة فى المنطقة.
فعزمنا علي التحرك صوب قلعة نادر شاه، تخلصاً من زحام الغارات الجوية وكون الهضاب القليلة الموجودة لاتوفر حماية كافية.
كان سائقنا ومترجمنا "حاجى فريد" أشد لهفة على المغادرة، لأن الغارات أصبحت متلاحقة والمكان غاية الإزدحام، ولكن للأسف فإن سيارتنا العتيقة رفضت المسير، وأخذنا في دفعها ، أنا وأبو الحارث فقط ، لأن باقى المجاهدين أخذوا فى الإنتشار سريعاً تحت وطأة الغـ ـارات المتلاحقة والمركزة. كنا ندفع سيارتنا صعوداً فى إنحدار خفيف فوق أحجار خشنة بارزة، فلم تلبث أنفاسنا أن تقطعت وتوقفنا عن الدفع وفكرنا فى الجلوس فوق صخور قريبة للإستراحة، لكن قنبلة ضخمة إنفجرت على بعد أمتار قريباً فوق هضبة صغيرة، كان ذلك كفيلاً بأن ننسى كل متاعبنا ونطلق أرجلنا فى سباق مع الريح. ولكن أبو الحارث الذى تصورأننى قد تمزقت بفعل الإنفجار أخذ ينادى بصوته الجهورى قائلاً :(أبو وليد.. أبو وليد) .
فناديته بأعـ ـلى صوتى فهدأ روعة، وتوجهنا لتونا في لدفع السيارة، بينما (حاجى فريد) يحاول أدارتـ ـها ولا يرفع يده عن مفتاح التشغيل.
وكأن حرارة الموقف قد سرت فى مواسير الموتر العتيق فدار المحرك مخرجاً كتلـ ـة سوداء ضخمة من دخان العادم، لكنها بعثت فينا السرور والنشاط، فقفزنا فى السيارة، وحاجى فريد ينطلق بها صاعداً المنحدر، مبتعداً عن مركز لاغورى الذى غطاه الدخان والأتربة المنبعثة من قنابل الطائرات ومن عادم سيارتنا القديمة.
مررنا بعدد من القرى المهجورة والمدمرة فى منطقة جميلة من الهضاب واقعة ما بين سلسلة الجبال الغربية وبين وادى خوست الأخضر الجميل. بين بعض البيوت المتناثرة فوق هضبة خضراء، وقفت سيارتنا كى نلقى نظرة على مدينة خوست من جانبها الغربى الذى لم نشاهده قبلاً من ذلك القرب.
وقف حاجي فريد إلى جانبنا بجسمه الضخم وملامحه الطيبة، وقد أغمض عينيه وسحب نفساً عميقاً وقد أغمض عينيه، فبدأ كتمثال مهيب في مواجهة المدينة. وعندما لاحظ أننى أراقبـ ـه، إبتسم فى براءة وقال مبرراً موقفه:(هواء خوست... هواء خوست).
كانت نسائم رقيقة منعشة تهيب علينا من جهة الوادى، وحاجى فريد الذى يقف الآن فوق أرض قريته .

كان يمثل لحظة ضعف الإنسان فى حنينه إلى الوطن الذى لايستطيع أن يعيش فيه.
أثار ذلك شجونى،لكون وطنى ، كما هو فى ذهنى ، أشد قتامة وظلمة، من خوست التى تلفها سحب الحرب، وشعرت وقتها بحنين عجيب لبلدتى الصغيرة،وتمنيت لو كانت أمامى الآن.
لم أنس أبداً منظر ذلك العملاق ، حاجى فريد ، وهو منتصب القامة فى مواجهة خوست وقد أطبق عينيه، بينما هو يتنفس بعمق نسائم الوادى الأخضر الجميل.
*وكم كانت فرحتى عندما قابلته مرة أخرى عام 1995 فى سوق مدينة خوست وقد إفتتـ ـح لنفسه دكاناً صغيراً للتجارة. لقد فتح حاجى فريد مدينته بالقوة ويعيش فيها الآن عزيزاً فخوراً.
* تقدمت بنا سيارة حاجى فريد إلى حصن نادرشاه كوت . هناك طرق محددة للمسير، وما سوى ذلك من ممرات يحمل تحت سطحه خطر الموت. فبعد مصرع مطيع ا الذى إقتحـ ـم الحصن،إنتاب الذعر الجميع وحددوا مسارات الحركة للسيارات والمشاة.
أما الحصن نفسه فقد كان مبنياً على طراز العصور الوسطى رغم إنه قد شيد فى بدايات هذا القرن، ولم أرى فيه سوى مخزناً ضخماً للجنود والعتاد. والجلوس داخل تلك الغرفات مستحيل خاصة غرف الجنود المبنية بالطين. وهى ضيقه للغاية، متراصة فى صفوف طويلـ ـة فى مواجهة الأسوار. عفنه الهواء لاتطالها أشعة الشمس. وحتى مكاتب المسئولين كفيلة بأن تصيب مستخدميها بالكآبه النفسية وأمراض الكساح والسل الرئوى.
أما العتاد والمعدات، فما زالت كثيرة ومكدسة رغم الكثير الذى تم نقله إلى خارج الحصن خوفاً من قصف الطائرات أو صواريخ سكود. لفت نظرى بشكل خاص مدرعة خضراء أنيقة كتب على جانبها بلون أبيض جميل (كروان صلح) أى قافلة الصلح !!.. ضحكت من ذلك الصلـ ـح الذى تحمله مدرعات مسلحة بمدافع ورشاشات ثقيلة.
كانت الحكومة مازالت تعزف أنغام المصالحة الوطنية فى إذاعاتها وبعثاتها الدبلوماسيـ ـة.
وتذكرت شعاراتهم القديمة ذات الصلف المتعالى فى بداية الثورة الشيوعية، وكانت إذاعة كابول أثناء زياتنا الأولى لأفغانستان لا تمل من ترديد شعار(الحكومة الأبدية لحزب الشعب "خلق").
لقد تهاوى ذلك الشعار بل أن الإتحاد السوفيتى نفسه بدأ يترنح.
فى أقصى الغرب وعلى مسافة 20 كيلوا متر من نادر شاه كوت وصلنا إلى مضيق دوامندو الرهيب الطريق العام معلق على جانب السلاسل الجبلية التى كانت تحرس قممها الدبابات والمدافع. وفى أسفل الوادى يتهادى نهر شمل رقراقاً فوق كتل الحصى المستديرة.
الموقع فى حد ذاته منيع جغرافياً، أما مراكز الجيش على الطريق العام فتتميز بنفس التعاسة التقليدية، حجرات من الطين مثل جحور الفئران، وخنادق مسقوفة مموهة بالصخور والأتربة تستخدم كمرابض للرشاشات ثم نطاقات من الألغام.
سألنا عن الدبابات والمدافع فوق الجبل، فأحزننى أنها قد أنزلت وتم توزيعها ضمن الغنائم. وكم تمنيت أن تبقى حيث هى تحسباً من أن تتمكن القوات الحكومية من العودة مرة أخرى، فيمكن إستخدامها لصد تقدمها. ولكن الوقت الذى كانت فيه القوات الحكومية قادرة على أن تذهـ ـب حيث تريد، كان قد ولى أيضاً.

تورغار ..إسماعيل خيل ..فشل مزدوج

فى أواخر ديسمبر 1989، كنت أنوى البقاء فى أبوظبى حتى أنتهى من طباعة العدد الأول من مجلة "منبع الجهاد"التى إنتهيت من كتابة معظم موضوعاتها، وأهمها موضوع عن وفاة تميم

العدنانى ثم موضوع آخر عن إغتيال الدكتور عبد ا   عزام.
ثم موضوع ثالث عن معارك خوست الأخيرة وفتوحات نادر شاة كوت و دومندو ودراجـ ـى وغيرها من الحصون المنتشرة حولها فى غربى وادى خوست.
وساعدنى الأخ الصديق "باسل" فى كتابة بعض الموضوعات للمجلة، وكان يعمل صحفيـاً فى الإمارات وكان يمتاك حساً إسلامياً عميقاً مع عقلية ذكية يقظة، مع نشاط جسمانى لايكل ولا يمل. كل ذلك مع عيب واحد بسيط فقد كان مثابراً فى توجيه اللوم لى على كل شئ تقريبـ ـاً، حتى أسميته (باسل النفس اللوامة) .ولم يمنعه ذلك من دعوتى إلى منزله عده مرات، ثـ ـ ـم دعوتى على العشاء في أحد مطاعم الفول في العاصمة أبوظبى وذلك لمرة واحدة على الأقل.
كنت أنوى البقاء حتى إتمام العدد الاول وحتي إتمام علاج زوجتي التي تعاني من حالة إنهاك عصبي يقترب من الإنهيار.
لكننى غادرت على وجه السرعة عندما علمت أن هناك هجوماً وشيكاً على جبل تورغـ ـار، أخبرنى بذلك غازى مرجان رحمه ا   ، وكان مندوباً لحقانى فى أبوظبي ، كما علمت أيضاً أن المجاهدين يقومون بعملية إلتفاف حول الجبل لقطع طريق الإمداد الآتى إليه من المدينة.
كان ذلك تطوراً مثيراً، فالمساحات الجديدة التى سيطر عليها المجاهدون خلال هذا العـ ـ ـام ، والأشهر الأخيرة تحديداً ، قد أتاحت لهم فرصاً أوسع للمناورة العسكرية، ولم أكن أعلـ ـ ـم بالتفصيل تطورات الوضع حول تورغار،وكنت أشعر دوماً بمسؤلية أدبية فى المشاركه بالحملة على الجبل.
وكما إرتبط تورغار بإستشهاد صديقى عبدالرحمن فقد إرتبط أيضاً بما كنا نفكر فيه سوياً، من الإرتكاز على تورغار للقفز على المطار ثم قلب المدينة.
*كانت أسرتى قد إنتقلت من بشاور إلى إسلام آباد، لأن مدينة بشاور مازالت متوترة منـ ـذ إغتيال الدكتور عبد ا   عزام، والمخابرات الباكستانية تسأل عن كثيرين من "كبراء العرب" الذي إختفوا جميعاً.
حتى زوجتى عند عودتها من أبوظبى إلى مطار بشاور، تعرضت للمساءلة والإستجواب والتأخير وهو ما لم يحدث مطلقاً قبل ذلك.
وكنت قد فعلت ما يفعله أى زوج مثالى بأن سلمتها كل ما معى من الأموال قبل سفرها من أبو ظبى. وكنت وقتها غنياً على غير العادة بعدما تمكنت بعد نضال دام ما يقرب من ثـ ـلاث سنوات من إستلام باقى مستحقاتى من جريدة الإتحاد، التى قامت بتجميد مستحقاتى منذ إغلاق مكتبها فى إسلام آباد، وحتى تستلم تقريراً من سفارة الإمارات هناك بتصفية المكتب رسمياً وأن كل الموجودات قد تم توريدها بدون أي إختلاسات.
لقد عدنا مرة أخرى إلى حى "بشاور مور" المزدحم نسبياً والقريب من سوق الأحد الإسبوعى وخلف الشارع الرئيسى المزدحم بالمطاعم ومحلات الخضار والبقالة. لقد سكنا فى نفس الحى عندما حضرنا إلى باكستان لأول مرة وأحببنا المنطقة وتعودنا عليها.
والأولاد الصغار عاثوا فى المنطقة بكل ما أعانتهم عليه شقاوات الطفولة، وتسبب لنا ذلك فى عدد من المشاكل الصغيرة التى إنتهت دوماً بإكتساب مزيد من الصداقات ولأطفالنا المزيد من الشعبية، وبالذات "خالد" الذى كان وقتها ، بالنسبة لأصحاب المحلات والدكاكين ، أشهـ ـر من الرئيس ضياء الحق.
لذا عندما ظهرنا مرة أخرى في المنطقة تسابق هؤلاء على سؤال إبنى وليد عن أخيه خالـ ـد،

وعندما أخبرهم أنه قد إستشهد فى أفغانستان كانت صدمة للجميع، حتى أن بعضهم قد بكى.
كنت سعيداً بعودتنا للسكن مرة أخرى فى إسلام آباد، فقد كنت أحب كثيراً تلك البلدة الجميلة التي بنيت فى غابة خضراء زاحفة من الجبال.
وفى المقابل كنت أكره مدينة بشاور منذ رأيتها لأول مرة، وحتى آخر يوم فى حيـ ـاتى، ولا أظننى كنت مخطئاً فى ذلك، وثبت صحة حدسى بأن تلك المدينة تخفى بين طياتها من الشرور مالا يعلم مداه إلا ا .
ولكننى سريعاً ما أدركت أن الظروف السياسية قد تغيرت بحيث أصبحت إسلام آباد لا تقل سوءاً عن بشاور. ولم يكن من الفأل الحسن أن أضطرت زوجتى ، قبل حضورى ، إلى الإستعانـة بالشرطة لأجلاء بعض النساء من أقارب مالك البيت وقد حاولن فرض تواجدهن لمـ ـدة من الزمن بدعوي أن البيت ، وقد دفعنا أجرته مقدماً لمدة عام ، هو أكبر من إحتياجاتنا الفعلية !!.
ولكننى طردت وساوس الشيطان عندما علمت أنه ترك لنا جهاز تليفونه فى المنزل بعد أن سدد فواتيره كى نستخدمه أثناء إقامتنا.
وبعد عدة أشهر عادت وساوس الشيطان بشكل مؤكد عندما إكتشفنا أنه ، بطريقة ما ، كـ ـان يستخدم نفس الرقم بينما نحن نسدد الفواتير وكانت صدمة أن كدنا نعجز عن السداد، وتأتى لنا الفواتير عن مكالمات خارجية مع دول لا أكاد أعرف موضعها على الخريطة.
لم يقف الأمر عند هذا الحد بل كانت فواتير الكهرباء والماء هى الأخرى مبالغ فيها إلى حـ ـد مذهل، حتى أسميتها (حرب الفواتير).
ولكنى وجدت كثيرين من العرب فى بشاور وإسلام آباد يعانون من نفس الظاهرة، وقد فسرتها بأنها عملية (تطفيش) من البلد وأنهم يدفعوننا إلى الهجرة.
****
* بقيت فى إسلام آباد عدة أيام مع أسرتى حتي أطمئن علي إستقرار أحوالهم خاصة مشكلـة قبول الأولاد فى المدارس العربية. ولم يكن أمامنا سوى المدرسة السعودية التى شأنها شأن المراكز التعليمية والدعوية والطبية السعودية وغيرها من المصالح الحكومية، ليست سوى أذرع للأخطبوط الإستخباراتي السعودى.
وللحقيقة فذلك شأن الدول العربية جميعاً، فالهم الأول للجميع هو ملاحقة مواطينهم وتجنيـ ـد مواطنى الآخرين، في خدمة الأنظمة المحلية، والسادة الدوليين. لذا كانت عملية تعليم أولادنا أصعب من العمليات العسكرية فى أفغانستان. كما أنها لم تصادف نجاحا يذكر، ومازلنا نعانى من ذلك حتى كتابة هذه السطور.
* فى اليوم العاشر من يناير سقط صاروخ "سكود" قادم من أفغانستان على قرية تدعى (واه) قريبة من مدينة روالبندى ، الملاصقة للعاصمة إسلام آباد، وذلك أعمق مدى وصلته تـ ـلك الصواريخ داخل أراضى باكستان.
كان ذلك العمل دلالة على أزمة خطيرة ، فى المجال العسكرى ، يمر بها نظام كابل. ولم يكن وقتها غير خوست التى تنامى نشاط المجاهدين فيها إلى درجة جد خطيرة. وتواترت شهادات النظام وجهات دولية مهتمة على أن خوست هى البؤرة الوحيدة التي تشكل خطورة فعليـ ـة علي النظام، بينما دخلت كل المناطق الحيوية الأخرى حيز الهدؤ المريب. بعضها نتيجـ ـة تواطؤ صامت وإتفاق خفى بين الحكومة الشيوعية والقيادات المحلية التى بدأت تتصرف كما

يحاو لها وحسب مصالحها الخاصة.
* بدأت الحركة صوب خوست فى يوم الخميس (90/1/11) وقد صحبنى إبنى وليد كى يبـدأ دروساً في الكومبيوتر فى أحد المعاهد الخاصة في بشاور، بعد أن أغلقت في وجهه سبل التعليم العربية. وصلنا إلى بشاور فى الثامنة ليلاً فتوجهنا إلى مكتب جلال الدين حقانى المقابل لخط السكة الحديدية فى نهاية شارع (أبداره رود). كان المكتب شبه خال لكون المعارك محتدمة فى الجبهة و حقانى يباشر العمل هناك فيما بين ميرانشاه وخطوط القتال فى خوست.
أخبرنى عامل المخابرة أن المجاهدين قد هاجموا منطقة (**إسماعيل خيل**)غربى خوســـت وإستولوا هناك علي بعض المواقع، كما أنهم هاجموا جبل تورغار والنتيجة غير معلومة وأن العمليات مستمره منذ السادسه صباحاً.
كانت مفاجأة أن أعلم بالهجوم على تورغار فقد كنت أتوقع أن يكون بعد عدة أسابيع، وخمنت أن الهجوم قد فشل لأن نتائج الهجمات السابقة على تورغار كانت تتحدد نتيجتها قبل غروب الشمس. ومن المخجل أننى شعرت بالإرتياح لذاك الإحتمال لكونه يتيح لى فرصة الإشتراك في الهجوم المقبل على الجبل.
* **يوم الجمعة 12يناير1990 / 14 جمادى الثانى 1410هـ .**
ركبت فى الصندوق الخلفى لسيارة إسعاف متوجهة نحو ميرانشاه، مع عدد من الأطباء الأفغان التابعين للحكومة المؤقتة "حكومة مجددى" كى يديروا مستشفى ميرانشاه الذى بقى معطلاً بعد أن تركه الهلال الأحمر الكويتى إثر خلافات حادة مع المجاهدين.
وكانت الخلافات مبعثها التشدد السـلفى لأطباء تلك الهيئة وتعاملهم المتعالى مع الأفغان.
صاحبنى فى الرحلة الضابط الشاب (أعلى داد) وهو ضابط إتصالات يعمل مع حقانى ومن نفس قبيلته.
عندما وصلنا إلى بداية المنطقة القبلية فى نهاية مدينة "بنون" وجدنا سيارة بيــك آب مليئـة بالحرس قد أرسلهم حقانى لأصطحاب الأطباء إلى مدينة ميرانشاه ، على بعد ساعة من بنون.
أمطرت السماء بشدة فإنتقل الحراس إلى الركوب معنا داخل سيارة الأسعاف التي صارت مثل علبه السردين المسلحة بأشواك من بنادق الكلاشنكوف.
توقفت السيارة أمام المستشفى وكان البرد والمطر قد فرض حظراً للتجول في الساحة المقابلة و الطرق المحيطة، فلم أتبين ، كما هى العادة ، شدة المعارك من حجم إزدحام الناس والسيارات أمام بوابة المستشفى.
توجهت بسرعة إلى بيت العرب ، وهى مضافة من طابقين تحتوى الكثير من الغرف، سألتهم بلهفة عما لديهم من أخبار الجبهة، فأكدوا لى فشل الهجوم على تورغار وأن تفاصيل بــاقى المعارك مازالت مشوشة.
توجهت بعدها إلي"المكتب الثقافى" وهو غير بعيد عن بيت العرب ويفصل بينهما ساحة متسعة نسبياً وحولها أكداس من البيوت المتراكمة فى قبح معمارى نادر المثال.وقد ملئت الطرقـات بالأوحال وبرك من مياه الأمطار، وهو ما يجعل السير فى الطرقات الضيقة، والمسقوفة أحيانا، عملية عسيرة. ولكن الميزة الوحيدة لتلك الأوحال والبرك أنها تخفى الصفوف الممتدة على جانبات تلك الطرق من براز أطفال الحي مع ما يحط عليها من أسراب الذباب السـمين

والكسول، الذى لا يتحرك إلا تحت وطأة التهديد الجدى.
من الغريب أن يكون وسط تلك القاذورات ، مكتباً ثقافياً ، ولكن ذلك هو الحال. ومن المفروض أن تكون لمجلتنا الجديدة غرفة خاصة فى الطابق الأرضى من ذلك البيت الواسع والذى تشاركنا فيه الإذاعة ومكاتبها، وغرفة ضيافة واسعة فى الطابق الأعلى تحتوى على "متحف" من مخلفات معركة جاور فيه قطع من معدات وملابس وأوراق رسمـ ـ ـية لجنود سوفييت وكوماندوز أفغان قتلوا فى تلك الحملة. إضافة إلى خريطة كبيرة مجسمة للقطـ ـاع الجنوبى من الجبهة يظهر فيه جبل تورغار. لم يكن أحد من أفراد طاقم المجلة موجـ ـوداً فى المبنى، بل أن أكثر الناس كانوا فعلاً داخل الجبهات. نمت وحيداً فى أحدى الغرف البـ ـادرة، ولكنها كانت مليئة بالأغطية، فوضعت فوقى كومة منها، وما أن شعرت بالدفء حتى رحت فى نوم عميق.

*السبت 13 يناير 1990 / 15 جماد الثانى 1410**

منذ الصباح الباكر بدأت فى تحرى أخبار الجبهات فعلمت أن الهجوم على تورغار قد فشـ ـل، وأيضاً الهجوم على إسماعيل خيل الذى جرح فيه 65 من المجاهدين. ومن قادة الهجوم جرح حنيف شاه ، صديقى القديم ، وإستشهد زميله حكم خان. كانت الأخبار سيئة والوجوه متجهمة. ومازالت تفاصيل ما حدث مجهولة، أخذت فى تجهيز حقيبتى للتحرك إلى الجبهة، عندما يصل حاجى إبراهيم مساعدى فى العمل بالمجلة.
وهو طالب علوم شرعية، وكومندان سابق، من منطقة "زورمات" فى قرية "شاهى كوت".
وعمله الرسمى معى فى المجلة مترجماً، وكان شاباً دمث الخلق ذكياً وشجاعاً محبوباً من جميع الأفغان، لذا فقد ساعدنى كثيراً سواء فى شئون المجلة أو فى العمليات التى إشتركنا فيها معاً، كما سنرى.
حضر حاجى إبراهيم صباحاً، وكان كل منا سعيداً بلقاء الآخر بعد فترة من الغياب. لم أجد لديه خبراً جديداً عما حدث فى المعارك الأخيرة سوى نفس الوجوم والكدر الذى غمر الجمـ ـيع.
فخرجنا سوياً إلى السوق لنشترى بعض إحتياجاتنا فى سفرتنا القادمة إلى الجبهة. إشتريـ ـت عشرة أفلام ملونة من أجل التصوير، وكنت أحمل فى جيبى دوماً كاميرا صغيرة من طراز حديث، وفى أمتعتي كاميرا أكبر مع عدسة مقربة إضافية ،وهى أيضاً من نوع حديث ولكنها كانت أمانة عندى من صديقى المنياوى.
عند عودتنا إلى المكتب علمنا أن الشيخ حقانى سوف يحضر مراسم دفن الشهداء فى المقبرة المواجهة للمستشفى، فأجلنا سفرنا حتى نلقاه. كان الزحام شديداً حول المقبرة، التى إزدانت مقابرها بالأعلام الملونة الدالة على أن أصحابها من شهداء المعارك، وكان عدداً منهم من أفضل أصدقائى القدماء منهم الشهيد عبد الرحمن المصرى، ومولوى أحمد جول ومولوى فتح ا ومولوى شاكرين وغيرهم كثير. أما إبنى خالد فقد دفن فى مقبرة أخرى فى منطقة"ماتشز" حيث يسكن صديقى حاجى إبراهيم. حضر مولوى حقانى وألقى كلمة مطولة فى جمـ ـ ـوع المحتشدين حول المقبرة، تناول فيها مواضيع دينية عن الإسلام والجهاد والشهادة، وحث الناس متابعة الجهاد والصبر على مشاقة. وكانت تلك الفرص مناسبة تماماً لتعبئة الناس نفسياً، ورفع معنوياتهم بعد فقد الأعزاء من المجاهدين الذين تعلقت بهم النفوس.
كان المحتشدون من المسلحين ذوى الأجسام النحيلة الصلبة والوجوه الملتحية العابسة بصرامة، وكل منهم يحمل فوق كاهله من الآلام مالا تتحمله الجبال الرواسى. قليل منهم يبكى أثناء تلك

المناسبات وأكثرهم تترقرق عيونه بالدموع، وعن نفسى كنت أفضل ألا أحضر تلك المناسبات متعمداً، بل أفضل أن أراقبها وحيداً من على بعد حتى أدع عواطفى تنساب على سحبتها بدون إعتبار لتواجد الآخرين، فمن المخجل للرجل أن يراه أحد حين يبكى.

ذهبت مع أبراهيم قبل العصر إلى مضافة حقانى الملاصقة لمنزله، وكانت عبارة عن صالـ ـة كبيره للضيوف، أحد أطرافها يمكن فصله بواسطة ستارة سمكية فيصبح غرفة صغيرة منعزلة تحف جدرانها المقاعد وتتوسطها طاولة صغيرة عليها تلفزيون وفيديو، فهى إذن صـالـ ـة عرض الأفلام التى إلتقطها عدد من المصورين التابعيين لحقانى أثناء المعارك. فى الطرف الآخر من البهو المتسع هناك باب يفضى إلى غرفة صغيرة بها سريرين وعدد من المقاعد وهى مخصصة لكبار الزوار ومرفق بها حمام خاص.

وللمضافة حديقة متوسطة الحجم، معتنى بها، ومحاطة بحاجز من الأسلاك لحمايتها من أطفال العائلة، الذين يتسللون إليها دوماً فيتعرضون إلى زجز الحرس والأقارب، ولكن زهور الحديقة تدفع الثمن غالياً لوصول هؤلاء الأطفال إلى المضافة.

قابلنا الشيخ فى المضافة الكبيرة الخاصة بالضيوف، وكان برفقته أخواه إسماعيل، وخليـ ـل الرحمن الذى كان مصاباً فى كفه على أثر المعارك الأخيرة. لم أتمكن من الحديث مع حقانى الذى تجهز للتحرك إلى "بارى" وطلب منى أن ألقاه هناك.

غادر حقانى المضافة وكذلك معظم الحاضرين، وبقيت مع إبراهيم لإستكمال الحديث مع بعض من حضروا المعارك الأخيرة. وكان منهم مصطفى اليمنى الذى كان مع مجموعته اليمنية فى طرف إسماعيل خيل، وكان منهم أبو محمد السورى أحد أفراد المجموعة القيادية فى جماعة أبوالحارث.(وكان فى مركز أبو الحارث فى الطرف الغربى لسلسة جبل تورغار).

ذلك المركز عبارة عن عدد من المغارات ضيقة المدخل وبعضها متصل من الدخل بقنوات إرتباط، وفتحات المغارات مواجهة للغرب، وذكر أبو محمد أن صاروخ من راجمة BM41 قد أصاب موقعهم فقتل رامى الهاون وزميله.

أما مصطفى اليمنى وكان يقود مجموعة مدعومة من بعض شيوخ اليمن من بينهم الشيـ ـخ عبدالمجيد الزندانى، فقال بأنه ومجموعته قد شاركوا فى الهجوم الذى بدأ فى السادسة صباحاً على قرية إسماعيل خيل وبدون تمهيد مدفعى حتى تتحقق المفاجأة للعدو.

وقال بأنه مع إرتفاع الشمس كان المجاهدون قد حوصروا بالميليشيات، وفى البداية هـ ـ رب الرجال من القرية، وبقت النساء تدافع بشراسة حتى أن بعضهن كن يستخدمن مدافع الهاون من داخل أسوار البيوت.

كما أن طائرات الهيلوكبتر هاجمت المجاهدين بشجاعة كبيرة، وقال أن مدفعيات المجاهدين تدخلت وقصفت المراكز الخلفية لمدفعية العدو.

وذكر أيضاً أن عدد الشهداء كان خمسة فقط والجرحى كانوا 75 جريحاً. ولم يكن لديه تفاصيل أكثر من ذلك.

ولكن جريدة "المسلم" الباكستانية ذكرت فى عددها اليوم أن هجوماً للمجاهدين بهدف الإستيلاء على مدينة خوست قد فشل، وأن جرحاهم في ذلك الهجوم الفاشل كان156 شخصاً، أى ضعف العدد الأصلى تقريباً. فى الواقع لقد إنحسر كثيراً تأييد الإعلام الباكستانى للمجاهدين، وبعض الصحف أظهرت عداء صريحاً. لقد كانت رئيسة الوزراء "بى نظير بوتو" تكشر عن أنيابها

ناصعة البياض المتلألئة خلف شفاه مصبوغة بلون الدم، وربما كان دم عبدا   عزام.
من بين شهداء الأمس سائق دبابة كان يعمل مع خليل فى قصف جبل تورغار من الخلف (جهة الوادى) وأثناء خروجه من الدباب سقطت قذيفه هاون "120 مليمتر" فوق البرج فقتل السائق فى الحال وأصيب خليل الرحمن فى كفه .
اليوم وصل أيضاً "محب ا   " مدير تحرير مجلة "منبع الجهاد" التى تصدر بلغة "الباشتو". قدم محب ا   من بشاور لتغطية أحداث الجبهة.
"ومحب ا   " هو قاضى سابق فى الخمسين من العمر يتكلم الإنجليزية بطلاقة ولايجيد العربية. تعلم فى الهند عده سنوات، وهو واسع الثقافه وغير ملتزم حزبياً لذا كان التفاهم بيننا واسعاً، والتناقش معه كان دوماً ممتعاً ومفيداً بالنسبة لى. كانت أفغانستان هى موضوعنا المفضـل، فكنت أراها ، أى أفغانستان ، لغزاً ضخماً لا تنتهى غرائبه وكان ذلك هو رأيه أيضاً. لـذا دارت أحاديثنا من تاريخها إلى جغرافيتها إلى أحداثها السياسية وحروبها إلى إنسانها، محور ذلك كله وجوهره.

الأحد : 14 يناير 1990 ـ16 جماد الثانى 1410هـ .

فى رحلتنا إلى بارى رافقنا الصديق عثمان الصعيدى،وهو شاب شهم فارع الطـول قضى سنوات عديدة فى جهاد أفغانستان. وهو أكثر من رافقنى من العرب فى الجبهات وخارجها، حتى قال عنه بعض العرب متهكماً، "إنه التلميذ النجيب لأبو الوليد".
لم يكن الأمر كذلك ولكن عثمان كان معجباً بما (ألوكه) من أفكار وآراء حول أفغانستان وما أشبه. وكان يعجب من كساد سوق تلك الأفكار، فيحاول أحياناً الدفع بها قدماً فى أوساط العرب، فكانت النتائج دوماً عكسية. فما كان له ينجح فيما فشلت أنا فيه. على كل حال فقد كنت أشعر تجاهه بالإمتنان.
لما كان مركز القيادة مزدحماً، فقد توجهنا إلى (جبل الترصد) وهو جبل مرتفع على الحافة الجنوبيه الغربية لوادى خوست، يتخذه حقانى كموقع للقيادة فى بعض الأوقات كما أقام فيه مركزاً ثابتاً للإتصالات اللاسلكية، وفيه يتم التصنت على مكالمات العدو اللاسلكية فى المدينة، وعلى مكالمات الطيارين أيضاً. وكان ذلك عملاً عظيم النفع، إستفدنا منه فى عمليتنا ضـد المطار بعد ذلك بعدة أشهر. ومن ناحية صحفية أيضاً كان ذلك المركز مصدراً فريـداً للمعلومات خاصة التفاصيل الدقيقة لمحادثات صانعى القرار.
وكان مسئولا اللاسلكى فى الموقع هما "عبد العزيز" وهو ضابط سابق قوى البنية، هادئ ولامع الذكاء. والآخر "فضل" وهو شاب من المجاهدين يتمتع بنفس مزايا صاحبه فيما عدا قوته الجسمانية، ولكنه يعوض ذلك بسعة الحيلة والدهاء. كلاهما قدم خدمات جليلة للمجاهدين ثم لنا أيضاً أثناء عملية المطار.
وفى الواقع فإن زياراتى للجبهة وإحتكاكى القريب بالعمل هناك خلال الأشهر السبعة الأولى من هذا العام أفادنى بشكل كبير جداً فى فهم أسلوب عمل المجاهدين وتفكير قياداتهم ، خاصة حقانى ، والإمكانات المتوفره لديهم . وأن أفهم بشكل أدق أسلوب وإمكانات العدو. وقد مكنى ذلك من كتابة عدد من الدراسات العسكرية حول تلك الموضوعات (**سنورد بعضها فى هـذا الكتاب**).
كما أفادنى فى ترتيب وقيادة عمليتنا الأولى ضد المطار، ثم عمليتنا التالية أثناء فتح المدينـة في العام التالى (1991).

****

قص علينا عبد العزيز أحداث جيدة حدثت ليلة الأمس (بعد نكسات تورغار وإسماعيل خيل) فقد قصف أحد مدافع المجاهدين مدرج المطار فأصاب طائرة كانت قد هبطت للتو فإشتعلت بـها النيران. وكان فى الجو طائرتى نقل تحاولان الهبوط وشاهدتا الحدث، فطلبت منهما القيـادة الأرضية فى المدينة الهبوط لنقل طاقم الطائرة المحترقة إلى كابل. فرد أحد الطيارين بأنه لا يمتلك أوامر بالهبوط كما أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بلا حماية كافية. ولكن الطيار الآخـــر هبط بطائرته ولم يكد يفعل حتى أصابته قذيفة هو الآخر، فإستنجدت القيادة الأرضية بالطيـار الثالث أن يهبط، فرد قائلاً:آسف لن أهبط.

وكان آخر ما التقطه عبد العزيز هو قول القيادة الأرضية: سنحاول إصلاح الطائرة.

فى الرابعة عصراً جاءنى حاجى إبراهيم راكضاً وهو يقول بلهفة إحضر فوراً هناك طائـرة سوف تهبط في المطار، كنت جالساً مع عثمان نراقب المدينة بالمنظار، ونتحدث في أمور شتى. جرينا صوب عبد العزيز الذى كان يتابع المحادثات اللاسلكية بين الطيار والمدينة، بينما إبراهيم يترجم لنا. كانت طائرة عسكرية قد أصابها عطب وطلب الطيار إذناً بأن يقفز منـها بالمظلة، ولكن قيادة المدينة طلبت منه الهبوط في المطار. ويبدو أن تردد الطيار كان راجعاً إلى خوفه من مدفعية المجاهدين، ولكنه هبط أخيراً مستعيناً بمظلة خلفية لتهدئة سرعة الطائرة فوق المدرج.

أخذ عبد العزيز يستنجد برامى المدفع "محمد بوستان الكوتشى" الذى أصاب طائرتين بالأمس فوق المدرج.ولكن ذلك إستغرق وقتاً، وكم كان مثيراً عندما أخذت عده أجهزة لاسلكى تصيح بالرامى (بوستان) كى يقصف الطائرة الواقفة في منتصف المدرج تماماً.كانت شامخة قوية بعكس طائرات النقل، التى تعود المجاهدين ضربها في المطار.كانت قاصفة مقاتلة مـن طراز(سوخوى - 7) وهو طراز قديم.

بعد فتر إنتظار مثيرة، وكان بوستان قد أغلق مخابرته فذهب إليه بعض المجاهدين لتنبيهه إلى ما يحدث على مدرج المطار، فبدأ العمل بينما عبد العزيز يصحح له الرمايات. وقد سقطـت عدة قذائف علي مسافة غير بعيدة ولكن الطيار تحرك إلى أقصى الطرف الشرقى من المدرج ثم إتجه قليلاً إلى الشمال حتى صار آمناً من قذائف (بوستان).

بعد ذلك سرت إشاعة بأن سبب إتلاف الطائرة هويعود إلى صاروخان "ستنجر" إطلقاً عليـها دفعة واحدة فأصابها أحدهما. ولكن آخرون نفواً ذلك وعزوا ما حدث للطائرة بأنه عطـل فنى، وذلك ما تأكدت منه بعد أكثر من عام بعد فتح المدينة وقد شاهدت الطائرة بنفسى وتفحصـتها وركبت في مقعد السائق، وكان جسم الطائرة مصاب ببعض الشظايا الصغيرة ، فى الغالب من نتائج رمايات بوستان التى سقطت قريبة منها.

*وبعد الفتح تسببت تلك الطائرة فى مصرع واحد من مجاهدى الكوتشى (البدو)، فقد إنحشر إثنان منهما فى قمرة القيادة وأخذا يعبثان فى كل ما تصل اليه أيديهم من أشياء وفجأة إنطلق مقعد السائق عالياً في السماء ومعه المجاهدان الفضوليان، وعند إرتطامهما بالأرض مـرة أخرى قتل أحدهما فوراً وأصيب الآخر إصابات بليغة.

أما صاحبنا الكوتشى البطل (محمد بوستان) فقد أجريت معه حديثاً لمجلتنـا "منبع الجهاد" وإكتشفت أنه من جماعة صديقنا القديم، الشهيد عبد المنان، وكان بوستان شاباً ، برغم شاربه الكث ، غاية فى الحياء والتواضع بعكس ما يوحى به مظهره من خشونة وقوة بأس.

وقد إستشهد رحمه ا بعد ذلك بعدة أشهر نتيجة رمايات مدفعية العدو، وذلك قرب مدخـل

(بورى خيل).
ومازلت مندهشاً لتلك البراعة الكبيرة من جانب البدو الأفغان فى إتقان العمل على المدفعيـة وصواريخ ستنجر رغم عدم تلقيهم لأى تعليم كان.
أثناء الليل أيقظنا الحرس من غرفتنا فوق الجبل كى يسوقون لنا البشرى بأن طائرة نقل للعدو حاولت الهبوط فى المطار فأصيبت بنيران المدفعية وإحترقت وقتل من فيها. وبذا يكون عدد الطائرات المصابة خلال 24 ساعة هو أربع طائرات منها واحدة سوخوى. وفى تلك الليالى المقمرة والصافية يكثف العدو محاولاته لإنزال طائرات النقل فى المطار، وفى الواقع أنه لا يواجه نفس المقاومة العنيفة دائماً لذا فعنده إحتمال للربح مع المجازفة. وقد ربح أحياناً كثيرة عندما كان يختار الوقت المناسب علي حين غرة من المجاهدين وكان ذلك غالباً فى الوقـت الواقع ما بين العاشرة ليلاً والصباح الباكر، وقد أفادتنى تلك الملاحظات كثيراً فيما بعد.

الإثنين 15 يناير 1990 ـ17 جمادي الثاني 1410 هـ.

وصل إلى معسكر القيادة فى بارى ، والمسمى مركز خليل ، وصل عدد من الجنود الفارين. أحدهم كان فوق جبل تورغار، وأفاد بأن نتيجة قصف المجاهدين للجبل أمس قتل 9 أشخاص من بينهم 5 من الميليشيات وثلاثة من الضباط كما جرح تسعة آخرون.
وهناك 6 جثث متناثرة على سفح الجبل لجنود الحكومة منهم فرد من الميليشيا ثيابه بيضاء لم تتمكن الحكومة من سحبهم.
* والذين يرتدون الثياب البيضاء من الميليشيات هم من سكان خوست والقبائل المحيطة بها ممن لهم عائلات بالمدنية. والثياب البيضاء تعنى المباهاة والشجاعة والإستقرار فى المنطقة، بعكس حالة الجندى الغريب القذر الخائف.
ومن أخبار الأمس التى وصلتنا اليوم هو إستشهاد أربعة مجاهدين في منطقة بارى نتيجة لقنبلة طائرة سقطت فوق مغارتهم فإنهارت عليهم.
* وقد مررت على تلك المغارة فيما بعد ولم تكن سوى حفرة واسعة فى جرف ترابى غـ ـير متماسك وقد سقطت القنبلة على سقفها مباشرة، وكان يمكن أن تنهار حتى بدون ذلك. و كنت مهتماً بالمغارات التى يحفرها المجاهدون من الناحية الهندسية ومن الناحية العسكرية، وقد كان للمغارات دور رئيسى فى عمليتنا ضد المطار ، كما سنرى لاحقاً.
وكما وفرت المغارات دفاعاً هاماً للغاية ضد غارات الطيران والقصف الصاروخى، فإن شبكة الطرق التى بناها المجاهدون في الجبال أكسبتهم مرونة كبيرة فى الحركة ويسرت كثـيراًعمليات الإمداد والتموين لمقاتليهم.
فى الصباح إستطعنا الجلوس مع الشيخ حقانى، فقال إن المعارك قد بدأت منذ شهر ونصف (أى من ديسمبر الماضى) ولكنها إشتدت كثيراً فى الأسبوع الأخير، وأنه من الأفضل لى أن أبقى حتى تنتهى المعارك. أما عن المجلة فسوف نطبعها فى لاهور. ثم أخبرنى أن اليوم سوف تبدأ معارك بهدف قطع الطريق بين خوست وجاجى ميدان فى نقطتين لمنع عمليات التهريب القادمة من باكستان.
عدنا إلي نقطة الترصد، فشاهدنا نيرناً تنبعث من جبال جهة الشمال فى مقابلنا، أخبرنـ ـا عبد العزيز أن المجاهدين قد إستولوا على عدة مراكز عسكرية "بوسـطات" فى (ماشـغور) وأن الطيران تلقى أوامر بقصفها ولكنه إعتذر بأن هناك أمطار والرؤية غير واضحة. وأن الطيران تلقى أمراً بقصف الطريق بين لوجار وجرديز لتمهيد الطريـق لقوة عسكرية كى تمـر إلى

جرديز.
فى الساعة الثانية والنصف ظهراً سقط إثنان من صواريخ سكود، واحدة خلف جبل تورغـار "حيث تتوقع الحكومة وجود تحشدات للمجاهدين هناك"، والأخرى طرف نـادر شـاه كوت، الأتربة والدخان المتصاعد من إنفجار تلك الصواريخ يكون مهيباً ويرتفع فى الجو مئات الأمتار فى شكل عش الغراب كما يحدث فى الإنفجار النووى، كما أن فرقعات إنفجارها هى الأضخم بين باقى القنابل والصواريخ.
* أخبار أخرى من ماشغور، فالقتال الذى بدأ فى السابعة صباحاً إنتهى ظهراً بالإستيلاء علي ثلاثة بوسطات، ومديرية (مركز إدارى لمنطقة قروية) وأخذوا غنائم كثيرة جـداً من بينـها دبابتين، وقد أسروا جميع الجنود الذين فر منهم أربعة فقط.
الحكومة قالت أنها خسرت كل الأسلحة التى في المواقع، وأنها إستردت المواقع مرة أخـرى فيما بعد عدا المديرية ، ولكن المجاهدين قالوا أنهم فى كل المواقع التى أخذوها.
كانت قمة ماشغور هى الأعلى جهة الشمال كما هو جبل تورغار فى الجنوب والمسافة بينهما من 30 إلى 35 كيلومتر فى خط مستقيم يمر بمركز المدينة وسقوطه مع سقوط تورغار يعنى كماشـة ضخمة من فكين فى الشمال والجنوب ، وهو مالم يحدث على أية حال حتى سقوط المدينة. وكتبت فى مذكرتى وقتها إنه بسقوط ماشغور، وعند نجاح عمليات اليوم لقطع طريق التهريب من جاجى ميدان، وإذا سقُط تورغار يكون 70% من مهام فتح المدينة قد تم إنجازه .
لم أكن أعلم أن هناك عملية قريبة ضد تورغار بهدف الإستيلاء عليه، وكنا من وقت لآخـر نسمع صوت إطلاق نار كثيفة فوق تورغار وكنت أفسره بأنه نتيجة خوف الجنود وتوترهم، لكن الأغلب أنهم شاهدوا تحركات مريبة قريباً منهم فقد كان المجاهدون قبل كل هجوم يعملون خفية فى نزع الألغام التى زرعتها قوات الحكومة وفتح طريق لهجماتهم القادمة.
اليوم أيضاً إلتقط عبدالعزيز مخابرة من توغار إلى قيادة المدينة يهددهم فيها بالتسليم إذا لم تصله الإمدادات، فالأعصاب إذن متوترة، والإمدادات قليلة والإداريات مرتبكة، فهل حانـت ساعة السقوط؟.
فى الخامسة والنصف (عند الغروب) حدث إشتباك من مسافة قريبة فوق تورغار إستخدمت فيه البنادق الآلية والرشاشات الثقيلة وصواريخ RBG هل هو هجوم حقيقى، أم عملية جس نبض يقوم بها المجاهدون؟ أم هو تحرك سريع من جانبهم بعد أن إلتقطوا رسالة تورغار إلى المدينة ويهدد فيها بالتسليم؟ وقبل أن أحصل على الإجابة سقط صاروخ سكود فيما بين جبل تورغار وجبل زرمانكى الواقع إلى غربه، وهو منطقة تجمع فعلية للمجاهدين، وتكثر فيها المغارات، وهناك مركز صديقنا"أبو الحارث". وإستخدام الحكومة لصواريخ سكود يعنى أنها تواجه أزمة حقيقية. ولكن الخوف وتوتر الأعصاب يجعل بعض الأحداث العادية تظهر كأنها خطر حقيقى. لذا كان بعض إستخدامهم لتلك الصواريخ أحمقاً وسفيهاً. ولكن فى أحيان أخرى كانت دقـة تصويبهم تثير الإعجاب. فعلى سبيل المثال فقد أصابوا مركز خليل فى مدخل الشعب الضيق المؤدى إليه ثلاث مرات على الأقل بفارق أمتار قليلة فى كل مرة ، تصادف فى معظمها أن كان حقانى قد دخل لتوة إلى المعسكر !! فوجدت فى العسير أن أفترض أنها مصادفة، ومن السعير أيضاً التشكيك فى قدرتهم على الأصابه الدقيقة للغاية بتلك الصواريخ. وما زالت أشك فى أنهم إستخدموا ، أحياناً ، صواريخ موجهة مثل صواريخ كروز الأمريكية وأن الأقمار

الصناعية قامت بدور ما فى الرصد والتوجيه.

الثلاثاء 16 يناير 1990

الإستيقاظ لصلاة الفجر فى هذا الشتاء البارد وفوق هذا الجبل المرتفع تجربة صعبة، ولكنها لا تخلوا من جمال، خاصة إذا كان الجو غائماً والسحاب منخفض بحيث يضع الجبل ومن فيـه وسط غلالة رقيقة ساحرة الجمال من الأبخره الباردة المبللة.

وتزداد النشوة بإمكانية التحرك الحر فوق الجبل فالعدو لن يرانا وبالتالى لاقصف ولا يحزنون. كنا فى غرفة ضيقة مزدحمة بالفرش والأشخاص مع بخارى متهالك للتدفئة. الغرفة كلها تقريباً غائصة فى بطن الجبل قريباً من خط الأفق. قطع الخشب المخصصة للبخارى تشغل حيزاً ملموساً من الغرفة، وبينه وبين السقف تعيش مجموعة من الفئران الصغيرة المـرحة، التى تقضى معظم ليلها فى كر وفر بين النائمين بالغرفة.

الزملاء فى الغرفة تفرقوا مبكراً، وبقيت مع حاجى إبراهيم وعثمان الصعيدى لتناول إفطار الصباح المكون من الشاى الأخضر والخبز اليابس، وإبتسم لنا الحظ بأن وجدنا بعض السكر عند عبد العزيز فتم لنا الإستمتاع بشاى الصباح الساخن فى جو الصباح المتجمد.

صعدت مع عثمان لنلقى نظره علي المطار، كانت الطائرة السوخوى بلونها الفضى تقف قرب الأشجار فى الطرف الشرقى فى المطار، أما في الطرف الغربي فقد أحصيت سبعة طائرات مصابة ومحطمة، جميعها من طراز(AN-32) ذات المروحتين وبألوان عسكرية مبرقشه.

كتبت فى مذكرتى بعدها: (بحيرة بجع بائس هذا هو مطار خوست بطائراته المحطمة).

الجو مشرق أحياناً، والرمايات المدفعية متقطعة، حتى الحادية عشر صباحاً لم يظهر طيران العدو. أثناء إنشغالنا بمراقبة مواقع العدو، وصل إلى الموقع وغادرة بسرعة "الجنرال إمام" ضابط الإستخبارات الباكستانية المسئول عن المجاهدين في قطاع ميرانشاه، والذى يزور مناطق خوست من وقت إلى آخر.

هؤلاء الجواسيس يتحاشون المجاهدين العرب، فقد كان الود مفقوداً بين الطرفين. ولكن فى منطقه جلال آباد كان الوضع قد تغير، وكما علمنا فيما سبق أن المخابرات الباكستانية بدأت تتعامل مع عرب جلال آباد كأنهم أحد الأحزاب الأفغانية. ولاشك عندى أن هذا سبب إضافى مع كثير غيره لنكسة العرب المؤلمة فى ذلك القطاع الذى شهد أكبر مجزرة للتواجد العربى المجاهد فى أفغانستان.

إذاعة كابول أذاعت اليوم بأن الإصلاح جارى فى الطائرة السوخوى المعطلة فى مطارخوست، وأنها مصابه بحوالى 23 شظية واحده منها فى خزان الوقود.

أبلغ عبد العزيز النبأ للمجاهد (**محمد بوستان**) الكويتشى الذى شرع فى القصف مرة أخرى محاولاً إصابة الطائرة السوخوى.

فى نفس الوقت ظهر عمود من الدخان الأسود الكثيف تصاعد إلى الأعلى لمسافة كبيرة جداً، وكان ذلك من جهه الشرق، ربما بسبب عمليات إغلاق طريق جاجى ميدان.

مرة أخرى تبادل إطلاق نار فوق ظهر تورغار فى الساعة الثانية والنصف ظهراً ثم نقل إلينا عبد العزيز الخبر التالى: فى الساعة الثالثة من صباح اليوم هاجم مجاهدى المنطقة الشمالية جبال ماشغور وإستولوا على ثمان مواقع عسكرية ومواقع إدارية ومقر عسكرى في(باتشا زاده) وأسروا عددا كبيرا من الجنود وخمسة من أفراد الميليشيات، وتفاصيل الغنائم كثيرة جداً. وفقد المجاهدون سته شهداء وإثنى عشر جريحاً .وصلتنا صحيفة باكستانية، التى نقلت عن

مصادر حكومية فى كابل قولها أن رئيس الدائرة السياسية فى وزارة الداخلية، الميجر جنرال أسد ا بيام يقوم بزيارة لمدينة خوست التى هى أسخن نقطه فى البلاد الآن، وأنها تتعرض للهجوم الثانى عليها، فالهجوم الذى بدأ الخميس الماضى قد إستؤنف يوم الإثنين وأن المجاهدين قد تكبدوا فى تلك الهجمات 585 قتيلاً وجريحاً !! ولم يتطرق المسئول الشيوعى إلى ذكر إصابة الطائرة السوخوى.

الاربعاء 17 يناير 1990م

الجو غائم ممطر طول الليل، وهكذا إستقبلنا الصباح، إضافة إلى مفاجأة آخرى وهى أن السيارة التى تحمل الطعام إلى المركز لن تحضر لكونها معطلة.

وهكذا لن نفطر وربما لن نتناول طعام الغداء أيضاً. لم يمنعنا ذلك من الإستمتاع بهذا الصباح المنعش، وبمتعة التجول فوق الجبل بدون الخشية من أن يكتشفنا العدو فنحن وهم لانكاد نرى لأبعد من أمتار قليلة، نتيجة السحب التى تلف المنطقة كلها.

وكأن الجبال هى التى أصبحت تمر بين السحاب المثقل بقطرات الماء.

ونحن مازلنا أمام البخارى طلباً للتدفئة جاءنا حاجى إبراهيم بخبر غريب لكنه سار ومجهول المصدر، يقول الخبر أن الحداد أعلن فى خوست لمدة ثلاثة أيام لمصرع ميجر جنرال عجب خان مزارى قائد (لواء سرحدى) والذى ظل يقاتل فى المنطقة منذ ست سنوات، وأن 15 شخصاً آخر قد قتلوا معه والتفاصيل غير معلومة. لقد أدهشنى ليس خبر مقتل عجب مزارى بل أدهشنى أنه مازال حياً ويعمل فى خوست أيضاً، لقد كان قائداً للحامية الحكومية فوق تورغار فى وقت أن كنا نعمل فى بارى فى أيامنا القديمة وحتى إستشهاد عبد الرحمن.

تورغار.. المحاولة الثانية

الخميس 18 يناير 1990 بدأ الصباح بارداً كثيف السحب، وهذه بدورها تثاقلت حتى صارت تجر نفسها جراً فوق الجبال فضعفت الرؤية كثيراً. المطر يتساقط ضعيفاً منعشاً لكنه كاف لتكوين أوحال تعرقل الحركة فى الأماكن الترابية، ولكن الأسوأ هو أن ترتوى الملابس من ذلك المطر وفى مثل ذلك الطقس البارد مع شئ من الهواء يمكن أن يسقط المرء صريع الرجفة.

ليس ذلك لمن يجلس مثلنا فى هذا الصباح داخل الغرفة إلى جوار البخارى الذى إحمرت أوداجه بالأخشاب المشتعلة داخله، ولكن بالنسبة للرجال الذين يتحركون الآن فى ذلك الصباح المبكر من أجل الإستيلاء على أهم موقع عسكري فى معركة خوست كلها: جبل تورغار.

همس لنا عبد العزيز أن اليوم يبدأ الهجوم على تورغار، إستبشرت بالخبر وأعتبرت أن طقس اليوم مناسباً تماماً لذلك العمل.

فطائرات العدو الأكثر إزعاجاً لن نسمع اليوم صوتها القبيح، والمجاهدون يمكنهم التقرب إلى بعد أمتار قليلة من خطوط العدو فوق الجبل قبل أن يكتشف تواجدهم.

فى الثامنة صباحاً بدأ المجاهدون قصفهم المدفعى ضد تورغار، ومدفعيات العدو فى الوادى تقصف مواقع المجاهدين على غير هدى.

الساعة الثامنة والنصف صعد الشيخ حقانى إلينا فى نقطة الترصد وأخذ موقعه إلى جانب عبد العزيز ومساعده فضل وقد نصبوا عدداً من أجهزة اللاسلكى الكبيرة، وقد غطوها وغطوا أنفسهم بأغطية بلاستيكية، فرذاذ المطر ينهمر بإستمرار.

حقانى وعدد من مساعديه يستخدمون عدداً من أجهزة اللاسلكى الصغيرة للإتصـال

بالوحدات المختلفة. وكانت تلك هى المرة الأولى التى أشاهد فيها حقانى عن قرب وهو يقود واحدة من العمليات الكبيرة . لقد تغير الوضع كثيراً عما كان عليه فى عام 1981 وهى آخر مرة شاهدت فيها حقانى يقود عملية.وكانت ضد القلعة الحكومية فى مدخل وادى ليجاه.
تسلحيه الشخصى يومهاكان عبارة عن كلاكوف ، وكان سلاحاً لا يحمله إلا الروس فقط ، وقد غنمه أثناء المعارك، وكان يحمل دوماً قاذف RBG، لمقاومة طائرات الهيلوكبتر.
ومازلت أذكره يوم دب الزعر والفوضى فى معسكرنا بين شعاب ليجاه نتيجه ركوب الهيلوكبتر لموقعنا فقد صعد فوق الجبل القريب يتبعه حارسه الشخصى (على جان) كى يطلق صواريخ RBG على الطائرات. كان الثبات تحت هجمات الهيلوكبتر أمراً عسير المنال وقتها، فقد كان لها تأثيراً كبيراً ورهبة، فلم يكن الناس قد تعودوا التعامل معها أو نجحوا فى مقاومتها رغم وجود صواريخ (سام) باعداد قليلة وقتها. لذا كان هم وحقانى وقتهـ ـا بث الشجاعة والثبات فى الرجال وتحطيم هيبة الهيلوكبتر ومقارعتها بالصواريخ وقد نجح فى ذلك إلى حد كبير.
فى ذلك الوقت فى ليجاه لم يكن فى الموقع كله أي جهاز لاسلكى صغيراً كان أم كبيراً.وأيضاً معركة جاور كانت أحد أوجه ضعف المجاهدين فيها عدم وجود إتصـ ـالات لاسلكيـ ـة بين المجموعات المختلفة.
ما أراها الآن شبكة إتصالات رائعة لها قدرة على ربط جميع الوحدات ببعضها وبالقيادة، وأيضاً القدرة على التصنت على إتصالات العدو الأرضية والجوية.
كان الزحام شديداً فى نقطه الترصد والقيادة . فبالإضافة إلى الحرس الشخصى للشيخ حقانى ، هناك مجموعة أخرى مع سيارة خاصة لتنفيذ بعض المهام التى قد يكلفون بتنفيذها مثل متابعة أمر هام مفاجئ، أو إيصال بعض الأوامر بشكل مباشر بدون نشرها على الملأ فى أجهـ ـزة المخابرة.
وزاد الزحام تطفل مجموعتنا (الصحفية) التى رافقنى فيها عثمان الصعيدى وحاجى إبراهيم، وقد أخذنا نسجل معظم الإتصالات اللاسلكية. وكذلك فعلنا فى عدد من المعارك التالية، ومازلت أحتفظ بتلك التسجيلات التى ربما صارت (تاريخية).
فى فترة هدوء نسبى قال لى الشيخ: الرؤية غير جيدة بالنسبة للأسلحة الثقيلة والدبابات، ولكن الجو الممطر والضباب مفيد للمهاجمين فوق الجبل.
كانت الملاحظة فى محلها تماماً بل أن إستمرار هذا الطقس قد حرم المهاجمين على الجبل من مساعدة الأسلحة الثقيلة، فكان عليهم أن يتعاملوا بمفردهم مع تحصينات قوية جداً لعدو مسلح حتى أذنيه، ومتفوق عددياً على المهاجمين، وتلك كانت مأساة ذلك اليوم الذى تمنيت أن يكون يوم الفتح.
الساعة 9.30 صباحاً الضباب يزداد كثافة والمطر مستمر، فهدأت الرمايات القليلة فوجدت فرصة لإستئناف الحديث مع حقانى، فسألته عن تأثير الإستيلاء على تورغار فى مجرى معارك خوست فرد قائلاً:
هذا الجبل بالنسبة لهم مثل العين، يرصد تحركاتنا، ويوجه المدافع والطائرات ويضرب مواقعنا، فإذا أخذناه زال كل ذلك فيمكننا تقديم مدافعنا إلى الأمام وتحديد مواقعهم حول المطار وضربها ، كما أن الرعب سوف يصيبهم إذا أستولينا على تورغار، فمن كثرة دعايتهم حوله وتبجحهم بإمكان صد المجاهدين عنه، جعل الناس عندهم من عسكريين ومدنيين يشعرون أن تواجدهم

وحياتهم معلقة بهذا الجبل.
ثم سألته عن سبب فشل عملية إسماعيل خيل الأسبوع الماضى فذكر ثلاثة أسباب هى:
1 ـ عدم قيام الأحزاب المشاركة فى العملية بالمهمام الموكلة لها.
2 ـ إستشهاد وجرح قادة المجموعات الأربع التى تقوم بالهجوم.
3 ـ إنسحاب الدبابات (وكان عددها ثمانية) بدون أوامر، إثر إصابة قادة الهجوم.
وقال حقانى أن الطائرات قد إستخدمت مؤخراً قنابل ثقيلة جداً سقطت أحداها قرب دبابة فغطتها النيران.
وعن مصير عجب مزارى قال إن الأخبار غير مؤكدة ولكن مصادرنا فى خوست تؤكد أنه قتل ولكن الحكومه تتكتم الأمر، كما أن مواقع ماشغور مازالت فى أيدى المجاهدين.
قال حقانى بأن المجاهدين يتقدمون الآن فى الطرف الغربى بجبل تورغار، بينما تقوم دبابة خليل فى الوادى بقصف تحصينات العدو على تلك الحافة، ولكن العدو إستفاد هو أيضاً من الظروف الجوية، ودفع بتعزيزات جديدة نحو الجبل، رغم كمائننا المتقدمة التى إلتفت إلى خاف الجبل من جانبه الغربى وتقدمت إلي مسافة معينة، فلم تستطع تلك الكمائن أن تشاهد تعزيزات العدو أو تتصدى لها.
فى الساعة العاشرة والخمسين دقيقه سقط صاروخ سكود تلاه صاروخ آخر بعد عشر دقائق قرب جبل تورغار ، ولكن لا إصابات، ولكن تكهرب الجو وساد التوتر عنـدما إنقطعـ ـت الإتصالات مع خليل (أخو حقانى) ودبابته فى عمق الوادى الذى يقصـف بهـا من الخاف تحصينات تورغار، لذا كانت دبابة خليل تحت نيران كثيفة قاتلة.
الساعة 12.45 :فى غرفة عبد العزيز الضيقة شبه المظلمة جلسنا مع حقانى لتناول طعام الغداء، وكان قلقاً للغاية على أخيه خليل، لذا قطع تناول الطعام كى يتابع محاولة الإتصال.
الساعة 12.45 بدأت معركة بالرشاشات فوق سفح الجبل، الرمايات كثيـفة جـداً نسمعـها بوضوح. يقع مركزنا على بعد 4 كيلومتر غرب تورغار وإلى الجنوب قليلاً منه.
للمجاهدين دبابه أخرى الآن تقصف ، تحصينات الحافة الغربية بجبل تورغار ولكن من موقع على جبل زورمانكى الواقع غرب تورغار ومن أحدى هضابه منخفضة الإرتفاع.
أثناء صعود المجاهدين نحو القمه يكون جزء من الطريق مكشوفاً لمدفعية العدو فى الوادى، وقد ركز العدو رمايته على ذلك الجزء ولكن المجاهدين كانوا قد تجاوزوه والعدو غير منتبه نتيجة الغيوم والضباب الذى يلف الجبل وما حوله.
الزاحفون نحو القمة يشكون من رماية رشاش ثقيل لدى العدو (زيكوياك) وأنه أوقف زحفهم ويطالبون من (فيروز) التدخل وإسكاته.
فأجابهم خليل بصوته، لقد بذلت غاية جهدى ورميت عليه كثيراً، فتقدموا أنتم وإسكتوه.
كان المتكلم من فوق الجبل هو الدكتور نصرت ا قائد كتيبة سلمان الفارسى وهو بتحـ ـرك بساق واحدة منذ سنوات بعدما فقد الآخري فى أحد المعارك.
كان نصرت ا قد وصل إلى نقطة الذروة، فالباقى هو قفزة واحدة وأخيرة يكون بعدها مع رجاله فى خنادق الخط الأول للعدو والتى تحيط بقمة الجبل مثل السوار المحكم، وفى طرف الجبل تلك القمة المحصنة الرهيبة الشبيهة بغرفة ضخمة تخرج منها فوهات قاتله لرشاشات ثقيلة، وقاذفات قنابل يدوية من النوع الشهير بإسم (نارينجاك) ، وهو سلاح غاية الفعالية فى مثل تلك المواقف التى نشاهدها الآن، وكان ينقص المهاجمين إمتلاك سلاحاً رائعاً من ذلك

النوع .
تواصل الحوار لفترة بين نصرت ا (وفيروز) حتى بدأت رماية الرشاشات فوق الجبل تخف فعمت الجميع مسحة من الحزن والألم. لقد وصل المهاجمون فوق الجبل إلى نهاية مغلقة ، ولا يتسطيعون أداء قفزتهم الأخيرة التى لاتتعدى أمتار قليلة لاتزيد عن عشرة أمتار ولكنها تفصل بين النجاح والفشل، بين النصر والهزيمة ، بين فتح خوست فى نهاية الأمر، أو البقاء فى حلقة مفرغة قد تؤدى إلى هاوية لمسيرة جهاد إستمر لأكثر من إثنى عشر عاماً.
ساد نوع من الصمت الجنائزى فوق الجبل وما حوله وحتى جميع المواقع الأخرى هدأت هدأة الموت. وكان على حقانى أن يعالج ذلك الموقف الحرج، فأمسك بجهاز المخابرة كى يتوجه بخطاب عام لجميع الوحدات المقاتلة، وللجماعة المهاجمة فوق الجبل بشكل خاص.
وتكلم الشيخ بنبرة هادئة قوية فذكرهم با والإعتماد عليه وحده وعدم التعلق بالأسباب لأن النصر هو من عند ا وليس بالأسباب الظاهرية، وطالبهم بالإطمئنان إلى وعد ا والتوكل عليه.
وقال أنه لا بد من الإستمرار وإنهاء العمل هذا اليوم الذي قد لا نجد مثله فيما بعد فلا طائرات ولا مدافع تعمل ضدنا، ثم طلب من أفراد جميع المواقع أن يصلوا ركعتين ثم يدعـ ـوه أن ينصر المجاهدين.
أنهى حقانى كلمته وتوجه إلى الصلاة وكذلك فعل كل من فى الموقع ثم إنهمـ ـك الجميـ ـع فى الدعاء وأحياناً فى البكاء.
الساعة 3.12 المجاهدون فوق الجبل يبدأون إطلاقاً شديداً للنيران الرشاشة مع قذائف مضادة للدروع . رشاش (زيكوياك) لدى العدو يصمت فجأة وأيضاً ينقطع الأتصال اللاسلكى مع المهاجمين تصورت وقتها أن الإقتحام قد تم وأنها الآن دقائق عصيبة فوق الجبل حيث لاوقت لأن يتحدث أحد مع أحد بغير زخات الرصاص.
المجاهدون يقصفون مراكز العدو فى شيخ أمير لمنعه من التفكير فى مهاجمة دبابة خليل من الخلف ، وهو ما كان يخشاه حقانى ولأجل ذلك بث كمائن متقدمة للدفاع.حدث إنفجار ضخم فى مواقع العدو فى شيخ أمير وحقانى يصيح مشجعاً المجاهدين ويبشرهم بالنصر.
عاد الإتصال اللاسلكى مع المهاجمين فوق الجبل وقالوا بأن عشرة من جنود العدو قد فروا إلى جانب المجاهدين فأمر حقانى بإرسالهم إلى الخلف.
وفجأة تظهر طائرات الهيلوكبتر وتقصف وابلاً من الصواريخ على الحافة الغربيـ ـة لجبـ ـل تورغار حيث تتوقع وجود المجاهدين، فالرؤية مازلت متعذرة بسبب السحب والضبـ ـاب ، هيلوكبتر آخر تأتى على إرتفاع منخفض من فوق مراكز العدو فى شيخ أمير فى أتجاه دبابة خليل، وتبدو أنها محاولة لتدمير الدبابة، لكن كمائن المجاهدين المتقدمة واجهتها بقذائف RPG فولت الطائرة بسرعة كبيرة وعلى إرتفاع منخفض للغاية ،وهكذا تفعل طائرات الهيلوكبتر لتفادى الصواريخ المضادة للطائرات ولكنها بذلك تعرض نفسها لنيران الرشاشات والقذائف المضاده للدروع فيمكن إسقاطها إذا كان هناك أفراد يقظون وعلى إستعداد للإشتباك .
راجمات الصواريخ المعادية من طراز BM-41 تقصف مواقع المجاهدين حول تورغار.
* الساعة 3.56 رشاشات العدو الثقيلة والخفيفة فوق الجبل ترمى بلا إنقطاع وجعلنى ذلك متشككاً فى أن الإقتحام لم يتم أو أنه فشل. كان الموقف غير واضح بالنسبة لى، فسألت الشيخ حقانى عن الموقف فوق الجبل فأخبرنى بأن مقاومة العدو شديدة جداً.

سقط صاروخ سكود تلاه صاروخ آخر بفاصل ثوانى قليلة، وعادت الهيلوكبتر تقصف الحافة الغربية لتورغار بوحشية بالغة.

- الساعة 4.45: صاروخ سكود آخر تلته غارة عنيفة بالهيلوكبتر،كأنها تستغل حالة
- الإضطراب التى تعقب إنفجار صاروخ سكود كى تنفذ مهمتها بأمان أكثر.

الرشاشات الثقيلة فوق الجبل مازالت تعمل بإتصال، وكذلك بنادق الكلاشنكوف.

* الساعة 5: الهيلوكبتر تواصل غاراتها،وربما تهبط خلف الجبل من جهـة المدينـة كى تنـقل الجرحى والقتلى. أصبح الجو مظلماً وجاء الخبر بأن الهجوم قد توقف، وأن هناك شهداء لم يذكر عددهم.

*الساعة 5.25: فوق تورغار إطلاق نار متواصل بجميع الأسلحة فى حفل إبتهاج بفشل الهجوم عليهم، ونجاحهم مرة أخرى فى الصمود أمام هجمات المجاهدين. لاشك أن ذلك يرفع معنويات العدو فى خوست وكابل ويؤكد لهم قدرة النظام على الإمساك بالمـ ـدن الهامة، وبالتالى يدعم الطرح الدولى بإقامة حكومة (شيوعية إسلامية) في كابل كى تخدم السوفييت وأمريكا معاً.

كتب في مذكرتى تلك الكلمات: (يبدو أن العملية تحتاج إلى يوم آخر على الأقل) مع إجراء بعض التعديلات مثل إعادة توزيع الدبابات لقصف مراكز العدو المتحصنة فوق الجبل، والطقس عامل هام، وإستمراره ليوم آخر ، بنفس الحال ، سيكون معجزة لصالح المجاهدين.

سألت حقانى عن إستئناف الهجوم فى الغد فأجاب قائلاً: (لاأعلم هل نستأنف الهجوم غداً أم بعد أيام ولابد أن نغير فى الطريقة ونهجم من أكثر من طريق بعد أن نرفع الألغام، وأن نستخدم هاونات عيار120مليمتر لضرب مرابض الرشاشات الثقيلة، سوف نعيد النظر في البرنامج) .

بعد الغروب جاس الشيخ حقانى معنا فى غرفة عبد العزيز لبعض الوقت وطلب منى النزول إلى مركز خليل لأن الجو هنا بارد. وبالفعل تجمعنا هناك فى مغارة الضيافة وكانت دافئة، وبعد العشاء بدأ أفراد وقادة ممن شاركوا فى الهجوم يتوافدون لمقابلة حقانى وتقديم التقارير إليه.

كان منهم من أصحابنا القدماء مولى (أليف جول) والكومندان (شرين جمال) الذى ظهر عليه الإرهاق وقد علته الأتربة حتى تغيرت ملامحه وقد أحضر معه جثث الشهداء وعددهم ثلاثة، مع أربعة من الجرحى منهم عربى واحد.

قال شرين جمال بأن بعض أفراد العدو ظلوا يطلقون على المجاهدين نيران الرشاشات والقنابل اليدوية وقذائف RPG، فلم يستطع المجاهدين إتمام الإقتحام.

<u>الجمعة 9 يناير 1990</u>

قضينا الليلة فى غرفة أسفل الجبل، وفى الصباح صلينا الفجر خلف الشيخ نظام الدين. وجود البخارى فى المسجد لم يفد فى جعله دافئاً فالهواء المثلج يتسلل من الشقوق الواسعة فى النوافذ التى أغلقت بكل ما تيسر من أقمشة وقطع بالاستيكية وأحجار.

ولإظهار نوع من الفخامة صنعت أرضية المسجد من الأسمنت، ولكنها فى شتاء مثل هذا تصبح بارده مثل الجليد، حتى أن أكثرنا قد خلع رداءه (البتو) من فوق كتفيه ووضعه على الأرض تحت قدمية أثناء الصلاة حتى لا تتجمد أصابعه .

مصطفى اليمنى وعدد من أفراد مجموعته إلتقوا بالشيخ حقانى صباحاً.
ملامح البرنامج الجديد ذكرها لى حقانى عند لقائى معه فقال:
1ـ سنفتح طريق جديد للتقدم على تورغار وننظفها من الألغام.
2ـ ننوى مواصلة الضغط وعدم إعطاء العدو فرصة لإلتقاط الأنفاس.
3ـ سنبدأ عمليات هجومية فى ظروف يومين أو ثلاثه.
قبل الظهر مرت طائرة فوق المركز ورمته بصاروخ جاء إلى الخاف قليلاً، ثم وصل (خليل الرحمن) ومعه أربعة أسرى من جنود الحكومة فجلست معهم وأخذت منهم بعض المعلومات عن أوضاع المدينة، سأذكر بعض ماورد فيها بعد قليل.
جاء أبو الحارث وبعض الشباب من مجموعته فجلست معه حتى صلاة العصر نتحدث فى معركة الأمس والبرامج المقبلة.
ثم صعدت على الجبل الذى يعلو المغارات وتمشيت عليه منفرداً، أتذكر إلى العالم القديم لأيامنا الذهبيه فى تلك المنطقة. كان مركز خليل الذى هو الآن قلب المنطقة النابض، مجرد شعب مجهول ومهمل وقد تستخدمه أحدى المجموعات لأيام قليلة ثم تزهد فيه.
وعلى بعد كيلومتر واحد جنوباً يوجد مركز منان الذى كان فيما مضى هو مركز الحيوية والقوة في كل جنوب خوست وجبالها. وعلي بعد عدة أمتار شمالاً كانت تقف فيما مضى أحـدى الدبابات التى حطمها منان ورجاله في هجوم 1985 الذى وصلت فيه القوات الحكومية إلى مركز منان لأول وآخر مرة فى طول مدة الحرب. وهذه الحفر البيضاء فى سفح الجبــــل المواجه لنا شمالاً هى قنابل مازلت أذكر متى ولماذا ضربتنا بها الطائرات عام 1987.
نظرت جهة مركز منان لأطالع الطريق المار بقربه قادماً من غلام خان، و أتذكر المشاهد الماضية وكنت غارقاً فى تلك الذكريات الجميلة، ولا أعى كثيراً مما حولى. فى تلك اللحظة، ظهرت أمام عينى كرة ضخمة من النيران الصفراء والحمراء، ثم دخان أسود يحيط بكرة اللهب، ثم يصعد ذلك كله بسرعة هائلة إلى الأعلى، بينما يتسع إلى الجانبين أيضاً بشكل كبير، كل ذلك وأنا لا أكاد أعى ماذا يحدث أمامى، وفجأة وصلنى صوت إنفجار رهيب ترددت إصداؤه بين الجبال والوديان، تحركت غريزياً وبلا وعى فجلست بسرعة خاف صخرة قريبة.
أفقت من تخيلاتى ومن دهشتى، وعادت حواسي إلى العمل، لقد كان ما رأيته هو صاروخ سكود لحظة إرتطامه بالأرض، وأن الصاروخ نزل على الطريق الذى تسـلكه سـيارات المجاهدين أو قريباً منه جداً.
وتذكرت أننى سمعت (على جان) يتحدث على المخابرة وهو واقف إلى جانب سيارة حقانى المتأهب للرحيل ويخبر من على الطرف الآخر بأنهم على وشك الحركة، وأن شخصاً جاء راكضاً وتكلم عدة دقائق مع حقانى الجالس داخل سيارته، ثم إنطلقت السيارة نحو ميرانشاه، وداخلني ما يشبه اليقين بأن تلك الدقائق كانت الفاصل بين الحياة والموت وأن حقانى كان هو المقصود بذلك الصارخ، إنه حادث طبق الأصل لما حدث في يوم الأحد 89/10/1 وقد سجلته في مذكرتى ورجعت اليه الآن وكان التطابق مدهشاً. إذن هما حادثين من نفس النوع وبنفس الطريقة، وهناك حادث ثالث عندما إنفجر صاروخ سكود أيضاً فى لحظة دخول حقانى إلي معسكر خليل عندما دخلت خلفه كرة من النيران والأحجار والدخان والأتربه لقد إنفجر الصاوخ في المدخل تماماً بفارق ثوانى عن دخول الرجل إلى المغارة. هذه ثلاثة حوادث ، أعتبرها

محاولات إغتيال متعمدة ، لصعوبة أن أصدق أن المصادفة يمكن أن تقع ثلاث مرات بإسلوب واحد أو متشابه.
وطرحت على نفسى عدة أسئلة محيرة ليس لها إلا إجابات لاتقل عجباً عن الحدث نفسه. فمثلاً:
 كيف تتم مراقبه حقانى؟ هل يتم ذلك بمراقبة جهاز اللاسلكي الخاص به؟ أم هناك مركز تجسس فى المنطقة يتابع حركة سيارته، أم هناك شخصاً فى المجموعة القريبة منه يرسـ ـل معلومات مباشرة وفورية عن حركته؟. . إلخ.
وأسئلة أخرى عن دقة إصابة صاروخ سكود. والمشهور عنه أنه غير دقيق ويستخدم فقط ضد الأهداف الكبيرة الثابتة. ولكن عدداً لا بأس به من الرمايات كانت فى دقة غير عادية، وتم ذلك مرات متكررة بما ينفى عنصر المصادفة.
فهل أدخل الروس فى تلك المرحلة صواريخ موجهة بعيدة المدى؟ خاصة وأنهم منذ سنوات قد أستخدموا قذائف موجهة تطلقها الطائرات، بل شاهدنا منذ وقت قريب قصفاً جوياً على موقع المجاهدين قرب (شيخ أمير) قال الطيار أنه إستخدم فيه صواريخ موجهة، وقد إلتقـ ـط عبد العزيز المخابرة.
ومن الثابت أن السوفييت بعد إنسحابهم أبقوا على نوع من المشاركة النوعية فى الحـ ـرب، بعضها من داخل أفغانستان نفسها بواسطة عدة آلاف من الخبراء خاصة فى شئون الصواريخ والطيران. واشركوا طائرات من أحدث الأنواع التى مازالت فى طور التجربة. وقد أعلنوا عن ذلك عند عرض طائراتهم الحديثه فى أحد معارض الطيران فى دبى فى التسعينات. وأظن أن بعض الغارات بالقنابل العنقودية، والتى شاهدتها فى وادى خوست عامى 1991،1990 عند فتح المدينة قامت بها قاذفات إستراتيجية روسية نظراً للحمولة غير العادية التى رمتهـا تـلك الطائرات بحيث غطت الغارة الواحده أكثر من 15 كيلومتر متواصلة من القنابل العنقودية.
عدت ليلاً إلى ميرانشاه مع عثمان وإبراهيم وأبو الحارث، وزكى وهو مجاهد باكسـتانى تخصص فى تصوير المعارك وعانى فى نهايات الحرب من شظية أصابت رأسه.
كان فى مضافة حقانى عدد كبير من كومندانات المعارك كان الجميع يستمعون إلى إذاعة خوست التى أقامت مهرجان لما أسمته الإنتصار الكبير فى تورغار. وكان غريباً أن تذكر إذاعة خوست صديقى عبد الرحمن وتتباهى بأنهم قتلوه منذ سنتين فوق تورغار ووصفوه بأنه كان خبيراً مصرياً فى الأسلحة. ثم ذكر الراديو معسكر النساء الأرامل فى منطقة (ناصر باغ) قرب بشاور وحاول إثارة غيرة الأفغان على نسائهم هناك مع الغمز واللمز فى سلوكيات العرب، ثم إستدار إلى الفجوة المذهبية وطعن فى العرب بأنهم وهابيون وكال نفس التهمة لعدد من قادة المنظمات منهم سياف.
ولكن ماذا قال لنا الجنود الأربعة الذين إلتحقوا بالمجاهدين وقت معركه تورغار؟ .
كان الحديث معهم مفيداً لكون معنوياتهم مرتفعة فرحاً بنجاح عمليه الفرار، والشئ المشترك لأمثال هؤلاء ممن قابلناهم فى تلك المرحلة وحتى نهاية الحرب هو المعنويات المرتفعة والحماس للجهاد حتى أن ذلك الحماس إنتقل إلى المجاهدين أنفسهم، فقد كانوا يبشرون بقرب إنهيار الجيش.
كان الأسرى يعملون فى معسكر تدريبى ملحق باللواء الثانى الحدودى وهم "إمام مالى"، و"محمد دين" من بدخشان، ثم "غلام سخى" من مزار شريف و"محمد هاشم" من ميمنة عاصمة فارياب. وصلوا جميعاً إلى خوست منذ شهرضمن فوج جاء من كابل للتدريب وعددهم

165 فرداً فر منهم حتى الآن 65 شخصاً.
وقد نزلت بهم الطائرة وسط قصف المجاهدين، وقفزوا منها بسرعة وإستدارت فوراً عائدة من حيث أتت.
عن "عجب خان مزارى" قالوا انهم لايعرفونه ولكن سمعوا أنه ذهب إلى كابل، ولا يدرون إن كان جريحاً أو قتيلاً.
محمد دين قال إنه كان فى المستشفى عندما وصلته 16 جثة من قتلى معركة تورغار وما حوله وأن الجرحى كثيرون، وأن المواد الغذائية فى المدينة قليلة جداً.
وعن معركة ماشغور قال الجنود بأن 15 من كبار ضباط الحكومة قد قتلوا هناك منهم مديـر الإستخبارات (خاد) ومدير الأمن ومدير شئون القبائل. وحسب معلوماتهم فإن المواقع هناك مازلت فى أيدى المجاهدين وأن الحكومة مازالت تقصفها.
وعن معركه إسماعيل خيل قالوا بأنه أثناء المعركة فر كل سكان المنطقة وما حولها والجنود والميليشيا ولم يتبقى هناك سوى المدفعية وأن المجاهدين لو إستمروا فى المعركة ساعتين أخريين لإستولوا علي المدينة ذاتها.
وقالوا بأن قتلى الحكومة فى تلك المعركة كانوا كثيرين، وأن ثلاث طائرات قد ملئت بالجثث ونقلتها إلى كابول وذلك بعد يومين من المعركة.
وعن تورغار قالوا بأن المجاهدين قد نجحوا قبل المعركتين الأخيرتين على تورغار من قطع طريق الأمداد الخلفى، خاصة بعد أن إنفجرت الألغام فى مصفحة وسيارة نقل الماء فى أواخر ديسمبر الماضى، ومن يومها وإمداد الجبل يتم على الأقدام وتحت جنح الظلام.

<u>فـشل فى إسماعيل خيل</u>

لأول مرة أقابل صديقى القديم مولوى حنيف شاه بعد معركة إسماعيل خيل التى جرح فيها ، فى 11يناير، كانت المقابلة فى المكتب الثقافى فى ميرانشاه يوم الإثنين 29 يناير، كان حنيف شاه (37 عاماً) غاضباً لأن أطرافاً أخرى خذلته فى المعركة، فقد كان برنامج الهجوم واسعاً يشمل مناطق فى جنوب الوادى، إلى جانب الهجوم على إسماعيل خيل الواقعة شمال شرق قرية (دراجى) الشهيرة. والمهمة الأخيرة كانت من نصيب حنيف شاه على الرأس قوة من حوالى 650 مجاهد تساندهم دبابتان، وكان المفترض أن يتقابل هجوم الجنوب مع هجوم شمال الغرب فى نقطة عميقة داخل أراضى العدو فتسفر العملية عن أقتطاع مساحة واسـعة من المناطق الريفية فى "إسماعيل خيل" غرب الوادى.
قال حنيف شاه أنهم إستطاعوا تحقيق إختراق بعمق ألف متر داخل القرى حتى وصـلوا إلى منطقه صحراوية منبسطة تدعى (توراغوراى) وإستولوا على سبع مواقع عسكرية، وأنه كان ينوى الإستمرار إلى قرية (ساجى) الواقعة على بعد 2كم فقط من المدينة وقد تهيأ للقفـزة الأخيرة عندما جمع رجاله فى مجرى نهر (دندر) . "**وهى كلمه تعنى مجرى ضحل جاف يمتلئ أحياناً**" .
ويبدأ حنيف شاه من البداية كى يقول بأن الليلة كانت مقمرة وأنه تحـرك مع رجاله ليلاً، فبدأوا فى إزالة الألغام لفسح الطريق للمهاجمين بعد الغروب. وكان يجب البدء فى الهجوم مبكراً قبل أن يكتشف العدو وجود الدبابات، لذا بدأ المجاهدون المعركة، فى الخامسة والنصف صباحاً عندما إتضحت لهم الرؤية. يقول حنيف شاه حددنا الأهداف للمجاهدين وكان عليهم ضربها بصواريخ RBG، بمعدل خمسة صواريخ لكل هدف ، بعدها تتقدم الدبـابـات للهجوم وخلفها المجاهدون.

كان الكومندان حكم خان يترأس مئتى مجاهد، وقد بدأ برماية الصواريخ وعند رماية الصاروخ الرابع تقدم قليلاً فإنفجر لغم تحت قدمه فسقط جريحاً فنقله ومن معه إلى الخلف ثـ ـ ـم إلى ميرانشاه فيما بعد. وكان حكم خان قائداً شجاعاً محبوباً وأحدث جرحه صدمة وزلزلة فى صفوف المجاهدين فى ذلك الوقت العصيب أخذ حنيف شاه وباقى القادة فى تشجيع المجاهدين وقالوا لهم ليس المهم هو حكم خان بل المهم أن نستكمل الهجوم قبل أن تشرق الشمس ونقـع جمعاً في الأسر.

وفى ظرف نصف ساعة سقطت كل البوسطات التى كان يدافع عنها العسكر والميليشيات، وتعمقنا كثيراً فى مناطق العدو، فإتصل حنيف شاه مع حقانى قائلاً: لقد وصلنا توراغوراى كيف حالكم أنتم؟(أى هجوم الجنوب).

كان ذلك الإتصال فى العاشرة صباحاً، ورد حقانى عليه قائلاً: نحن هنا فى مشكلة فدبابات الجنوب معطلة، والمشاة لايستطيعون التقدم بسبب الألغام، وأضاف حقانى: عليكم التمسـك بالمواقع التى وصلتهم إليها.

ويبدو أن هجوم كان ينبغى أن يلتقى مع حنيف شاه قريباً من (توراغوراى) ، أما وقد توقف هجوم الجنوب فإن العدو هو الذى يقع على الجناح الغربى لقوات حنيف شاه، وهو موجود أيضاً إلي الشمال منه كما فى المواجهة، كل ذلك فى مناطق مفتوحة ما بين صحراوية أو زراعية، لذا رد على حقانى قائلاً: لا يمكننا ذلك فنحن قريبون من المدينة والعدو له مواقع علي جانبينا. وقد حدث ما يخشاه حنيف شاه، ففى الساعة الحادية عشر بدأ الهجوم المعاكس للعدو، شاركت فيه طائرات الهيلوكبتر والدبابات وأعداد كبيرة من المشاة، وإنسحب عدد كبير من المجاهدين بدون أوامر من قيادتهم.

وهنا خطر لحنيف شاه ألا يتحول موقفه إلى تراجع صرف إلى الخلف ليعود من حيث أتى بلا نتيجه للهجوم، فخطر له أن يتحول إلى بالهجوم على العدو الواقع على جناحه الجنوبى، فى الوقت الذى يقوم به مجاهدى الجنوب الذين تعطلت دباباتهم وأوقفتهم الألغام بإستئناف هجومهم علي نفس الأهداف، وبذلك يقع الجناح الجنوبى للعدو تحت وطأة هجوم من طرفين، فيكسب المجاهدون مناطق جديدة ويؤمن حنيف شاه جناحه الجنوبى (الأيمن) .

وكان القرار قد شارك فيه القادة "ميرشادى خان" و"نظام الدين" وقد وقفا إلى جانب حنيف شاه و هو يتصل مع حقانى كى يبلغه الخطة الجديدة. وأثناء الحديث عثرت قدم حنيف شاه بلغم سلكى فإنفجر فتسبب فى جرح حنيف شاه والقائدين الآخرين، وبهذا يكون القادة الأربعة للهجوم قد أصيبوا، فإنتهى الهجوم إلى الفشل.

كان تقدير حنيف شاه للعدو بأنه ضعيف جداً، وأن السبب الأساسى فى الفشل يرجع إلى عدم تنفيذ الهجوم الجنوبى، وعدم موافقة حقانى على تحريك الدبابات على ذلك المحور.

لقد كان حنيف عاتباً بشدة على حقانى، لكنه ظل دوماً وفياً لأستاذه القديم فى المدرسة الحقانية الدينية التى كان يتلقى علومه بها قبل الجهاد.

وفى نهاية لقائى معه أخبرنى حنيف شاه بأن قوات الحكومة قد إستعادت المواقع التى خسرتها فى ماشغورى وبذلك تحسن وضعها فى الشمال كثيراً.

<u>من هو حنيف شاه ؟</u>

شاب فى السابعة والثلاثين، متوسط القامة نحيف ، قوى الجسم ،حاد الملامح من قبيلة تانای فى غرب خوست من ولاية باكتيا، من مواليد قرية لاغورى.

التعليم: 3سنوات فى مسجد القرية ، ثم مدرسة لاكان الدينية ، ثم مدرسة إسماعيل خيل التى هاجمها لتوه. ثم درس 3 سنوات فى مدرسة منطقة فخرى في زدران وكان أستـاذه هـ و مولوى نظام الدين (نائب حقانى حالياً، شقيق الشهيد مولوى فتح ا) ثم درس فى المدرسة النظامية فى ميرانشاه ، باكستان . ثم مدرسة أنجمن القرآن فى مدينة تل ، باكستان ، ثم 3 سنوات فى المدرسة الحقانية فى أكورة ختك فى باكستان، كان حقانى أستاذه فيها لمدة سنة.
ثم إنتقل لتلقى العلوم الدينية فى مدرسه (أكبر دار العلوم) فى باكستان أيضاً ثم ترك الدراسة وذهب أفغانستان وعندها وقع الإنقلاب الشيوعى 78/4/27 .
فعاد إلى مدرسة (نارياب) فى باكستان ولكن كأستاذ هذه المرة، وظل يدرس هناك لمدة ستة أشهر. ثم ذهب إلى السعودية لأجل العمل لمدة سنتين ثم عاد ليلتحق بالجهاد تحت إمرة إبن عمه (شاكرين جهاديار) الذى كان يعمل فى الجبهات التى يقودها حقانى.
بعد إستشهاد شاكرين أوكلت قيادة المجموعة إلى حنيف شاه بأوامر من حقانى وذلك فى عام 1982، وكانت أول الجبهات التى عمل فيها هى جبهة ليجاه. وقد قام بكمين مشهور ضد القوات الحكومية فى عمق وادى خوست إلى الخاف من (غوند مالانج) وقد أوردنا تفاصيله فى موضع سابق.
وشارك حنيف شاه فى معارك كثيرة جداً أهمها:
معركه فتح حصن بارى، فتح موقع دبجى الحدودى، معركه شهرناو، معركه منطقة ميدان الحدودية، معركه فتح ساتى كندو، فتح منطقة تاناى، معارك نادرشاه كوت ودوامندو، معارك فتح لاكان، فتح الأروجون، معارك منطقة جانى خيل، معركه فتح دراجى عام 1989 ، جرح حنيف شاه مرتين جروحاً بسيطة فى الذراع والرأس.
(وقت كتابه هذه السطور فى يونيه 1998 يعمل حنيف شاه ضمن قوات حركة طالبان فى كابول وخوست) .

****

حصار ... من بيشاور إلى أبوظبى

فى أواخر يناير علمت من أصدقائى في أبوظبى أن جريدة الإتحاد لم توافق على نشر سلسلة المقالات التى تركتها هناك قبل سفري فى ديسمبر الماضى وهى ست مقالات تحت عنوان (بين المطرقة السوفيتية والسندان الأمريكى: ماذا يحدث فى أفغانستان). منذ البداية كان يساورني شك فى أنهم سينشرونها، وبسبب الحقائق الميدانية التى تحتويها المقالات فإنها بلا شك كانت أقوى هجوم على السياسة الأمريكية تجاه أفغانستان، فى وقت كانت أمريكا تصور نفسها على أنها الصديق الأوفى للشعب الأفغانى، والمنتصر الأوحد فى تلك الحرب.
كان فى مكاتب جريدة الإتحاد عدداً من الصحفيين اليساريين بفئاتهم المتنوعة.
وقد سبب لي عدد منهم بعض المشاكل هناك، وأثاروا بعض الهمز واللمز عن دور من يعملون فى قضيه أفغانستان فى التعاون مع الولايات المتحدة، كعملاء بالطبع. وكان اليساريون وقتها يقفون فى خندق واحد مع السوفييت ضد الإسلام والولايات المتحدة. ولكن بعد هزيمة السوفييت فى أفغانستان وقف معظم هؤلاء اليساريون فى خندق واحد مع الولايات المتحدة ضد الإسلام.
من بين من تعاملت معهم فى (الإتحاد) كان الصحفى المصرى (عبد العال الباقورى) هو الوحيد الذى شعرت إزاءه بالإحترام ، رغم أى خلاف فكرى ، فقد كان يتمع بأخلاقيات وشجاعة الفارس، ولا غرو فهو من صعيد مصر. وربما هو الذى كان وراء نشر مقالاتى

تلك بعد تردد دام خمسة أشهر تقريباً.
في اليوم الأخير من يناير عدت إلى ميرانشاه بعد جولة فى بشاور وإسلام آباد دفعت فيها العدد الأول من مجلة (منبع الجهاد) لأحد المطابع فى العاصمة. جلست فى مضافة حقانى مع أبو الحارث، الذى أخبرنى أن أوساط الشباب العرب فى بشاور تحتج على مشروع حقانى بإصدار مجله عربية، ويقولون بأن ذلك هو خطوة أخيرة قبل إعلانه تشكيل حزب سياسـ ـى. ولكن الذى إستحى أبو الحارث أن يذكره هو أن تلك الحملة قد نالتنى بكل سـ ـؤ وبأننى وراء إنحراف حقانى وجره نحو قوة غربية كافرة تنوعت الإجتهادات فى تشخيصها بالتحديد.
كان أبو الحارث مهتزاً من وطأة الهجوم لكونه هو الآخر يتعرض لحملات نتيجة علاقته مع حقانى وقتاله مع مجموعته فى خوست تحت قياده .
وجاء حدسى في موضعه، وعندما فرغت من دفاعى من أن حقانى لاينوى ولايستطيع أن يشكل حزباً لكون باكستان هى المتحكمة فى هذا الموضوع، ولأن حقانى رجل جبهات ومعـ ـارك، ولايمكنه أن يترك القتال كى يجلس فى باكستان، حتى يمارس تلك القاذورات التى يمارسـ ـها الآخرون.
فقال أبو الحارث أن أخاه الأكبر قد جاء من الأردن كى ينصحه بترك حقانى.
وعائلة أبو الحارث إخوانية عريقة، ولكن الشاب العنيد رفض هذه الأوامر الأبوية التى يظن عن يقين أنها أوامر التنظيم الدولى أو النظام الدولى لافرق. ثم سألته عن تلك الحملة التى يشنها (بيت الخدمات) فى بشاور ضد حقانى وأخبرته عن شاب سعودى جاء يطلب منى النصيحة فيما سمعه من مسئولى ذلك البيت وأنهم طلبوا منه عدم الذهاب إلى جبهات القتال عند حقانى وعدم إرسال أى تبرعات إليه ، إلا تحت إشراف سياف ، لأن حقانى يسعى إلى إنشاء حزب جديد لنفسه.
فأجاب أبو الحارث بأن الشباب الذين يأتون الآن إلى الجهاد لايستطيع أحد أن يسيطر عليهم، وخلال إجازاتهم القصيرة يركضون هنا وهناك بحثاً عن معركة فيوماً فى خوست وآخر فى جلال آباد وثالث فى قندهار.
وذكر بأنه كان حاضراً جلسات مؤتمر الحركات الإسلامية والذى عقد فى لاهور قبل إغتيال الدكتور عزام، وأنه ، أى الدكتور عزام، قد هاجم بعنف وقسوة الحركات الإسلامية لسلبيتها تجاه الجهاد فى أفغانستان، وكذلك فعل الشيخ الزندانى، ولكن مجلات الإخوان وغيرهم لم تذكر شيئاً من ذلك.
وفى الحقيقه فإن وزن عبد ا عزام منفرداً كان أثقل وأهم من جميع الحركات الإسلامية فى العالم، ولاشك عندى فى أنهم قد تنفسوا الصعداء بإغتياله، وأن الدموع التى جادت بها أعين منافقه كثيرة، كانت دموع فرح. فقد خلت الساحة من فارس البندقية كى يمرح فيها أبطال الألاعيب القذرة.
* فى الثالث من فبراير كنت قد قضيت يومين فى إنتظار وأبحث عن حاجى إبراهيم الذى إختفى فجأة، معطلا أعمالى وذهابى إلى الجبهة.
ولكننى إكتشفت أن اليوم هو الجمعة، فذهبت للصلاة فى مسجد المهاجرين القريب من مضافة حقانى، وبعد الظهر إنهيت كتاب ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكى السابق والمسمى (عام 1999 نصر بلا حرب) وكتبت فى مذكرتى معلقاً علي الكتاب بأنه أهم كتاب قرأته منذ سنوات ثم كتبت عدة تعليقات على الكتاب.

كانت المضافة هادئة وعدد الزوار قليلون كما هى العادة يوم الجمعة، فكان عندى وقت بعد الفراغ من الكتاب أن أتأمل خريطة لمنطقة خوست وهى خريطة رسمها أحد الضباط العاملين مع حقانى بهدف توضيح المناطق القبلية والمراكز الإدارية.
ودار فى رأسى شريط الأحداث للمعارك الأخيرة، فقد فشل هجومان متتاليان على تورغـار إضافه إلى فشل فى إسماعيل خيل غرب الوادى.
إنها بداية متعثرة للعمل العسكرى هذا العام، أما المطار فرغم الخسائر الكبيرة للعدو فى الطائرات إلا أنه مازال ينجح فى الهبوط. والمطار يبقى أياماً طويلة بدون أن يهتم أحد به المجاهدين، وفجأة يتذكر الجميع فيقع المطار فى أزمة وتقع خسائر الطائرات. إنها حالة يمكن تسميتها (بملاريا المطار) أى موجات من الحرارة المرتفعة إلى حد الإشتعال تعقبها برودة إلى حد التجمد. لكن خسائر العدو كبيرة وحالة الحصار قلت كميات الطعام والذخائر ومستشفى المدينه يئن من إزدحام حالات العسكريين حتى أن البقاء فيه يحتاج إلى واسطة.
الضباط الحزبيون وحدهم لهم حق البقاء فوق الأسرة لإستكمال العلاج، أما غير الحزبيين أو الجنود فالعناية بهم ناقصة و ينتزعون من فوق أسرتهم ويلقون فى عرض الطريق ويتهمون بالتمارض حتى ولو كانت أعضاؤهم ممزقة.
أما الأهالى والميليشيات المحلية فلا أمل لهم فى تلقى العلاج الكافى غير أقراص ملونة يستلمونها على باب المستشفى بدون فحص.
وصلت إلى بشاور فى الساعة الرابعة عصراً فى اليوم الرابع من فبراير لقد عاد لى شيئ من حماسى القديم الذى كان فى تلك الأيام الخالية فى بارى والمطار.
إستطعت العثور على أبو حفص، وكان مازال يعمل فى الخفاء هو وأبو عبيده وغيرهم، كانوا يتوقعون أن تعتقلهم السلطات الباكستانية فى حملتها التى بدأت بإغتيال الدكتور عزام ثم تلفيق إتهام (لمحتسب) بمحاولة تفجير طائرة ركاب.
وبعد أن شرحت له المشروع الجديد فى خوست طالباً المساعدة فى تنفيذه، نصحته أيضاً بأن يتحولوا من الدفاع بالهروب،إلى الهجوم وذلك برفع دعوى قضائية علي الحكومة الباكستانية وتكلفة محامى بريطانى أو أوروبى للدفاع عن محتسب، ذلك لأن إحترام الباكستانيين للإنجليز عظيم جداً، وخشيتهم من الرأى العام الأوروبى أشد من خشيتهم تعالى. وعليهم عن طريق الصحف وجمعيات شعبية إثارة الرأى العام المحلى لكون القضية واهية للغاية والتناقض المضحك واضح فى التصريحات العلنية التى أدلى بها رجال شرطة وإستخبارات باكستان وتلفيق القضية لايحتاج إلى دليل، ثم نصحته بأن يغلقوا مكاتبهم فى بشاور وأن يتواجهوا الى خوست فى مدة لاتتجاوز الأسبوع تحسباً من وقوع عمليات إغتيال أخرى تقوم بها السعوديه وباكستان ضد جماعتهم التى يترأسها أسامة بن لادن الذى لا ترتاح اليه حكومة السعودية، بل مازال محتجزاً هناك غير مسموح له بالسفر منذ غادر جلال آباد.
أخذنى أبو حفص إلى مبنى أسموه (المعهد الشرعى)، وقال أن دفعات من الشباب يتلقون فيها تعليماً شرعياً فى شكل دورات، والآن تتخرج أحدى هذه المجموعات، وبعد أن تسلم هؤلاء شهادات التخرج دعيت لإلقاء كلمة عن الوضع العسكرى فى خوست والحالة السياسة للقضية الأفغانية.
وحين وصلت إلى نقطة السيطرة على القرار السياسى للجهاد الأفغانى بواسطة المساعدات الأقتصادية والعسكرية التى تقدمها أمريكا والسعودية، بدأت أسئلة بريئة وتلقائية عن القرار

السياسى لتنظيم القاعدة وفى يد من هو؟ توقفت عند هذه النقطة لعدم الإختصاص!!.
*فى اليومين التاليين تعرضت لنقد عنيف، مع غمز ولمز، ثم سخرية وإستهزاء من جانب عدد من كوادر جماعة الجهاد المصرية بسبب إقدامى على إصدار مجلة (منبع الجهاد)، وموضع النكتة عندهم هو أن الجهاد قد توقف تقريباً بينما نصدر مجلة (لجمع الأموال)! ! وإقترحوا أن نسميها (آخر شفطة).
فى اليوم التالى إصطحبونى حتى إسلام آباد، وأداروا نفس الإسطوانة حتى كدت أن أفقـد أعصابى وإنفجر فيهم، لكن ا سلم.
*يوم السبت العاشر من فبراير كنا فى الطريق من إسلام آباد إلى بشاور فى الصباح الباكر. كان أبو حفص يقود سيارة بيضاء قديمة وكنت الراكب الوحيد معه وكان يقود بهدؤ حتى نتمكن من الفراغ من موضوعات هامة نناقشها سوياً. ومما قاله أبو حفص أن أفضل أيامنا فى أفغانستان هى أيام كنا نقرأ كثيراً ثم نعمل كثيراً فى الجبهات وأن قراءتنا العسكرية والسياسية قد أفادت مجموعتنا كثيراً ،وهيأهم ذلك لأداء مهام قيادية في الجماعات التي إلتحقوا بها، ثم أقترح أن أتولى عملاً مثل ذلك بالنسبة للشباب الجدد.
قلت له بأن عملى فى المجلة الجديدة هو تقديم جرعة من المعرفة بالساحة الأفغانية والدولية، حتي يستطيعوا إداء دورهم المنتظر الذى يمكن أن يكون حاسماً. ولصالح المسلمين وليس أعدائهم.
أما عن برنامج من القراءات والعمليات فى الجبهة فلا يمكن القيام به بشكل جيد إلا لمجموعة محدودة، ويمكنني أن أجعل مركز ذلك المشروع فى بارى لنبدأ هناك عمليات ذات برنامج خاص لتلك المجموعة.
كنا قد توقفنا لتناول الشاى فى مطعم على الطريق يقع على شاطئ نهر أندوس عند التقائه بنهر كابل فى منطقة ساحرة الجمال فكانت أحاديثنا وجدانية وتلقائية . رد أبو حفص على إقتراحى قائلاً: أن تنفيذ ذلك الإقتراح يعنى أن يطعن البعض قائلاً بأننا نساعدك فى تكوين تنظيم خاص بك !!، وأضاف بأن أبو عبدا (أسامه بن لادن) قد تغير رأيه فيك بعد الدورة التى أعطيتها فى ميرانشاه ثم بعد الأوراق التى نشرتها فى بشاور عن معركة جلال آباد. كانت المرة الأولى التى أعلم فيها أن هناك خشية بأن أكون (صاحب تنظيم) وهى فكرة لم تخطر لى ببال، ولكننى سمعتها بعد ذلك عدة مرات، أما غضب أبو عبد ا منى إلى الآن فكان أمراً غريباً فقد كنت أظنها أحداث قد إنتهت.

الأحد 11 فبراير 1990

وصلت ميرانشاه ومعى عدة نسخ من العدد الأول لمجلتنا منبع الجهاد. جلست مع أبو الحارث فى المكتب الثقافى، وقد أخبرنى أن حقانى على وشك الوصول من منطقة خادن الحدودية، داخل أفغانستان ، حيث يعقد عدد من القادة من منظمات مختلفة إجتماعاً طارئاً لمعالجة مشكلة محافظة لوجر. ولكن الحكومة المؤقتة والأحزاب فى بشاور لم تتحرك، فكانت المبادرة من حقانى للبحث عن حل ذاتى من بين قيادات الداخل. وقد وصلت الأنباء بأن القادة المجتمعين قد قرروا إرسال 200 مجاهد لدعم مجاهدى لوجر، وكان حقانى يخشى أن تحـاول القـوات الحكومية أن تواصل تحركها من جرديز إلى خوست عن طريق (منجل) فيشتت ذلك مجهودة العسكرى ضد خوست، ويتحول جزء كبير من قوته للدفاع عن ذلك الطريق الطويل، وهو أمر يحتاج إلى تخصيص جزء كبير من الإمكانات البشرية والمادية.

ولابد أن يضعف ذلك مجهوده القادم فى خوست التى كانت تترنح فعلياً ويترنح تبعاً لذلك مستقبل النظام فى كابل بل ومستقبل المشروع الدولى ، الأمريكى ، فى أفغانستان.
لقد كان حقانى هو المصدر الأساسى لذلك الخطر، لذا كان أمنه الشخصى فى خطر.
فقد تلقى حقانى مؤخراً تهديدات من بعض تجار منطقة القبائل الذين تضرروا من عمليات التضييق على تهريب البضائع إلى خوست.
ومنذ أشهر قليلة أحبطت محاولة لتفجير سيارته أثناء توقفها بين بنون وميرانشاه أمام حاجز مرورى، فقد لصق أحدهم بها قنبلة مغناطيسية موقوتة.
وبينما كنا نتحدث عن تلك الموضوعات لم نكن ندرى أنه فى نفس الوقت تقريباً كان حقانى يتعرض لمحاولة إغتيال جديدة، وأصيبت سيارته بعدة طلقات، وكان يمكن أن يصاب حقانى لو أنه إحتفظ بمكانه التقليدى فى السيارة من المقعد خلف السائق ، ولكنه كان قد بدل موقعه فى السيارة بعد خروجهم من صلاة العصر من مسجد على الطريق.
لم يقص لنا أحد ذلك الخبر المزعج فى نفس اليوم فقد تكتم حقانى ورجاله على الأمر، وبعد وصولهم أدخلوا السيارات فوراً فى مرآب السيارات.
علمنا بالموضوع فى عصر اليوم التالى وشاهدت مع أبو الحارث ثقوب الطلقات فى الجانب الأيمن للسيارة وعندما سألت حقانى بعدها عما حدث وهل هو حادث مدبر أم لا، قال أنها مجرد مصادفة لأن فى نفس المنطقة قبيلتان فى حاله عداوة وإشتباكات، وأن السيارة الأمامية فى موكبه قد توقفت صدفة عندما إنفتح فجأة غطاء محركها أثناء المسير فنزل السائق لإغلاقه فانهمر علينا الرصاص لأن أفراد كامنون من القبيلة المعادية ظنوا إننا قوه مهاجمة، فطاردهم رجالى ولكنهم فروا فى الجبال.
لم تهدأ شكوكى بطمأنه حقانى، بل ظننت أن سائق السيارة الأمامية لا يستبعد أن يكون هو الآخر متآمراً، ومن السهل عليه فتح غطاء السيارة أثناء تحركها والغريب أن إختار موقعاً فوق أحد الجسور على الطريق بحيث تصعب مناورة الإختباء على من خلفه وهى سيارة حقانى وحراسه. وقفز إلى ذهنى قصف حقانى بالطائرات فوق مركز القيادة وأسفل منه، وبصواريخ سكود فى مركز خليل وفى الطريق المؤدية اليه، حتى أننى سمعته بنفسى عندما إشتعل حولنا الجبل بالقذائف العنقودية وإشتعلت حولنا الأعشاب الجافة والأشجار حتى أخذنا نسعل من الدخان، لقد صاح بأن هناك جاسوس يرصد حركتهم، وصرت لا أستبعد هذا الإحتمال بل أرجحه.

<u>الثلاثاء 13 فبراير 90</u>

أخبرنا حقانى أن كل الترتيبات قد إتخذت لبدء العمليات فى الجبهة وأننا سوف نغادر اليوم إلى بارى. وغصت دار الضيافة بعشرات من الكومندانات، بينما جلس حقانى فى غرفة داخلية صغيرة وكان يستدعى المنتظرين فرداً فرداً أو فى مجموعات صغـ ـيرة وينهى معهم الموضوعات المتعلقة بالعملية القادمة، كان حقانى يبدأ مثل تلك الإجتماعات بعد أن ينهى صلاة الضحى فى السابعة صباحاً.
إستمر ذلك النشاط حتى بعد صلاة الظهر، وتناول الجميع طعام الغداء قبل ذلك. فى الثالثة والنصف بدأ تجهيزات الحركة، إستعدت سيارة حقانى ومعها سيارتان للحرس مع قافلة كبيرة من سيارات (بيك آب) تحمل مجاهدين وكومندانات وذخائر. كان المنظر مهيباً، وخرج حقانى

ومعه أخواه خليل وإبراهيم، وعدد من أبنائه الصغار خرجوا لتوديعه، وعلى باب البيت وقفت أمه العجوز وهى تمسك بيدها مسبحتها الطويلة وتتمتم بالدعاء وتجمع الأطفال الصغار من بين السيارات وتدفعهم إلى داخل البيت وهى تؤنبهم بشدة، بينما بعض الأطفال يحاول التعلق بالسيارات والذهاب مع آبائهم إلى الجبهة، فإضطرت الجدة العجوز إلى الإمساك بعصاه طويلة ومطاردة الصغار وساعدها بعض الحرس فى إبعادهم عن عجلات السيارات. وعندما بدأت السيارات فى الحركة رفعت الجدة يديها إلى السماء وإستغرقت بالدعاء وقد إغرورقت عيناها بالدموع.
نقاط الميليشيا على الطريق لا توقف الموكب سوى لثوان معدودة، فالسيارة في المقدمة تتولى شرح الموقف وتقديم المستندات والتصاريح اللازمة، إلى جانب بعض الأموال بطبيعة الحال.
بعد أن عبرنا المركز الحدودى الأخير فى غلام خان توقفنا إلي جانب جدول الماء للوضوء والصلاة، ثم إستأنفنا المسير في الوادى المتعرج بين الجبال. أوقفتنا غارات الطيران مرتين، مرة غارة بالطائرات النفاثة وأخرى بالقاذفات المروحية الثقيلة.
إستغرقنا فى الطريق وقتاً أكثر من اللازم ولكن وصلنا ، بحمد ا ، سالمين ودخلنا إلى مسجد معسكر خليل لنلحق بالمصلين فى صلاة المغرب خلف مولوى نظام الدين ، نائب حقانى.
وبعد الصلاة إجتمعنا فى المغارة العليا، وقدم نظام الدين تقريراً عن أحوال الجبهة لهذا اليوم المشمس. فلم يكن غير ضربات الطيران المستمرة منذ الصباح ولكن لاخسائر فى الأرواح، ثم حدثه حقانى عن إجتماع خادن وتحرك المجاهدين صوب لوجار.
صلينا العشاء فى مسجد المعسكر، وهناك قضيت الليل البارد فوق الأرضيه الأسمنتية، وفى أمثال تلك الأيام المزدحمة يكون الفوز بغطاء هو من علامات رضاء الوالدين ودعواتهما الصالحة. وقد فزت بغطاء، فحمدت ا كثيراً.

الأربعاء 14 فبراير 90

إستيقظنا علي أذان الفجر. فى خارج المسجد كانت الارض عبارة عن بساط من الثلج المتجمد من الصعب حفظ التوازن فوقه. ثم توضأنا بماء الجدول المثلج فإحمرت الوجوه والأطراف وإنبعث فينا النشاط نتيجة الرجفات المتوالية التى إجتاحت أبداننا. بعد الصلاة صعدنا للقاء حقانى فى المغارة العليا، فحملت أمتعتى وصعدت الطريق المتعرج الصاعد إلى المغارة. كان الجليد مازال منبسطاً على الطريق الصخرى الضيق وفجأة حصلت على ما أسميه (سقطة كاملة) وهى تحدث عندما يجد الأنسان قدمه التى وضعها فوق الأرض قد إرتفعت فجأة إلي أعلى من مستوى الرأس، وهو الأمر الذى يؤدى إلى إنبساط الظهر بالكامل فوق الأرض، وما يصحب ذلك من صوت الإرتطام الذى قد ، ور بما ، يصحبه صوت تأوه مع أصوات ضحكات ممن رأى المشهد المثير، إعتدلت ثم واصلت المسيرة عندما تأكدت أن أياً من عظامى لم يصبه العطب.
كان النهار مشرقاً وذلك فى الجبهات نذير شؤم وشر مستطير من غارات الطيران.
أفطرنا مع الشيخ حقانى شاياً بالحليب ، مشروبنا القومى ، وعسل نحل من جبـ ـ ـال زدران المباركه. وصل خبر من عبد العزيز فى مركز اللاسلكى والترصد والقيادة ، فقال بأن صاروخي سكود سقطاً علي منطقة دير ماك ولكن أحداً من المجاهدين لم يصب بأذى.وكذلك إستهدف الطيران نفس المنطقة بعدة غارات لم تسفر هى الأخرى عن خسائر. كانت بداية

ساخنة جداً لنهار مازال فى ساعته الأولى. هناك ساحة مواجهة لغرفة مبيت حقانى التي هى مغارة صغيرة ملحق بها فى نهايتها مخزن صغير ذو باب حديدى مثل أبواب الزنازين، وهذه الزنزانه تستخدم كمخزن للأشياء الهامة جداً، وهى متصلة بواسطة باب صغير بمغـ ـ ـ ـارة الضيوف.
فى الساحة التى غمرتها أشعة الشمس، وجدت صديقي العزيز مولوى عبدالحليم جالساً مسنداً برأسه إلى الحائط الصخرى خلفه،ماداً ساقه الخشبية أمامه ، وعلى وجهه إبتسامته الطيبة التى لاتكاد تفارقه فى كل الظروف. يذكرنى ذلك الشيخ الطيب بجبل تورغار، ومآسية، فهناك فقد ساقه اليمني وهو يحاول إنتشال شاب عربى يدعي (أبو الدراء) إستشهد وسط الألغام بعد محاولة لم تكلل بالنجاح لإقتحام الجبل العنيد. حاول الشيخ أن ينهض لمعانقتى، ولكننى منعته وعانقته وهو جالس وقبلته فوق رأسه. ولم يلبث أن إجتمع عدد كبير من قيادات الجبهة فى الساحة الضيقة وقد توسطهم الشيخ حقانى وإلى جانبه مولوى نظام الدين، والشيخ عبد الحليم. كان الحديث عاماً عن المعارك مع التوصيات بالثبات والجهاد، ولم يتطرق الحديث إلى تفاصيل المعارك الوشيكة. إنصرف التجمع وبدأت لقاءات ثنائية بين حقانى وعـ ـدد من الكومندانات الكبار.
وصلت طائرة إستطلاع مروحية على إرتفاع شاهق فوق منطقتنا وأعقبتها غارات جوية عنيفة على المنطقة من مركز خليل وحتى منطقة تورغار، وإستمر ذلك الهم حتى غروب الشمس. تناولنا طعام العشاء فى المسجد، وقد وصل ضيفان جديدان من العرب أحدهما أبو محمـ ـد السورى ، من جماعته أبو الحارث ، وبرفقته شاب سعودى أراه لأول مرة.
الخميس 15 فبراير 90
شعرت بسعادة بالغة وأنا أسمع صوت مؤذن المعسكر وهو ينادى لصلاة الفجر فذلك يعنى بالنسبة لى إنتهاء ليلة من المعاناة وإنتظار إنتهاء الليل. فالمكان يحاكى فى برودته مغارة فى القطب الشمالى.
إقترح أبو الحارث أن نصعد إلى مغارة الشيخ لإلقاء التحية، وإحتساء كوب من الشاى بالحليب لرفع المعنويات. رافقنا فى الرحلة أبو محمد السورى وضيفه السعودى، وعالم من سوهات في باكستان. علمنا من الشيخ حقانى أن المعارك على وشك البدء ، وعلى ما يبدو أن العدو كان يعلم بذلك، وقد بدأ بضربات إجهاضية بالطيران والصواريخ منذ يومين ، وقد تقرر أن يغادر أبو الحارث وأبو محمد السورى وضيفه السعودى إلى مركز الدكتور نصرت ا فى بـ ـورى خيل (مدخل وادى بارى من جهة خوست) .
أما الشيخ حقانى والعالم السوهاتى، والعبد الفقير إلى ا فوجهتهم هى" جبـ ـل الترصـ ـد"، أي مركز حقانى وقت العمليات، وقبل أن نشرع فى التحرك وجه لى حديثاً بشكل مفاجئ، وشعرت أنه يعاني من ضيق داخلى شديد وهو ينفجر قائلاً: خلال اليومين الماضيين قـ ـالت الإذاعات أشياء كثيرة، منها أن القوة الحكومية قد وصلت إلى جرديز، أما راديو كابول وهيئة الاذاعة البريطانية (بى بى سى) فقد قالوا بأن روسيا وأمريكا قد اتفقتا على قطع المعونـ ـات عن نجيب والمجاهدين، بينما روسيا ترسل فى الواقع مئتين وخمسين مليون دولار شهرياً لحكومة نجيب، وإستطرد قائلاً بأن هدف الغرب هو إرغام المجاهدين علي القبـ ـول بنجـ ـيب رئيساً للبلاد.
وأضاف حقانى قائلاً: لقد إتصل بى زعماء الأحزاب لاسلكياً طالبين منى الذهاب إلي بشاور

للإجتماع بهم اليوم، فما هى الفائدة الآن من تلك الإجتماعات؟ وهل نوقف المعركة من أجل إجتماعات لافائده فيها ؟.
إن المصاريف التى أنفقوها على إنشاء مقارهم فى بشاور تكفى الجهاد لمدة عامين، أما السلاح الذى فى مخازنهم فيكفى لسنوات، إذا لم يستخدموه الآن، فمتى يستخدموه؟ ولماذا يخزنوه؟ فعند سياف مثلاً 45 ألف بندقية مازالت فى الشحم،و فى ظنى أن هؤلاء القادة سيستخدمـون هـذا السلاح لرشوة القبائل فى الإنتخابات التى ينادون بها.لماذا لايحضر هؤلاء إلى خوست حتى نتفق على تصعيد القتال فى كل أفغانستان؟ إن الذى شجع أمريكا وروسيا على تثبيت نجيب فى الرئاسة هو توقف الجهاد فى أكثر مناطق أفغانستان، مع وجود حكومه ضعيفة للمجاهدين فى باكستان.
إن زوجة جيلانى قالت لإذاعة(بى بى سى) لقد تعبنا من القتال والدماء، ونريد لشعبنـا أن يستريح .أنظر الآن إلى الشيوعيين الذين خدموا الشيوعية لمدة عشرين سنة وإلى الضباط الذين حصلوا على الرتب ليس فى مقابل العلم والتدريب ولكن فى مقابل قتل المسلمين، وهتك كل الشرائع، كل هؤلاء يقولون عنهم مسلمون طيبون حتى يشاركوا فى الحكم القادم للبلاد.
وهنا سأله الشاب السعودى الجديد: ما قولك في إقتراح حكمتيار أن يحدث إنقلاب فى الجيش يساند حكمتيار فى أن يكون رئيساً للبلاد؟.
أجاب الشيخ بحده قائلاً: أقسم با أقاتله كما أقاتل الشيوعيين، طالما أنه رئيس وحوله هؤلاء الضباط الذين قتلوا المسلمين لمدة عشرين عاماً. إن هذا ليس إلا وصولاً للحكم بأى وسيلة ولو بمساعدة الشيوعيين، مثلما حدث مع داود الذى أحاط به الشيوعيين وعاونوه ثم قتلوه بعد ذلك.
قلت للشيخ حقانى: لاحل إلا إستمرار المعركة مهما كان الأمر وبإذن ا سوف تفتح خوست وعندها سوف تتغير أمور كثيرة.
فرد الشيخ بهدؤ وتأثر:هذا صحيح، والظروف الآن عادت كما كانت فى بداية الجهاد، وكما كانت في صدر الإسلام، فتمايزت الصفوف ولم يبق فى الجهاد سوى المخلصين.
ثم أخبرنا حقانى عن تزايد عمليات فرار الجنود فى الأيام العشرة الأخيرة، وكان أعجبها فرار 15 جندياً إلى مركز (حنيف شاه) هؤلاء الجنود لم يفروا بل قاتلوا بعنف حتى يتركوا مواقعهم. فقتلوا رؤسائهم من الضباط، كما قتلوا الميليشيات التى فى المواقع، فقتل من هؤلاء الجنود أربعة أفراد وجرح أربعة آخرون، والعجيب أنهم سحبوا معهم جثث زملائهم، حتى يدفنوها فى (مقابر المسلمين) بإعتبارهم شهداء، كان حماسهم وإندفاعهم للجهاد لايقل بحال عن حمـاس المجاهدين فى الجبهات.
صعدنا الى جبل الترصد تاركين حقانى فى مركز خليل يواصل مقابلاته مع القادة، والإشراف على تموين المراكز المتقدمة بالطعام والذخيرة.
فى الثالثه والنصف عصراً أصاب المجاهدون بقذائف المدفعية المخزن الرئيسى للبترول فى المدينة فإشتعل وتصاعد منه عمود أسود من الدخان الكثيف وإستمر ذلك لمدة ساعة.
غارات الطيران كثيرة جداً، ولكنها غير دقيقه فلم يبلغ أحد عن وقوع خسائر لديه، أكـثر الغارات تركزت حول جبل تورغار ومنطقة بارى ثم ليجاه.
(بارى منطقة إسناد للمهاجمين فى تورغار وليجاه تساند مجاهدى الغرب فى إسماعيل خيل ودير ملك).

بعد العصر هبطت طائرة نقل عسكرية في المطار ولم يكن أحد من رجال المدفعية في الإنتظار ، وصاح عبد العزيز منادياً (باتشا دينا) مسئول المدفعية فى جماعة الكوتشى، ولكنه لم يرد، وبعد صياح وهرج ومرج ضرب أحدهم قذيفة على مدرج المطار فتحركت الطائرة على التو بعد أن قضت 15 دقيقة أنهت فيها عملها. أزعجنى الحادث كثيراً فقد كنت مهتماً بالمطار أكثر من أى شئ آخر، وهو إهتمام تاريخى كما ذكرت.وتأكد لى من هذا الحادث وإشباهه ضرورة تخصيص قطع مدفعية للمطار، تكون جاهزة للعمل على مدار الساعة، ولاتشتبك مع أى هدف آخر حتى لا تترك (فجوة زمنيه) ممكن أن يتسال منها الطيران ويهبط إلى المطار ، وهذا ما فعلناه بعد ذلك بعدة أشهر.

فى الليل وبينما كنت أجهز فراش النوم، وصلت سيارة من مركز خليل وإستدعانى سائقها لأن حقانى يطلبنى، فنزلت معه. هناك كان صحفى بريطانى علي وشك إجراء مقابلة مع حقانى، ولم يكن هناك من يستطيع الترجمه غيرى. كان الصحفى شاب نحيف يرتدى الثياب الأفغانية له وجهه جامد كأنه منحوت من الحجر الجيرى، لايحمل أى تعابير أو مشاعر.

كان أسم الصحفى (تيم) ويعمل للإذاعة البريطانية، ولإحدى المجلات الأمريكية. المهم فى اللقاء أن الاسئلة التى وجهها (تيم) هى تعبير فى معظمها عن النظرة الجديدة فى الغـ رب إزاء أفغانستان.

فكان إهتمامه كبيراً بما يحدث فى خوست وكونها ، ومدينة جرديز ، هما المكانان الوحيدان اللاذان يشهدان حرباً حقيقة بينما هدأت باقى البلاد.

ثم يركز عن إمكانات حقانى وهل تكفى لفتح خوست، وإستعداده لوقف القتال إذا تمت تسوية بين الحكومة المؤقتة وحكومة نجيب، وفى الأخير ركز بشدة على موضوع زراعة وتجارة المخدرات فى أفغانستان، وهو باب فتحه الغرب واسعاً للتشنيع على المجاهدين ثم سأله عن رأيه فيما قاله مولوى (نسيم اخونزاده) القائد القوى فى هلمند بأنه سيزرع المخدرات في مناطقه حتى يتمكن من الإستمرار في الجهاد بعد أن توقفت المساعدات الخارجية.

(وهى التصريحات التى أدت إلى إغتيال نسيم أخونزاده بأوامرمن الولايات المتحدة وبتواطؤ من باكستان بل ومن التنظيم التابع له أخوانزاده).

كانوا فى الغرب على علم بأن معارك خوست ، إذا كتب لها النجاح ، فإنها ستغير حتماً من مصير البلاد سياسياً، وأن حقانى هو مصدر خطر لتقرير المصير على الأرض بقوة السلاح، لذا تعددت محاولات إغتياله فى باكستان. وفي ظنى أن حاجة باكستان الأمنية لبقاء حقانى ، نظراً للخطورة الفائقة لولاية باكتيا على إستقرار وأمن الأقليم الحدودى الباكستانى، تلك الحاجة الباكستانية كانت أكبر من الحاجة الأمريكية في التخاص من حقانى. لذا تعاونت باكستان بتردد فى محاولات الإغتيال القليلة التى حدثت ضد حقانى ومنها تلك التى حدثت منذ أيام قليله قبل معركة تورغار .

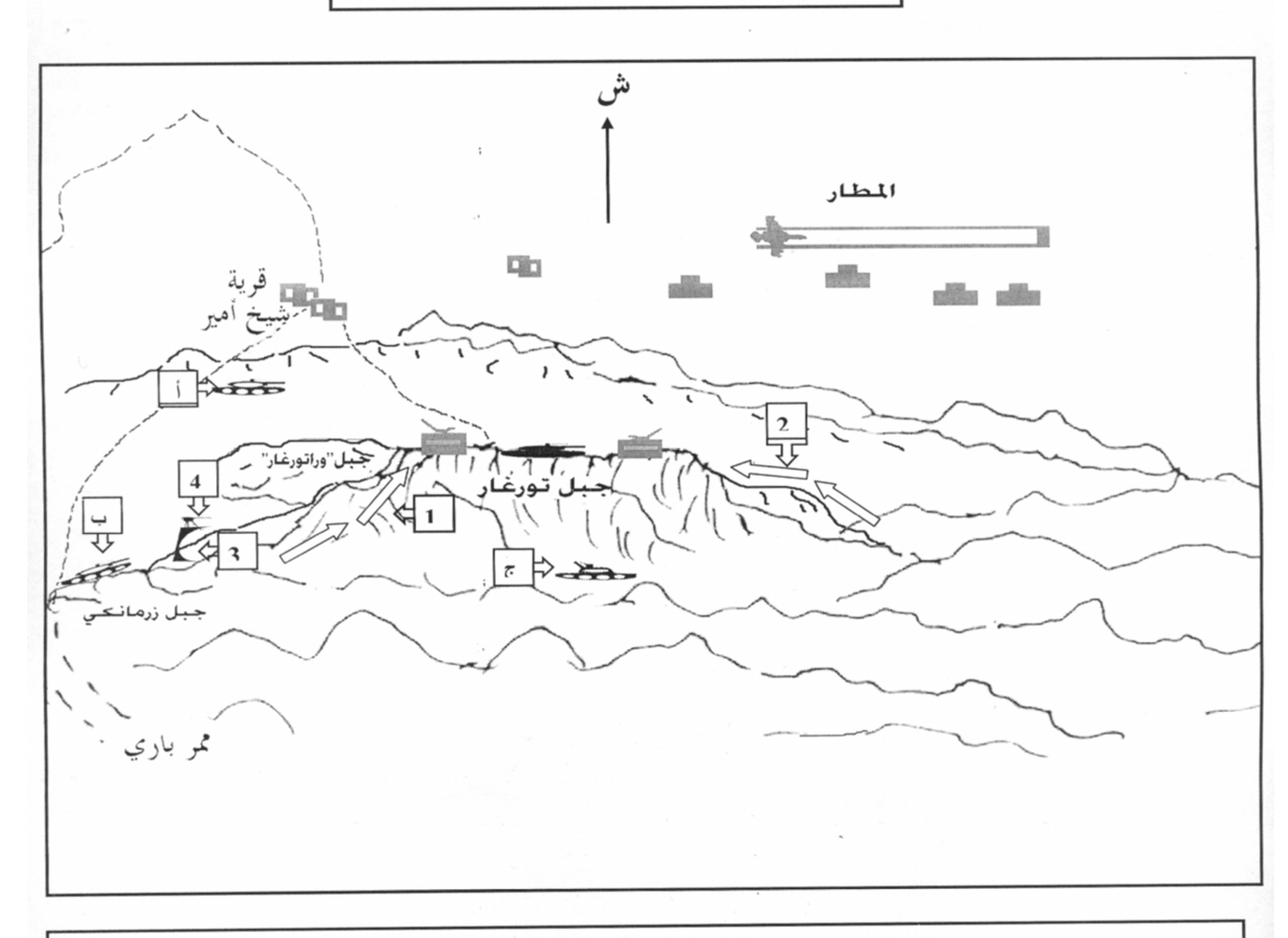
قضيت الليلة فى مركز خليل على أن نتحرك صباحاً نحو جبل الترصد والقيادة، برفقة حقانى وأيضاً الصحفى (تيم) .

....

معركة فتح تورغار

الجمعه ١٦ فيبراير ١٩٩٠

(كروكى)



1	هجوم الطرف الغربى: نصرت الله+ ١٥٠ مجاهد.	٣	خندق مسقوف للمجاهدين/لضرب إمداد تورغار.
2	هجوم الطرف الشرقى: جولاب + ١٥٠ مجاهد.	4	مدفع عديم الإرتداء.

دبابات المجاهدين:

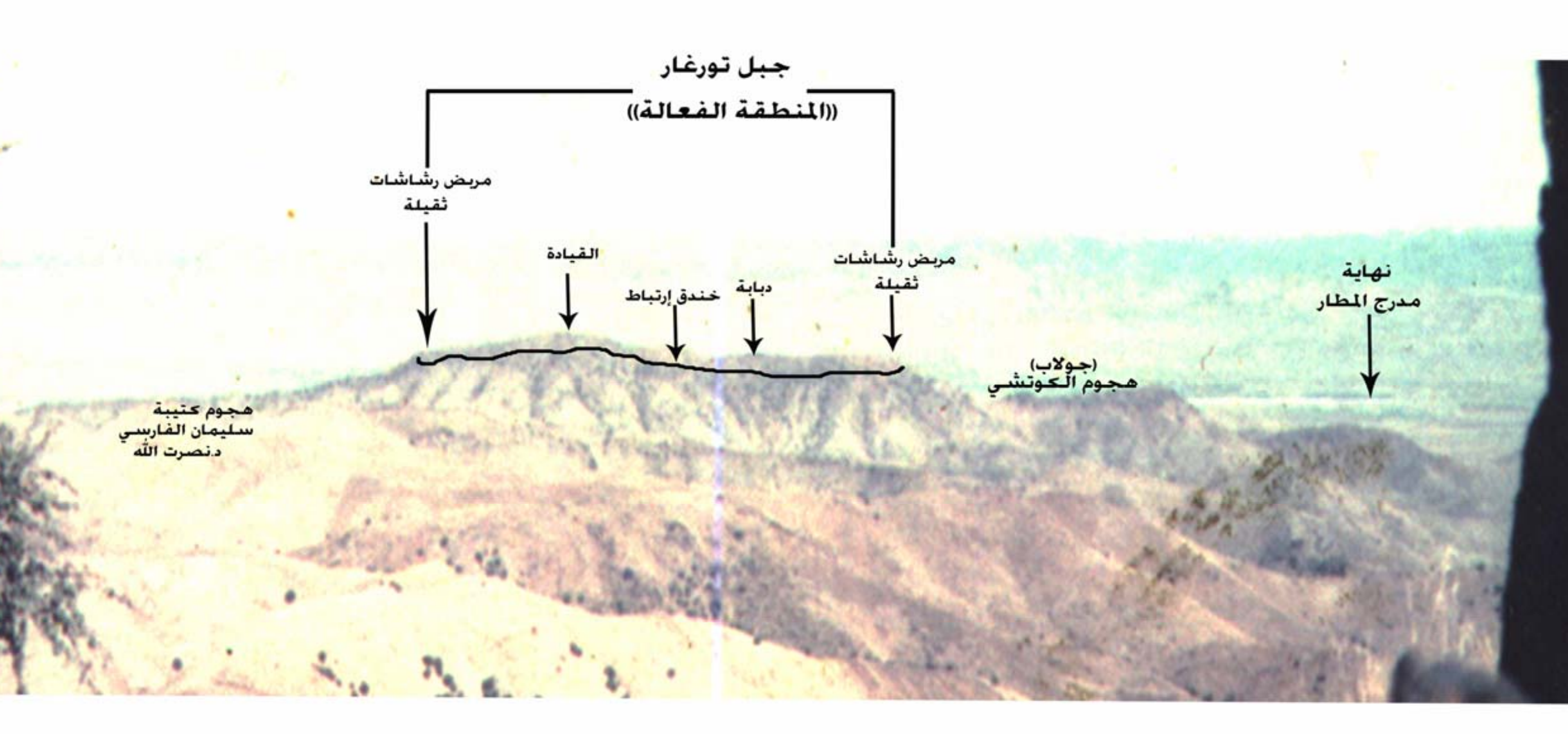
أ - دبابه خليل الرحمن(فيروز)..تحت الجرف شمال/غرب تورغار(على مسافة ٢٠٠٠متر) من الحافة الغربية.

ب - دبابه فى لضرب الطرف الغربى لجبل تورغار (على مسافة ١٤٠٠متر).

ج - دبابه لتعزيز الهجوم على أطراف جبل تورغار (على مسافة ٢٥٠٠متر).

معركة فتح تورغار

16 فبراير 1990



<u>تورغار.. معركة الفتح</u>

<u>الجمعة 16 فبراير90</u>

كانت الشمس قد إرتفعت فى الشروق، وتهيأت السيارة كى تنقلنا إلى جبل الترصد. سأتحرك مع الصحفى البريطانى، ولكن حقانى سوف يتأخر قليلاً لمتابعة بعض التفاصيل فى هجوم اليوم. فأخبرنى بأنهم جاهزون لعملية اليوم ضد تورغار، ولكن المجموعة التى سوف تهاجم من الطرف الشرقى ليست كبيرة، أما فى الجنوب ، وهى الواجهة الطويلة من الجبل من جهة المجاهدين ، فلم ينجح المجاهدون فى فتح ثغرة في الألغام هناك، فقد أصيب أحدهم بإنفجار لغم فتوقف العمل . تحركت بنا السيارة صوب الجبل، ولم يكن ما سمعته من حقانى مشجعاً، وأيضاً فإن هذا الجو المشرق والسماء الزرقاء الصافية أصابتنى بالهم والغم، فالطيران سوف يكون قوياً، ورمايات العدو أكثر دقة، والمؤكد أن الخسائر فى الأرواح ستكون عالية . والإضافة الوحيدة عند المجاهدين اليوم هى الهجوم من طرف الحافة الشرقية بمجموعة صغيرة، فهل سيجدى ذلك كثيراً ؟ .

كنت غارقاً فى هواجسى وما أن صعدنا فوق الجبل، ووضعنا إمتعتنا فى الغرفة الصغيرة، حتى بدأ الصحفى (تيم) يسأل عن معارك الفترة الماضية ويطالع المواقع بالمنظار من خلف الصخور فوق القمة، وتوليت توضيح الموقف العام له. ثم عدنا إلى الغرفة مرة أخرى فى إنتظار وصول حقانى وكنت أعلم أن العمليات لن تبدأ ألا بعد وصوله لمتابعتها من فوق هذه القمة .

بدأنا الحديث فى الوضع السياسى فى أفغانستان، فكلمته بصراحة عن دور أمريكا ودول الغرب فى الإضرار بالشعب الأفغانى، وأنهم كتموا عن العالم حقيقة أن الأفغان هم الذين حرروا شعوب شرق أوروبا بعد قضائهم على الإمبراطورية السوفيتية في أفغانستان، وأنه حتى شعوب روسيا وغرب أوروبا قد إستفادت من إنتصار الأفغان. فقال بأنهم في أوروبا يرون أن إنتصار الأفغان كان عاملاً مساعداً على إنهيار الإتحاد السوفيتى. فأجبته قائلاً: بل كان العامل الحاسم وإلا فإن النظام السوفيتى إذا كان قد تمكن من إخضاع الأفغان، لإستمر على قيد الحياه قرناً آخر على أقل تقدير، وإلا فالسبعون عاماً التى قضاها ليست بالعمر الطويل فى حياة الدول.

من الثامنه صباحاً بدأ الطيران يعمل بنشاط، فى جو رائع وشمس مشرقة ورؤية غاية فى الصفاء. القاذفات المروحية الثقيلة رمت أطناناً من القنابل على المواقع المشتبه بأنها قد تساند هجوماً أو قد ينطلق منها هجوم، وركزت علي ليجاه وبارى، وإستمرت تؤدى دكها بإنتظام حتى الساعة الحادية عشر. فظهرت الطائرات النفاثة وباشرت هى المهمة وإستراحت الإنتينوف.

أخيراً وصل الشيخ حقانى وخلفه سيارتان للحرس، وبرفقته أثنان من الضيوف أظنهما من السعودية، أحدهما كأنه صحفى، والآخر ضخم الجثة قوى مثل المصارعين، ومن حديثه ظهر كأنه واعظ فى أحد المساجد مع إلتزامه بالسمت السلفى أكثر من زميله.

إثنان من المجاهدين من حرس حقانى ما أن شاهدانى أخرج من خندقى المفضل وعلى كتفى المنظار المقرب الخاص بى، حتى إستعاراه وجلسا فى مكانى ولم أتمكن من إسترداده إلا بصعوبة بعد أكثر من ساعة.

الساعة 11.38 :ظهر أول دخان فوق قمة تورغار نتيجة قصف المجاهدين، بدأ السحاب يتكاثر ببطء، ولكنه لم يصل إلى شئ مما كان عليه فى العملية السابقة إلا أنه قد يعرقل نسبياً عمل الطيران.

قال الشيخ أنه سيجعل وقت بدء المعركة مع وقت صلاة الجمعة حتى يستفيد المجاهدون من دعوات المسلمين لهم. ثم صلى بنا الظهر فى ساحة صخرية صغيرة أعدها المجاهدون كمسجد للموقع وأحاطوه ببعض الصخور الصغيرة وجعلوا لها تقوساً فى محل المحراب.

نظرت إلى السماء قبل البدء فى الصلاة، كانت شذرات السحب قليلة وربما إنقشعت فى أى وقت، فوقنا بقعة صغيرة من السحاب الأبيض ،الذى تبعثر هنا وهناك فى كتل باهته لا معنى لها.

قلت فى نفسى : (ياله من يوم صعب . كم من الرجال الذين يتحركون بحيويه فى مواقعهم سوف يسقطون شهداء فى هذا اليوم. وكم من الذين أعرفهم سوف لا أراهم مرة ثانية؟ وماذا لو فاجأتنا الطائرات النفاثة وقصفتنا ونحن متجمعون من صلاة الظهر وأمامنا هو حقاني قائد عملية اليوم، والخطر الأكبر على النظام فى كابل؟ ألم تقصفنا تلك الطائرات فى نفس هذا المكان من قبل؟).

بعد إنتهاء الصلاة بدأ حقانى فى دعاء طويل ونحن نؤمن خلفه سأل ا النصر وألح فى الدعاء، وبكى أكثر الداعين، ثم قام وإتجه إلى جهاز اللاسلكى وخاطب الجميع، وطالبهم بالتوكل على ا والإعتماد عليه وحده، ثم لقنهم هذا الدعاء وطالبهم أن يستمروا فى ترديده(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لايبصرون)وتذكرت أنه لقننى هذا الدعاء منذ ما يقارب عشرة أعوام، ومازلت أذكر أنه لقنني يومها درساً فى الشجاعة والثبات تحت قصف

الطائرة، وأن أطلق عليها نيران البندقية بدلاً من الإختباء فى حفرة فأنا عربى ولا يليق بى ذلك. لقد أخجلنى يومها، لكنه لم يقنعنى بجدوى إطلاق البندقية على طائرة نفاثة.الآن إدرك أنه على حق فلا جدوى من الإختباء من الطائرة فذلك نوع من العبث يطمئن به الإنسان نفسه فلا عاصم من تلك المصائب التى تتساقط فوق الرؤوس سوى ا سبحانه وتعالى. لكن الذى لفت نظرى حقيقه هو أنه أثناء الدعاء الجماعى بعد الصلاة كانت السماء تتلبد فوقنا بسرعة، كان الجميع وقت الدعاء مطاطأى الرؤوس ينظرون إلى أكفهم المنبسطة أمام وجوههم، وكنت الوحيد وربما شاركنى إثنان من حرس حقانى ننظر إلى السماء. كنت أراقب السحب التى تتجمع بسرعة، ثم نظرت إلى حقانى المستغرق فى الدعاء فإذا به أصبح رمادياً وقد غمرته الظلال، بل الجميع أصبحوا كذلك، ولم يكد حقانى يتوجه إلى جهاز اللاسلكى حتي أصبحنا كأننا فى وقت الغروب.

إنشرح صدرى لتلك (الكرامة)، وتمنيت أن يكون ذلك بشرى بالنصر وبداية المدد الإلهى للمجاهدين عامة، والمهاجمين فوق الجبل خاصة.

*__الساعة 1.59__ بعد الدعاء وجه الشيخ أمراً إلى (مارشال) ببدء القصف، ظننت أن الأسم هو شفرة لمجموعة مدفعية لكن حاجى إبراهيم قال: (بل هو أسم شهرة لأحد المجاهدين).

بدأت دبابة خليل فى القصف، وأصابت مواقع العدو فوق القمة وحققت أول أصابة مباشرة. فتصاعد عمود من الدخان الأسود من الحصن الواقع على الحافة الغربية. رد العدو بقصف شديد على الجانب الغربى من الجبل حيث تسلل المجاهدون فى محاولاتهم السابقة. والظاهر أنهم لا يتوقعون تقدماً من جانب الحافة الشرقيه للجبل، وهو مالم يفعله المجاهدون قبلاً.

بعد خمسة دقائق لعلعت رشاشات العدو الثقيلة فوق الجبل.

الساعة 2.35 مدفعية المجاهدين تقصف مدفعيات العدو الخلفية، (بوستان) و(باتشا دينا) على المدفعية يعملان بشكل جيد ودقة ملحوظة.

دبابه خليل تتلقى قذائف كثيرة من مدفعيات العدو، مجموعات الهجوم فوق الجبل بخير ولكنها لم تبدأ بعد في التقدم.

الساعة 3: أشرقت الشمس لفترة قصيرة ثم أطبق السحاب كثيفاً مرة أخرى، أجهزه اللاسلكى مزدحمة بالصيحات، ودعوة للمهاجمين بالعمل مع تشجيعهم.

التدخل اللاسلكى شديد، وحرب نفسية على أشدها على الأثير مليئة بالتهديد وأحياناً بالسباب بين المجاهدين والعدو.

الشيخ يصيح مشجعاً المهاجمين وينقل إليهم أخبارالإصابات التى وقعت فى صفوف العدو نتيجة القصف ثم يهتف صائحاً (ا أكبر زنده باد إسلام) فيردد المجاهدون خلفه نفس الهتاف.

الساعة الثالثة والنصف: سقط سكود إلى الشرق من تورغار وبعد خمسة دقائق سقط صاروخ آخر فى نفس المنطقة.

الساعة 4.10: قوات العدو فوق تورغار تفقد واحد من قادتها، إلتقط عبد العزيز الخبر، أما المجاهدون المهاجمون من جهة الشرق، جماعة جولاب الكوتشى شقيق الشهيد منان، فقـد أفادوا بأنهم يواصلون نزع الألغام من المسافة المتبقية ومقدارها (متران)، على حسب تقديرهم، وقالوا بأن العدو لم يطلق النار عليهم حتى الآن.

طائرات الهيلوكبتر تطلق نيرانها من بعيد على حواف الجبل لكن بلا تركيز ثم هبطت خاف

الجبل من جهة المدينة ربما لحمل جرحى وقتلى أو لنقل بعض الذخائر إلى المدافعين رغم أن عندهم ما يكفى.
طائرات الأنتينوف القاذفة تحلق فوق السحب السوداء بدون أى أمل لها بالمشاركة وهى عمياء فى ظلام السحب، ولكنها ظلت فى السماء طوال الوقت ، ربما لبث الطمأنينة فى نفـ ـ ـ وس المدافعين ، إذا شعروا أن الطائرات قريبة منهم.
الساعة 4.42 إجتاز المهاجمون من الحافة الشرقية حاجز الألغام، وتبادلوا مع خط الخنادق الأول للعدو الرماية بالقنابل اليدوية.
وبينما يقوم (جولاب) بإبلاغ حقانى الرسالة، إذ أحد المجاهدين يصيح فرحاً (تورغار ختم تورغار ختم) فنهره حقاني بشدة وقال إن ذلك غير صحيح، فقد رأى أن إذاعة خبر بسقوط تورغار والمعركة فى نقطتها الحرجة قد يسبب إضراباً فى سير العمل، فقد يطلق كثيرون النار فى الهواء إبتهاجاً، بينما العدو فى خنادقه صامداً، والدبابات قد تتوقف عن قصف المواقع الدفاعية والإدارية للعدو فوق الجبل ظناً منها أن المجاهدون قد وصلوا.
وسنعود مرة اخرى إلى قصة الجانب الشرقى ، وراوية المهاجمين لما حدث فى تلك اللحظة الحرجة، لحظة الهجوم على الخط الدفاعى الأول من خنادق العدو ، والذى قام به جماعة البدو (الكوتشى) بقيادة جولاب، صخرة الدفاع وسيف الهجوم.
الساعة 5.50: ضغط الهجوم كله من جهة جولاب بينما جهة الغرب حيث الدكتور نصرت ا خامدة لدرجة كبيرة، وكان يساعد نصرت ا مجموعة من طلاب العلم في قندهار يقودها القائد الشجاع (ملا شاه زاد) الشهير بإسم ملا قندهارى. واضح أنه بعد تجربة الهجمات السابقه والتى كانت كلها ، على مر السنين ، تتم من الجناح الغربى أن العدو قد ركز معظم قواته على هذا الجناح. لذا يمكن توصيف ما حدث هذه المرة أن المهاجمي من جهة الغرب قد جمدوا معظم قوات العدو، حتى تمكنت قوة جولاب الأصغر حجماً من إقتحام دفاعات العدو الشرقية والتقدم فوق الجبل مثلما يفعل السكين فى قالب الزبد حتى تضيف جماعة الكوتشى الشهيرة ، جماعة الشهيد منان ، أضافة أخرى إلى سجل لا يضاهى من الأمجاد القتالية .
أفاد رجال الكوتشى الذين إقتحموا الجانب الشرقى من تورغار أن هجومهم ذاك كاد أن يفشل، لأنهم عند إقترابهم من خط الألغام الذى يلى خنادق العدو مباشرة، وكانوا قد نزعوا معظم ألغامه ليلاً ولكن ليس كلها ، وعند تقدمهم للإقتحام الأخير كشفهم العدو وهم على حافة حقل الألغام فأصلاهم ناراً حامية من البنادق الآلية والرشاشات الخفيفة، ثم رمى قنابل يدوية بكثافة غير معهودة ، ولاحظ رجال الكوتشى أن القنابل إما أن تسقط في الوادى العميق أو تسقط إلى جانبهم ولكنها ترتد مثل كرة المطاط لتعود مرة أخرى إلى خنادق العدو لتنفجر هناك. ومع ذلك ظلوا جامدين خلف الصخور، إلى أن قام منهم رجل عجوز أبيض الشعر واللحية، مشهور بينهم بالبساطة الشديدة وقلة الكلام، قام ذلك الرجل وضرب خنادق العدو بقذيفة RBG فقتل ضابط الموقع ويدعي (عبد ا خان) من قبيلة تاناي فهرب باقي العسكر، ثم عبر حزام الألغام بسلام وقفز داخل خنادق العدو، فإشتعل حماس الشباب ومرقوا خلفه مثل الشهب فى سماء مظلمة وقفزوا إلى الخنادق، وقتلوا من فيها، وتابعوا من هرب من الجنود، وكانوا 30 جندياً وواصلوا التقدم صوب باقى المواقع حتى تم فتح الجبل كله.

وفى نهاية المعركه سألوا الرجل العجوز عن السبب وراء إندفاعه العجيب المفاجئ، فقال لهم ببساطة: لما رأيت القنابل اليدوية تتساقط علينا مثل المطر، ولكنها ترتد على العدو مرة أخرى وتتفجر عنده أدركت أن ا قد أنزل الملائكة لنصرتنا فإندفعت نحو العدو وأنا موقن أنهـ ـم مهزومين وأن شيئاً لن يضرنا، يدعي ذلك البدوي العجوز"أكبر محمد".

الساعة 5.11 الطرف الشرقي من الجبل فى قبضه المجاهدين تماماً، ومن هناك يقصف المهاجمين بالرشاشات الثقيلة قصفاً عنيفاً للغاية على باقى المواقع المعادية فوق الجبل متجهين صوب الغرب.

الساعة 5.15: تقرير لحقانى من المجموعات المهاجمة فوق الجبل، كلها، بأن مقاومة العدو فوق الجبل أصبحت ضعيفة جداً. بدأت عملية تطهير المواقع ممن تبقى بها، وأكثر الأحياء لاذوا بالفرار إلى الشقيق التوأم لجبل تورغار والواقع إلى الشمال والمرتبط به بحبل سرى، أو ما يطلق عليه "سرج"، وهذا التوأم الأصغر يدعى (**ورا تورغار**) أى تورغار الخلفى.

الساعة 5.50: تقابل المهاجمون المتقدمون من الشرق مع المهاجمين من الغرب فوق ظهر الجبل، لقد وقع تورغار أخيراً فى أيدى المجاهدين بعد سنوات طويلة ومريرة منذ فقدوه آخر مرة. لقد فتحوا تورغار، وأصبحت المدينة نفسها قاب قوسين أو أدنى من الفتح، ولكن ذلك لم يحدث بالسرعة التى كنت أتوقعها.

سألنى الصحفى البريطانى (تيم) عما حدث، فقلت له: لقد إستولى المجاهدين على تورغار، وإجتهدت أن أبحث فى وجهه عن أى إنفعال فلم أعثر على شئ فشعرت بالغيظ، ولكننى تماسكت أمام ذلك اللوح الجليدى القادم من بريطانيا العظمي، التى ذاقت فى أوائل هذا القرن ما يذوقه السوفييت والشيوعيين فى أواخره على أيدى نفس هذا الشعب الخارق.

ثم سألنى ببرود: تقول أن تورغار هو مفتاح مدينة خوست فمتى تتوقع أن يتم إستيلاء المجاهدين على المدينة.

فرددت عليه: من المفروض الا يزيد ذلك عن شهر.

لقد أخطأت فى تحديد ذلك الموعد، لأن المدينة فتحت بعد ذلك بحوالى ثلاث عشر شهرا ونصف.

وقد قابلنى تيم بعد ذلك بعدة أشهر فى بشاور، وكان يتذكر بدقة ما قلته له من أن المدينة يمكن أن تفتح خلال شهر، وسألنى بشماتة لاتخفى: لقد قلت أن المدينة سوف تفتح بعد شهر، فماذا أخّر الفتح حتى الآن ؟.

فرددت عليه قائلاً: إن تدخل أمريكا وباكستان هو السبب. ثم ذكرت له بعض مجهوداتـ ـهم لإفساد فتح خوست.

****

التقرير الأول عن خسائر المهاجمين هو شهيد واحد ولا جرحى، وبعد ساعة جاء تقرير آخر متضارب يقول الخسائر ثلاثة جرحى ولا شهداء . فى اليوم التالى كان التقرير النهائى هو شهيد واحد وثلاثة جرحى .وسبب التضارب، إن وجد، أن التقرير الأول لأحدى المجموعتين وهو شهيد واحد بلا جرحى والتقرير الثانى للمجموعة الثانية وهو ثلاثة جرحى بدون قتلى.

كانت تلك الخسائر المتدنية مفاجأة كبرى ومدهشة إلى أقصى حد أن يتم تحقيق هذا الإنجاز الفائق بهذا القدر الذى لا يكاد يذكر فى الخسائر.

ولابد من الإشارة هنا إلي أن دقة الإعداد وتوفير الوسائل اللازمة للعمل وإكتساب الخـبرة الكافية فى إدائه هى من أعظم أسباب النصر ، وقبل كل ذلك هو ذلك التأييد الإلهى الذى لا يمكن تصويره بالقلم أو اللسان. فحالة الطقس مثلاً، من غيوم تحجب الرؤية فتمنع الطيران والمدافع المعادية، ثم تعود فتنكشف قليلاً فتساعد المهاجمين علي تبين الألغام وأسلاك الإعثار المنبثه فيما حولهم.

حتى فشلهم فى السنوات الماضية فى الهجوم من طرف واحد هو المنحدر الغربى، قد إستدرج العدو إلي الإطمئنان التام هذه المرة أن الهجوم قادم لامحالة من نفس الطريق فركز دفاعات كلها ، أو معظمها ، فى ذلك الإتجاه، فتمكن جولاب من شق طريق من جهة الشرق بسهولة لم تكن متوقعة، رغم أن الجميع كان يتوقع أن الشرق هو محور ثانوى للهجوم فجاء العكس.

الساعة 6.07 : طائرة أنتينوف تحلق وتقصف بعيداً. السماء إنقشعت وظهر ضوء النجوم واضحاً، كان ذلك عظيم النفع للمجاهدين فوق الجبل ومكنهم من معرفة طريقهم فوق الجبل وفى غابة الخنادق حوله وفى (الدشم) المحصنة والمسلحة خاصة من الطرف الغربى، ثم المخازن الإدارية فى الطرف الشمالى، وبها غرف مليئة بالطعام والذخائر، والأهم من ذلك مراقبة العدو الذى قد يحاول شن هجوم معاكس فى نفس الليلة قبل أن يستحكم المجاهدون فوق الجبل.

الساعة 7.00 : سقطت ثلاث صواريخ سكود متتالية حول جبل تورغار. ثم صاروخين آخرين فى تودة شنى ، جنوب تورغار.

خمسة صواريخ سكود دفعة واحدة، كانت حفلة إبتهاج بفتح تورغار ولكن إطلاق النار التقليدى فى مثل تلك المناسبات، قامت به الحكومة وليس المجاهدين . ولم توقع أية خسائر من جراء ذلك القصف.

ملاحظه: ثمن صاروخ سكود فى ذلك الوقت هو مليون دولار أمريكى، وقد أطلق العدو فى تلك المعركة سبعة صواريخ سكود ، بينما أطلق صاروخين فقط فى محاولة يناير الماضى التى لم تنجح.

أخيراً غادرنا حقانى متجهين إلى مركز خليل فإلى هناك سوف تأتى وفود العائدين من المعركة، مع الأسرى والغنائم، ثم مشاورات عن الخطوة التالية حيث من المفروض ، حسب قول حقانى ، الإستيلاء على (ورا تورغار) ، فقد قال لى : لا فائدة فى تورغار إذا لم نمسك (ورا تورغار) ، لم أكن أدرك تلك الأهمية قبل ذلك وأن كانت منطقية تماماً، فالجبلان فى الحقيقة جسد واحد متصل.

وأى قوات قادمة من المدينة لشن هجوم مضاد لابد لها من الإرتكاز على (ورا تورغار) ، إذن المعركه لم تنته بعد !!.

لم أغادر مع حقانى لأننى توقعت معركة فوق الجبل فى هذه الليلة. وفى الليل إتصل بنا حقانى تلفونياً وقال أنه منتظر وصول الأسرى للتحقيق معهم والبحث عن الشيوعيين من بينهـم. وأضاف إنه سيكون عندنا غداً ففهمت أن المعركة سوف تستأنف فى الغد.

لم أستطع النوم الا فى ساعة متأخرة، فرحاً بما حدث، هائماً مع التوقعات.

السبت 17 فبراير 90

لم أكد أستغرق فى النوم حتى صحوت فزعاً على صوت إطلاق نار كثيف وقذائف.كنت متأكداً أن مصدرها (تورغار) فقد كنت أتوقع هجوماً ليلياً من جانب قوات الحكومة، فتحركهم

بالنهار نحو الجبل سيكون إنتحاراً، وليس أمامهم إلا الليل، بل هذه الليلة تحديداً قبل أن يستحكم المجاهدون فى خنادق الجبل ويحفرون مواضع جديدة فى مقابل المدينة. كانت الساعة الرابعة صباحاً.
إنقطعت الرمايات فجأة، وطمأنت نفسى بأنه لاشئ مهم، وأن عبد العزيز نائم الآن فلا أحد عنده خبر بما حدث، فنمت مرة أخرى.
فى الصباح سألت عبد العزيز عما حدث فى الليل فقال : (خير خيرت) ، فأكدت عليه بالسؤال عن أحوال المجاهدين فوق الجبل فأجابنى بنفس الجملة.
فى السابعة سمعنا طلقتى RPG فوق الجبل (تورغار) ثم قصف مدفعى شديد من الوادى ضد الجبل وما حوله ثم زخات من الرشاشات الثقيلة والخفيفة، طائرات الهيلوكوبتر أطلقت الصواريخ بغزارة ضد (تورغار) فطمأننى ذلك لأن معناه أن المجاهدين متمسكون بقوة بالجبل.
الجو غائم، وتعليقات المجاهدين على أجهزة اللاسلكى مليئة بالمرح والسعادة.
وفى الثامنة والنصف صباحاً إتصل بنا حقانى تلفونياً فقال بأن العدو حاول صباح اليوم الهجوم على تورغار وإستعادته، ولكن المجاهدين كانوا فى أتم الإستعداد، وكانت الذخائر والأطعمة والمياه متوفرة لديهم وأن العدو جوبه بنيران قوية من الجانبين أدت الى سقوط الكثير من القتلى والجرحى (بالمئات حسب قوله) وفر كثيرون منهم نحو المدينة، وإعتصم بعضهم فى جبل تورغار الخلفى (ورا تورغار) وأن المجاهدين سوف يتقدمو للإستيلاء عليه.
<u>الساعة 8.35</u>: رغم الغيم الكثيف فإن طائرة انتيوف ألقت قنابلها من إرتفاع عال حول جبل تورغار ، ولكن بلا أي تأثير.
تزايد الغيم، والمطر خفيف وريح باردة جداً، عدد المتواجدين معنا على ظهر الجبل قل كثيراً.
واضح أان اليوم لا يمكن شن هجوم جديد ضد (تورغار الصغير) .
<u>الساعة 10.10</u>: هبطت فجأة فى المطار طائرة نقل عسكرية . كانت مفاجأة مذهلة فى وقت وظروف غير متوقعة، (باتشادينا) مشتبك فى رماية متبادلة مع راجمة صواريخ كبيرة من طراز BM-41 هبطت الطائرة من الطرف الغربى ثم مكثت فى النهاية الشرقية للمدرج أقل من دقيقة ثم إستدارت وأقلعت ، وكتبت فى مذكرتى وقتها: لا أدرى ما هى المهمة التى يمكن إنجازها فى هذا الوقت القليل؟.
<u>الساعة 10.36</u>: كانت الدهشة أشد فى المرة التالية، إذ هبطت طائرة كالعادة من جهة الغرب وما أن وصلت إلى الطرف الشرقى حتى إستدارت وأقلعت، لم يستطع أحد أن يخبر جماعة المدفعية، سألت نفسى : ماذا يحدث ؟؟
ولابد هنا ، للحقيقة ، أن أشيد ببطولة وفدائية الطيارين الأفغان، وسيمر معنا مثل ذلك في معارك قادمة .ولقد رأيت بعض هؤلاء الطيارين بعد نهاية الحرب، ولا أظن أن هناك من هم أكثر إستهتاراً بالموت منهم، وهى سمة عامة فى معظم الشعب الأفغانى.
فيما بعد قال حقانى أنه يظن أن تلك الطائرات قد أحضرت شخصيات هامة من كابول ، وربما كان ظنه صحيحاً لأنه بعد قليل سيظهر على ساحة الأحداث فى خوست، الجنرال عجب مزارى الرجل الشرير والقائد السابق لجبل تورغار.
كان هبوط الطائرتين بهذا الشكل، مثل صفعتين على القفا، فى هذا الصباح البارد والمعتم.
لكن نسمة منعشة هبت علينا هذا الصباح حيث شاهدنا عددا من الأطفال يصعدون الجبل إلينا، كانت ملابسهم خفيفة وممزقة أو مرقعة أحياناً.وقفت مع حاجى إبراهيم نتأملهم ونتسائل كيف

وصلوا إلى هنا، فلم تكن سيارات المجاهدين تتحرك هذا الصباح خاصة بالقرب منا.
وصلوا إلينا وصافحونا، وقالوا إنهم طلبة فى مدرسة العلوم الشرعية"منبع العلوم" فى ميرانشاه، وقد سمعوا بالأمس أن المجاهدين قد فتحوا جبل تورغار فجاءوا سيراً علي الأقدام (حوالى 30 كيلو متر) كي يتأكدوا من الخبر ويشاهدوا المواقع التى فتحها المجاهدون.
تأثرنا بما فعله هؤلاء الأطفال، ورحبت بهم وكذلك فعل إبراهيم وعبد العزيز وعدد آخر من رجال الموقع، وسمحوا لهم بإستخدام المناظير وشرحوا لهم المواقع التي يشاهدونها، وذكروا لهم أحداث الأمس فوق تورغار، ثم قدموا لهم الشاى والخبز.
جاء الصحفى (تيم) هو الآخر يستطلع أخبار هؤلاء الأطفال، فشرحت له قصتهم، وسألته عن دلالة أن يسير أطفال صغار فى هذا السن كل تلك المسافة وسط الجبال فى جو ممطر بارد، فقط من أجل الإطمئنان على أخبار المجاهدين، وفرحة بإنتصاراتهم؟.
لم تصدر منه كلمة أعجاب أو مجرد بسمة للأطفال ، أنه محايد جداً بلا شك ، محايد لدرجة جعلتنى أتمنى قذيفة عنقودية تريحنا منه ومن كل صحافة بريطانياً التى كانت ، ولن تعود ، عظمى.
<u>الساعة 11.30 :</u> وصل الشيخ حقانى إلى مركزنا فوق الجبل، وإتصل بالمخابرة مع أخيه خليل قائد الدبابة الشهيرة ، وصاحب الدور البارز فى تحطيم مقاومة تورغار ، وأفاد خليل أن أوضاعهم ممتازة، وأوصى بالإهتمام بالإمدادات خاصة للمجاهدين فوق الجبل.
جلست أتحدث مع حقانى بالنسبة لمشكلة الإمدادات، فقلت له أن العدو لن يسلم بسهولة بضياع تورغار، لأن معنى ذلك أن المدينة قد فلتت من بين يديه إن عاجلاً أو آجلاً، وأن معركة تورغار قد يكون الفيصل فيها هو القدرة على إمداد الجبل بالمقاتلين والذخائر والطعام والمياة، وأن العدو مازال أقدر علي ذلك لأنه خلال السنوات الماضية قد مهد طريقاً للإمداد من خلف الجبل، بينما نحن لانمتلك سوي مدق ضيق وخطير يمر وسط ألغام كثيفة جداً، بحيث أن خطوة واحده خارج المدق قد تعنى الموت، أو بتر القدم على الأقل. وقلت له أن أهم ما يجب عمله الآن هو شق طريق للسيارة حتى قمة تورغار، وأن يبدأ الطريق من الطرف الغربى ويهبط من الجانب الشرقى، وبهذا يمكن لنا إمداد الجبل من قاعدتين قويتين للمجاهدين وهما بورى خيل ، إلى الغرب وتودة شنى ، إلى الشرق.
لم يكن حقانى فى حاجة لمن يذكره بأهمية الطرق فى الجهات، وخاصه بالنسبة لهدف جوهرى مثل تورغار. وبالفعل بدأ بعد أيام فى دفع كل قواة نحو شق طريق إلى القمه فى تورغار ، وتحت أقصى الظروف من الغارات الجوية التى لاتكاد تتوقف. وقد ساعده عدد من الفدائيين الحقيقيين من سائقى البلدوزرات، وعمال الحفر والتفجير. وخسر عدد من السيارات والجرحى ولكنه نجح فى النهاية فى شق طريق ممتاز، ولكنه لم يستطيع أن ينزل به إلى جهة الشرق لأن تضاريس الجبل لا تسمح بذلك بغير أن يتعرض الطرق لنيران العدو القادمة من الوادى إذ لا بد أن يمر الطريق من خط الأفق فوق الجبل وليس فى السفح الجنوبى المخفى عن العدو. عامة كان نجاحاً هندسياً وعسكرياً باهراً أكد سيطرة المجاهدين علي تورغار وماحوله.
<u>الساعة 2.17 :</u> بعد أن صلينا الظهر قرب قمة الجبل، جاء الخبر من ميرانشاه يقول بأن الأحزاب شاركت حقانى فى فتح الجبل، ولكنه دفع لهم مبلغ ثلاثة ملايين روبية حتى يتركوا له الجبل كى ينفرد هو إعلامياً بالإنتصار. كانت الكذبة واضحة لمن هو داخل الجبهة، أما فى الخارج فلا أحد يستطيع أن يجزم بما حدث. كانت طعنة خبيثة من أحزاب بشاور التى لا

تقصر فى سكب أطنان من الدهان الأسود، فوق حقانى وجميع أعماله، حتى إنتصاراته الباهرة التى تستحق الإشادة والتمجيد.
كان التنسيق داخل جبهات باكتيا عامة وخوست خاصة يسير علي أفضل شكل ممكن فى مثل تلك الظروف ، وبأقل قدر من الإحتكاك حتى أنه لم يحدث صدام مسلح واحد طوال مدة الجهاد علي أساس حزبى. ولكن التنسيق فى المعارك كان يتم خارج نطاق الأحزاب وبتفاهم مباشر بين المجاهدين فتسمى بعدئذ بالعمليات المشتركة ، بينما الأحزاب وقيادتها فى بشاور لم تكد تسمع قبلاً بوجود مثل ذلك التنسيق ،ولو علمت فالفشل قادم لامحالة إذ تبدأ الضغوط والرشاوى ومؤامرات توريط الأخرين خاصه قادة الميدان البارزين ، وبالذات حقاني وزملائه.
سألت حقانى عن عدم إشتراك أحد من الأحزاب الأخرى في معركة (تورغار) فرد قائلاً : إن أحداً لا يتحمل معركة بهذا الطول، لقد إستمر الحصار ثلاثه أشهر متوالية. ومن جهتى يمكن أن أضيف أسباب أخرى منها: أن تجارب الهجوم على تورغار منذ عام 1984 قد باءت جميعاً بالفشل، وأسفرت فقط عن قتلي وجرحى، مع إهدار المال والذخائر ثم إتهامات متبادلة وخصومات بين المجموعات المشتركة في العملية .
السبب الثانى: أن تورغار إكتسب نتيجه لذلك هيبة فى النفوس وكان إسمه كفيلاً ببعـث القشعريرة فى أبدان المجاهدين.
السببب الثالث: هو أن الإستخبارات الباكستانية تجد الباب واسعاً للتدخل فى العمليات المشتركة وهى عادة عمليات كبيرة. وقد كانت هى السبب فى إفشال عدد من الهجمات على تورغار لأن إستيلاء المجاهدين عليه يعنى وضع رقبة المدينة فى قبضتهم،وهو ما يتعارض مع سياسة سادة باكستان، أى الولايات المتحدة.
كانت الخطوة التالية والضرورية لإسقاط خوست هو إغلاق مطارها بشكل نهائى مستفيدين من موقع تورغار وما يوفره من مزايا لهذا العمل ، ولكن سنرى كيف أن المخابرات الباكستانية بذلت جهدها لمنع ذلك.
كانت ما تريده باكستان هو عض أصابع نظام كابل فى خوست حتى تصل معه إلى شروط تساومية أفضل. بينما كانت مصلحة المجاهدين هى ، إبتلاع خوست ، لينهار نظام كابـل فيفرض المجاهدون نظامهم الخاص.
وسوف يمر علينا لاحقاً كيف بذلت المخابرات الباكستانية كل وسعها لمنع إغلاق المطار ثم بذلت جهوداً جبارة لمنع فتح المدينة.
أخبرنى حقانى أنه قد إحتاط كثيراً فى إظهار الفرحة والإبتهاج بفتح تورغار، فقد قال عند إعلان النبأ: لقد إستولينا على تورغار الكبير والمعركة مستمره علي تورغار الصغير. لقد أعجبنى كثيراً تصرفه هذا، فهو يدل على التواضع من جهة، وعلى الواقعية من جهة أخرى فمهما كانت معرفته بضعف العدو فى خوست، فإن خطورة ما حدث تجعل من المجازفة إفتراض أن العدو سيسلم بالأمر الواقع بسهولة. على الأقل يمكن توقع أن يحدث مثلما حدث فى دراجى منذ عدة أشهر بأن يتم تداول الموقع بين الجيش الحكومى والمجاهدين حتى يستقر الوضع لصالح المجاهدين فى نهاية الأمر.
قال حقانى: نحن مستعدون للهجوم بعد وقت قصير.لقد ناوش المجاهدون تورغار الصغير ودمروا بعض مواقعه الدفاعية ،" البوسطات" ، فطلب المدافعون إرسال دبابه إليهم لدعمهم. ونحن بدورنا سنرسل دبابة إلي توده شني لندعم بها مجموعة جولاب كى تهاجم تورغار

الصغير ، كذلك طالبنا مئتى مجاهد من كتيبتى سلمان الفارسى، والعمرى ولن نستخدم قواتنا فوق تورغار للهجوم حتى تبقى دفاعاتنا قوية فوقه تحسباً للطوارئ.
كان حقانى يسير بحذر ولم يستخفه الإنتصار الكبير.
قرب العصر حذرنا عبد العزيز من أن الطائرات النفاثة قادمة للقصف لكنه لا يعلم أين . كان يتتبع محادثات خوست مع كابل. بعد دقائق ظهر صوت طائرة نفاثة، وعبد العزيز يتابع حديث الطيار مع القيادة الأرضية في خوست، قالت له القيادة: أنت الآن فوق الهدف، أرمى حمولتك.فرد الطيار فى براءة ، ولم تكن الحكومة قد إذاعت خبر فقدها لتورغار : ولكننى فوق جبل تورغار !!. فردت عليه القيادة: لم يعد هناك تورغار. . إقصف.
فإستفسر الطيار بعصبية: ماذا تعنى بقولك ؟ ، هل إنتهى تورغار؟؟ ، ثم أصابته نوبة من الهياج وأخذ يهذى ويصرخ: لقد بعتموه لهم. . أنتم بعتم تورغار ضاعت خوست. . ضاع كل شئ. ثم دار بطائرته دورة واسعة ثم عاد في إتجاه تورغار وأفرغ شحنة ضخمة من القنابل العنقودية، ولكن بعيداً عن أى هدف، ثم إختفى بطائرته وسط السحب الداكنة.
أثار الحادث الإبتهاج والفرحة بين صفوف المجاهدين، فالعدو يعيش أزمة عنيفة تطال ما تبقى لديه من روح معنوية.
ولكن لم نلبث أن أصبنا بصدمة وعمنا الحزن والوجوم حين وصلنا نبأ إستشهاد (بوستان) الكوتشى، الذى كان يعمل على مدفعه فى مبارزة مدفعية مع العدو، حين سقطت قذيفة على هضبة قريبة منه فأصابته شظية فى رأسه فقضى نحبه علي الفور، لقد عم الحزن جميع المراكز حتى نسى المجاهدون إنتصار تورغار ، ولو إلى حين.
ثم وصلنا إسم شهيد تورغار الوحيد يوم الفتح ، أنه الكوتشى (طالب جولاب) ، فهل يهتم أحد من سكان الأرض بهذا الإسم؟ ولكن يكفيه أن ا أعلم به وبما فعل.

****

أسقطت الطائرة على المدينة بعض الإمدادات بالمظلات، وكان أهمها براميل البترول ، وقد أخذ الهواء عدد من تلك المظلات إلى مواقع المجاهدين، فأخذوها غنيمة إلى جانب غنائم جبل تورغار التي وصلنا إحصاء عنها كالتالى:

عدد 2 مدفع مضاد للطائرات (شلكا) عيار 23 مليمتر.
عدد 3 قاذف قنابل يدوية (نارنجاك).
عدد 3 دبابة منها واحده فقط يمكن إصلاحها.
عدد 13 قاذف RPG .
عدد 3 رشاش ثقيل (جبلى) عيار 14.5 مليمتر (زيكوياك).
عدد 14 هاون من عيارات مختلفة.
عدد 60 بندقيه كلاشنكوف.
عدد 1 مدفع جبلى عيار 76 مليمتر .
عدد 1 جرينوف 7.62 مليمتر.
عدد 1 قاذفة صواريخ سلكية مضادة للدروع.
عدد 2 رشاش خفيف.
عدد 1 رشاش وسط (دشكا).

:::::::::::::::::::::::::::::::
:::::::::::::::::::::::::::::::

الأحد 18 فبراير 90

يوم مشرق بدأت فيه غارات الطيران مبكراً فعمل الطيران بعنف بالغ، ولم تكد الطائرات تتوقف عن قصف تورغار بشكل مستمر.

وفى مركز خليل عقد حقاني إجتماعاً مع قادة الميدان لمناقشة معارك تورغار والتخطيط لمعركه (ورا تورغار) القادمه.

ثم وصلت أفواج الأسري، وكانت دفعة كبيرة من الجنود وبعض الضباط تم أسرهم فوق الجبل، كان من بينهم ضابط في حوالي الثانية والعشرين، قوي البنية مثل بغل إسترالي، ذو ملامح غليظه بليدة.وكان موضع إزدراء وكراهية الجنود، والضباط القليلون الذين أسروا معه. كان من منطقة جاجى ومن قبائل منجل، ويظهر أنه كان الحزبي الوحيد فى المجموعة.

إشتكى الجنود أنه كان يتحسى الخمر كثيراً وكان يعاملهم بقسوة.

وإعترف هو بأنه تلقى تدريبه في الإتحاد السوفيتى، لم تكن الجلسة للمحاكمة لذا لم يقتل ذلك الضابط رغم الكراهية التى أحاطت به من كل جانب.

لكن جندياً أحمقاً أثار ضحك الجميع فخفف المخاطر عن الضابط الكريه. كان الجندي مشهوراً بين زملائه ببساطته المتناهية لذا كانوا يضحكون كلما بدأ الكلام.وكان يقف أمام حقاني مشدود القامة بأكثر مما ينبغي لدرجة أنه كان مقوساً إلي الخلف بشكل يدعو للسخرية، كانت يداه في خشونة لحاء شجرة معمرة.

ومن وقفته العسكرية المضحكة كان يجيب علي أسئلة حقاني الذى سأله متحبباً إليه:

أيهما أفضل المجاهدين أم حكومة كابل؟. فأجاب ذلك الفلاح الفصيح بعكس ما كان متوقعاً، أى الإجابة التى يجيب بها الجنود عادة عندما يقعون في الأسر بأن المجاهدين أفضل بالطبع.

وبدلاً عن ذلك أجاب الجندى المقوس: كلاهما جيد يا سيدي العالم.

فأجابه حقاني مندهشاً: كيف أن كلاهما جيد ؟.

فأجاب الجندى: لأنهم مسلمون ومن الأفغان ياسيدى!.

فضحك الجميع بما فيهم حقاني، الذي لقنه درساً طويلاً بدأه بقوله:

كيف تقول ذلك أيها الأحمق ألا تعلم أن حكومة كابل شيوعية.. إلخ.

كان الجندى مرتبكاً والجميع يضحكون من حوله حتي زملائه، وفى الأخير إعتذر عن غلطته وألقى باللائمة على ضباط وحدته الذين كانوا يلقونه أشياء مخالفة لذاك.

لم يمكث هؤلاء الجنود في الأسر طويلاً وأخذ كل منهم مئتى روبية باكستانية لإعانته على العودة إلى قريته، أما الضباط فلم أسمع عنهم بعد ذلك.

كان هناك فارون من الجنود فى (ورا تورغار) وكان عددهم حوالى الأربعين، حملوا معهم 3 كلاشنكوف، وعدد 2 قاذف صاروخى RPG وعدد 2 جرينوف.

أجريت أحاديث مطولة مع الفارين والأسري، وكان أفضل من أفادني هو الضابط "ضياء محمد"، 25 عاما ، من هيرات. وقد فر من موقع (ورا تورغار) وقت هجوم المجاهدين علي تورغار الكبير.

وقد درس ضياء حتي الصف الثاني عشر ، تدرب فى كابل سته أشهر وتخرج ضابطاً. قال أنه يعلم بوصول تعزيزات إلي خوست، وهى جزء من الكتيبة 33 التابعة للفرقة 17 في هيرات، وجزء من لواء (جاردخاص) من كابل ، وهو من قوات الصفوة وأعضاؤه حزبيون، و جزء

من فرقه 18 المتواجدة في مزار شريف، هذا بالإضافه إلى فرقه 25 المتواجدة أصلا فى خوست، وقوات (داو طلب) أى المتطوعين. وعن قطع المدفعية التى إستطاع أن يحصيها من موقعه أثناء الخدمة، قال أنه أحصى 4 راجمات صواريخ BM-41 وأربع مدافعDC عيار 122 مليمتر، وأربع مدافع جبلية عيار 76 مليمتر، وقال بأنه فى المدينة طائرتى هيلوكبتر طراز (مى - 24) إنفجرت إحداها وبقيت واحده فقط.

وأكد أن الحاله الغذائية فى المدينة متردية وكذلك الخدمة الطبية التى لا يلقي الجنود شيئ منها، وأن قائد المخابرات (خاد) فى المدينه ويدعي (رحمت شاه) هو المسئول عن عمليات التهريب من باكستان وأهم ما يركز عليه هو البترول والطعام.

وقال بأن القيادة العسكرية في المدينة منقسمة على نفسها بين (خلق) و(البارشام) وكل فريق يحاول دعم موقفه وتقوية نفسه فى مقابل الفريق الآخر، ولكنه أكد أن كلا الفريقين مصمم علي القتال حتي النهاية، رغم كلامهم الكثير عن الوفاق والصلح.

الاثنين 19 فبراير 90

في وقت الضحي كان مركز خليل يضج بالنشاط، وعسكر من الفارين يقومون بكل همة بتنظيف صواريخ كاتيوشا من التراب والشحم تمهيداً لتوزيعها على الخطوط الأولي.

وسيارات البيك آب تأتى لتحميل الذخائر من المغارات المحيطة بالمركز ثم تذهب مسرعة.

وعلي بعد أمتار من المركز هناك دبابة وصلت بالأمس وهي مغطاه بغطاء من قماش عسكرى سميك، بينما دبابة أخرى يعمل بها طاقم الإصلاح الذين غطاهم الزيت الأسود والأتربة حتى صاروا كأشباح مخيفة ولايحاول أحد مصافحتهم. ومخبز المعسكر قد إزداد نشاطه وتعزز عدد العاملين فيه، فالجبهة كلها تأخذ خبزها من هنا ثلاث مرات يومياً. فهو إذن لايكاد يتوقف غير ساعة أو إثنين أثناء النهار، والعديد من المراكز يعتمد على مطبخ مركز خليل في كامل الوجبات ، مثل مركز الترصد مثلاً.

ورغم الأمطار والطين والبرد فى أيام الشتاء إلا أن الأعمال الإدارية كانت تسير بشكل جيد ، على الأقل كانت الشكاوى نادرة . وجزء من الفضل فى ذلك يعود إلى التوفيق فى العمليات الذي ينسى الناس الجوع والتعب، وحتى عدم توافر الأغطية في ليل خوست القارس.

لكن اليوم مشرق وجميع الدلائل تشير إلى أن عملية ما على الأبواب. ولم يكن هناك أكثر أهمية من الجبل المتبقي أى (ورانورغار) الذى جعل الإنتصار الضخم يوم الجمعة الماضى معلقاً بين السماء والأرض.

كانت إحدى سيارات البيك آب فى طريقها لنقل طعام وذخائر إلي موقع دبابة خليل الشهيرة، فوجدت من المناسب زيارة تلك الدبابة الرائعة وموقعها العجيب. ورأى الصحفى البريطانى (تيم) أنها فرصة مناسبه أيضاً أن يقوم بزيارة إلى موقع فى الخطوط الأولى قبل مغادرته إلى ميرانشاه اليوم. تحركت بنا السيارة المكدسة بالمجاهدين والصناديق والخبز وأوعية الطعام.

بعد حوالى ساعة كنا في"بورى خيل"حيث مركز" نصرت ا " قائد كتيبه سلمان الفارسى.

وهو مركز ضخم ملئ بالمغارات وأمامه ساحه متسعة بين الجبال، وتفصله عن وادى خوست القريب عدد من التلال المنخفضة، وعلى مسافات غير بعيدة عدة مراكز مدفعية وراجمات صواريخ للمجاهدين، لكل منها مغارة أو أكثر تستخدم للمبيت وتخزين المهمات، أو للاحتماء من الطيران وبالفعل فإن مجموعات المدفعية التى تكاسلت عن حفر المغارات وإستعاضت عنها ببيوت طينية ،كما فعلت إحدى المجموعات، أو تلك التى بنت مغارة غير مناسبة، جميعها

أصيبت بخسائر في الأرواح غير الجرحى.
ـ بعد دقائق أصبحنا في الوادى الفسيح بلا أى عائق جغرافى عن المدينة، هناك القلعه العتيدة على هضبه متون التى أصبحت لدينا رمزا لمدينه خوست، مثلماهو برج إيفل بالنسبه لباريس.
إنحرفت السائق صوب الشرق ومضى بأقصى سرعة ممكنه، وقال بأن سيارة قد تحطمت هنا منذ أيام بقذيفة دبابة. لم يكن ذلك مطمئناً بطبيعة الحال. كانت سحابه الأتربة خلفنا تمتد لأكثر من كيلومتر وترتفع لعدة أمتار.
كان طبيعياً أن يرسل لنا العدو قذائف الترحيب، وهو ما حدث فعلاً ولكنه أرسلها إلى المركز لذى نقصده.
كنت أحمل عدة قتال كاملة فسألنى تيم عن السبب فقلت له:
"لأننى إذا وقعت في الأسر فسوف يقتلوننى فوراً، أما أنت فسوف يطلق سراحك خلال إسبوع لأنك أوروبى".
ذهبت إلى دبابة خليل أتفحص موقعها، كانت تحت جرف يحجبها عن أعين العدو فى الوادى، ولكنها ظاهرة تماماً للعدو فى تورغار وما خلفه. لم يكن يحيط بها أى تحصينات تذكر، كانت ببساطة.. واقفه تحت الجرف!!.
فى ظنى أنه كان يمكن عمل الكثير بالنسبة لدبابة مستهدفة من الجو ومن الهاون، كأكثر من أى هدف آخر في كل الجبهة. ولو أن ذلك قد حدث فلربما وفرنا فى عدد القتلى الذين تساقطوا حولها، سواء من الأطقم أو المساعدين.
وعلى أيه حال فإنه فى دبابة فى مثل ذلك الموقع لا يمكن أن يصمد فيها بشر عاديون، يكفى فقط عشرات الغارات الجوية التى هاجمتهم ومحاولات الهجوم الأرضية التى قام بها أفراد الميليشيات القبلية.
أما الموقع نفسه وهو فى هضبه مقابله فكان أكثر من رائع فى تجهيزه الهندسى. شبكة كاملة من المغارات المتصلة الطويلة مع شبكة كبيرة من الخنادق شبه الدائرية حول الهضبة، وهى تكفى لمسير الأفراد بدون إنحناء، ولما كانت الهضبة غير مرتفعة فإن حفر المغارات كان متجهاً الى أسفل لتوفير إرتفاع كاف فوق المغارات. تذكرت السيول ولو أن أحدها تدفق الى تلك المغارات لتحولت الى نهر عميق. ولكنهم كانو قد احتاطوا للأمر بشكل جيد،ولم يحدث لهم أن تعرضوا لتلك المحنة.
تجولت مع تيم فى شبكة الخنادق الخارجية، ولم يكن قد سبق لى ان رأيت تورغار من جانبه الخلفى ومن تلك المسافة القريبة. إلتقطنا عدداً من الصور، حتى إنهالت علينا فجأة سيول من قذائف المدفعية، جعلتنا نجري بسرعة إلى داخل المغارات خاصة وأن بعض القذائف سقطت إلى جانبنا على حافة الخندق .
رحلة العودة كانت أكثر إثارة، والسبب هو"على جول" ذلك الشخص الأسطورى، وكان أبو الحارث قد حدثنى عنه كثيراً لكننى أراه الآن لأول مرة.
ولسؤ الحظ أنه جلس معنا فى المقعد الأمامى للسيارة، بينى وبين"تيم" الإنجليزى، وكان رابعنا هو السائق، أما أنا فقد سحقنى"على جول" بجسده الضخم ولصقنى تماماً فى باب السيار، أما تيم المسكين الذى لم يجد مكان للجلوس سوى ما بين كتف"على جول" وكتف سائق السيارة، وإلتصق باقى جسده النحيل فى سقفها. "على جول" طيب القلب الشجاع أمام أى شئ فى الكون سوى الألغام ، وهذا سبب شهرته بين العرب. جلس يكلمنى بلغته المهجنة

التي تعلمها ، أو إخترعها ،أثناء عمله بالسعودية لعدة سنوات، عن مغامراته الأخيرة في الإقتراب من الخط الأول للعدو، والكلام مع الجنود عبر مكبر الصوت . وفى الحقيقه أنه لم يكن فى حاجه الى ذلك الجهاز، لأن صوته "السوبر جهورى" كاد أن يصيبني بالصمم خاصة وأن أذنى اليمني، التى كمن علي جول، على بعد مليمترات منها، طبلتها مرهقه أصلاً.
قال "علي" أنه إكتسب ود وصداقه الجنود الذين يسمعون له بإحترام وتأثير ولكن الضباط "الملاعين"يسبونه بأقبح السباب الذى يندى له الجبين، ويرغمون الجنود علي إطلاق النار عليه، و ضربه بالهاونات.
ولكن مجهوده أثمر، وهرب علي يديه عدد لابأس به من الجنود الذين إستمعوا إليه في النهار وهربوا فى الليل. كان كل ما قاله صحيحاً، إلا جزء واحد بسيط، عندما قال أنه كى يتقرب من خطوط العدو فإنه يرفع الالغام (بحرص شديد) فلما رآنى أنظر إلى وجهه،ولم أكن قد فعلت منذ بدأ يقصفنى بحديثه داخل طبله أذنى اليمنى ، فشعر بذكائه الحاد أن شيئاً من الإشاعات قد وصلنى . أقصد الإشاعات المغرضة التي تقول أنه يخاف (جداً) من الألغام ، فأضاف قائلاً:
- وأحياناً آخذ معى أحد الاخوة العرب ليساعدني في نزع الألغام.
وفى الحقيقة فقد أحبه العرب فى مركز أبو الحارث كثيراً وأعجبوا بشجاعته وقوته وطيبة قلبه وكرمه .
كان دائماً يدعوهم الى بيته كي يذبح لهم خروف (بدون نقطة على حرف الخاء). ولكن لم يذكر لى أحد أنه لبى الدعوه لأكل لحم ذلك"الحروف". ولكن العرب كانوا يمازحونه كثيراً بالنسبه لموضوع الألغام، وكان هو نفسه يضحك كثيراً من ذلك ويعترف فى النهاية بروح رياضية بأنه يخاف منها كثيراً.
كل من تعامل مع على جول كان يحبه لدرجه غير عادية ، لذا عندما إستشهد بعد ذلك بعدة أشهر بكى عليه الجميع.
حتى خليل أخو جلال الدين حقانى الذى يبدو بطبعه لامبالياً، بكى كطفل فقد أبواه ، حتى أن أبو الحارث كان يتعجب من ذلك، وكان واقفاً وقت دفن ذلك "البطل الضخم". وقال بأن خليل إرتمى على القبر وبكى بحرقه لم يرى مثلها قبلاً. لم أكن لأصدق أن خليل فعل ذلك لو أن غيرأبو الحارث هو الشاهد والراوي لما حدث.
- - لاحظ علي جول أننى أحمل "كاميراتين" للتصوير واحدة كبيرة بعدس مقربة، وأخرى صغيرة توضع فى الجيب. فطلب منى أعطيه الكاميرا الصغيرة ،فإعتذرت بأننى أستخدمها للتصوير لمجله حقانى. ظننت أنى أغلقت عليه الطريق، فقد كانت كاميرتى الخاصة. ولكنه فاجأنى بالقول: "إن حقانى قريبى، أنا وهو من نفس القبيلة، ثم إننى سأصور بها في الجبهة وأعطيك الصور لتنشرها فى المجلة، وأكون بذلك أحد العاملين معكم" .
إعتذرت مرة أخرى، لكنه أصر وتشبث مثل طفل صغير تعلق بأحد الألعاب لدى طفل آخر.
وصلنا الى المركز ونحن مختلفان، فعرضت الأمر على حقانى فجعلته حكماً بيننا، فضحك حقانى ووافق بأن أعطيه الكاميرا وأن يعمل علي جول معنا مصوراً ميدانيا.
إضطررت للإذعان، وكاد "علي جول" أن يطير فرحاً.
* بعد إسبوعين تقريباً قابلته فى نفس المركز وكان أبو الحارث قد أخبرنى بأن"علي جول" يبحث عنى منذ أيام لأن معه صوراً لى.
سرنى ذلك، ومنيت نفسى بصور نادرة من الخط الأول. جاء "علي جول" ومعه ثلاث صور

كلها لأفراد داخل غرفة وفوقهم نافذة مفتوحة، فسألته أين الصور؟ . قال: هذه هى تجربتى الأولى فى التصوير وأردت أن أعرضها عليك حتى تعطينى رأيك.
كانت خيبه أمل بالنسبة لى فسألته عن باقى صور الفيلم. فأجاب بأنها إحترقت جميعاً وهذه فقط التى نجحت. فشرحت له بأنها لم تنجح لأن النافذة يدخل منها ضوء شديد، وبالتالى فإن وجوه الأشخاص تحتها جاءت معتمه جداً حتى أنه يصعب تحديد هوية أصحابها.
قال"علي جول" : إذن أنت لم تعرفنى؟ هذا هو أنا أجلس فى المنتصف وعلى يمينى إبن عمى وعلى يسارى إبن خالى.
فسألته بدهشة: وكيف أخذت الصورة إذن؟.
فرد على مصححاً خطأى: لا يابوى، أنا ما خذت هادى الصورة. هادى الصورة أخذها لى واحد صديقى.
فسألته: لكنك قلت أنك إلتقطت الصور.
فرد بأن الصور التى إلتقطها لم تظهر فى التحميض وهو يجهل السبب، ويريد فيلماً جديداً حتى يحاول ويجرب حظه مرة أخرى.
وبهدؤ وبدون جدال، وبكل مشاعر اليأس والإحباط مددت يدى إلى جيب حقيبتى العسكرية وأعطيته فيلماً. فأخذه وهو يشكرنى متهلل الوجه.
لم أشاركه السرور بل ذهبت بى الأفكار بعيداً، بحثاً عن السبب الحقيقى الذى لأجله يأمر ضباط العدو جنودهم بضرب "علي جول" بالهاونات!!.

□ □ □ □

طلب منى حقانى أن أرافق الصحفى الضيف فى سيارة المركز حتى ميرانشاه لأنه ربما إحتاج وساطتى لدى الأطباء العرب للسماح له بالركوب فى أحدى سيارات الإسعاف التابعة لهم.
ـ كانت علاقه حقانى وجماعته متدهورة مع الأطباء العرب العاملين فى الهلال الأحمر الكويتى، بل مع الهيئة الكويتية نفسها. فى هذه المرة لم يكن هناك وقت لبروتوكولات التكريم، فالسيارة مزدحمة والطائرات تقصف المنطقه، فقفزت مع الضيف فى الصندوق الخلفى لسيارة إسعاف كان بها جريحان.
السائق يحاول الطيران لينجو بنفسه وبمن معه من القنابل المتساقطة، وإضطر للتوقف مرة أو إثنين حينما حاصرته الرمايات من الأمام ومن الخلف. تنهدت مستريحاً عندما عبرنا نقطة الحدود فى غلام خان، لقد إنتهت مطاردة الطائرات كما إنتهت مطبات الطريق الصخرى.
في مكتب حقانى الرئيسى كانت ثلاث سيارات إسعاف مهيئة للتحرك صوب بشاور ، وقبلوا أن يصحبوا "تيم" بدون صعوبة، ولكنه إعتبر أننى ساعدته كثيراً وكنت مجاملاً معه عندما حضرت وإصطحبته إلى ميرانشاه. أفهمت الأفغان الذين فى القافلة أن هذا الصحفى هو ضيف حقانى، فأسرعوا بتقديم كل مساعدة ممكنه له.
وهذا التقليد بإحترام الضيف، وكذلك إحترام ضيوف الآخرين هو واحد من أعرق وأنبل الأخلاق الأفغانية.
عدت مسرعاً إلى "مركز خليل" فى أول سيارة صادفتها. ثم إنتقلت إلى جبل الترصد والقيادة فى سيارة مركز خليل التى كانت تنقل الماء والخبز إلى هناك. وصلت الي القمه فى حوالى الرابعة وكان حقانى هناك. وفوراً بدأت مدفعية المجاهدين فى العمل ضد "تورغار الصغير" وأخبرنى عبد العزيز أن القصف الجوى على تورغار لم يتوقف منذ الثانية ظهراً وحتى الآن

ولكن لم يبلغ أحد عن وقوع إصابات.
مدفعية المجاهدين أصابت مخزن مواد غذائية وذخائر فوق تورغار الصغير وقتل هناك عدد من الجنود، أبلغنى عبد العزيز بذلك بعد أن إستمع الى مكالمات العدو اللاسلكية، وكانت سحب دخان تتصاعد من فوق تورغار الصغير.
الساعة 5.24 : غارة أخرى على نفس الهدف، ولكنها أصابت خطوط العدو نفسه فى جبل "تورغار الصغرير" وأحدثت خسائر، وقد هلل المجاهدون بذلك.
الساعة 5.37 : دبابة خليل تضرب بعنف مراكز العدو في الجبل الصغير. الدبابة التي من المفروض أن تعمل من شرق الجبل لم تصل حتى الآن.
الساعة 5.55 : جماعة الكوتشى المهاجمون يتصلون مع حقانى، ويقولون بأن العسكر يهربون من الجبل، وأنهم سيطاردونهم. حقانى يضحك ويصيح فيهم مشجعاً. وكانوا يتقدمون من شرق الجبل.
الساعة 6.00: مكالمه لحقانى من المهاجمين:" نحن نحاول الإقتراب بسرعة من دفاعات الخط الأول حتى نستفيد من الضوء الباقى لنتفادى الألغام"
الساعة 6.06 : جماعة من الكوتشى بقيادة "أورانج" يصلون إلى الخط الأول للعدو فوق الجبل.
حقانى يصدر أخطر قرارات اليوم. لقد أمر المدافعين عن تورغار الكبير بالنزول إلى تورغار الصغير ومساعدة زملائهم في تطهيره والدفاع عنه ضد أى هجوم معاكس.
لقد صار "تورغار العظيم" مجرد خط خلفى لإسناد خط الدفاع الأول الذى إنتقل إلى شقيقه الأصغر"ورا تورغار".
لقد كان حقاني متألقاً هذا اليوم. وكذلك فرق المهاجمين خاصه الكوتشى، جماعة الشهيد عبد المنان ، والذين يقودهم أخوه"جولاب"وقد إنضم إليه اليوم القائد الشهير أورانج، وهو من نفس الفريق.
لقد أثارت شجاعة ذلك الفريق الحماس والبهجة كما أثارت الإبتسامات والضحكات. ومن أشهر نكاتهم هو إسخدامهم موجه لاسلكية واحدة، منذ إستلامهم لتلك الأجهزة وحتى نهاية الحرب.
وهذا الرقم هو 4444، وكانت الحكومة تضعه بإستمرار تحت التصنت وكانت تعرف نواياهم ونوايا المجاهدين من خلال هذا الرقم. وجماعة الكوتشى لا يكذبون أبداً، لذا فهم مصدر موثوق لدى الحكومة. أما عندما يلجأون إلى السرية، وهذا لا يحدث إلا بعد نجاح الإقتحام وبداية جمع الأسري والغنائم فأنهم يستخدمون شيفرة ليست كثيرة التعقيد. كما حدث هذه الليلة مثلاً،فعندما يأسرون جندياً فإنهم يقولون على المخابر : (لقد أمسكنا بقرة) .
أما إذا أسروا ضابطاً فالرسالة تكون: (لقد أمسكنا خنزيراً) .
الساعة 6.09 : وصلت الطائرات النفاثة فقصفت تورغار الكبير وما حوله، بعد الغارة قال المجاهدون أنه لم يصب أحد منهم.
الساعة 6.12 : قائد العدو علي الجبل الصغير يطلب من قيادته فى المدينة إرسال مصفحة لنقله فاتصل حقانى بالمهاجمين وطالبهم بالبحث عن ذلك الضابط وإمساكه حياً.
الساعة 6.18 : راجمات الصواريخ لدى العدو تطلق قذائفها ضد تورغار. وعبد العزيز وجماعتة يشوشون على موجه اللإسلكى الخاصة بمدفعية العدو.
الساعة 6.20 : عبد العزيز يخبر حقانى أن طائرات نفاثة قادمة للقصف، وحقانى يأمر

المجاهدين بوقف الرمايات حتى تنتهى الغارة الجوية . وكان الوقت ليلاً ومن السهل على الطيار تحديد موقع رمايات المدفعية ومن ثم إصابه المدافع.
أقبلت الطائرات وأفرغت حمولات كبيرة من القذائف العنقودية فوق تورغار، ومخابرة من المجاهدين هناك تقول: لقد أصابوا جنودهم فى تلك الغارة، ويبدو أن بعض الأسرى قد أصيب بالقنابل العنقودية.
الساعة 6.27 : غارة جوية على تورغار إستخدمت فيها قنابل عنقودية ثم قنابل ثقيلةالوزن، ثم غارة جوية على قاعدة المجاهدين فى "بورى خيل" حيث كتيبة سلمان الفارسى.
الساعة 6.29 : السيارات الحكومية وصلت لنقل الهاربين من الجبل الى المدينة.
الساعة 6.36 : ثلاثة من المجاهدين الكوتشى عثروا على سته من الجنود وأخذوهم أسرى، حقانى يضحك ويصيح بهم مشجعاً على جهاز اللاسلكى "زنده باد".
الساعة 6.40 : ضحكات النصر وممازحات مع الكوتشى من حقاني وباقى المجاهدين، فقد كانوا هم نجوم هذا اليوم.
هبط الظلام على المنطقه إلا ما تبقى من شفق ضعيف.
وطائرات الأنتينوف القاذفة تشن عده غارات متوالية، ولكن بدون أن تحقق إصابات.
الساعة 9.25 : كنا داخل الغرفه نلتمس شيئاً من الدفء، سمعنا صوت إنفجار صاروخ سكود، وتبعه صاروخ آخر بعد ثوان، كانت رسائل تهنئه للمجاهدين قادمه من كابول.
الساعة 11.30: كنت مستغرقاً في النوم داخل الغرفة التى إمتلأت بالمجاهدين وكل فرد نام بطريقه عشوائية. أيقظنى حارس حقانى وقال بأن الشيخ سوف يغادر الي معسكر خليل ويسألنى إن كنت سأرجع معه أم أبقى حيث أنا، فأجبت بأننى سأبقى هنا.
سمعت صوت السيارات تغادر المركز، ومن وقت لآخر إستيقظ علي صوت إنفجارات كبيرة وأصوات الطائرات بأنواعها تروح وتجئ، ولكى لم أشعر بالقلق أو الإنزعاج، ولا أحد ممن حولى تزحزح من نومته، فالكل يعلم أن الطائرات ، كل الطائرات ، لن تعيد "عائلة تورغار" إلى قوات الحكومة مادامت تلك القوات قد فرت ولا تنوى العودة مرة أخرى .
الثلاثاء 20 فبراير90:
صباح مشرق جميل، ولكنه عند المجاهدين نذير ليوم صعب مع الطيران، وهذا ما كان.
لقد أرسلت الدولة كل سلاحها الجوى، ولا أستبعد أن الروس هم أيضاً شاركوا. كان الطيران مصاباً بداء الكلب، هائجاً بضرب فى كل مكان، لاتشعر له بهدف محدد، ولم يكد يتوقف طوال اليوم.
الساعة 8.33 : أول غارة اليوم على مركز خليل ـ حيث حقانى متواجد ـ ألقوا هناك ثلاثة قنابل من عيار ألف رطل، ثم قنبلتان على توده شنى، وإثنتين تحت تورغار الكبير،
الساعة 8.43 : فاصل من الجنون، طائرات كثيرة تقصف فى أماكن متباعدة وفى كل مكان، وعلى أى هدف .تصاعد دخان كثير فى معظم المناطق: خاف تورغار الكبير، وفى منطقة دروازجى ،شرق تورغار، ومنطقه ليجاه.
الساعة 8.50 : كأن قطار بخارى يسير خاف موقعنا، لقد رمت الطائرات قذائف نابالم كثيرة خلفنا فأنتجت سحباً من الدخان الأسود اللزج علي طول كيلومترات، ثم قنابل ثقيلة أمام موقعنا ثم قصف علي مناطق المدفعية والمناطق الإدارية فى بورى خيل.

إلى جانب النابالم والعنقودى ظهرت القنابل الفسفوري بدخانها الأبيض الجميل الذى يتصاعد فى أعمد رشيقه على غير العادة. شجرة الحور العتيقة القريبة من بورى خيل أمسكت بها نيران الفسفور وبدأت تحترق، فشعرت بالحزن. قريباً منها راجمة صواريخ وموقع مدفعى للمجاهدين ولكنها مزوده بمغارات جيدة وحفر للخنادق.

الساعة 8.55 : فى جنوب تورغار الكبير غابة كثيفة من الدخان. المنطقة هناك مليئة بالشجيرات، ومع النابالم لابد أن تكون المنطقه قطعه من لهب.

الساعة 10.20 :غارة جوية ضد دبابة خليل تحت الجرف، وغارات مباشرة ضد تورغار الكبير والصغيرة.

الساعة 10.30 إلى10.50 : غارات متصلة لاتتوقف على أماكن متفرقة .

الساعة 11.20 الى 11.35 القنابل العنقودية لاتتوقف فرقعاتها فى الأرض ولا فى السماء.

وخيوط الدخان ترسم مسارها، الهابط من الجو نحو الارض . بعد إنفجارها الأول في الفضاء والذى تعقبه إنفجارات كثيرة فى الفضاء أيضاً ثم عناقيد من اللهب الأحمر الهابط إلى الأرض حيث يتفجر وينشطر في فرقعات لاحصر لها من القنابل الصغيرة على سطح الأرض.

إنفجارات لاتنقطع فى الجو، ثم شلال من النيران الحمراء يجر خلفه دخان أبيض هابط نحو الأرض، ثم إنفجارات بلا عدد فوق سطح الأرض. تلك هى القنابل العنقودية التى لايكاد يتوقف سيلها النازل من السماء.

الساعة 12 : ظهرت الأنتينوف لأول مره وبدأت ترمى قذائفها الثقيلة فى خط طويل منتظم ، كما هى عادتها.الجو صحو تماماً، حتى أننا نشعر بالحرارة.لا أدرى أكان ذلك من الإنفعال، أم من نيران الحرائق حولنا في كل إتجاه، أم أن الشمس حارة فعلاً فى ذلك اليوم من فبراير ؟.

من أخبار عبد العزيز: أمسك المجاهدون دبابة سليمة بالأمس فى منطق تورغار الصغير وهم ينظفون لها طريقاً من الألغام حتى ينقلوها إلى مواقعهم.

ـ حصلنا أخيراً على ساعتين راحة، ثم إستأنف الطيران عمله كالمعتاد. عند الظهر وصل الشيخ حقانى ومعه عدد من قادة العمليات مثل مولوى حنيف شاه ومولوى أليف جول وغيرهم، وبقوا مجتمعين حتى حل الظلام وإنصرفوا بدون أن أتمكن من الحديث مع حقانى.

إكتشفت أنهم أحضروا حقيبتى وبها الكاميرات. كان الوقت متأخراً جداً بعد أن ضاعت فرص تصوير الجنون الجوى الذى حدث اليوم.

ومع هذا فإن الطيران إستمر يعمل طوال الليل ولكن بكثافة أقل مما حدث فى النهار.

حاولت الحكومه عند العشاء التمهيد لانزال إحدى طائراتها العسكرية فى المطار، فقام بغارات شديده ضد "جبال" تورغار لتغطية هبوط الطائرات، ولكن تورغار الكبير إستخدم أحد مضاداته الجوية الثقيله "23 مليمتر" ضد الطائرة وهى فى الجو ، ولكنه لم يحقق إصابات.

ولم تنجح تلك الطريقه فيما بعد لإيقاف محاولات الهبوط فى المطار. أرسلت اليهم إقتراحاً فيما بعد بأن يستخدموا ذلك المدفع ضد مدرج المطار عندما تهبط الطائرة لأنها تكون في حالة سكون ويمكن إصابتها. لكن الإقتراح وصل متأخراً لأن دبابات العدو عطلت أحد المدفعين وأصابت الأخر بشظايا فقرروا تفكيكه وإنزاله من فوق الجبل حتي لا تدمره القذائف المعادية.

في نفس الليلة، وقبل أن يهبط حقانى وضيوفه شاهد الجميع عرضاً نارياً هائلاً فى السماء.

فوق الوادى من جهه الغرب صوت إنفجار كبير وكرة ضخمة من النيران في السماء ثم

إنفجار آخر وتفتت الكرة إلى ثلاثة أجزاء أو أكثر تهوى مشتعلة. لم أفهم مغزى ما أراه لكونها المرة الأولى الذى أرى فيها مثل ذلك المشهد. لكن عبد العزيز العجيب أتى لنا بالخبر، فقد إتصل به المجاهدون في الجبال الشمالية المواجهه لنا، بأن المجاهدين فى "جانى خيل" كانوا فى كمين فوق الجبال ومعهم صارخ ستنجر، فأصابوا به طائرة نقل حكومية.

وجاء الرد من كابل عصبياً وعديم الجدوى كالعادة.

فقد ضربوا منطقه بارى بصاروخ سكود، ووصلنا التقرير التقليدى:لم يصب أحد.

ومن الطريف أننا شاهدنا صاروخ سكود وهو ينطلق من كابل وخلفه خيط أحمر طويل إستمر لثوان ثم إختفى لفترة إلى أن سقط في بارى. وكان الوقت كافى كى يبلغ عبد العزيز جميع المواقع بأن "سكود" قادم، ويأمرهم بالإنذار التقليدى: "ستر وإخفاء".

- تأكد اليوم أن المجاهدين في عمليتهم ضد تورغار الصغير لم يتكبدوا أيه خسائر فى الأرواح ولا حتى جرحى .

<u>الأربعاء 21 فبراير 90</u>

حاجى إبراهيم ، الذى عاد من ميرانشاه قال بأن كبير ضباط الإستخبارات الباكستانية فى ميرانشاه والمدعو "جنرال إمام" قد دعا كل قواد خوست الي إجتماع فى الغد ، قد يعقد فى مضافة حقانى. ويتوقع البعض أنه سوف يدعو الجميع إلى التعاون مع حقانى ! ! .

كان خبراً يدعو للتشاؤم، فما أن يظهر هؤلاء الأفاعى ويبدأون في دس أنوفهم فى العمل إلا وتتوالى النكسات.

فى معركة "**تورغارالصغير**" كان ذلك "الإمام" الجنرال فى سلاح الجاسوسية، كان موجوداً فوق قمة الترصد ومعه ثلاثة من العقارب الصغيرة ، من الضباط المساعدين.

وكانوا يراقبون من خلف المناظير المقربة ما يحدث فى الوادى وفوق تورغار الصغيرة والكبير. وكان يتحث معهم بالإنجليزية التى لايفهمها أحد من الحاضرين.

وكنت فى موضع تصنت عليهم بدون قصد، فقد كنت فوق صخرة أعلى منهم بقليل وقد تكوموا أسفل منها خلف كومة صخور، وكانت تعليقاتهم لاتقل سخافة عن تعليقات ضيوفنا السعوديين يوم فتح تورغار.وكان ذلك غريباً على عسكريين بمثل تلك الخطورة.

- كان الجاسوس الكبير يشرح لعقاربه الصغيرة عبقرية فكرة وضع دبابة خليل في موضعها، وشجاعة خليل وحساسية مهمته.

وفى لحظة ذروة فى المعركه وحقانى يتصايح ضاحكاً وموجها مجموعات الكوتشى ، تلك السباع الضارية، اللطيفة فى مآزقها الفكاهية فوق الجبل. فهذا قد أمسك عدد من الأسرى وكان شاباً صغيراً، بينما رفاقه قد تركوه مع أسراه وصعدوا إلى أعلى لمتابعة الهجوم وهو يسأل حقانى: ماذا أفعل الآن؟

فيجيبه حقانى ضاحكاً، إتركهم الآن وتابع الهجوم وسوف نجمعهم بعد المعركة.

فيلتفت "إمام" إلى عقاربه الصغيرة قائلاً وموضحاً لهم الدروس المستفادة من المعارك الدائرة {{أنظروا هذه هى القيادة الميدانية، التى تقف وسط رجالها وتقودهم فى أصعب المواقف. يكفى الجندى أن يسمع فقط صوت قائده الأعلى، إن ذلك يدفع الدماء فى عروقهم ويحمسهم للعمل}}.

وقبل بدء المعركة كانوا يشاهدون ركام الطائرات المعطلة والمحطمة علي طول مدرج المطار، فيقول أحد العقارب: إنها ثلاثون طائرة تقريباً. فترد الأفعي الكبيرة: {{سوف نصلحها وتعمل بها خط طيران بين خوست والأورجون}}.

(ومازالت باكستان تحلم بحد أدنى من المطامح فى أفغانستان وهي تكوين كيان أفغانى دمية علي طول القطاع الجنوبى لأفغانستان يكون عالة كاملة علي باكستان).
وفى ذروة المعركه يصيح الجنرال متعجباً: { لماذا لا تستخدم القوات الحكومية الدبابات؟}.
فيجيبه عقرب صغير: لابد أن تسلسلهم القيادى قد تحطم.
وعندما جاء الخبر أن القوات الحكوميه تهرب من فوق الجبل بينما المجاهدون وصلوا الى قمته إلتفت الجاسوس العجوز إلى صبيانه وقال بحكمه مصطنعة: { هذه هى نهاية الموقف. لقد إستولي المجاهدون علي المنطقة} .
فى ظنى أن أجهزة الإنذار قد أطلقت من أمريكا لما يحدث في خوست. وكان على أسياد "الجنرال إمام" أن يوجهوا له التوبيخ علي فشله فى كبح حقانى، مع الإحتفاظ برباط الود الظاهرى معه . شعرت أن هناك مؤامرة باكستانية قادمة إلي خوست، نسأل ا اللطف.
غارات اليوم لاتقل عنفاً عن غارات الأمس لكنها أكثر تركيزاً ومنهجية. وحتى الحادية عشر ظهراً كانوا قد غطوا كل المناطق الهامة بغارات مركزة . ولكن لم يبلغ أحد بوقوع خسائر حتي الساعة الواحده ظهراً. لاشك مع كل هذا العنف الجوى أن الحكومه توجه ضربة إجهاضية لهجوم متوقع علي المدينة.
ولها أن تتوقع ذلك بعد إستيلاء المجاهدين علي "عائلة تورغار" وبالتالى هناك ثغرة واسعة في الخط الدفاعي خاصة من طرف تورغار والجبال المواجهة للمطار. فالمواقع فيها ثانوية

وليست متينه بالشكل الكافى وكانت كلها متكئة على تورغار.والحكومه في حاجة إلى عدة أسابيع لتقوية خط دفاعي جديد ، ليس فيه تورغار،وهى نقطه ضعف أكيدة.
الطائرات غير متأكدةتماماً من موقعنا،أو أنها أخذت أحداثيات خاطئة من المراقبه الأرضية.
قذائف عنقودية كثيرة حولنا أمام وخاف ويمين ويسار. تورغار أصابه نصيب وافرمنها الطائرات المشاركة كثيرة بشكل غير عادى. يبدو كأنه طيران "دولى" وليس أفغانى فقط.
إذا أردت أن أطلق إسما على هذا اليوم فسوف أسميه "اليوم العنقودي"، من كثرة عناقيد النارالتى هبطت علينا من السماء، لكن ا حفظ الجميع بمعجزه لالبس فيها، فنصف القنابل التى ألقيت فى فتره الصباح فقط كافيه لقتل جميع المجاهدين عدة مرات .
اليوم إلتقطت من الصور للقصف الجوى ماعوضني عن عدم التصوير بالأمس.
وصل خبر من مجاهديى"جانى خيل" بأنهم فتشوا حطام الطائرة التى أسقطت بالأمس فوجدوا بها عشرين جثة لضباط وحصلوا علي بعض أوراق هوية مازالت سليمة، كما كانت الطائرة تحمل ذخائر. حصلنا علي قائمه بالغنائم عمليه "ورا تورغار"وهي كالتالى:
18 أسير، 19 كلاشنكوف، ا دبابة سليمة، 2 شاحنة عسكرية، 1 هاون غرناى، 2 زيكوياك ، رشاش ثقيل 5. 14 مليمتر، ، ا شلكا 23 مليمتر، 12 جرينوف خفيف، ا جرينوف ثقيل، 2 مولد كهرباء، مخابرة كبيرة، ذخائر كثيرة جداً لمختلف أصناف الأسلحة فى المخازن الرئيسية، كانت هناك مسجلات وتلفزيونات .
توقف القصف لمدة ساعتين لهذا اليوم أيضاً. فإنتهزت الفرصة ونزلت مع حاجى إبراهيم لمقابلة حقاني فى مركز القيادة "مركز خليل"، وكان إتفاقنا معه أن أذهب مع حاجى إبراهيم لزيارة تورغار. عند المركز قابلنا صديقنا القديم، المجاهد سابقا والمصور التلفزيونى حالياً "زكى"،

وكان قد زار تورغار وعاد لتوه من هناك. لقد سبقنا إلى هناك كما سبقنا أيضاً صالح إلهامي.. وهو شاب أردنى مجاهد ويعمل صحفياً فى مجله الجهاد فى بشاور، وعلمنا أنه زار الجبل بعد فتحه بقليل ولكنه فى رحلته خرج قليلاً عن ثغرة الألغام فانفجر به لغم أطار قدمه وأصابه في وجهه ، وقد نقل إلى بشاور للعلاج.
وكنت قد تعرفت عليه العام الماضى وكان من أصدقاء أبو الحارث، وقد ربطت بيننا صداقة وتفاهم كانت بالنسبة لى نادرة فى الأوساط العربية هذه.
أخذتنا إحدى السيارات المتوجهة إلى مركز" د. نصرت ا " فى بورى خيل، كان علينا قطع الرحلة علي طريقه "الأوتوستوب" لعدم إمكان توفر سيارة خاصة.
وصلنا مركز" د.نصرت ا " وكانت المنطقة قد قصفت بوحشيةخلال اليومين الماضيين.
جزء من الرجال فوق تورغار هم من مجاهدى ذلك المركز، فوجدنا سيارة تحمل إليهم إمدادات عبارة عن كيس من الحمص وثلاثه صفائح بترول. ركبت مع إبراهيم فى صندوق السيارة ومعنا راكب آخر، وفى المقدمة السائق ومعه رجلان.
كان الجميع في عجلة غير عادية قبل أن تدهمنا الطائرات وما أن بدأ السائق فى الحركه حتي ظهرت فى السماء ست طائرات فضية دفعة واحدة، وجميعها متجة نحونا، فيما ظهر لنا. صاح إبراهيم يعاونه الراكب الآخر بالسائق أن يتوقف على جانب الطريق لأن الطائرات النفاثة قادمة نحونا، لم يسمع السائق ولكن مع الصياح المتواصل والدق العنيف فوق كابينة القيادة توقف السائق وأخرج يده وهو يصرخ بغضب: ماذا تريدون ؟.
وقبل أن يسمع الرد رأى الطائرات فأدخل رأسه وضغط بكل قوته علي دواسة البنزين بينما إختلفت آراء السادة الركاب: جزء يصرخ طالباً التوقف، وجزء آخر يصرخ طالب العجلة في الرحيل بأقصى ما يمكن من قوة.
لكن السائق كان قد قرر ـ بوعى أو بدون وعى ـ فقد إستمات بقدمه علي دواسه البنزين، وتيبست أذراعه على سكان القيادة وإقتحم أهوال الطرق، أولها جدول الماء الرقراق، التى تحول إلى نافورة ضخمة تلف سيارتنا وخرج منها كتل الحصى المستديرة الكبيرة وصخور مختلفة الأحجام فكان يقتحمها بلا تمييز. ثم سمعنا فرقعة العنقودي فوق رؤوسنا، فأيقنا بالهلاك فانبطحنا ـ المجموعة الخلفيةـ فى صندوق السيارة.
وكنا نضحك من شدة اليأس فما معنى أن ينبطح الإنسان فى صندوق سيارة مكشوفة بينما أطنان من القنابل العنقودية الصغيرة تهبط نحوه من السماء ؟. نطقنا بالشهادتين وقلصنا عضلات أجسامنا بشده تحسباً لتناثر الأعضاء من جراء الإنفجار، وأغمضنا العيون نصف إغماضة مع الضغط الشديد على الأسنان ـ التي لم ترتعش لحسن الحظ ـ ثم دوت إنفجارات العنقودىحولنا، ويا لدهشتنا أن وجدناها تنفجر على الهضاب المرتفعة يميناً وشمالاً، أما وادينا الضيق المتلوى فلم تسقط فيه واحدة منها!!!.
وكأن الامر لم يعجب واحداً من الطيارين الأشرار فانقض علينا بطائراته، التى خلعت قلوبنا و سيارتنا، وهى تمرق من فوقنا، وتلقى قنبلة ضخمةعلى هضبة مواجهه لنا.
لم نكن قد متنا بعد، ولكن كنا فى نصف إغمائه عندما سمعنا إنفجارات من كل الانواع تحيط بنا وبالمراكز حولنا.
ولما تبين لنا أنها ذهبت ـ أى الطائرات ـ بدأت أصواتنا تخرج،فهذا يضحك بهستيريا وذاك يصيح إعجاباً بمهارة السائق ـ الذى هو بطل رغم أنفه ـ حتى وصلنا إلي مركز المدفعية

المقابل وكان به قاذف صاروخى كبير وراجمة صواريخ.سألناهم عن الاحوال ،فكانت:
" خير خيرت" فلا إصابات، فحمدنا ا وواصلنا المسير ونحن نضحك على تصرفاتنا العاجزة والحمقاء وقت الغارة ،أى وقت مصافحة الموت عن قرب.
إنحرفنا مع الطريق جهه الشرق ومررنا من أمام قلعه بوري خيل المدمرة ـ والتي دمرها المجاهدون بعد فتحها عام 1980 تقريباً.
فى الطريق أقام المجاهدون مركزاً لصناعة الخبز لتزويد مجاهدى تورغار وما حوله.
وكان المركز على المدق الضيق من طرف جبل زرمانكى المجاور لتورغار وأمامه ساحة واسعة بها شجيرات برية وقد بثت الألغام في تلك الساحة، خاصة تحت الشجيرات التى يمكن الإحتماء تحتها من حرارة الشمس، وهى ألغام وضعتها القوات الحكومية للحد من حرية حركة المجاهدين فى المنطقة المواجهة لتورغار، والتي يصعب مراقبة معظمها من فوق الجبل بسبب الشجيرات الكثيرة وبسبب زوايا الرؤية التى لا تتيح المرقبة الجيدة من فوق الجبل.
على يمين المدق فى منحدر صغير هناك قبر الشهيد السعودى أبو الدرداء. نزلنا من السيارة التى إنتهت مهمتها عند ذاك الموضع.
وواصلت سيرى مع حاجى إبراهيم وبرفقتنا شابين صغيري السن فى طريقهما إلى مركز للمجاهدين فى طرف تورغار من جهه الغرب.
كان المغرب قد إقترب ومن الأفضل لنا الإسراع بالوصول إلى مراكز المجاهدين حتى لا نضل الطريق فى الليل فتضربنا الألغام، أو نقع فريسة الغارات الجوية المفاجئة.
وصلنا مركز المجاهدين وكان على نفس إستقامه مركز ابو الحارث الذى يبعد عنه حوالى مئتي متر من جهه الشمال القريبة من مدخل الوادى الكبير.
كان الجو بارداً والمغارة مزدحمة فجلسنا فى طرفها وكان علينا أن نقضي الليل هنا فلا أحد يصعد الجبل ليلاً.
أحد المجاهدين عندما علم أننى عربي، غضب بشدة وقال: لماذا لا يذهب الى مركز العرب؟ لا تقدموا له شئ بروبية واحدة .
لم يترجم لى حاجى إبراهيم ما يقوله الرجل، ولم أخبره أننى فهمت ما يعنيه، وسكت كلانا على مضض. ولكن باقى المجاهدين كانوا أكثر كرماً فقدموا لنا الطعام والمأوى حتى الصباح.
لم تكن تلك هى المرة الاولى التي أجد فيها ناقمين على العرب من بين المجاهدين، فقد لمست تلك الظاهرة منذ عام 1986. وكان المسئول عنها هو العرب أنفسهم خاصة الشباب السلفى الوهابى من السعودية ومصر وغيرها. وكان ذلك ضد الطابع الأغاب للشباب في الجبهات فحدثت بينهم وبين الأفغان "صدامات عقائديه" الذين لم يكونواغير شعب من "القبوريين الأحناف المشركين" فى نظر هؤلاء الشباب،فهم لايرون صورة للإسلام السمح و "العقيدة الصحيحة" إلا فى أنفسهم وفى الطريقةالسلفية الوهابية.
نمنا فى الثامنة والنصف واستيقظنا فى الخامسة والنصف لصلاة الفجر. ومع الشروق بدأت الطائرات تدك بعنف. وكنا فى المغارة لاندري أين تضرب، ولكن هناك غارات فوق الجبل، وهذا لا يمكن الخطأ فيه لأننا فى نفس الجبل لكن عند إلتحامه بالأرض من جهة الغرب.
وتواجهنا بداية جبل زمانكى الذى كان حتى العام الماضى يشكل جناحاً غربياً لمساندة تورغار حتى إقتحمه المجاهدون بالقوة.
قال زملاؤنا فى الغار بأن خمسة جنود وصلوا عند الفجر، ومعهم RPG ومسلحين وقد قتلوا

ضابطهم وفروا الى المجاهدين.
وقالوا بأن المجاهدين طلبوا أن ننتظر حتى تأتى البغال لتحميلها بالمواد إلي تورغار ونذهب معها. خشينا التأخير خاصة وأن موضوع البغال غير مؤكد حيث أنها لم تحضر بعد من مكان بعيد كى تمارس عملها الجديد لأول مرة. لذا فضلنا أن نتحرك مع مجموعة من الشباب الذاهبين إلى ظهر الجبل. تحرك بنا ركب من عشرة شباب أقوياء فى حركة سريعة نحو الجبل. كنت مع إبراهيم قرب المقدمة وبعد دقائق صرنا فى وسط الركب ثم خمس دقائق أخرى صرنا فى آخر المجموعة، ثم خمس دقائق ثالثه وجدنا أنفسنا منفردين وقد إختفى الركب النشيط. لقد إكتشف إبراهيم أنه مصاب بنزله برد واكتشفت أن جسدى كله يؤلمنى،و قدمى فى حذائها الجديد الذى ضغط على أحد أعصاب القدم اليمنى صار كأنه مسمار مغروز في رأسى فكنت أعرج فى المسير.
كنا حريصين على السير فى المدق الظاهر لنا، وقادنا الى ساحة واسعة كثيفة الشجر نوعاً ما و تقع أسفل القمه العليا في الجبل التى هى أقوي النقاط سابقاً عند العدو وإلتى الى شرقها الدبابة الشهيرة، والتى إستشهد صديقى عبد الرحمن تحتها بعدة أمتار.
إلى هنا ضاعت معالم الطريق، إستطعنا أن نشاهد عدة حفر هائلة أحدثتها صواريخ سكود، وحفر كثيرة من قنابل الطائرات، وآثار حرائق فى الأشجار التى تغطى سفوح الجبل والواد البرى المواجه له والذى يشبه مناطق السافانا الفقيرة فى أفريقيا.ولا تنقصه إلا بعض الأسود والنمور والبقر الوحشى. ولكن الألغام منعت كل صور الحياة فى المنطقة، ويمكن ملاحظة هياكل عظمية لحيوانات إنفجرت بها ألغام هنا وهناك.
إنها ساحة مخيفة للموت الرابض تحت التراب، قليلون جداً هم من يعرفون مسالكها المأمونة التى هى نادرة جداً على أيه حال.
ولو كنت أعلم الغيب لعلمت أنه بعد عام تقريباً سأقوم مع أبو الحارث وعدد من شباب معسكره بشق طريق فى وسط تلك الأحراش لنربط به منطقه بورى خيل بمنطقه توده شنى كى يصبح مرور السيارات ممكناً لأول مرة فى تاريخ تلك المنطقه، وقد إنعكس تأثير ذلك على مجرى المعارك النهائية لفتح خوست كما لم نكن نتصور حدوثه نحن ولا غيرنا ممن أعجبه إنجاز تلك المجازفة الملغمة.التى سنروى تفاصيلها في حينه.
كنت وإبراهيم فى ورطة خطيرة،وحلها الوحيد هو أن نعود أدراجنا.
وحتى ذلك ليس بالحل الأمثل والطائرات تقصف كل مكان بما فيه المركز الذى جئنا منه منذ قليل، وهى إذاً لاحظت تحركنا على المدق فسوف تقصفنا وتقصفه كما تفعل دوماً مع طرق المجاهدين. كنا نرى عدد من المجاهدين يتحركون على سفح الجبل صعوداً نحو القمة. إقترحت عليه أن ينادى عليهم كى يرشدوننا إلي المدخل الصحيح للمدق الصاعد إلى الجبل، أو أن ننتظر حتى يمر بنا فوج آخر، ا أعلم متى يمر، وكيف نجلس والمنطقه على رأس مهام طائرات العدو وصواريخه؟.
شاهدنا مواقع لهاونات ومدافع عديمة الإرتداد وصواريخ كاتيوشا وحتى أن بعض القذائف جاهزة للإستخدام ثم تركت كما هى.
يظهر أننا قريبون من موقع تم إستخدمه مؤخراً لضرب العدو فوق الجبل تقدمنا نحوه وتفحصناه ونحن نحاول إحصاء نوع وعدد الاسلحة التي كانت موجودة والأهداف التي كانت تتعامل معها.

جازفنا بالتقدم أكثر مع أخذ ما يمكن من الإحتياطات حتى عثرنا على ما يمكن تخيل أنه المدق المطلوب .واصلنا السير البطئ وبحذر شديد وما أن صعدنا قليلاً فى الجبل حتى كان الطريق كله صخوراً صلدة لا تصلح إلا لنصب الألغام السلكية للإعثار. أراحنا ذلك نسبياً فالرؤية جيدة، والحاج إبراهيم نظره حاد، وإن كنت أنا لست كذلك ولكن ثقتى به كافية بما يجعلنى أتبع أثار أقدامه بإطمئنان وبعد التدقيق الممكن.
فى أكثر من منطقة كان الصعود شبه رأسى بحيث يتحتم إستخدام الأيدى مع الأرجل فى التسلق ، تقطعت أنفاسنا عدة مرات فجلسنا للإستراحة، كما إعترضتنا عدة غارات كانت تقصف الجبل سواء السفح أو القمة، فجلسنا أو تمددنا للإستراحة.
سقطت قنابل قريباً منا فأردنا الإنبطاح فما كان علينا سوى أن نميل فقط عدة درجات فنلتصق تماماً بالأرض التى هى جدار صخرى في الجبل القائم بتحدى.
وصلنا بصعوبة إلي أعلى النتوء الأسود البارز على سطح الجبل ..أخيراً. . هذا هو تورغار الذى كنا نحلم به منذ سنوات طويلة ! ! كم سهرنا لأجله الليالى الطوال، ووضعنا الخطط، وبنينا الأحلام،و واستشهد عبد الرحمن وهو يسعى لتحقيق واحد من أكثر أحلامنا طموحاً.
ولكنه فتح أخيراً بدوننا، لقد إفتتحه حقانى ورجاله منفردين ، مع بعض العرب كأفراد عاديين فى الهجوم، ولم يكن لهم دورهم الخاص أو مهامهم المحددة المنوطه بهم. كنت أشعر بالأسف لذلك، وأشعر بالتقصير أننى لم أشارك شخصياً ولو على ذلك المستوى المحدود. لم أشارك أنا ولا أى من أصدقاء عبد الرحمن المقربين. لاشك أن كثيراً من الإحساس بالمسئولية ينقصنا.
صعدنا إلى مسئول الموقع وهو جاكران "رائد" فهيم، وهو عسكرى سابق فيه سمات الصلابة والإستقامة، ويبدو أنه من النوع الذى ينفذ بحزم الأوامر التى يتلقاها من قيادته العليا.
فى حديث قصير معه حول الأوضاع فى الجبل ونتائج قصف الطائرات عليهم قال إنهم فى وضع قوى وأن كل تلك الغارات لم تصب واحداً من رجاله بجرح، وفى ظنى أنه لايمكن لمن لم يعايش الحرب الأفغانية أن يصدق هذا الكلام، فالذى يرى تلك الغارات من بعد يستطيع أن يجزم بإطمئنان أنه لم يتبقي أحياء فوق ذلك الجبل.
 من الطريف أننى وحاجى ابراهيم وإخواننا فى العمليات ضد المطار تعرضنا بعد ذلك لمثل ذلك الموقف فى جبل قريب وكان إخواننا من عرب وأفغان يجزمون أن الطيران قد قضى علينا،وكان يصيبهم من الدهشه لبقائنا أحياء، ما يصيبنا الآن أمام "جاكران فهيم" وهو يقول أنه لاخسائر لديه فى الأفراد، حتى ولا جريح واحد .
إلتقطت بعض الصور لقائد الموقع وهو يمسك بيده جهاز اللاسلكى الصغير. وأخذت صوراً كثيرة لخوست ومناطق المجاهدين كما تظهر من فوق تورغار، وكنت فى حالة من الدهشة والذهول ولا أكاد أن أصدق أننى فعلاً فوق ظهر تورغار الرهيب، أو أنه أصبح جبلاً صديقاً وليس كابوساً قاتلاً.
جلسنا مع فهيم حتى توقفت الغارات الجوية على الجبل ، فلم أكن أرغب أن أكون وزميلى حاجى ابراهيم أول شهداء القصف الجوى على جبل تورغار . وأعطانا الرجل بكل ترحاب إذناً بالتجول فوق الجبل كما نشاء مع الإحتراس عند عبور مناطق إجبارية ولكنها مكشوفه للعدو فى الوادى وقد سلط عليها عدد من فوهات الدبابات ونصحنا إما بالزحف أو بالعدو السريع أو كليهما.
قابلنا مجموعات المجاهدين المتناثرة هنا وهناك. وكان قريباً منا مجموعه من جماعة أبو

الحارث قد تمركزت فوق النتؤ الأعلى بالقمه، كما تمركز آخرون منهم في تورغار الصغير.
من الآن فلاحقاً وحتى الفتح كان لتلك الجماعة إرتباط حميم مع ذلك الجبل وأدوا دوراً لا ينكر فى المحافظه عليه وفى إستخدام بعض الاسلحة من فوقه بما سبب خسائر ملموسة للعدو.
ومازال أبو الحارث حتى الآن لايعشق مكاناً على ظهر المعمورة مثلما يخفق قلبه لهذا الجبل، ولم أر مثل تلك الحاله فى حياتى أن يعشق رجلاً جبلا ويحبه كأنهما توأمان.
ورغم أنني لحظة كتابة هذا الجزء أستطيع أن أرى تورغار من منزلى فى خوست تحت هضبة متون المجيدة، إلا أننى لا أزعم أننى أحببت هذا الجبل يوماً ما، ولكننى إحترمه بكل تأكيد، و لا تبارح مخيلتى صورة عبد الرحمن وهو مدرج بدمه قريباً من قمته.
ومع الدور الهام الذى قام به أبو الحارث ومجموعته فوق الجبل إلا أنه كان أقل كثيراً مما كنت أتصور . وسوف يمر علينا تفاصيل ذلك فيما بعد.
دخلت مع إبراهيم الحصن الأكبر الذى أنشأه العدو على الحافة العليا جهه الغرب، وهو عبارة عن دشمة بدائية لكنها قوية جداً، مسقوفة بجذوع أشجار ضخمة وفوقها صخور وتراب تجعلها تصد أى قذائف ثقيلة لدى المجاهدين.كان يمكن لتلك التحصينات أن تظل عقبه دائمة لولا دبابة خليل الرائعة وخليل نفسه، الذى كنا نقول عنه أنا وأبو الحارث: "لايفل الحديد إلا خليل"، وإن كان على صعيد التعاون في عمل الجبهة كنا نعتقد أن خليل يتعمد ألا يجيب لنا طلباً، ولم نقصده مرة فى مركزه "مركز خليل" لطلب شيء عندما يكون أخيه الاكبر "الشيخ حقانى" غير موجود ، إلا جابهنا بالرفض قائلاً :"نشته" . حتى أطلقنا تلك الكلمة على المركز نفسه، وذلك كان بيني وبين أبو الحارث فقط.
ورغم قوة تلك التحصينات إلا أنها غير مريحة بالمرة، وأى أنسان عادى لا يطيق الجلوس بها أكثر من دقائق . ويبدو أنه من شده حصار المجاهدين فإن العدو إتخذ نفس التحصينات كدورات مياه لقضاء حاجة الجنود، فكانت جانبى التحصين من الداخل وهو مفتوح من طرفين عبارة عن صورة من حوارى ميرانشاه حيث تراصت، بلا فواصل تقريباً أكداس الغائط المنتن، أما البول فقد جعل الأرض رطبة ذات رائحة كريهة نفاذه .وأما الذباب اللزج فقد غطى كل شئ. لم نطق البقاء طويلاً وغادرنا المكان بسرعة. وبشكل عام فإن كل مواقع الشيوعية سواء العسكرية أو المدنية كان ذات رائحة منتنة ومنظر قبيح يقبض الصدر، وغير صالحة للمعيشة أو الإستخدام، وكان ذلك أشد فى المواقع الجبلية من خنادق وتحصينات حيث لايمكن لأى حشرة أن تطبق البقاء فيها لدقائق. ولم يستخدم المجاهدون أيا من تحصينات العدو أو خنادقه وإستحدثوا لأنفسهم ملاجئ جديدة فى زوايا مختلفة.
سرنا فى الخنادق الإرتباطية المواجهة للمجاهدين فى الجنوب، وكنا نراقبها باهتمام في السنوات الماضية، حتى وصلنا الى موقع الدبابة العتيدة التى إستشهد عبد الرحمن أسفل منها بعدة أمتار ، كان المجاهدون قد إستطاعوا إتلافها قبل عملية الهجوم، ولكنهم يعملون الآن علي إصلاحها.
فى الخندق الإرتباطي أثناء عودتنا حبستنا عدة مرات غارات قويه بالطيران ولكن كل القنابل سقطت أمامنا أو خلفنا. ومع العمق الكبير للجبل المتعامد كان التأثير منعدماً لتلك القنابل، لكننا إضطررنا للجلوس داخل الخندق الإرتباطى الضيق ، فلاحظت على جداره فى مقابلتى قطع صغيرة جداً من ثياب متفحمة وكان الجدار كله أسود فاحم، والثياب ملونة وليست عسكرية فسألت عن ما هويتها، فقالوا إنها بقايا مجاهد سقطت عليه فى الخندق قذيفه مباشرة من قنابل الدبابات، فلم يتبقى منه شئ غير هذا الذى تراه.

من الأكيد أن ما نجلس فوقه وأمامه الآن فى ذلك الخندق الضيق هى بقايا مجاهد تبخر بفعل قذيفه مباشرة، أما الذى لا أستوعبه أنها قذيفة دبابة كما يقولون فذلك غير ممكن بالنسبة لزواية رماية الدبابة والأرجح أنها قذيفة هاون، فهو الوحيد الذى يمكنه إسقاط قذيفتة بمثل تلك الزاوية الحادة، ولاشك أنه هاون ثقيل"غرنانى"، الموجود بكثره عند العدو.

كان حاجى إبراهيم متعجلاً فى العودة، والطائرات لاتكاد تتوقف عن القصف، إلتقطت أكثر من مئه صورة فوق الجبل، وفى طريق العودة ودعتنا الطائرات بمثل ما استقبلتنا من حفاوة وتكريم.

في العودة عثرنا على بعض عظام بشرية منها جمجمه قد إخترقتها رصاصة من الخلف، تصورت أنها عملية إعدام تمت فوق الجبل لأحد الجنود عندما حاول الفرار، ثم رموا جثته من فوق الجرف، وتولت السباع تمزيق الجثة وتوزيعها هنا وهناك. ما أتعس أن يساق إنسان تحت تهديد السلاح كى يقاتل عكس قناعاته ضد شعبه ودينه .

أحد الأماكن التي جلسنا فيها للإستراحة علي المدق أثناء الصعود أصيب بقذيفة مباشرة من الطائرة. لاشك أن التوقيت شئ مهم في الحرب، لقد وصلت القذيفة إلي المكان الصحيح لكن في وقت متأخر قليلاً عن موعد تواجدنا فيه.

فى الطريق كان هناك فريق من المجاهدين والجنود منهمكين بهمة في إصلاح الطريق وتمهيدها لتسهيل حركة سيارات المجاهدين.

كنت معجباً دوماً بالحاسة الهندسية لحقاني، ولاشك عندى أنه لن يضيع وقتا فى مد طريق إلى رأس تورغار، وأن يصبح "الطريق الدائرى" حقيقة واقعة، وهو طريق تخيلت أنه يصعد من غرب تورغار ويهبط فى جانبه الشرقى، رابطاً بذلك توره شني مع بورى خيل، ورابطاً كلاهما مع تورغار فيكون الثلاثه حلقه دفاعية لايمكن للجيش الحكومي إختراقها، بل يكونون قاعدة إندفاعية لعمل هجومي كبير يحمل المجاهدين إلي هضبه متون.

: :

بذلت غاية جهدى لدراسة التطورات الجديدة على ساحة العمليات فى خوست والنهج الإنقلابى الذى حدث هناك منذ معركة نادر شاه كوت ثم دراجى وما تلاهما.

صحيح أن هناك مناطق واسعة أخذها المجاهدون فى بدايات عام1989 ونهايات1988 ولكن ذلك راجع ،فى معظمه، إلى خطة القوات الحكومية إلي تقليص خطوط دفاعاتها وتركيز قواتها لتوفير حماية أفضل بتكلفة أقل. وفي خوست هوجمت القوات الحكومية أثناء عمليات الإنسحاب تلك فاضطرت إلى الإنكفاء أكثرمما ينبغى، وتم ذلك في القطاع الشرقى من وادي خوست.حاولت أن أخرج بنتائج محددة في تلك الدراسة التفصيلية.

وبذلت غاية وسعى فى ذلك، راجياً أن يؤدى ذلك إلى مزيد من الفهم الصحيح، لدى الشباب العربى فى أفغانستان لتطوير عملهم العسكرى ووضعه فى المكان الصحيح. ولكن أيا من ذلك لم يحدث على أية حال.

فى العدد الثانى من مجله منبع الجهاد نشرت دراستين مرة واحدة الأولي عن معركة تورغار والثانيه عن التطور الحادث في الأداء العسكرى للمجاهدين فى الفترة الأخيرة ، وهو التطور الذي أدى فتح المدينة فى مارس 1991 أى بعد عام تقريباً.

وفى علمى أن أحدا من العرب لم يكتب مثل تلك الدراسات قبلاً، ولكن الأوربيون ربما كتبوا وحللوا كثيراً فى كتاباتهم التى لم تصلنا على أيه حال. وإن كانت بالطبع كتبت عن بعد وليس

بمعايشه حميمة لواقع الجهاد فى أفغانستان لذا أستبعد أنها قد وصلت إلى بعض النواحى الهامة حيث أن إرتباط الحرب بالعناصر الإنسانية أهم وأخطر من إرتباطها بالعناصر المادية مثل التسليح والجغرافيا والظروف السياسية. لقد كانت حرب خوست هى صيغة أفغانية مئة فى المئة لحروب العصابات المستنتجة من حيث الأسلوب" التكتيك" والفلسفة العامة "الاستراتيجيه" من وضع تلك المنطقة المحددة من أرض أفغانستان، وظروفها الجغرافية والسكانية والنفسية والفكرية ، بل وحتى الحالة المزاجية والتقاليد الخاصة لرجال الجبال وللرعاة "الكوتشى" وسكان التجمعات شبه المدينة ، في خوست وجرديز وغيرها.

وهنا حالة خاصة جداً ونادرة، وهي ظهور قيادة ذات جدارة عملية، وتأهيل دينى عالى ، وهو جلال الدين حقانى، عالم الدين، وأحد أبناء قبيلة زدران القوية والأكثر تماسكاً، والتي تمتد أراضيها على أكثر المناطق أهمية استراتيجية ربما فى كل الجنوب الأفغاني، وأكسب ذلك حقاني نفسه نوع من المناعة فى مواجهة التآمر الباكستانى الدنئ ضد الجهاد وضد الشعب الأفغانى،لصالح الولايات المتحدة، مع مطامع صغيرة لسياسيين عديمى الولاء لوطن أو دين.

والآن نسوق هذين التقريرين لأهميتها التاريخية والعسكرية.

وأحتاط فأقول أننى لا أدعي لهما الكمال، بل هى إحدى محاولات الهواة، قام بها واحد من الدارسين ، فى منازلهم، فلم يكن يوماً طالباً في كليه عسكرية أو سياسية.

هذا ولم تثر تلك التقارير أى إهتمام يذكر فى وسط المجاهدين العرب فى أفغانستان، ولم يهتم أحد بمناقشة ما جاء فيها، بل أن معظمهم لم يقرؤها بدعوى أن الحروف الطباعية كانت خالية أحياناً من التنقيط.

والمؤسف أنه حتى الذين من المفروض أن تخصصهم هو العمل العسكرى من بين "كبار العرب" كان ذلك هو موقفهم أيضاً.

أما الأذكياء فاعتبروا كل المجله مجرد "بروباجندا" أو أنها كما قال الأكثر ذكاءاً هى مجرد (آخر شفطة). ولنقرأ معاً هذه "الشفطة العسكرية".

(راجع ملحق المقالات فى نهاية الكتاب)

: :

.. و فشل الإنقلاب المنتظر!!

وفي يوم الثلاثاء 6 مارس 90 وقع وفشل الإنقلاب المنتظر فى كابل.

ولا أعلم إنقلاباً قبل ذلك كان الجميع يتحدث عنه، وعن التداعيات المتوقعة للأحداث المترتبة عليه، وكأنه فى الحقيقة كان مخرجاً للأزمة.

أزمة وقع فيها الحل الدولى القاضى بتكوين حكومة مشتركة مزدوجة الولاء للكتلتين الدوليتين معاً، كان نجيب ا فى كابل مرحباً بالفكرة التى تضمن له البقاء والإستمرار، وأحزاب بشاور "الجهاديه" مرحبة بالفكرة (سراً) لكونها ستحقق أملاً طال إنتظاره وهو لعب دور عمالة سياسية من فوق كراسى الحكم فى عاصمة بلادهم، وليس مجرد عمالة لاجئين سياسيين واقعين تحت الإذلال حكومة من الدرجة العاشرة هى نفسها تحت الإذلال الأمريكى.

وكانت المشكله هى صعوبة قبول نجيب ا على المستوى الشعبى سواء من المهاجرين أو المجاهدين، فالرجل كأى رئيس لجهاز جاسوسية فى العالم الثالث، ثم تحول الى رئيس دولة،

حول الدولة كلها إلى كابوس من الجاسوسية، فالذى لايعمل جاسوساً سوف يتعرض للتجسس عليه. والأكثرية تفضل أن تبيت ظالمة ولا تبيت مظلومة، والمجازر العسكرية زادت وتيرتها هى الأخرى وليس القمع البوليسى فقط.

ويبدو أن اللقاءات أن المتتالية بين جورباتشوف رئيس الإتحاد السوفيتى وريجان ورئيس أمريكا ، أعطت جورباتشوف ترضيات ضئيلة في مقابل إنحسار بلاده المريع في المجال الدولى، بعد إنسحابها من أفغانستان. ومن أهم تلك الترضيات هى عدم إراقة ماء الوجه السوفيتي في أفغانستان نفسها، والحفاظ علي الرموز الشيوعية هناك ضمن أى تسوية قادمة.

وقد حصل جورباتشوف علي ترضية مماثلة في اليمن، حيث طبقت نفس القاعدة هناك، وتم تزاوج غير شرعى بين يمن الشمال "القبلى" ويمن الجنوب " الشيوعى" وإستمر عدة سنوات إلى أن أفشله الشباب المسلم فى اليمن عام 1994 وقضى على الشيوعية هناك وأبعدهاعن السلطة السياسية فى البلاد.

ولكن الأفغان إستمروا فى القتال وأفشل المجاهدين مشروع المشاركة فى الحكم مع الشيوعيين.

كانت أحد وظائف الإنقلاب المنتظر ـ وكنتيجة لإقتسام السلطة ـ هو تمييع الأساس العقائدى للصراع فى أفغانستان وكونه صراع إسلام مع كفر ، هكذا بكل وضوح وبلا أدنى شبهة.

كان ذلك منذ الأيام الأولى لحمل السلاح ضد حكومة حزب خاق الشيوعي.وإستمر ذلك وإشتد مع التدخل العسكرى للسوفييت. وكانت الولايات المتحدة كعادة الغرب دائماً تخشى أن تضع الشعوب الإسلامية خاصة، علاقه الصراع بينها وبين الغرب فى ذلك الإطار الواضح الصريح الذى هو فى صالح الطرف الإسلامى وحده لأنه يستنفر فيه أسمي طاقات الدفاع عن الذات. وترغب أن تضع الصراع فى صورة صراع حضارى أو إقتصادى أو ثقافى ولكن ليس عقائديا.

ولأجل تمييع الطابع العقائدى للمسلمين عامة ،والذى تأثر بالطرح العقائدى للصراع فى أفغانستان، كان لابد من التخاص من المجاهدين العرب الذين هم التجسيد العملى لطابع المواجهة العقائدية بين أمة الإسلام وأمم الكفر.

لذا بدأ برنامج أمريكى غاية فى القسوة والهمجية والمكر فى سبيل التخاص من هؤلاء المتطوعين العرب.

وقد رأينا مجهوداتهم عام 89 والتى كان أبرزها ترتيب مجزرة جلال آباد ثم إغتيال الدكتور عبد ا عزام، رمز هذا التواجد ومنظره الدينى. ذكرنا أن مجزرة جلال آباد التى بدأت عام 89 قد إستمرت تحرق الشباب العربى حتي نهاية الحرب عام 92. كان هناك تشجيع سعودى خفي بتوجيه الشباب نحو تلك المحرقه وتسهيل وصولهم إليها. وكان عملاء وجواسيس السعودية فى المضافات المنتشرة في بشاور يرتبون "رحلات الموت" من بشاور إلي جلال آباد وتمول "معسكرات الجزارة" وميليشيات عربية حقيرة من عملاء السعودية يقودون الشباب الجدد عديمو الخبرة إلى أقصر الطرق نحو القتل الذين أسموه شهادة رغم أنه مجرد جريمه قتل عمد مكتملة الأركان.

كان عدد من الشباب الإنتهازى فى جلال آباد قد تحولوا إلي أمراء، وصار لهم سيارات وأسلحة وذخائر، ومصادر تمويل، وسفراء يطوفون بالسعودية والخليج لجمع تبرعات من المحبين والمشجعين، وزيارات إلى المشاعر المقدسة للحج والعمرة ،ومثل كبار العملاء المحترمين، يستقبلهم عملاء السلطة وكبار موظفيها حتى صار لهؤلاء التافهين كينونة أدارت رؤوسهم

فتمسكوا بها حتي الثمالة. كانت جلال آباد أسوء موطن "لتجارة الجهاد" التى مارسها عدد من العرب الذين سبحوا بمهارة فوق برك الدماء العربية.
ومنذ عام 90 بدأت حوادث ـ وأن كانت قليلة إلا أنها تكررت ـ وهي حوادث إغتيال العرب داخل أفغانستان وبعضها كان جرائم مركبة، بمعنى أن مدبري الحادث الحقيقيون يلقون القبض على بعض المنفذين، ثم يطالبون من العرب القصاص لقتلاهم ، وهذا يسعد العرب بالطبع.
ولكنهم لا يدركون خبث العملية، إذ أنهم بتنفيذ القصاص قد أصبحوا مطلوبين قبلياً للثأر.
والقبلية لاتنظر إلي أن العملية كانت قصاص بل ترى أن عربياً قد قتل أحد أبنائها .
فتوسعت دائرة قتل العرب، بل وقاعدة رفضهم شعبياً وبعنف من جانب القبائل الموتوره.
وقد إضطر بعض العرب البارزين إلي مغادرة الساحة الأفغانية عندما إكتشفوا أنهم تورطوا بطيب خاطر فى ثأر قبلى لايمكن تسويته، بينما كان يظن أنه ينفذ حداً شرعياً في قاتل أوشيوعي مرتد . . إلخ .
مؤامرات دبرها بعض الخبثاء العاملين فى مخطط طرد العرب أو تصفيتهم .
قبل الإنقلاب "المنتظر" بفترة وجيزة كان قد قتل خمسة من العرب إغتيالاً في جلال آباد ، ثم طلب من زملائهم القصاص لقتلاهم ففعلوا فبدأت الدورة الشيطانيه بطلب الثأر.
إذن فضرب المرتكز العقائدى للجهاد فى أفغانستان كان ـ فى نظري ـ الهدف الأساسى لذلك الإنقلاب المنتظر. ولكن من يجرؤ علي عبور تلك الفجوة المخيفة التي تفصل ماهو عقائدى و أساسى وبين ماهو مخالف للدين والعقيدة ومصالح الشعب، الذي ضحى وقاتل من أجل التخلص من الشيوعية ومن أجل حكم إسلامى للبلاد؟.
مثل ذلك الدور، الذى وصفه الحقيقى هو الخيانة ، تقوم به عادة زعامات صنعتها قوى خارجية وإكسبتها نجومية مزورة وأضفت عليها هالات من الجسارة والعبقرية، بحيث تجتذب قلوب شعبها. فإذا حدث ذلك فإنها تقفز فوق الفجوة المخيفة، وتنتقل من البطولة المزيفة الي الخيانة الحقيقية ، وبحيث يبدو ذلك إنجازاً وبطولة جديدة من جانب معظم الغوغاء ، أما من يعترض على سحر البطولة المزيفه فيبقى معزولاً بحيث يسهل القضاء عليه من جانب "بطل الحرب والسلام" الذى صنعته دعاية الأعداء كى يقوم بالقفزة البهلوانية الخطرة.
هكذا فعل أتاتورك فى تركيا ، البطل المزور فى ميادين الحرب الإستعراضية ضد الإنجليز، فسجد له الشعب التركى كبطل حرب مستحيلة ، فقفز أتاتورك وأدى دوره الأساسى، فضرب الإسلام في مهد الخلافة العثمانية، وأعلن علمانية أشد كفراً من صليبية أوروبا.
وهكذ فعل السادات ـ بطل حرب أكتوبر ـ الذى كان فى الحقيقة خائنها الأول. فبعد إضفاء هلات البطولة المزورة قفز هو الآخر وأدي حركته الخطيرة والأخيرة، وعبر بمصر والعرب من خانه العداء لإسرائيل، إلي خانه الإنبطاح بجدارة تحت أحذية إسرائيل وأمريكا.
أما أفغانستان، فكان أتاتورك والسادات معاً هو البطل الشاب "الأصولى المتطرف" إلى آخر هالات الزيف التى حرص الغرب على لصقها بالنجم الشاب، وبيعه للشعب الأفغانى ومسلمى العالم على أنه بطل أفغانستان الذى لايبارى في حدته وجديته.
قام البهلوان الأفغانى بقفزته الأساسية ولكنها جاءت في فراغ وفشل الإنقلاب ولكن اللاعب العنيد والمسلم الأصولى كرر لعبته عدة مرات بعد ذلك، ولكنه لسوء حظه ظل يفشل فى كل مرة حتى طرد من كابل هو ومن شابهه من لاعبين فاشلين مثل ربانى وسياف من قادة "الجهاد الافغانى" الذين طبل لهم "الإعلام الإسلامى" الإخوانى ، مندوب أمريكا فى العمل

الحركى الإسلامى . وفى النهاية تحالفوا جميعاً بعد أن طردهم طلاب العلوم الشرعية فى أفغانستان (حركه طالبان) ، فتحالف هؤلاء القاده المجاهدون مع روسيا ! ! .
ولم يجدوا غضاضة فى العمل مع عبد الرشيد دوستم أبشع زعيم ميليشيات شيوعية فى تاريخ البلاد ! ! . فما هى حقيقه هؤلاء الزعماء؟ وكيف وصلوا إلى الزعامة؟؟.
وما صلة الإخوان المسلمين بكل ذلك القيح السياسى ؟.

□ □ □

نعود مره أخرى إلى تلك النقطة الهامة وهى تفريغ الصراع في أفغانستان من طابعة العقائدى، وإيجاد مزالق (جاهلية) يستمر تحت غطائها ذلك الصراع.
فقد ظهرت منذ عام 89 دعاوى عرقية، والصدامات على أساس عرقى، وكان حادث فرخار أول حادث إشتهر من ذلك النوع ، وإن كان مسعود في شمال البلاد قل بذل كل طاقته، متعاوناً مع السوفييت ونظام كابل فى إجراء تطهير عرقى للشمال.
وخطوته الأولى كانت تصفية قوة البشتون هناك. وبدأ بالقادة الكبار أصحاب الشوكة، وأعترف أننى لم أنتبه الى تلك الحقيقه إلا متأخراً جداً، وبعد فتح كابول حين دخلها مسعود متحالفاً مع دوستم،و وبدأ القتال بينه وبين حكمتيار فى معسكرين متمايزين واحد للطاجيك المتحالفين مع الأوزبك (مسعود ودوستم) والآخر للبشتون (حكمتيار) .
وقد نفخ الإعلام الغربى في تلك الجمرات كثيراً حتى إشتعلت وتأججت ولم يكن الإعلام وحده فى الساحة، فقد كانت باقى أجهزة الغرب الإستخبارية تدفع الأفغان في نفس المسار.
وقد سؤل حقاني في نهايه 89 من قبل إذاعة غربية هذا السؤال:(بعد إحكام حصاركم علي مدينه خوست فهل تلجأون إلي حل القضية معهم سلمياً على إعتبار أنهم بشتون مثلكم؟) .
أجاب حقانى بإسهاب موضحاً أنها لست حرب قومية بل حرب إسلام وكفر.
وفتح الغرب مسارب أخرى للقتال فى أفغانستان، لطمس سمتها العقائدية الأساسية.
واحد من تلك المسارب هو الحرب المذهبية، وقد بدأها أيضاً حكمتيار (ممثلاً لسياسة باكستان) فى مقابلة جميل الرحمن زعيم كونار السلفى(ممثلا لسياسة السعودية) . بدا ذلك بوضوح عام 90 ثم تدخلت الأحزاب جميعها فى الحرب خلف حكمتيار مشكلين تحالفاً "حنفياً" فى مقابلة وهابية جميل الرحمن ، ودارت مجازر في كونار .
كان من أهدافها أن تشمل العرب في أفغانستان علي إعتبار أنهم جميعاً مع الوهابية. ولكن الإستجابة خارج كونار كانت ضعفية وفشلت باكستان والسعودية في جعلها حرب شاملة تطال المتطوعين العرب. وقد بذلت السعودية غايه جهدها فى توسيع نطاق المعركة وإقحام العرب فيها . فارسلت عدداً من جواسيسها إلى أفغانستان، وإفتعلوا صدامات مذهبية مع المجاهدين وأعلنوها حراباً على"شركيات" الأفغان "وقبورية" المجاهدين، وعبثوا ببعض القبور ونزعوا تمائم من على صدور المجاهدين وأطفال الأفغان بكل الغلظة المعروفة عنهم، حتى أن أحدهم أخرج سكيناً ووضعها علي رقبة طفل لقطع حبل التميمة المربوطة حول عنقه . لولا أن بعض زملائه منعوه حتى لا يحدث قتال مع الأفغان وهم يرون "عربى" يضع السكين على رقبة أحد الأطفال كى ينزع آيات من القرآن من حول عنقه.
الحرب المذهبية فى كونار عندما لم تنجح فى الإمتداد إلى باقى الولايات لتطال العرب المجاهدين هناك كان لابد من إدخال العرب وتوريطهم مباشرة فى حرب كونار.

وقد تم ذلك عندما أقنعت جماعة حكمتيار وعناصر من الإستخبارت السعودية أقنعت شاباً عربياً متحمساً (عبدا الرومي) بأن يتولى قتل جميل الرحمن الذى صوروه له عقبة كأداء ضد توحيد المجاهدين وإيقاف الحرب بينهم.
تولى ذلك الشاب قتل جميل الرحمن، و قتله فى الحال حراس القتيل، فإختفى معه سر الجريمة.
ولكن مخابرات باكستان والسعودية تولوا إكمال العمل فحذروا جميع القادة الميدانين المشهورين فى أفغانستان، والذين يعمل في جبهاتهم متطوعون عرب، بأن هناك "شبكة إرهابية" بين هؤلاء العرب تهدف إلى قتل القادة الأفغان المشهورين. تركت تلك الوشاية أثارها وساد نوع من الحذر والتوجس لكنه لم يصل إلى درجة القطيعة أو القتال، على عكس ما تمنت باكستان والسعودية.
: :

نعود مرة أخرى إلي "الإنقلاب المنتظر"، وهذا ما كتبته عنه فى وقتها فى مقال تحت عنوان: (شاه نواز: هل كسر الحاجز النفسى). وقد نشر فى مجلة أفغانستان(العدد 19/20)
:::
:::

شاه نواز: هل كسر الحاجز النفسى؟

فى غياب التطور العسكرى للمجاهدين الأفغان منذ نكسة جلال آباد فى العام الماضى، صارت أشد الأحداث تفاهة على المستوي الداخلى تمثل تغييرا مثيراً يشغل مساحة إهتمام أكبر بكثير من حجمه الحقيقى. وهكذا كانت المحاوله الإنقلابيه الفاشله التى قادها وزير الدفاع الأفغانى "شاه نواز تاناى" في مارس 1990.
ورغم فشل الإنقلاب إلا أنه غنى بدلالات التي ترسم صورة واضحة لتوازن القوى لأطراف الصراع: المجاهدين من ناحيه وحكومة نجيب فى كابل من ناحية أخرى.

الإنقلاب المنتظر

فالإنقلاب كان يفتقد أهم عناصر العمل الإنقلابى وهو المباغتة. فمنذ ما يقرب من عام وهناك أكثر من زعيم من زعماء المجاهدين يبشر بإنقلاب قادم من داخل الجيش يحمل فى طياته بدايات الحل للمشكلة الأفغانية. وتم رسم سيناريو لذلك الحل بأن تتشكل حكومة إنتقالية يشارك فيها الإنقلابيون مع قاده المجاهدين "حول كابل" وتشرف تلك الحكومة على إنتخابات يختار فيها ممثلين، يقررون بدورهم شكل النظام القادم في أفغانستان.
والحل المطروح ، على ما يحتويه من غموض وخطورة ، ليس هو الغريب بقدر غرابة التلويح العلنى بعمل من المفروض أن يتم فى الخفاء، ألا وهو الإنقلاب العسكرى المنشود.
فقد أعلن البعض، زيادة فى التأكيد، عن وجود إرتباطات قوية مع ضباط الجيش يرتبون لإنقلاب قادم فى كابل .
ولما كان نجيب ا ليس إستثناء من رجال الحكم في كل مكان، فما كان له أن ينظر بتساهل

إزاء تلك التصريحات. ورجل في مثل خبرته في إدارة أجهزة التجسس السرية لم يكن منتظراً بأى شكل أن ينظر لتلك التصريحات بروح رياضية.
وقام بما يجب على من كان في مثل موضعه أن يقوم به، فأجري عمليات"غربلة" و"تمشيط" للقوات المسلحة خاصة المستويات القيادية، و أولى عناية خاصة لوزير دفاعه "شاه نواز" و باقى الطاقم (الخلقى) الذى مازال يتمتع بنفوذ كبير داخل الجيش في دولة (برشميه).
فتم إعتقال وزير الدفاع وإستبعاده، كما ألقى القبض علي عشرات من كبار الضباط. وحسب بعض المصادر فإن وساطة سوفيتية كانت وراء عودة وزير الدفاع إلي منصبه حرصاً على "وحده الصف" و"توحيد الجهود" و"لقاء الأشقاء".. إلخ
كان ذلك فى ديسمبر العام الماضى وهو في حد ذاته كفيل بإلقاء بعض الشكوك على أن السوفييت كانوا على تعاطف مع نواز وجماعته، بل ربما أرادوا إعطائهم فرصة لإزاحة نجيب الذى أصبح ، بشكل شخصى، عقبة أمام تمرير التسوية، خاصة وأن موضوع المشاركة في حكم "موسع" يضم القوي العاملة فوق الساحة الأفغانية أو الأطراف الإقليمية فى منطقة النزاع، بل والأطراف الدولية الشغوفة بالتورط في المنطقة.
إن نجيب بالنسبه للسوفييت الآن ، على مايبدو،يتمتع بمركز إستثنائى كالذى تمتع به سالف الذكر "تشاوشيسكو" فى رومانيا، حيث أغمض السوفييت أعينهم عنه وهو يقف أمام بنادق فرقة الإعدام، لكى يفتح موته الباب لرومانيا لتلحق بالعهد الجديد الذى دشنه جورباتشوف للإمبراطورية الروسية وتوابعها.
إن بقاء نجيب على رأس الحكم فى كابل يمنع أفغانستان من اللحاق "بالبروسترويكا" الروسية تحت مظلة حكومة موسعة ترضى جميع الأطراف وتجعل كل فريق يحصل على جزء من الكعكة الافغانية التى ستبقى طبقاً لذاك الحل فوق المائدة السوفييتية.
ولكن ذلك يناقض ما يدعيه وزير الدفاع الإنقلابى "نواز" من أن السوفييت هم العقبة التى صادفته وأن طائراتهم المنطلقة من داخل الأراضي السوفيتية هى التي دمرت مقر قيادته وطائراته المقاتلة فى مطار "بجرام" قرب كابل، وهو إدعاء يصعب إثبات صحته.
ولكن الأحداث التى شهدتها كابل فى ذلك الوقت تبرهن علي أن العملية الإنقلابية لم تكن محكمة، وأن إخمادها من جانب نجيب وأعوانه كان سهلة نسبياً رغم الخسائر الكبيرة التى صاحبت المحاولة.
وكون الإنقلاب منتظراً منذ ما يقرب من عام، وتم الإعلام عنه وعن الإتصالات بين قادة من المجاهدين وضباط الجيش بهذا الخصوص. كل ذلك يجعل إستعدادات نجيب وأعوانه فى قمتها ويوقظ لديهم كل حواسهم التجسسية، وإمكانات جهازهم الخاص بأمن الدولة "واد".
"نواز" نفسه كوزير دفاع كانت تحت المجهر طول الوقت ويمكن التكهن أيضاً بأن كل المتصلين به كانوا كذلك. وليس هناك أيسر من إحباط إنقلاب منتظر من وزير دفاع مشتبه فيه إلى جانب كونه خصم سياسى لرئيس الدولة.

إيجابيات الإنقلاب

لقد أعطت المحاولة الإنقلابية الفاشلة بعض المردود لصالح المجاهدين. مثل إظهار التفكك الحاصل فى جبهة التحالف الشيوعى الهش فى كابل، وإبراز الصراع "الخلقى/ البرشمى" كعامل مدمر مازال يعمل منذ سنوات طويلة حتى قبل التدخل الروسى فى أفغانستان.
كما أن المحاولة المذكورة أضعفت المركز السياسى لنجيب الذى يحاول إحتواء جميع أطراف

المجتمع الأفغانى تحت عباءته. وأظهرت عجزه حتى عن إحتواء زملائه الشيوعيين، فكيف بباقى الأطراف الأخرى؟.
كما أبرزت المحاولة ضرورة تغيير نجيب تحت كل الظروف وأيا كان الحل القادم.
ويمكن القول بأن المحاولة الإنقلابية وأن كانت قد فشلت فى الإطاحة بنجيب، إلا أنها قضت على مستقبله السياسى. وبالنسبة للمؤسسة العسكرية ، التى هى الركيزة الرئيسية لنظام نجيب، فقد تأثرت سلبا بالمحاولة الإنقلابية التى سبقها عمليات "تطهير" داخل المناصب القيادية فى الجيش. ولحقتها عمليات "أشد تطهيراً" بعد فشل المحاولة. كل ذلك سيضعف قوة الجيش تنظيمياً إلى جانب الإنهيار المعنوى فى صفوف القيادات الصغرى بين الضباط ، ناهيك عن الجنود الذين تجاوزت روحهم المعنوية حد الإنهيار.

سلبيات الإنقلاب

أما النتائج السلبية للمحاولة الإنقلابية فلها عدة جوانب:
الجانب الاول: أنها أظهرت بشكل سريع ومباشر تفكك الجبهة السياسية للأحزاب فى بشاور. وكالعادة لم يكن هناك موقف موحد،أو حتى منسق، بين تلك الأحزاب تجاه المحاولة الإنقلابية والقائمين عليها.
فبينما إندفع طرف إلى درجة بعيدة فى تأييد المحاولة إلى درجة تقترب من التحالف السياسى مع "شاه نواز" وطاقمه الخلفى فى إطار برنامج مشترك لإسقاط النظام فى كابل وتشكيل ملامح نظام بديل يتم الوصول إليه بمجهود مشترك.
وقد دافع نواز عن ذلك التحالف مع الجماعة التى إحتضنته من المجاهدين بأنه تحالف تكتيكى. بينما أنكرت الجماعة المذكورة وجود أى تحالف. وذلك فى حد ذاته تكتيك قديم حول المسميات الخاصة بحقائق ثابتة.
والتحالف التكتيكى لاتتغير طبيعته إذا أطلقنا عليه مسميات أكثر لطفاً مثل "تعاون مؤقت" أو " إستفادة من الظروف" إلخ.
والتحالفات ، مؤقته كانت أو دائمة، لا مأخذ عليها فى حد ذاتها لكونها ضرورة سياسية لايمكن الإستغناء عنها، ولكن المعيار في الأخذ بها أو رفضها هو مدى الفائدة المرجوة منها.
والفائدة المعنوية قد تعطى أولوية عن الفائدة المادية ،خاصة في صراع عقائدى كذلك الدائر على أرض افغانستان. وعلى ذلك فالتحالف بين حزب جهادى فى أفغانستان وبين مجموعة شيوعية منشقة عن حكم كابل يسبب إضعافاً لاشك في منطلقات العمل الجهادى، ويحوله تلقائياً من صراع قائم على أساس العقيدة إلى صراع سياسى بحت هدفه السلطة لاغير وبأى وسيلة كانت.
والفارق كبير فى الحالتين، وقد مرت قضايا إسلامية فى هذا القرن بذلك المنزلق الخطر.
وكانت نتيجة التحالفات السياسية "التكتيكية" هى تحول إستراتيجي فى منطلق الصراع نفسه، وتحويله من مجال العقائد إلى مجال المنافع السياسية الوقتية.
من هنا يعتقد بعض المحللين أن من النتائج الجوهرية للمحاولة الإنقلابية الفاشلة لشاه نواز ،هى بوادر تحول جذرى فى المنطلق العقائدى للقتال الدائر في أفغانستان ،كى ينتقل من المجال ا لأيديولوجى الذى ظل دائراً في فلكه لأكثر من عقد من الزمان، ليدخل مجال الصراع السياسى القائم على أسس نفعية.
لقد إتخذت خطوات متوازية فى هذا المجال، واحدة من جانب شاه نواز وأخرى من جانب

مضيفه الجرئ .
فى تحول جذرى بهذا الشكل ، وتفادياً لقوة الرأى العام ،الذى ما زال في إجماله يتبع المنطلق العقائدى الإسلامى فى الصراع ضد الشيوعية داخل أفغانستان.
فإن التحول يبدأه طرف أكثر جرأة ليحطم " الحاجز النفسى" بينما يلجأ الزملاء إلي المعارضة اللفظية العنيفة، وبعد أن يكتمل إنهيار الحاجز النفسى لدى الجمهور الأفغانى، تكتمل مسيرة "المصالحة الوطنيه" ويتم الهجران الجماعي للمنطلق الأيديولوجى الذى كان مناسباً فى مرحلة القتال كنوع من التعبئه المعنوية للمحاربين، والذى لابد من هجرانه فى مرحلة التسوية السياسية المبنية على واقع الحقائق الباردة للوضعالإقليمى والدولى، الذى تتحكم فيه مصالح قوى أعظم كانت تسعر القتال طوال سنوات تحت ستار أيديولوجى وأعينها على تسوية سياسية فى نهاية المطاف تراعى المصالح وليس العقائد.

تنازلات عقائدية

"شاه نواز" قدم تنازلات عقائدية أعمق وأسرع، وإن كان لم يخرج كثيراً عن الإطار الذى رسمه عدوه اللدود فى كابل "نجيب ا " فكلاهما أعلن تخليه عن الشيوعية وأكد بأنه "مسلم أصيل" كما أكد كلاهما بأن حزبه بحاجة إلي عملية "ترميم" ليصبح أكثر قبولاً من جانب الشعب الأفغانى. وبينما يردد نجيب تلك الأقاويل، منذ أشهر طويلة ومن تحت حراب البنادق فى كابل، فإن "شاه نواز" وجد الفرصة لكى يردد نفس الأقوال من خنادق المجاهدين وهو يحمل هالات "البطوله الوطنية" فى مكافحة نظام يرفضه الشعب.
لاشك أن كهوف لوجار ،حيث قالوا أن نواز متواجد فيها مع جماعة حكمتيار، إكسبت دعاوي نوازمصداقيه أكثر من أقوال نجيب التى تكذبها حملاته العسكرية ضد الشعب الأفغانى.
وتلك خدعة إعلامية ، بقصد أو بدون قصد ، قدمها مجاهدون أكثر جرأة لتكسير الحاجز النفسى الذى بنته الدعاوى الأيدولوجية السابقة. وتمهيداً لا شك فيه لكى يقبل الشعب الأفغاني فكرة "توبة" الشيوعيين الأفغان ومنحهم صكوك الغفران التى تغسل الدماء التي تخضبت بها أيديهم لأكثر من عقد من الزمان.
إن الصورة التي ساهمت تجربة شاه نواز في تأكيدها لدى الرأى العام الأفغاني والدولي هى أن الحرب في أفغانستان إنما هى حرب أهلية بين أفغانى مسلم وأفغانى مسلم، وأن إختلفت درجة الجودة هنا أو هناك .

و ماذا بعد؟

بعد المحاولة الإنقلابية الفاشلة كيف ستسير الأمور داخل أفغانستان ؟. سنكتفى برصد بعض المظاهر دون الدخول فى مجازفة التنبؤ بالغيب. فمما لاشك فيه أن مرحله جديده في مسار القضية الأفغانية تتمخض عنها الأحداث الجارية.
وكما تنبئ الظواهر فإن القوى العظمي تمسك بأكثر خيوط اللعبه، وذلك لا يعنى حتمية أن تسير الأمور على هوى تلك القوى بشكل كامل، فأى طرف مهما كان حجمه صغيراً يمكنه إحراز مفاجآت في الوضع تؤدى بدورها إلي شئ من التعديلات.
والخوف من الركود العسكري الذى تعيشه المقاومة الأفغانية قد يؤدى إلى إفلات كثير من الأوراق من بين يديها لكى تطير إلي أيدى أحد اللاعبين الكبار. وليس سراً أن أوراقاً هامة طارت من يد الأحزاب الافغانية إلى يد اللاعب الأمريكى. وذلك إهدار لاشك فيه لحقوق

الشعب الأفغانى الذى عانى وضحى بأرواح مئات الألوف من زهرة شباب أولاده.
والعجز عن حسم أى موقف عسكرى داخلى حول المدن المحاصرة ليس عجزاً واقعياً بل هو عجز مصطنع تسأل عنه القيادات الأفغانية قبل غيرها.
كذلك الشرخ الحادث فى الموقف المبدئي العقائدى الذي لف موقف المنظمات فى حاجة إلى إعاده تأكيد بواسطة برامج عمل وليس بمجرد بيانات مصاغة بلغة (عربية) بليغة وفصيحه، فتلك السلعة التي كانت رائجه في سنوات ماضية، فى بوار تدريجى.
والشعب الأفغانى هو الذى يحتاج هذا التأكيد قبل أى طرف عربى فيما وراء البحار. فالدماء الأفغانية هى التي أريقت، والديار الأفغانية هى التى خربت، والشعب الأفغاني هو الأكثر حاجة لأن يعرف وجهة المسير، وأن يعرف بوضوح أكثر، وبطريقة عملية أين الإسلام من كل ذلك الذى حدث في الماضى وما يحدث حالياً وما سيحدث مستقبلا على أرض أفغانستان.

(إهـ) ***********************

خوست ... زحف النهابين

أول تأثير سلبى على المجاهدين من ظهور شاه نواز المتحالف مع جلب الدين حكمتيار، كان فى خوست.
كان الجميع يتوقعون أنه بعد سقوط تورغار فى يد المجاهدين فإن المدينة لن تبقى طويلاً، ربما أسابيع وتصبح هى الأخرى فى أيدي المجاهدين، وبمعنى أدق بين يدى حقانى.
وتلك بلا شك كارثه.. كارثه على أحزاب بشاور الذين إرتبطوا منذ وقت طويل بالخارج وينتظرون أن يحملهم ذلك الخارج إلي كراسى الحكم فى كابل بأي صيغة كانت.
كان حسم معركة خوست عسكرياً يعنى سقوط النظام بالقوة، يعنى فشل الخطة الأمريكية السوفيتية لعلمنة أفغانستان.
في ظنى أن فتح تورغار عجل بولادة الإنقلاب المنتظر الذى كان متعسر الولادة، بل كان خطيراً على القائمين عليه بسبب أنه فقد عنصر المفاجأة الحيوية لكل إنقلاب.
والذى يثير الشك فى أن أحداث خوست كانت محركاً أساسياً فى التعجيل بالإنقلاب، الذى تأخر كثيراً، هو أن أول تحرك جدى وسريع للثنائي الحليف(حكمتيار/ نواز) كان إلى خوست.
فى البداية أعلنت دوائر حكمتيار أنه تحرك مع حليفه إلى جاجى ثم إلى لوجار. ولكن الحقيقه أنهما جاءا الى معسكر "جهاد وال" التابع لحكمتيار والمجاور لمعسكر جاور التابع لحقانى.
ومن "جهاد وال" بدأت الثنائى الثورى فى إتلاف العمل العسكرى في خوست. لقد طلب حكمتيار من حقانى إيقاف العمليات الهجومية الوشيكة والتى كانت علي وشك البدء بها بدعوى أن المدينة سوف تستسلم لشاه نواز الذى له أتباع كثيرون وأصدقاء فى حامية خوست وأنه يتصل بهم لأجل التسليم بدون قتال.
عندما شاع نبأ المفاوضات وإحتمال إستسلام المدينة عمت الفوضى وعم التراخى، فالمقاتلون في معظمهم يفضلون الغنائم الباردة عن الحرب الساخنة ومآسيها وذلك طبيعى. وأنتشر الخبر على الجانب الآخر من الحدود، فأستنفرت القبائل ومعسكرات المهاجرين، وتدفق الناس إلي مراكز قياده حقانى في مركز خليل حتى ضاقت بهم الشعاب والوديان.
والطريف أن الجميع يطالب بالمشاركة في الفتح !!. وجميعهم مسلحون بالبنادق الآلية وكان مشهداً غريباً، ومأساويا بقدر ماهو هزلى. وقد إنتهى بهم ذلك الجشع علي الغنائم الباردة إلى

مصيبة مغاظة، فلم أستطع كبح نفسى عن الشماتة بهم.
ويحاول حكمتيار رشوة حقانى فيعرض عليه إقتسام المدينة سويا بعد إستسلامها، ولكن حقانى ينتبه للفخ . فإلى جانب لا أخلاقية العمل فإنه أيضاً سوف يتسبب في مذبحة رهيبة بين المجاهدين، فهناك من وقفوا في المعركة لأكثر من عشر سنوات، وهناك مجاهدى المنطقة على نطاق الوادى الفسيح، ثم هناك الهمج والسارقين الذين حضروا بأسلحتهم لأخذ حصتهم من الغنائم، لأنهم ساعدوا المجاهدين يوماً ما. بل أنهم أدعوا أنهم مجاهدون فعلاً طوال الوقت، رغم وجوههم الكالحة التى لم ينعم أحد برؤيتها في الجبهات قبل ذلك.
ثم إشترط حقانى وحذر حكمتيار بأنه لن يقبل أى مشاركة للشيوعيين فى حكم خوست أو فى أي عمل آخر، وأنه سيعامل من يتحالف مع الشيوعيين نفس معاملته للشيوعيين أنفسهم، وأن الذى يستسلم منهم ليس له إلا الأمان علي نفسه وماله وعائلته، وليس أكثر من ذلك.
وفى النهاية فشل مشروع (حكمتيار/ نواز) في خوست، كما فشل قبل ذلك في كابل.
ولم تتوقف مسيره الفشل لحكمتيار حتى كتابة هذه السطور. أما شاه نواز فيقال أنه يعمل الآن فى خدمة الاستخبارات الباكستانية .

الثلاثاء 6 مارس 90

كنا فى جبل الترصد الي جانب عبد العزيز وهو منهمك فى أعماله اللاسلكية عندما جاء إلى ذلك المركز مجاهد شاب يدعى "سيد جمال الدين" وهو من إحدى القرى فى غرب خوست.
وكنت قد تعرفت عليه حديثاً وهو يعمل علي قاذف صواريخ صقر رباعى المواسير، وكان الغريب عند سيد جمال الدين هو قدرته علي الرماية على أي هدف داخل خوست ،بدقة متناهية، وبدون إستخدام أى معدات توجيه .
كنت أعجب مما يفعل فكان يضحك ويقول: إن خوست كلها مرسومة في خريطة داخل رأسى. كان ذلك أمراً مشهوداً به، ولا أنسى قذيفته الشهيرة التى أصاب بها ، من أول صاروخ ، غرفة إجتماع كبار ضباط خوست في مقر قيادة الفرقه 25(حيث أسكن حالياً على بعد خطوات منها لذا فمازلت أرى أثار تلك القذيفة العجيبة التي أخترقت سقف الغرفة تماماً)، ولكن الاجتماعات كانت تعقد فى غرفة تحتية واسعة ذات تحصينات وأسقف أسمنتية، لذا لم تتأثر قاعة الإجتماعات العسكرية ولكن العديدون قتلو وجرجوا من جراء ذلك الصاروخ.
سيد جمال جاءنا بعد الغروب ليخبرنا عن نبأ وقوع محاولة إنقلاب عسكرى فى كابل بقيادة وزير الدفاع شاه نواز تناى وأن القتال مازال دائراً فى مطار بجرام وأماكن أخرى.
كانت علائم الفشل واضحة منذ البداية فالذي يحرك للإنقلاب هو عدد من الطائرات، ولا أثر فى الأنباء لجنود مشاة تحركوا للسيطرة على العاصمة.
أما المعارك المستمرة فليست من علائم النجاح فى الإنقلابات بل غالباً تكون من علائم الفشل، فالمفروض فى الإنقلاب السرعة وليس الإستنزاف البطئ.

الأربعاء 7 مارس 90

أنباء متداولة بين المجاهدين أن حكومة خوست تتفاوض سراً مع حقانى من أجل التسليم.
فى الواقع أن شاه نواز قد هرب من كابل أمس مع أسرته فى طائرة هيلوكبتر إلى باكستان، ومنها مباشرة إلى خوست !!، وليس إلى الأماكن الأخرى التى وردت فى الانباء مثل لوجر أو جاجى، وهذا ما يؤكد وجود صلة قوية بين فرار شاه نواز وبين معركة خوست، ووصول

المدينة إلي حافة السقوط.
راديو كابل مازال يذيع بيانات ضد (وزير الدفاع الخائن) الذى أسموه (شاه نواز جاب الدين)، ولكن جاب الدين حكمتيار صرح منذ الأمس أن لاعلاقة له بالإنقلاب ولكنه أصدر أوامره بالإستفادة منه!.
نزلنا لرؤيه حقانى فى مركز خليل ولكن ذلك كان صعباً للغاية فهناك عشرات السيارات ومئات البشر قدموا من ميرانشاه وأماكن أخرى لرؤية حقانى، لقد بدأت الذئاب تشم رائحه الدم.
كان حقاني فى إجتماع موسع وبرفقته مولوى نظام الدين والدكتور نصرت ا ، كان الإرهاق ظاهراً عليه، فلم أستطع الحديث معه لأن المئات يتدافعون فى الخارج للحديث معه حول (إفتراس خوست) !.

الخميس 8 مارس 90

بدأت الغارات الجوية مع أول ضوء وبكثافة، كأن الحرب قد نشبت. كانت ضربة وقائية، فحكومة كابل تعلم ما يدور فى خوست، وبأن المشاورات جارية بين شاه نواز وقيادة المدينة من أجل التسليم.
ومهمة تلك الغارات إظهار القوة، وتثبيت قيادة الحامية في خوست وتهديدهم فى نفس الوقت إن هم إستسلموا، فالعقاب الجوى سوف يكون سريعاً ورادعاً ليس فقط بالطائرات بل أيضاً بصواريخ سكود.
جلسنا أمام المغارة نحتس أكواب الشاي، وجلس إلى جانبى الشيخ نظام الدين، ثم جاء حقانى وآخرون. وكانت فرصة للحديث قبل أن يستأنف برنامج المقابلات "الجماهيرية"مع أصحاب السيارات التى مازالت محتشدة، ومن المتوقع أن تتزايد هذا اليوم فقد ذهب بعضهم لإستجلاب المزيد من "النهابين".
بدأت الحديث الذى قطعناه عدة مرات بسبب الغارات الجوية القريبه للغاية من مركزنا، ومع ذلك لم يفكر أحد من "المشايخ" أن يترك موضعه ليأوى إلى المغارة القريبة، وكنت مرغماً على مسايرتهم، خاصة وأن حقانى موجود .
قال حقانى إن أحد أعوان" شاه نواز" سيذهب لمقابلة قيادة خوست كى يطلب منهم التسليم، وقد إتصل بنا "نظر محمد" قائد جماعة جاب الدين فى خوست، وطلب منا إيقاف المعارك إلي حين إنتهاء المفاوضات.
فقلنا لهم أن العمليات دائرة فعلاً وإيقافها فيه ضرر شديد ونحن غير مستعدون لإيقاف العمليات إلا لفتره محدودة جداً. فطلبوا مهلة حتى غروب الشمس، فوافقناهم على ذلك وشرحنا لهم أن ذلك أفيد لهم في المفاوضات حتى لا تعمد حكومة خوست الى المماطلة.
فذكرت له ما كتبته صحف باكستان على لسان مولوى عبيد ا مندوبه فى بشاور أول أمس وأنه صرح لهم بأن المجاهدين قد حفروا خندقاً للتقرب من المواقع الحكومية في شيخ أمير وأن العمل فى ذلك الخندق قد إكتمل الآن وأن الهجوم سيبدأ بعد يوم أو أكثر. فاندهش حقانى وقال ضاحكاً: كيف يقول ذلك؟ إن كل ذلك صحيح لقد كشف أسرارنا.
فرددت قائلاً: ربما لأجل ما قاله مولوى عبيد ا ، فإن شاه نواز تعجل فى القيام بالإنقلاب.
فضج الجالسون بالضحك.

فى الساعة الخامسه قابلت الضابط عمر الذى أخبرني بأن طلبة الكلية العسكرية التابعة لحقانى قد حضروا حتى يقوموا بدور حفظ الأمن فى حال إستلام المدينة، وكان الطلبة فى كامل زينتهم العسكرية وزيهم العسكرى الموحد.
وقد إستقرت مجموعة منهم فى أحد المغارات على طرف معسكر خليل قرب مركز المدفعي التابع للكوتشى.
ثم أنباء متداولة تقول أن المجاهدين قد أسقطوا طائرة نفاثة صباح اليوم بواسطة مدفع الشلكا وبعضهم يقول طائرتين.
قضينا ليله باردة في المسجد، الأغطية غير كافية،كان لكل ثلاثة أو أربعة بطانية واحدة. أكثرنا لم يستطيع النوم لأجل البرد . بدأت الغارات الجوية منذ منتصف الليل.

الجمعة 9 مارس 90

على منطقتنا بدأت غارات الطيران قبل السابعة صباحاً، معظم القذائف المستخدمة كانت عنقودية. قبل التاسعة كنا فوق مركز الترصد لمتابعة عمليات اليوم بعد أن إنتهت المهلة المحددة لوقف العمليات، فقد فشلت مفاوضات "شاه نواز حكمتيار"، ورفض قادة المدينة الإستسلام لوزير الدفاع.
فوق الجبل أحضروا منظار روسى ضخم لم أشاهد مثله قبلاً، وهو مخصص للتوجيه المدفعى كما يظهر من كثرة التدريجات الدقيقة لتحديد الزوايا.
لقد جهزوا للمنظار الجديد موقعاً تحت أجمة من الأشجار الشوكية على الجانب المواجه للعدو ولكنها قريبة من خط القمة، كان من الخطر جداً التحرك فى ذلك المكان، خاصة وأن حقانى سيكون خلف المنظار لمتابعة العمليات وإعطاء التعليمات.
شعرت بالقلق لمعرفتى أن ضبط الحركة في المكان سوف يكون صعباً جداً. وقد تنشأ عن ذلك عواقب قد تكون غاية الخطورة.
نبهت عبد العزيز، وهو رابض خلف الصخور السوداء القريبه من الأشجار، فقال أنه أصدر تعليماته وسوف يبذل جهده مع المجاهدين وحرس حقانى لضبط حركتهم فوق القمة وحول الأشجار التى فيها المنظار وسيجلس فيها حقانى نفسه.
أول الأخبار كان غير سار، فطائرات النقل العسكرية تهبط فى المطار بحرية، السبب أن مدفع المجاهدين معطل، والشلكا فوق تورغار لاتصل إلى الطائرات.
ليس هناك تركيز فى العمل ضد المطار، وكأن المسألة موسمية، كنت أتوقع أن يكون وقف الملاحة الجوية فى المطار مسألة حتمية بعد سقوط تورغار ولكن إتضح أن الأمر ليس كذلك، فليس أمام الحكومة حل آخر سوى إستخدام المطار وتحمل أى خسائر تنجم عن ذلك.
أما المجاهدون فليس لديهم قدرة علي التركيز لفترة طويلة على عمل ما، والمدفعيه دائماً مشتتة بين مهام متنوعة مع العمليات على أرض الجبهة وليس للمطار نصيب خاص، كنت أتصور تخصيص عدد من قطع المدفعية للمطار فقط لمنع إستخدامه .
ومنيت نفسى أن عمليات اليوم قد تسفر عن تقديم جديد على الأرض يؤدى إلى إغلاق المطار نهائياً.
الساعة 3 عصراً: (سقط صاروخي سكود فى وقت واحد تقريباً، أحدهم فى منطقه بارى قرب المدخل من طرف خوست، والآخر عند وادى ليجاه من نفس الطرف) .
كان التكدس رهيباً فى تلك المراكز، فقد إزدحمت إلى جانب المجاهدين بعدة مئات من حاملى

البنادق المنتظرين سقوط المدينة وإستسلامها.
ومئات أخرى خاصموا الجبهات عدة سنوات ثم عادوا فجأة بأسلحة ثقيلة وخفيفة. تساءلت هل لفتح المدينة أم للصراع على النهب ؟ . لم يتوقف الطيران طول اليوم عن قصف كل مكان تقريباً.
ولم أدر لحظة سقوط صارخ سكود فى بارى بأننى فقدت أثنين من أصدقائى القدماء ، أحدهما عبد الرحمن طالب العلم فى قبيلة جربوز ، وزميله محمد أمين وكانا يعملان مع مجموعتهما على راجمه صواريخ. وكانت الإصابة مباشرة قضت على المجموعة كلها وعددهم ثمانية.
وأدت غارات الطائرات إلى سقوط إحدى المغارات على مجموعة من طلبة الكلية العسكرية فقتل منهم أربعة ، رغم أن القنابل لم تصب المغارة بشكل مباشر ، لكن الإرتجاجات الناجمة على الإنفجار أدت إلي سقوط كتل صخرية من سقف المغارة.
من مفاجئات هذا اليوم العجيب هو ظهور الجنرال عجب مزارى علي جهاز المخابرة فى إتصال مباشر مع المجاهدين حيث دارت ملاسنات شديدة وتهديدات متبادلة لاتخلو من الطرافة ولأول مرة ألمس هكذا عن قرب حاله ذاك الجنرال الرهيب، الذى لاأشك فى شجاعته، ولكن أشك تماماً فى توازنه العقلى والنفسى.
وهذه صوره للحوار مع ذاك الجنرال المخبول ، كما كتبتها في جزء من مقال لمجلة منبع الجهاد تحت عنوان "وعاد عجب".
(إختفى الجنرال عجب عن مسرح الأحداث عدة أشهر حتى سرت إشاعة بأنه قتل ، حتي جاء يوم الجمعة التاسع من مارس، ليلتقط المجاهدون مخابرة لاسلكية بين "عجب مزارى" في خوست وقياده كابول كان تداخل المجاهدين فى سياق المخابرة وأصبح الحديث مباشراً بينهم وبين "الجنرال عجب" فدعوه إلي التسليم للمجاهدين قبل أن يمسكوه أسيراً أو أن يقتلوه وهو فى صفوف الشيوعيين .
فأجاب عجب بعصبية :
"أنتم تحلمون ، لن نستسلم ، سنقاتل وننتصر عليكم . سأستولى على تورغار قريباً، فلا تغتروا بما حققتموه ، أنظروا ماذا حدث لكم فى "جلال آباد" ثم إننى مسلم مثلكم فلماذا تقتلوننى؟ .
أنا مسلم.. ولكننى أشرب الخمر.. إذا وجدته.. أما الزنا.. فهو ديدنى!!."
ظل عجب يرغى ويزيد فى سياق غير مترابط كمريض عقلى أصابته هستريا، قطع المجاهدون حوارهم مع الجنرال المخبول ولكنهم تابعوا التصنت على إتصلاته اللاسلكية مع كابل التي كانت هى الأخرى هستيرية مخبولة ، طوال اليوم وهو يصرخ
على جهاز اللاسلكى: هالو... هالو... سأعطيكم الأحداثيات إنى أراهم من هنا ، كل الجبال تعج بالأشرار.. أين صواريخ سكود؟ أرسلوا الطيران فوراً... أقول فوراً ... هناك هجوم وشيك.
وجاء رد كابل : لانستطيع أن نلبى طلباتك بالنسبة لصواريخ سكود، فهذا الأمر ليس بيدنا(!!).
فرد عليهم الجنرال عجب : أنتم تجلسون خلف مكاتبكم وبين نسائكم وأنا هنا فى الخط الأول وسط الجحيم... قلت أطلقوا سكود... أريد الطيران فوراً.
فردت كابل: سنحاول... سنحاول.
وفى المساء سقط صاروخاً سكود فوق الجبال كترضية للجنرال الهائج.. أما الطيران فلم يكد يتوقف عن العمل . ولكن حركة المجاهدين فوق الجبل وفى عمق الوادى لم تتوقف هى أيضاً مما يزيد الجنرال هياجاً ويجعله يصرخ أكثر وأكثر على جهازاللاسلكى وهو يلعن قادته في كابل ويصبح كالمجنون :
ـ إنهم فى كل مكان... فوق كل الجبال... أريد سكود... أضرب سكود وفقاً للأحداثيات التى أعطيتها لك... أرسل الطيرا ن فوراً... أكرر... فورا.
ومازال الجنرال يصرخ . . . وكابل تحاول تهدئته وهي متيقنة أن زمام الموقف قد أفلت من يدها)] ـ إهـ

ولكن عندما علم حقانى أن عجب مزارى فى الخط الأول توقع هجوماً مفاجئاً لذا أرسل محذراً جميع الوحدات من هذا الأحتمال. ثم أخبرنى بأن هدف العمليات القادمة هو تحقيق إتصال علي الأرض بين المجاهدين فى شرق وغرب تورغار وذلك سيؤدى إلي وقف إستخدام المطار ولكن ذلك لم يتحقق إلا بعد عام تقريباً عندما فتحت المدينة. ومضى يوم الجمعة بدون هجمات أرضية للمجاهدين.

السبت 10 مارس 90 (13 شعبان 14010)

إستمر المطر طوال الليل .. ريح شديدة عند صلاة الفجر من جهة الغرب ، القمر مكتمل ويوشك على الغروب.

في السابعة صباحا تكومنا في غرفتنا الضيقة نحتسى الشاى بالحليب مع بعض التمر السعودى.

إنقشعت الغيوم أمام الرياح الباردة. بدأت الغارات الجوية الساخنة فى السابعة والنصف وكانت "نادر شاه كوت" أول الضحايا.

مازال عجب مزارى يواصل نداءاته الهستيرية من الخط الأول الذى يكسبه مناعة في وقاحته مع رؤسائه فى كابل. مازال يطلب صواريخ سكود التي يظهر أن الموافقة عليها هى فى أيدى "الخبراء السوفييت" الذين مازال عدة آلاف منهم يعملون مع النظام.

فى التاسعة والنصف أخبرني زميلى حاجى إبراهيم أنه علم من المجاهدين أن اليوم ستكون عملية كبيرة ضد المدينة بهدف فتحها، كنت أستبعد ذلك وأتوقع فقط أهداف مرحلية محدودة كما هي عادة حقانى، وكما أخبرنى بالأمس عن فكرة خط دفاعى للمجاهدين أمام تورغار من الشرق الي الغرب.

وقال إبراهيم أيضاً حكومة خوست على علم بأن موعد العملية هو اليوم، ليس ذلك أيضاً بالشئ الغريب، فقط عليهم الإستماع إلى الموجة رقم 4444 حيث إذاعة الكوتشى التى لاتكذب أبداً.

الساعة 10.37 : سقط سكود فيما بين شيخ أمير وبارى، أعقبه غارة بالطائرات النفاثة علي نفس الموقع، وبعد دقائق غارة على وادى ليجاه.

إنهم يقصفون كل مراكز الخطر المتوقع.

في الثانية عشر ظهراً وصلت إلى مركزنا قرب القمة سيارة "رانج روفر" ذات ألوان فاقعة أحمر وأبيض كانت تحمل الطعام للمركز، طلبنا من السائق أن يغطيها بشئ حتى لا تجذب الطائرات إلى الموقع، ولكنه تكاسل وقال أنه سيعود فى الحال.

فقمت مع حاجى إبراهيم بتغطيتها ببعض الأقمشة، وبعد حوالى ساعة عاد السائق بعد أن أنهى جلسته مع رجال الموقع، فعاتبته مع إبراهيم وأوضحنا له خطورة المكان لكونه مقر للقيادة، فقدم لنا تبريره القاطع قائلاً: لكن العدو حدد هذا الموقع بالأمس وطلب ضربه بصواريخ سكود!!. ثم أخذ سيارته وإنصرف بها.

آخر إحصائيات ضحايا الأمس 16 شهيداً... بدون أى عمليات... والسبب شدة الزحام في المواقع والفوضى التى ضربت أطنابها فى كل مكان نتيجة لذلك.

ومن مظاهر الفوضى كان عدم الإهتمام بالمطار فهبطت فيه ليلة أمس أربعة طائرات نقل عسكرية !!.

الساعة 4.30 وصل حقانى إلى موقعنا ومعه الضابط عمر وضابط" كبير خان" وهما من رجاله القدماء، بدأ حقانى بإداء صلاة الحاجة، ثم صلاة العصر التى أعقبتها بدعاء طويل، أكد لى ذلك أن اليوم هو يوم العمل وأن المعركة ستكون هذا المساء وربما ليلاً لكون القمر بدراً.

الساعة 5.13 ضربات الطيران تؤكد ما أخبرنى به حاجى إبراهيم من أن العدو يعرف بأن الهجوم موعده اليوم، فهذه هى الطائرات تقصف منطقة بارى بقنابل النابالم، ثم ضربت دبابة خليل مرتين بالقذائف العنقودية ثم قصفت منطقة" دير ماك" بقذائف الألف رطل ثم ضربتان بالعنقودى على منطقة بارى، كل ذلك خلال دقائق معدودة.
الساعة 6.00 طائرات الهيلوكبتر تقصف بالصواريخ مواقع المجاهدين القريبة من قرية شيخ أمير.
الساعة 6.11 بدأت الشمس تميل خاف الجبل وإنحسر الضوء عن غرب الوادى.
وآخر أشعة تودع المدينة، الأنتينوف تقصف مكاناً ما، ودخان يتصاعد من جبل "جانى خيل" اليوم لايبدوا حاسماً ولابد من التأجيل إلى الغد.
(**أتوقع سكود ليلاً... وحالة الطقس غداً لها تأثير كبير، أرجو أن يكون الجو غائماً بالغد)** هكذا كتبت فى مذكرتى فى ذلك الوقت.
الليلة هى ليلة الرابع عشر من شهر شعبان. فى التاسعة ليلاً قرروا فجأة المضى فى العملية ، التى ظننت أول الليل أنها قد تأجلت إلى الغد.
وفى خلال سبعين دقيقة فتح المجاهدون موقع الشلكا ، إلى شرق من دبابة خليل ، ثم إقتحموا شيخ أمير وسيطروا على حوالى خمسة مواقع للعدو هناك.
الساعة 10.20 في الليل فقط يمكن مشاهدة ذلك المنظر، خيط من النيران الحمراء تظهر من جهة الشمال صاعدة إلى أعلي .. وتستمر عده ثوانى ثم تختفى.
أنها صواريخ سكود إنطلقت من كابل فى طريقها إلينا، واحد... ثم الثانى... ثم الثالث... ثم الرابع... وصاح حقانى محذراً رجاله "ستر وإخفاء... سكود قادم" وبعد ثوان طويلة جداً سقطوا الواحد تلو الأخر... وكنت أتوقع واحدا علينا، حسب معلومة سائق السيارة الحمراء التى زارتنا اليوم... لكن ا سلم... سقطت الصواريخ بين شيخ أمير وبارى حيث لا أحد هناك.
أما الصاروخ الخامس والأخير فقد سقط قرب منتصف الليل. لقد إستجابت كابل لتوسلات الجنرال عجب... ولكن هذا كله لم يفد بشئ، بينما جنت القوات الحكومية مكاسب لم تكن لتحلم بها لولا الفوضى العارمة التى ضربت المنطقة. وإلا فإن خوست كان يمكن أن تسقط خلال شهر على الأكثر، ولننظر ماذا حدث.
الجو بارد جداً بسبب ريح نشطة. إستمر حقانى إلى ما بعد الثالثة صباحاً محاولاً دفع المهاجمين لإستكمال مهمتهم.
لقد توقفت جماعة حكمتيار بقيادة "فايز محمد" وجماعة سياف بقيادة "بير محمد" ورفضا التقدم والمشاركه في الهجوم. وظل حقاني يرجوهما التقدم ويقسم لهما أن الدبابات قد دخلت "شيخ أمير" وأن جماعته بقيادة "شيرين جمال" مازلوا متمسكين بالمواقع التى أحتلوها لكن هؤلاء رفضوا كل أمر وخيبوا كل رجاء وتوسل قدمه حقانى إليهما، وقد إضطر شيرين جمال إلى ترك مواقعه صباحاً بسبب الإرهاق وشدة قصف العدو وعدم تقدم المجموعات الأخرى لإستلام ما تحت يده من مواقع فإسترد العدو شيخ أمير في الصباح الباكر. أما فى موقع الشلكا فقد إجتاحه مجاهدو حقانى تدعمهم الدبابات وما كادوا يدخلون الموقع حتى لحق بهم مئات من صيادى الغنائم وفرق النهب المسلح التى جاءت من ميرانشاه وراحوا ينهبون كل شئ وتبعثروا فى المنطقة، ولما تقدمت جماعة حقانى لمتابعة الهجوم لتحقيق إتصال مع مجاهدى شرق تورغار، سبقتهم جماعات النهب المسلح ظانين أنهم في الطريق إلى المدينة التى قد إستسلمت

وراحوا يتسابقون نحوها بجنون، وهنا راح العدو يحصدهم بكل أنواع الأسلحة، وفى ضوء القمر تساقط قتلى وجرحى وآخرون بترت أقدامهم بالألغام... وحتى الصباح كان هم الجميع هو نقل الجثث والجرحى والبحث عن المفقودين ما أن طلع الصباح حتى كان الجميع قد عادوا من حيث إنطلقوا مساء الأمس، ولم يتبق فى يدهم شبر واحد من مكاسب الأمس، ولا شىء، من الغنائم المنهوبة.

وهكذا إنقضت ليلة "شاه نواز حكمتيار" بمأساه دامية وإنتكاسة كبيرة للعمل العسكرى للمجاهدين فى خوست ظلوا يعانون من نتائجها السلبية لعدة أشهر بعد ذلك.

بعد إنتصاف الليل أصابنى الإرهاق الشديد وكنت قريباً من موقع حقانى الذى يواصل الإتصال مع مجموعاته التى تعاني من أشد المآزق. ذهبت إلى غرفة عبد العزيز الضيقة فوجدتها أكثر من مزدحمة، وقد إرتمى المجاهدون فيها كيفما إتفق وقد أشعلوا بخارى للتدفئة وراحوا فى نوم عميق وهم ملقون أحدهم فوق الآخرين وكأنهم فى مقبرة جماعية. بصعوبة شديدة وجدت لى موقعاً فى تلك المقبرة، وقد وضعت قدماى فوق بعض الرؤوس والصدور... وتقبلت مرغماً عدة أقدام فى صدرى ورأسى وأحذية فوق البطن والفم... ومع ذلك غطست فى الشخير ضمن السيفونية الجماعية التى صاحبتها أصوات الغازات المنطلقة من بطون النائمين نتيجة الطعام السيء فى المراكز.

شعرت بفرحة كبيرة وأنا أسمع آذان الفجر. وأيقظ النائمون بعضهم البعض، فكل شخص لابد أن يوقظ خمسة أو ستة آخرين بينما هو يرفع قدم هذا من فوق رأسه ويد ذاك من فمه، ويجر قدميه ويديه من تحت وفوق الآخرين أو أكداس الذخيرة وصناديق الطعام العفن.

الأحد 11 مارس 90

ضباب كثيف بين الجبال فى الصباح الباكر، ومع ذلك بدأ الطيران فى قصف بورى خيل قبل السابعة بعشرين دقيقة.

سألت حقانى عن أخبار الأمس، وكان غاضباً فقال:

"أظن أنها غير جيدة... فهؤلاء الخائنين من الأحزاب لم يشاركوا أمس فى المعركة... واليوم صباحاً إعتذروا؟ .

ثم غادر حقانى الموقع... فذهبنا إلى عبد العزيز عند المخابرة حتى نعرف منه الموقف الأخير. فقال بأن المجاهدين مازالوا في مواقعهم التى دخلوها بالأمس فى شيخ أمير ، ولكن بعضهم ينسحب الآن بسبب الإرهاق وشده القصف عليهم.

<u>الساعة 7.55</u> كان الضباب الكثيف يلف كل شئ، وتوقعت أن يساعد ذلك المجاهدين في تعزيز مواقعهم بالأمس وعدم الأنسحاب منها لكن ذلك لم يحدث.

فقد أخبرني حاجى إبراهيم أن شيرين جمال بدأ يخلى مواقعه فى "شيخ أمير" وهو آخر من يغادرها الآن وليس معه إلا عدد قليل من المجاهدين.

كانت دبابة دخلت فى العمق والسائق لايدرى أين هو بسبب الظلام... وعندما عاد قال لقد عرفت أننى أخطأت الطريق عندما وجدت أكثر من أثنى عشر RPG يقذفون دبابتى فإستدرت بسرعة وعدت إلى شيخ أمير ، وكان خلف دبابتى عدد من المجاهدين يحتمون بها فى تقدمهم

- وحتى تكتمل المصائب فإن طائرات النقل العسكرية إستخدمت المطار أمس بكثرة، فليس أقل من سبع طائرات هبطت وأقلعت بدون أن يضايقها أحد.

*** *** *** *** *** ***

كتابات فى الضباب

كان صباح ذلك اليوم (الأحد 11 مارس 90) ضبابياً بارداً، وليلة الأمس شهدت نكسة كبيرة لعمل كان متقدماً بشكل مذهل، وتلك النكسة قدمت من بشاور بفعل مؤامرة حقيرة.. حقيرة فى ذاتها، حقيرة بمن فيها من السفلة... وإن كان أحدهما زعيم حزب جهادى كبير... والآخر كان زعيم جيش شيوعى كبير... ولكن كلاهما إلتقى وتحالف مع الآخر من أجل تخريب الجهاد فى أفغانستان... وكانت البداية لهما في خوست، فدبت فيها الفوض ، بين المجاهدين ، وظهر ما خفى من فتن. فهؤلاء قادة حكمتيار وسياف يتركان زملائهما وسط نيران العدو - وقد إنتصروا وسيطروا - على شيخ أمير، ولكنهم يرفضان التقدم للقيام بالمشاركة المتفق عليها.

ولا أذكر أن خوست شهدت مثل هذه الخيانات المكشوفة من رجال الأحزاب منذ عامين ، أى منذ خيانة الأحزاب الذين أمروا رجالهم بترك الطريق مفتوحاً أمام القوات الروسية المتقدمة على طريق زدران نحو خوست، بينما حقاني يقاتل فى مقدمة الطريق عند جبال"ساتى كندو". وقد تركوا قبل ذلك ، فى عام 86، القوات الشيوعية تلتف حول قواته المدافعة عن جاور وفتحوا لها الطريق بلا قتال أيضاً.

أقول: فى ذلك الجو الضبابى كتبت ملاحظتين متعلقتين بأحداث الأمس ، الأولى عن الهجوم المضاد - والثانية عن القيادة جاء فيهما:

أولاً - الهجوم المضاد:

يقول العسكريون أن أنسب وقت للهجوم المعاكس هو عندما يفقد هجوم العدو زخمه، وهذا صحيح تماماً. فهى مرحلة حرجة للغاية تكون القوات فيها منهكة، تماسكها وإنضباطها فى أضعف حالاته، ولم تستحكم فى الأرض بعد، ويضاعف من حالتهم المذرية مقدار صلابة الدفاع الذي جابهته لمنع تقدمها.

وعلينا أن نلاحظ أن الهجوم المعاكس الذى يشنه المدافع فى تلك اللحظة لابد أن يراعى البدء بالهجوم وإنهائه قبل وصول قوات إحتياط العدو، التى لاتعانى من السلبيات السابق ذكرها لكونها لم تخض المعركه بعد.

نذكر هذه الملاحظه تعليقاً على معركه الأمس . فخلال ساعة إحتل المجاهدون الأهداف التى حددوها، ونتيجة الإرهاق والبرد والرمايه المعاكسة ترك معظمهم أو كلهم مكتسبات ليلة الأمس بدون حتى أن يشن العدو هجوماً برياً مضاداً.

وذلك يبين حالة المهاجم حتى ولو كان منتصراً ، فهو مرهق وقابل غالباً، للكسر إذا جوبة بهجوم مضاد ذو قوة مناسبة. ونضيف سبباً أخر وهو أن عدم وصول التعزيزات إلى المهاجمين فى الوقت المناسب، أضعف كثيراً قدرتهم علي الصمود ، لقد خانهم زملاؤهم .

ثانياً - القيادة:

مرة أخرى، وكل مرة، القيادة هى أول عناصر الإعداد المادى أهمية، ويركز العدو أن يبدأ بالسيطرة عليها فيسهل عليه توجيه العمل كله وقطف ثمارة.

فالعمل العسكرى لا يمكن أن يؤتى ثماره كاملة إذا كان لدينا قائد عسكرى جيد وجنود شجعان ولكن لدينا قيادة سياسية متخاذلة أو خائنة، وهذا ما تثبته خوست الآن.

القيادة السياسية المتخاذلة أو الخائنة تتآمر على العمل العسكرى الناجح لتحطيمه، حتى تسير القضية فى مسار التخاذل أو الخيانة.

وإنقسام القيادة السياسية يتبعه تشرذم العمل العسكرى وتفشى الصراعات فيه، وفى حاله كهذه فإن أقصى ما يمكن أن تفعله قيادة عسكرية مخلصة وذات كفاءة هو تجميع الشراذم العسكرية في برنامج مشترك لتحقيق الحد الأدنى من الأهداف.
ومع ذلك يتعرض البرنامج المذكور إلى فشل متكرربفعل تحريضات القيادات السياسية فى المنفى، وراء الحدود، والتى تحرص على إضعاف الشعب سياسياً حرصها على إفشال العمل العسكري وإبقائه تحت الحد الأدنى بما يكفل لها حرية العمل فى إتجاه مضاد لرغبات شعبها بحجة أن الحلول العسكرية غير ممكنة.
هذا المجهود المدمر الذى تقوم به تلك القيادات يتم تحت إشراف القوى المموله لها، الدول الكبرى، ثم إشراف الدوله المضيفة التى تعمل بإلتزام تام بأوامر الدول الكبري، ولكنها تطمح فى قيام نظام سياسى ضعيف وتابع لها فى دولة الجوار التى تدور الحرب على أرضها.

ملاحظة : الإنتصار ممكن.

الإنتصار فى خوست ممكن رغم عدم تحول المجاهدين إلى نمط الحرب النظامية. لقد أثبتوا شيئاً جديداً، وهو إمكان قوة مقاتله في حرب العصابات فى المرحله الثانية من تطورها، حيث تمزج بين أساليب حرب العصابات وأساليب الحرب النظامية، أن تنتصر علي جيش حكومى متحصن فى المدن، معتمدة على عوامل هى:
فارق المعنويات ـ الشجاعة الفردية ـ الإبتكار التكتيكى ـ وفوق ذلك كله إحكام الحصار حول المدينة.
ونلاحظ أن عمليات التخريب الداخلي فى المدينة يمكن أن يكون مؤثرة بشدة، وقد إستخدمه المجاهدون فى خوست إلي حد ما.

□ □ □ □

توقفت فى ذلك اليوم عند تلك الخواطر الضبابية وكنا في العاشرة والنصف صباحاً ومازال من غير الممكن مشاهدة الجبال التى حولنا ـ ضباب فى ضباب ـ فكانت النفسيات منقبضة، ولكن تمكن المنسحبون من العودة بسلام بدون الوقوع تحت مطاردةالعدو فكان ذلك نعمة عظمى لهم. غادرنا حقانى وغاب وسط الضباب بدون تعليق.
أخبار أخرى عن إلغاءالبرامج، لتؤكد أن حالة الإضراب والتشويش مازلت قائمة، بينما العدو يواصل ضرباته الجوية والصاروخية، كان نصيبنا منها غارة بالقنابل العنقوديه جاءت فى مقدمة الجبل جهة المدينة، أما بورى خيل حيث قاعدة كتيبة سلمان الفارسى فقد ضربت بصواريخ سكود فى الرابعة والنصف عصراً ثم قذائف ثقيلة فى نفس المنطقه رمتها الطائرات لكنها إنفجرت بصوت مكتوم وخرج منها غاز أبيض كثيف. قدرت وقتها إنها قنابل غازات سامة أو جرثومية، وقد رموا بعضها فى مدخل وادى ليجاه، لقد تكرر إستخدم تلك القنابل بشكل ملحوظ في هذه الايام.
موجة الإحباط هذه ساهم فيها تورغار الرهيب، أو الذى كان رهيباً وقت أن كان مع القوات الحكومية، أما عندما أصبح معنا فأنه أصبح حملاً أسوداً وديعاً. هكذا كنت أفكر بغيظ من هذا الخمول والسلبية التي أصبحت تلف هذا الجبل فكتبت الملاحظة التالية، فما أكثر الملاحظات الضبابية التي سطرتها اليوم.وهذه ملاحظة عن تورغار كتبتها ساعة الأصيل على صوت صاروخ سكود المدوى، والأصوات المشبوهة للقنابل المكتومة ذات السحب البيضاء.

ملاحظات حول تورغار :

هذا الجبل مع المجاهدين منذ شهر الآن، ومع ذلك لايؤدى دوره فقد كانت الحكومة تستخدمه بفاعليه أكثر. وهو يحتاج إلى :

1 ـ طريق دائرى يصل قمة الجبل مع توده شني شرقاً وبورى خيل غرباً.

2 ـ إصلاح الدبابات التى غنمها المجاهدون فوق الجبل وإستخدامها فى المساندة النيرانية لبرامج الهجوم التى يقوم بها المجاهدون مثل برامج الامس. كما يمكنها من أعلى تدمير أى هدف فى المدينة، خاصة مناطق المدفعية والمخازن.

3 ـ لابد أن يلعب الجبل دوراً بارزاً في إغلاق المطار، حتى بدون الإنتظار لفتح المناطق أمام الجبل أوعلى الشريط المقابل له.

4 ـ ـ لابد من تسليم تورغار لهيئة عمليات تجعله جاهزاً لتحقيق هذه الأهداف.

لقد حاولت بعد ذلك أن تقوم جماعة أبو الحارث بهذا الدور النشط فوق تورغار. ثم حاولت أن تقوم جماعة القاعدة بهذا الدور ولكن فشلت تلك المحاولات. وقبل فتح خوست بفترة وجيزة هيأنا الجبل لإستخدام الدبابة من فوقه بشكل نشط، وتمت التجهيزات لكن العمل نفسه، أى إستخدام الدبابة ، لم يتم بسبب إنشغال جميع الدبابات فى أعمال أخري ، ولم يخصص حقانى أولوية لتلك الفترة. أما إستخدام تورغار فى إغلاق المطار فقد إستخدمناه نحن فى تلك المهمة ولكن بشكل غير مباشر كما سيتضح في حينه .

□ □ □ □

إستخدم العدو هذا اليوم قذائف موجهة تطلقها الطائرات، أطلقوا منها خمسة قذائف ضد المجاهدين حول شيخ أمير وقد إلتقطت جماعة عبد العزيز أحاديث الطيارين مع بعضهم البعض ومع القيادة العسكرية فى المدينة بخصوص إستخدام هذا النوع المتطورمن القذائف. وقد صاح جنرالات المدينة فرحاً فى أجهزه اللاسلكى. وجاءنا تقرير المجاهدين الذين إستخدمت ضدهم هذه القذائف بأن أحوالهم "خير خيرت" لاجرحى عندهم ولا شهداء. هكذا تضيع أموال موسكوا هباء ، وتتبخرت هيبة التكنولوجيا العسكرية فى أفغانستان.

فلا صواريخ سكود ـ ولا القنابل العنقودية ـ ولا القذائف الكيماوية ـ ولا تلك الموجهة والذكية، حققت اليوم أيه خسائر فى صفوف المجاهدين. بينما حققت فوضي الأمس في" يوم الفوضى العالمى" حققت أعلى نسبة خسائر تشهدها المنطقة منذ فترة طويلة، سته عشر قتيلا فى ليلة واحدة بدون تحقيق أي إنجاز . بينما تم فتح تورغار الرهيب بخسارة شهيد واحد وثلاثة جرحى .

فهل يمكن إذن أن نستنتج بأن الفوضى وعدم الإنضباط هى أشد فتكاً بالمجاهدين من أى تكنولوجيا عسكرية متطورة ؟ أظن أن هذا جائز جداً، وعليه تبرهن أحداث عديدة.

صديقنا الجديد سيد جمال مستخدماً قاذفه الصاروخى الرباعى عدل كفه الميزان ليلاً عندما أحرق طائره نقل عسكرية فى المطار كانت محملة بالذخائر . وقد تفجرت الطائرة(رقم 2131) وكانت طائره أخرى فى الطريق إلى المطار، فشاهد الطيار عرض النيران المخيف هذا فوق المدرج، فسأل قيادة التوجيه الأرضى: ما هذا؟ ماذا يحدث فى المطار؟.

فأجابته القيادة:(لا تسأل عن ذلك). فإستدار الطيار وعاد إلى كابل.

<u>الاثنين 14 مارس 90</u>

بعض السحب الثقيلة في سماء المنطقة ولكنها لم تمنع الطائرات من أن تبدأ فى السابعة والنصف بعدد من القذائف المكتومة ذات السحب البيضاء والرمادية ، وقذائف موجهة من

الطائرات حسب ما جاء فى أحاديث الطيارين.
كان فى زيارة موقعنا اليوم طبيب باكستانى متدين ودمث الخلق فذكرت له شكوكى من تلك القذائف المكتومة الصوت ذات الدخان الكثيف. وطلبت منه أن يلاحظ الحالات المرضية التى تعرض عليه هذه الأيام من بين المجاهدين، فربما كنا نتعرض لحرب بيولوجية أو كيماوية، فذكر بأن تخصصه الطبى لا يساعده فى تتبع ذلك الموضوع.
ولم أقابل ذلك الدكتور بعد ذلك وأيضاً لم أسمع بأى إصابة مرضية غير عادية بين المجاهدين، ولكنى مازلت أعتقد أن تلك القنابل كانت غير عادية، ولكن رعاية ا للمجاهدين كانت هى الأخرى غير عادية . وقد شاهدنا بعد ذلك الكثير من الضربات الكيماوي بغاز الخردل، ولكن ذلك لم يسفر عن أيه أعراض غير عادية بين المجاهدين.
وجد العدو جثه لأحد المجاهدين أثناء إعاده إحتلاله للمناطق التي فقدها فى الحملة الأخيرة، ولم يكن أحد من المجاهدين قد إنتبه لفقدان ذلك الشهيد .
ـ دبابة خليل أصابتها عدة شظايا وقد سحبت إلى الخاف لإعادة إصلاحها.
□ □ □ □
لقد إنتهت بذلك معالم تلك النكسة . وإستغرق الأمر عدة أشهر حتي يعود العمل الجهادى فى خوست إلى عافيتة القديمة، وفى تلك العودة عدت مرة أخرى ـ وبعد غيبة طويلة ـ إلى بؤرة العمل القتالى ضد مطار خوست، عدوى القديم، المرافق لأحلى ذكرياتى فى العمل القتالى فى أفغانستان، وذكرى صديقي الشهيد عبد الرحمن، وصديقنا أبو حفص الذى شاركنا فى عام 85 فى تلك العمليات، ثم غادرنا عام 86 مغادرة نهائية.
لكن تلك العودة لم تتم ـ ولم يكن لها أن تتم ـ لولا محطة وسيطة إسمها"الدورة السياسية" فما هى تلك الدورة؟.

....

الدورة السـياسية

لا أدرى السبب الذى جعلنى أعتبر أن هذا الإسم أحمق. ولكنهم هكذا أسموها بحكم "حمى الدورات" التى إنتابت العرب ومعسكراتهم.
حتى صارت الهدف الأسمى للتواجد العربى فى معظمه. وإحترف كثيرون تحصيل كل الدورات التى يمكن تحصيلها ـ مع تصوير كل الأوراق علي الإطلاق ـ سواء الخاص بالدورات أوالمنشورات أو حتى أوراق المصحف الشريف .
كنت أرى من وجهه نظر خاصة جداً، أن التجمع العربى فى أفغانستان يعانى من كثير من أوجه القصور، وأن تكوينه الفكرى ضحل للغاية حتى فى المسائل الشرعية التى يعتبرها عضلاته الفكرية المتضخمة. وكنت أعتبر أنه ـ أى هذا التجمع ـ لايرى الجهاد فى أفغانستان أو حتى قضية الجهاد بشكل عام بصورة صحيحة. وأن هذا التيار يسهل خداعه وتضليله وحرف مساره وتسخيره لخدمة قضايا غير إسلامية تحت راية الجهاد أو خدمة الإسلام بشكل عام.
ومنذ رحلتى الأولى إلى أفغانستان في صيف79رجعت وفى قناعتى أننى مكاف بقول الكثير للمسلمين خارج أفغانستان من أجل خدمه قضيه الإسلام فى تلك البلاد. فكتبت رسالتى الأولى التى أخذت طابع منشور يوزع بشكل شخصى وقد ضمنته فى الجزء الأول من تلك الثرثرة.

وتلى ذلك مقالات لجريدة الإتحاد من إسلام آباد. ثم كتبت بعد ذلك في بعض المجلات والصحف الأخرى عربية وأفغانية. طول الوقت أعانى من قلق دائم، هناك شئ يجب أن أقوله "للأمة"، فمن هى؟.. وكيف الوصول اليها؟.
مازالت ـ حتى وقت كتابة هذه السطور ـ لا أعلم إجابة دقيقه عن تلك الأسئلة. ولكننى ظللت دوماً أشعر أننى يجب أن أقول ما عندى لتلك "الأمة". فكنت أكتب ماعندى ـ ـ فيما يتسر لى من وسائل نشر.
وبعد إنتهاء عملى في صحيفة "الإتحاد" تيقنت أن كل ما كتبته لم يستفد منه أحد، وأنه لم يجلب لى سوى الضرر، لأن الذين قرأوا وإهتموا، وتحركوا، كانوا هم الذين كتبت ضدهم وإعتبرتهم أعداء "الأمة"بشكل أو بآخر، وقد وصلنى أذاهم كاملاً، ومازال.
أما الذين كنت أعتبرهم جزء من الأمة ـ سواء جزء هام مثل المجاهدين العرب، أوجزء عادى من "سواد الأمة" مثل قراء الصحف والمجلات التى كتبت فيها، فكانت رده فعلهم فجيعة بالنسبة لى، فالمجاهدون ناصبونى العداء وشنعوا ما شاء لهم ضميرهم اليقظ، أما "سواد الأمة" فقد هز كتفيه ورمى أوراق الجريدة فوق المنضدة تمهيداً لإستخدامها في أغراض التنظيف المنزلى، وإنتهى كل شئ بالنسبه له.
....
كانت تجربة الدورات محاولة جديدة بالنسبة لى. بدأت بدورة فى موضوع حرب العصابات وذلك فى عام 88 لشباب من اليمن ومصر، قليلون ،لكنهم تجاوبوا بحماس مع المادة. ولكن بعد وقت طويل نسبياً إكتشفت أن المادة كانت مبهرة ولكنها لم تكن مفيدة، فلا أحد إستوعب، لا أحد تابع الدرس والبحث، ثم لا أحد طبق أو حاول أن يطبق تلك المادة.
تلك هى مشكلة الشباب الجهادى العربى مع تلك المادة التى مازلت أحيانا ألقى فيها، وفى قضايا سياسيه أخرى، محاضرات لمن تبقى من هؤلاء الشباب في أفغانستان، أو يعبر عليها بحكم الفضول، أو أهداف أخرى.
إنتهت مفاوضات مع أبو حفص على أن نعقد دورة لكوادر "القاعده" الهامين، وكانت الموضوعات التى سوف تدرس هى:
1ـ مبادئ حرب العصابات، مع تطبيقاتها في أفغانستان.
2ـ ـ كتاب الرئيس الأمريكى السابق ريتشارد نيكسون "نصر بلا حرب". إستعراضه ومناقشة أهم ماجاء فيه.
3ـ كتاب ميخائيل جورباتشوف " البروستريكا والجلاسنوست". أستعراض أفكاره الرئيسية ومناقشتها.
4ـ موضوعات عامه حسب ما يطرحه الشباب فى المحاضرات.
** وكانت تحفظات ـ أو أوامر القاعدة هى:
1ـ عدم التعرض لأشخاص قادة الأحزاب الأفغانية أوذكر رأيى فيهم، حتى لاينفر الشباب من الجهاد فى أفغانستان.
كان ذلك الشرط خاصاً بى فقط، فقد كنت معارضاً لنظام الأحزاب الجهادية في أفغانستان، وفى المنطقة العربية . وكنت أتهم صراحة جميع قادة الأحزاب"فيما عدا يونس خالص" بشكل شخصى، أتهمهم بخيانة الدين الوطن، أما شروط القاعده الأخري فهي خاصة "بأصحاب العلم الشرعي"ولست منهم (بدون تعليق) وهذه الشروط هى:

ـ عدم طرح موضوع الحاكمية للبحث فى المعسكرات.
ـ عدم الحديث فى الحكم الشرعى فى حكام آل سعود.
وكان شريكى فى تلك المحاضرات هو أبو مصعب السورى. والشروط الآخيرة تعنيه لأنه من أصحاب العلم الشرعى، ومن المتخصصين فى تلك المواضيع الممنوعة تحديداً.

□ □ □ □

عقدت الدورة في معسكر "جهاد وال" التابع للقاعدة،(وذلك في شهر يونيو 90) وإستمرت حوالى عشرة أيام فى جهد مكثف للغاية.
وتم تسجيل الجلسات فيما يقارب الخمسين شريطاً، حفظت بسرية في وثائق القاعدة ومنع الإطلاع عليها إلا للمختصين وبأوامر من قادة القاعدة.
وحظر أبو حفص الذى حضر الدورة كلها، حظرعلى كل المشاركين تسريب أى معلومة عن الدورة ومحتوياتها أو إستنساخ أى شريط .تركنا المشاركين بعد إنتهاء الدورة لإعادة سماع الشرائط وكتابة ما يخطر بذهنهم من تعليقات حول الدورة وما أثير فيها.
الذى حدث هو أن واحد على الأقل من هؤلاء الكوادر عصى الأوامر وإستنسخ سراً كل الأشرطة، وإستخدهمها بعد ذلك في إبتزاز القاعدة، وتحول هو إلى تيار التكفير وبنى تنظيماً على أساس تلك الفكرة.
ومما قاله عن ذلك التحول هو أن تلك الدورة قد (فتحت عينيه) علي كفر قادة الأحزاب الأفغانية ، وكفر تنظيم القاعدة لكون أمريكا هى التى أدارت اللعبة كلها وأن القاعدة ورطت العرب فيها .
وبناء على رد الفعل المتطرف هذا ، من ذلك الكادر ، فقد نشأ فى داخل القاعدة وبين الصف الثاني لقياديها فكرة تقول بأن تلك الدورات السياسية، أو الفكرية، هى السبب فى إنحراف الشباب، وهى السبب فى ظهور" تيار التكفير" . والنتيجة هى وجوب منع هذه المحاضرات، وحجب ذلك الفكر الضار عن عقول الشباب المجاهد.وتطورت وجهه النظر تلك ، وأعطى لها البعض من خارج القاعدة ، بعداً دينياً ،وجعلوا مثل تلك العلوم إنما هى من علوم (أولياء الشيطان) . وقريباً سمعت أحدهم، وهو جالس إلي جانبي يقول:
إن هؤلاء "أصحاب الفكر" هم فى علوم الشريعة أجهل من دابة، وأن العلم هو قال ا والرسول فقط لاغير) . وفهمت الرسالة ولسان حال هذا "الصديق" يقول بأفصح عبارة (إياك أعنى فاسمعى ياجارة) .
ومن وقت قريب أعطيت بعض من تلك الدورات ، أو المحاضرات.
وثبت لى بما لا يدع مجالاً للشك أن تلك المواد ، العسكرية السياسية ، هى من جنس الأشياء المبهرة ، مثل ألاعيب السحرة والمحتالين، ولكنها أبعد من أن يستفيد منها هؤلاء الشباب.
وأظن أننى بعد كل تلك السنوات قد علمت، ما يحتمل أنه السبب فى ذلك.

□ □ □ □

لكن حتى الآن مازلت أظن أنه يجب أن أقول شيئاً ، أو حتى أشياء ، ولكن لمن؟ وكيف وما الفائده؟.
ومع ذلك مازلت أكتب بعض الأوراق، ثم أدسها فى صناديق معدنية، بعد أن إعتدت الفئران على بعضها.

وإن كنت مازلت لا أعلم أين هى "الأمه الإسلامية" التي أقصدها بحديثى، وأظن أننى أسعى لإفادتها؟، ومن يمثلها؟ . ولكننى على ثقه بأن كل التيارات التى عايشتها فى أفغانستان لايمكن أن تكون تعبيراً عن "الأمه" وإن كانت حقيقة تعبيراً عن أمراض الأمة وأزماتها فى شتى المجالات. ولا يمكن بحال أن تكون الظواهر المرضية علاجاً للمرض.

وعلى أيه حال: ربما كانت هناك "أمة إسلامية" فى مكان ما ولكن حاله الحصار التى مازلت أعيشها داخل أسوار أفغانستان تمنعني من العثور عليها، ورغم ذلك فإن معظم من يأتى من " العالم الخارجى" إلي داخل أسوار العزلة والحصار التي نحياها فى أفغانستان يقول لنا: {أنتم الأمة، أو أنكم أفضل ما فيها، وأن العالم الإسلامى لم تعد تربطه بالإسلام سوى أمانى وأحلام} . وأفضل ما فهمته من هؤلاء أن ليس هناك أمة بل هناك أفراد مثل الكواكب كل له فلكه الخاص وعزلته الكونية، فهل هذه هى الحقيقه؟ أم ذلك من أوهام العزلة؟ أم أنه سكون يسبق العاصفة؟.

ذلك النتائج الفكري الذى سجلته كتابياً فى وقت الجهاد فى أفغانستان ثم فى مرحلة الحصار داخلها بعد ذلك، أشعر بالدهشة منه عندما أطالعه مرة أخري، وهذا قليلاً ما يحدث، ولا أجد من أخوض معه نقاشاً حول ما جاء فيه سابقاً أو أكتبه حالياً، وربما أن ذلك النقاش سوف يكون عسيراً جداً إذا تحقق.

والقراء العابرون لذلك "التراث" على ندرتهم تأرجحوا كثيراً فى تقييمه، فأكثريه تلك الندرة قالوا أنه مفيد "ولذيذ" مثل الكوكاكولا مثلاً، والقلة وصفت بعض تلك الورقيات بأنها: (لا تفسر بغير الكفر). خاصة عندما طالعوا مذكرة كتبها عام 95 فى موضوع النقد الذاتى، وإنتقدت فيها كلا التيارين "السلفى الجهادى" ، و"الإخوانى العالمى" بحكم إحتكاكى ومعرفتى بهما طوال الحقبه الأفغانية، وما تلاها.

نسيت أن أذكر رأياً أعتز به لصديق عزيز من السودان وصف بعض ما كتبته بعد مرحلة أفغانستان بأن:(فيه تجاوز وتطرف) .

وما بين الإفادة اللذيذة ـ والكفر المحتم ـ والتجاوز المتطرف، ما هى حقيقه تلك الثرثرات التى أطلقت عليها عندما إستقر بى الحال فى القلعة الافغانية المحاصرة عالمياً، أطلقت على ذلك"التراث" إصطلاح "أدب المطاريد" . والمطاريد فى اللغة الدارجة المصرية هم الخارجون عن القانون والذين تطاردهم الحكومة ، وتقتلهم فى غالب الأحيان أثناء الإشتباك المسلح معهم.

ـ ـ لنعد مرة أخرى إلى "الدورة السياسية" سيئة الذكر.

لكى أذكر هنا بعض ما كتبته فوق جبل الترصد والقيادة أيام عمليات تورغار وما تلاها من الجزء المنقضى من (عام 90).كانت الفترة التى قضيتها فوق ذلك الجبل قد أفادتنى إلى أقصى حد فى الإطلاع على التقدم العمل العسكرى للمجاهدين فى خوست.

وإستفدت أيما إستفادة من أكاديمية حقانى فى حرب الجبال وقيادة القبائل في حرب عصابات وسط ظروف سياسية غاية فى التشابك والتعقيد.

لقد قرأت عدة كتب هامة ومفيدة أثناء تلك الفترة القصيرة.

ومن أكثر ما أمتعنى منها كتاب "الحرب والحضارة" للكاتب السورى "بسام العسلى" وللأسف فقد تلف ذلك الكتاب نتيجة إهمال بعض الأصدقاء وكنت أنوى إعادة قراءته مرة أخرى.

أما المناقشات المستفيضة مع الصديق "عثمان الصعيدى" فحدث ولاحرج، فقد كنت أناقش من خلال أفكاره، التيار الجهادى المصرى الذى طبع التيارات الجهادية العربية ،كلها تقريباً، بطابعة الفكرى السلفى الذى كنت أشد المعارضين له.

إن بعض ماكتبته فوق ذلك الجبل تم في أجواء المعارك المحتدمة والقذائف المجنونة تضرب في كل مكان، أو أثناء فترات سكون كانت مخيفة فى جمالها وهدوئها، خادعة إلى أقصى حد. فى تلك الفترات الجميلة الهادئة الخادعة، هذا بعض ما كتبته فيها.

□ □ □ □

الإسلام.. السياسة.. الجهاد

هذا الموضوع عن السياسة والإسلام كتب فى موقع الترصد(يوم الاربعاء 21 فبراير 90).

وكان عثمان الصعيدى قد أبلغنى إنتقاداً عن كتاباتى فى السياسه لأنها مكتوبة (بأسلوب علمانى) . وكنت قد سمعت ذلك الإعتراض كثيراً من أوساط الشباب العربي الجهادى.

ومازلت أسمعه إلى الآن كلما سمحت الظروف ورأيت أحد هؤلاء"الملتزمين" الذين قرأوا شيئاً من تلك "العلمانيات".

كان هؤلاء ينظرون إلي "الشكل الإسلامى" للكتابة حسب فهمهم، وهو يقتضى السجع في العنوان ثم حشر الأيات والأحاديث ، بالحق أو الباطل، ولايهم بعد ذلك محتوى المقال.

وقد بدأت الخاطرة بسؤال ثم توليت الإجابه عليه، كالآتى:

ـ لماذا لا تُكتب الموضوعات السياسية بمصطلحات إسلامية ؟.

□ الأهم من كتابة السياسة بأسلوب إسلامى هو أن تكون لنا سياسةإسلامية متطابقه مع تعاليم ديننا ومع عقائدنا.

فالعلوم السياسية المعاصرة نشأت كلها فى بلاد الغرب، مثلها فى ذلك مثل العلوم التطبيقية التى شكلت الحضارة الحديثة.

ودراسه تلك العلوم سوف يستمر بنفس المصطلحات الغربية، إلى أن تبدأ المساهمة الإسلامية فى تلك المجالات، في تكوين شخصيتها المستقبليه المستقلة.

وسبب تخلفنا فى العلوم السياسية هو الإنفصال الفعلى بين الدين والسياسة والذى تكرس بعد إنهاء الخلافة الراشدة، ومن يومها أصبحت السياسة حكراً على طبقه الحكام بدون ضابط شرعى أو مشاركة شعبية من المسلمين.

بل تحول الدين إلى أحد أدوات السياسة، تستخدمه السلطة الحاكمة وفقا لمصالحها الذاتية عن طريق العلماء الرسميين.

وكان السيف والذهب أداتان لتطويع أكثر العلماء لخدمة السلاطين، وإرهاب الأمة عن مجرد التفكير في المشاركة السياسية.

وبالتالى إنحصر دور الفكر الإسلامى فى جوانب ضيقة من النشاط البشرى فتوسع فيها بشكل رأسى حتى تخطى الإحتياجات الفعلية للناس، كما حدث فى جوانب العبادات، ومن هنا دخلت الخلافات التى لا تنتهي ولا يمكن الوصول فيها إلى حلول قطعية.

وكان يسر الحكام المتسلطين إنهماك الأمة فى الصراع حول تلك الخلافات، تطبيقاً لقاعدة فرق تسد، التى هى نفس سياسة الإستعمار اليوم.

أما الجانب السياسى الذى سمح السلاطين للعلماء أن يزاولوه فكان هو إصباغ الطابع الدينى

على النظام ومهما كانت ممارساته العامة والشخصية متعارضة مع الإسلام. ليس ذلك فقط بل وإقناع الناس بأن الخضوع للسلطان هو جزء متمم لعقيدتهم الدينية، وأن قبول الناس بالظلم الواقع عليهم من حكامهم هو من طاعة ورسوله.
أما إذا تعرضت سلطة الحاكم للخطر فأهم الواجبات الدينية للعلماء هو وصم الخارجين علي الحاكم بوصمة الكفر ودعوة الناس للوقوف مع حكامهم صفاً واحداً فى وجه هؤلاء "الكفرة".
أما الجهاد فقد كان الملاذ الأخير لهؤلاء الحكام لا يلجأون إليه إلا عندما يتعرض ملكهم إلى خطر الإجتياح من عدو خارجى، ودورالعلماء عندها إعلان النفير بين الناس لصد عدوان الدولة الأجنبية "الكافرة" دفاعاً عن النظام القائم ،على أنه النموذج الأمثل للدولة الاسلامية.
وفي عصرنا الحالى تسبب موقف العلماء في مساندة حكام السؤ فى إفقاد الناس ليس فقط ثقتهم فى العلماء، بل فى إمكان قيام دولة إسلامية حقيقية.
لقد ظل الحكام يخدمون الدين بالقدرالذى يحقق مصالحهم ويضمن لهم خضوع الناس لهم، وإستغلال الحماس الدينى فى توسيع رقعة الحكم وتوسيع دولة الإستبداد والجور بإسم الجهاد ونشر الدين.
منذ فصل الدولة عن الدين، وفصل الدين عن السياسة، أصبح الحكام جبابرة لا يمكن محاسبتهم أو تطبيق الشرائع عليهم، أو إستنقاذ أموال الناس من بين أيديهم.
لقد أورثنا هذا الحكم الإستبدادى الطويل ، وتحت إسم الاسلام زواراً وبهتاناً،أورثنا تكوينا شخصياً، متخاذلاً ضعيفاً أمام القوى صاحب السلطان، وطاغياً متجبراً أمام الأضعف من الناس.
كان ذلك فى مجال المعاملات العامة كما في الحياة الخاصة داخل الأسرة.
فالذى لايستطيه أن يظلم أحد ، لكونه أضعف الجميع،فأمامه زوجته وأولاده الصغار يستطيع التنكيل بهم .
وفى عصرنا الراهن إنسحب الإستبداد والدكتاتورية حتي على أبناء التجمعات الإسلامية الملتزمة فأصبح الأمير صورة مصغرة عن السلطان المستبد المتربع فوق صدور المسلمين، لا يقبل مشورة ويستأثر بكل مقاليد القوة، لا يجب أن يسمع رأياً آخر، ولا أن يري شخصاً ذو شخصيه قوية أو متميزة، ويستمتع برؤية رعية مسلوبة الإرادة والفكر، يحركها كما يشاء بعصاه كما يفعل الراعى مع قطيع من الغنم، أو بصورة أدق كما يحرك سلطان الجور الجاثم على الصدور رعاياه من أمه الإسلام الذين إبتلاهم ا به.
وكما يتصرف السلطان الجائر ويبذل جهده فى إبقاء أمته جاهلة متخلفة وتابعة، يكافح شيخنا أو أميرنا لتحقيق نفس الأهداف ولكن بشعارات ودعاوى إسلامية أكثر بلاغة وأقل تطبيقاً.
لقد كان الإستبداد والظلم نتائج طبيعية لإستبعاد الدين عن السياسة وعدم فهم العلاقة الجوهرية بينهما، وأدى ذلك فى نهاية الأمر إلى وقوع العالم الإسلامي كله تحت قبضة الإستعمار الصليبى الأوروبى.. ومازال.

□ □ □ □

الفكــر.. والحــرب

الحرب تبدأ أولاً فى مجال الأفكار، وتحسم هناك قبل أن تحسم علي الأرض بالحديد والنار ودماء البشر.
والعنصر الأساسى فى الفكر هو الجانب الإعتقادى الذي يلمس روح الإنسان، ثم يليه الفهم

السياسى ومدى دقته وعمقه.
ثم يليه الفكر الإقتصادى المرتبط برؤية إجتماعية تنحاز إلي مصلحة الأمة مجتمعة، وليس إلى طبقة خاصة تحتكر الثروة والسلطة السياسية.
وأزمه المسلمين العرب هى فى الأساس أزمه فكر، والجانب الدينى هو المكون الأوحد تقريباً للثقافة الجهادية المعاصرة. ومع ذلك فهو فكر ديني يرتكز علي زوايا ضيقه ثم يعيد عرضها علي أنها الإسلام الشامل، مع التركيز الشديد علي المسائل الخلافية التى تمنع وحدةعناصر الأمة الإسلامية ويفتتها إلى عدد لايحصى من الفئات المتصارعة.
والفكر الجهادى، أو بالأحرى التكوين الفكرى للجماعات التى تتبنى الجهاد كوسيلة لإقامة دولة إسلامية، هو تكوين لايصلح للمهمة التى يزعمون التصدى لها. فهذا الفكر مازال يعانى من نفس النقائص التي يعانى منها الفكر الإسلامى العام ولم يتخطاها، بل أنه ورط نفسه فى التصدى لمهمة الجهاد التي لايملك أدوات التصدى لها، بل لايملك مجرد التخيل النظرى لإبعادها. من هنا جاء النشاط العملى متخبطاً ولايشكل خطورة جدية لأية قوة معادية للإسلام لأنه نشاط مبنى علي جهل مركب: جهل بالأسس العقائدية للجهاد، فهى فى الذهن الجهادى مجرد شعارات رومانتيكية لم تكتمل لتصبح نظرية عمل عقائدية يستند إليها النشاط العملى.
وغياب جوانب حيوية عن الفكر الجهادى تجعل الحركة المؤثرة مستحيلة، مثل غياب الفكر العسكرى والسياسى كلاهما.
فى أفغانستان تجلت أزمة الفكر الجهادى العربى فى أشد صورها قتامة. فالقيادات التى تصدت لقيادة العمل العربى، عبد ا عزام و أسامه بن لادن، كانت تفتقر إلي المعرفة السياسية أو العسكرية اللازمة.. وترتب على ذلك:
 كان تقييمهم للموقف القائم فى أفغانستان خاطئا. وترتب على ذلك خطط عمليه خاطئة.
بل كان العمل فى الواقع لا يعرف التخطيط، فكان مجموعة من المبادرات الوقتية المرتجلة والمزاجيه.
وفى العمل السياسى وقعوا فريسة لأكبر الأفاقين من قادة الأحزاب"الأصولية" المصنوعة على أعين أعداء الإسلام، فأصبح العمل الجهادى العربى،سواء المالى أو القتالى، لا يخرج عما تريده دوائر الإستخبارات الأمريكية وأذنابها فى السعودية وباكستان وغيرهما. واستطاعت تلك الدوائر ضرب أى أثر إيجابى للتواجد الجهادى العربى فى أفغانستان، خاصه فيما يتعلق بالإنعكاسات المحتملة على المصالح الأمريكية واليهودية فى بلاد العرب.
أما العمل العسكرى لهؤلاء القادة فلم يكن سوى إهدار دماء، ومجازر للشباب، وشتات فى العمل لا يعطى ثمرة للأفغان ولا يحقق، فهم عسكرى للعرب الذين لم يكتسبوا سوى مهارة إطلاق النار.

الإسلام.. والثورة

أهل السنة فى حاجة إلى المجتهد الثائر، فربما نجد منهم الفقيه الغاضب أو الخطيب الهائج. بينما المطلوب أعمق وأخطر من ذلك.
فالإسلام ثورة على أى سلطة سياسية سوى ا تعالى، وذلك مأخوذ من الجمله الأولى التى يدخل بها الإنسان إلى الإسلام، وهى شهادة التوحيد (لا إله إلا ا ، محمد رسول ا).
فالشق الأول من تلك الشهادة هو تعهد سياسى من العبد تجاه ربه أن ينفى ويقوض،

أى نظام بشري يجعل الإنسان عبداً لإنسان مثله، ويعقب ذلك النفى السياسى، إثبات سياسى، عقائدى بأى الألوهية هى وحده وهو تعهد بإقامة نظام سياسى يجعل الإنسان عبدا فقط لا غير. هذ التعهد السياسى ،نفيه وإثباته، هو المسئوليه الكبرى والأمانه العظمى التى من أجلها خلق الإنسان.

من هنا نرى الجوهر السياسى للإسلام وأن ا فرض علينا تعهداً سياسياً كى يقبلنا من المسلمين.

فأى محاوله لبتر السياسة عن الدين هى تفريغ للدين عن محتواه الحقيقى، وإستبعاده عن مجرى الحياة.

والذى حدث لدينا منذ زمان طويل هو أن السياسة فصلت عن الدين وصار الحاكم هو مرجعية السياسة، والعالم هو مرجعية الدين المفرغ من محتواه. فالعلماء عندنا لا يقتحمون مجال السياسه إلا في الحيز الذى يسمح به السلطان وبالطريقه التى ترضيه وتدعم سلطانه وتؤيد حكمه.

وبالطبع ليست وظيفة الإسلام أن يكون دعماً قدسياً لسلطة طواغيت جبارين، فذلك مناقض لشهادة التوحيد، مناقض لعهد المسلم مع ربه، ثم إن ذلك أخيراً خيانة ورسوله ولأمة المسلمين.

□ □ □ □

هكذا كنت أدون ما أفكر فيه قبل تلك (الدورة السياسية) التى لا أحمل لها تقديراً يذكر، بعد أن رأيت النتائج بنفسى على مدى سنوات، وسبب ذلك الفشل فى نظرى هو أنها تتناقض جوهرياً مع الفكر السلفى داخل الوسط الجهادى.

الأهم فى تلك الدورة هو الدقائق الأخيرة، فى عصر ذلك اليوم الأخيرمع أبو حفص وأبو مصعب،كنا نتحدث حول الدورة وتقييم ما جاء فيها وكنا جميعاً سعداء بها، وكان أكثرنا حماساً لها هو أبو مصعب.

وبينما ثلاثتنا نسير الهوينى ونتحدث، سمعت صوت طائرة نقل عسكرية تهبط إلى المطار، فتوقفت عن الحديث، وكان الوقت عصراً.

فنظرت إلى أبو حفص متسائلاً: هل ما أسمعه صحيح؟، إنها طائرة تهبط فى المطار، فوافقنى على ذلك، فثرت فجأة وحملتهم مسئولية ما يحدث، فهم يعيشون بمعسكراتهم فى خوست بينما لا يعيرون إهتماماً لما يحدث فيها من معارك سوى تواجد رمزى فى موقع لاقيمة له يدعى البتاون يستخدمونه للتدريب الحى.

وقلت أن إغلاق يكون المطار مهمتهم. فطريقة عمل المجاهدين لن تمكنهم من إغلاقه. بينما إغلاق المطار هو شرط أساسى لفتح المدينة وعلى حسب قول حقانى فإن المطار إذا تم إغلاقه لمدة شهر متصل فإن دفاعات المدينة سوف تنهار وتستلم للمجاهدين.

وقلت لأبى حفص: أنتم مسئولون أمام ا عن هذا التقصير.

كانت تلك هى اللهجة التى يمكن أن تؤثر فى أبو حفص، رغم أننى لم أقصد إبتزازه فقهياً. فأجاب بتأثر: نحن نوافق على القيام بها على شرط أن تكون أنت المسئول عن العملية والمشرف عليها.

فوافقت فوراً وتم الإتفاق الذى على قدر ما كان سريعاً وفورياً كان أيضاً محل إلتزام من كلانا، ومازلت أشعر بالإمتنان لأبو حفص لهذا الموقف الرجولى.

كنا نجلس وقتها فوق إطلال بيت مهدم قديم، وأصوات الطائرات والقذائف تتناهى إلى أسماعنا ولكن منذ تلك اللحظة بدأت أهم عملية لنا فى حرب أفغانستان، وهى ما أسميتها (المطار90) وإشتهرت بيننا بإسم "مشروع المطار"، ولننظر كيف سرنا فى عمليتنا تلك.

.....- -.....

<u>المطـــار 90</u>

كان من المفروض أن نبدأ العملية فى وقت هجوم عام علي المدينة أو برفقة سلسلة هجمات نشطة لأن ذلك سوف يزيد من أزمة العدو عندما لا يستطيع إستخدام المطار فى مثل تلك الظروف.

وإتفقت مع أبو حفص أن العملية سوف تستمر شهر واحد بشرط ألا ينجح العدو فى إستخدام المطار طوال ذلك الشهر، وهذه هى مسئوليتى فى الميدان، أما مسئوليته فهى ألا تتوقف العملية بسبب إنقطاع الذخائر. وحددت له عدداً تقريبياً لصواريخ كاتيوشا التى سوف نحتاجها طوال العملية وكان الرقم 1500 صاروخ وأن عليه أن يستعد إذا إحتجنا لأكثر من ذلك.

وكان إلتزامه صريحاً معى بأن العملية لن تتوقف بسبب نقص الذخائر فأراحنى ذلك كثيراً.

وظهر أثناء العمل أن الرقم الذى حددته كان صحيحاً تماماً، ولكن تعهده بأن العملية لن تتوقف بسبب نقص الذخائر، فلم يتم تنفيذه كاملاً بسبب الإداريات السيئة لديهم فى "القاعدة"، ويبدو أنه عيب مستمر معهم مثل العاهة المستديمة.

وبالنسبة للأفراد فقد كان من الأفضل دوماً إستخدام الحد الأدنى منهم لتقليل إحتمالات ونسبة الخسائر، وقد حافظنا بنجاح على ذلك المبدأ، وقد كان ذلك مناسباً للقاعدة التى وفرت بصعوبة الكوادر القليلة التى إحتجناها فى البداية، وأثناء العملية سحبوا العديد منهم كى أقع فى ورطة خرجت منها بصعوبة، أو بمعركة مع القاعدة نفسها.

ولأزمه الأفراد التى واجهت عملنا هذا سببان:

الأول هو إنشغال جميع كوادر القاعدة فى عملية التدريب فى المعسكرات أو فى قاعدتهم فى "البتالون" جنوب وادى خوست، وكانت تلك هى سياستهم العليا. أى عدم الإنشغال ، أو التورط ، كما يقولون فى أى معركة فى أفغانستان، بعد مصيبه جلال آباد .

وكان مساعدتهم لى فى تلك العملية هى إستثناء، ولأنها عملية محدودة فى أعمال المدفعية فقط

<u>والسبب الثانى</u>: وهو خارج عن إراده الجميع، وهو غزو العراق للكويت فقد قام أبو عبد ا "أسامه بن لادن" وكان فى السعودية وقتها، قام بإستدعاد جميع أعضاء القاعدة من أبناء السعودية كى يدافعوا عن بلادهم ضد الغزو العراقى المحتمل.

فأربك ذلك كل أعمال القاعدة وإنعكس ذلك علي عملنا ، الذى كنا نطلق عليه "مشروع المطار".

بقى أن أذكر أن العرب يكونون فى أروع حالاتهم فى ساعات الإشتباك لذا فلا داعى للإطراء علي مجموعة الشباب من القاعدة والذين عملوا معى فى ذلك المشروع. إلا أننى أذكر لهم ميزة إضافية، قليلاً ما تتوفر للعرب، وهى ميزة الإنضباط والإلتزام بالأوامر.

شذ عن ذلك، لفترة محدودة ، أبو تميم رحمه ا على الذى كان متشوقاً للشهاده أثناء عملية إقتحام ، وليس عملية مدفعية ، وقد نال ما تمنى في العام التالى ولكن فى جلال آباد.

وأثناء عملنا في مشروع المطار هذا، تركنا أبو تميم كى يشارك فى عملية إقتحام كبيرة مع المجاهدين، رغم كل جهودى لاثنائه عن عزمه ولكنه عاد منها سليماً بلا خدش .
كان أمامنا قبل أن نبدأ كومة كبيرة من المشاكل الإدارية والتكتيكية والمالية وحتى السياسية كان أكثرها متوقعاً وبعضها كان مفاجئاً لنا .
كنا فى عملية المطار نضع يدنا على حنجرة العدو كى نعتصرها ونقضى عليه. ولم نكن نتوقع أنه سيقابل ذلك بالترحاب وفى الحقيقة أنه قاوم بعنف شديد ، وكنا معتادين على ذلك ، ولكنه قاوم بذكاء شديد أيضاً. وكان ذلك ممتعاً للغاية ، فالقوة فى حد ذاتها ليست بالشئ الجميل، بل غالباً ما تكون قبيحة ، من وجهه نظر جمالية ، ولكن الذى يكسبها الجمال فى ساحة الحرب هو التكتيك الجيد، أى الإستخدام الذكى للقوة. فالفكرة هى أجمل ما فى العمل العسكرى.
ومشاهدة الفكرة العسكرية الجيدة، وهى تتحرك فوق ساحة العمليات هى متعة حقيقية، حتى ولو كان العدو هو صاحب ذلك الإبداع .
لقد كنا نحن الجانب الأضعف، فلا يمكن بحال مقارنة الوسائل التى توفرت بين أيدينا أثناء تلك العملية، وبين الوسائل التى جابهنا العدو بها . لقد كان توفيق ا لنا فوق كل تصور، وكذلك حفظه لنا في مواقف كان ينبغى ، حسابياً ، أن نكون جميعاً من بين القتلى .
لا يستطيع أحد أن يمارى فى شجاعة العرب، وبالمثل بالنسبة للأفغان. لم يتخلي العرب عن مدافعهم حتى والقذائف تنهال عليهم بشكل مباشر أثناء الإشتباكات الليلية فى عمليتنا تلك .
ومن جانبنا، وأثناء محاولة طائرات العدو الهبوط فى المطار، حول إخواننا بالصواريخ أرض المطار إلى سجادة متفجرة من نيران الكاتيوشا المنهمرة بدقه وإصرار، ولكن لم يمنع ذلك، إلا قليلاً ، لم يمنع الطيارين الأفغان الشجعان من الهبوط. وقد دفع العديد منهم حياته ثمناً لذلك وتفحموا داخل طائراتهم، أو أنهم فقدوا طائراتهم بعد أن أصابها عطب يستحيل إصلاحه
وإذا كانت الفكرة التكتيكية الجديدة تزيدالمعركة جمالاً، فإن شجاعة المقاتلين هى أكثر ما يضفى الجلال والإحترام علي ساحة المعركة .
والموت أهون على النفس من خوض معركه تفتقر الى هذين العنصرين عنصر الفكر العسكرى المضئ،وشجاعة المقاتلين المؤمنين البواسل .
لقد تمتعت عمليتنا بهذه العناصر مجتمعة ، وكنا فيها، بفضل ا ، الجانب الأفضل ، رغم كوننا الأضعف. وهنا نصل إلي النقطة الجوهرية فى الحرب كلها، جانب الإتصال با ، أى عنصر الإيمان والتسليم المطلق بأن نتيجة الحرب النهائية هى فى يد ا (وما النصر إلا من عند ا). وثبت بالتجربة أن النصر يأتى بعد لحظة في غاية الحرج، وهى لحظة يقدم فيها المسلم كل ما يملك من إمكانات ذهنية وحسابية ونفسية ثم يجد أن كل ذلك لم يعد كافياً أو مجدياً . وأنه إذا لم تتداركه رحمة ا ونصرته فإنه هالك لامحالة. وعندما يرى بأم عينيه ويتيقن بما لا يدع مجالا للشك أن كل ما يملك وكل ما قدم لم يعد يغنى شيئاً، وعندما يبدأ يستغيث بربه إستغاثة الملهوف اليائس من كل الأسباب الأرضية، عندها يتنزل النصر فيتلقاه العبد المسلم كما تستقبل الأرض، التى شققها العطش والحرارة، حبات المطر الهاطل من السماء .
....

أول الحرب. . كلمة

جلست مع أبو حفص وأبو عبيده فى غرفة الإستقبال الصغيرة في منزل أبو حفص في حياة آباد ، وكانت الصداقة الوطيدة بينهما والإرتباط الشديد في العمل جعلهما دوماً يسكنان فى بيت واحد مقسم بينهما أو فى بيتين متلاصقين. كان موضوع حديثنا الرئيسى هو"مشروع المطار"

ـ تحدثت بأسهاب عن المشروع وأهميته بالنسبة لمعارك خوست لكون المطار حلقة الإرتباط الوحيده بين المدينه وكابل، وأن إغلاق المطار هو شرط أساسى لفتح المدينة.

ثم تحدثت عن أهمية معارك خوست بالنسبة للوضع فى أفغانستان، وأهمية فتح هذه المدينة لأن ذلك سوف يؤدى، حتماً الي سقوط النظام الذى يراهن علي عدم قدرة المجاهدين علي فتح المدن الرئيسية.

ـ ثم تحدثت عن أهمية معارك أفغانستان بالنسبة لجميع المسلمين في ظل النظام العالمى الذى يرمى ثقله كله لإفشال أكبر مشروع جهادى للمسلمين خلال هذا القرن ، أو فى القرون الأخيرة وإظهار فشل ذلك المبدأ نفسه "الجهاد". وإقناع المسلمين عامة بإستبعاده من برامج حياتهم، أى التسليم بسيطرة الغرب عليهم.

وذكرت لهم الخطة المبدئيه للعمل، والأسلحة المطلوبة والأفراد، والمصاعب المتوقعة وردود فعل العدو. . إلخ

كلاهما كان مقتنع بالعملية، فلهما أيضاً إرتباط قديم مع ذلك المطار وإن كان أبو حفص ذو إرتباط أقدم. ولكنهما لم يكونا يريان تلك الأهمية بعيدة المدى لنجاح العملية، وأن يكون لها صلة بالوضع العام في أفغانستان ثم العالم . كان يريا ذلك مبالغة، كشأن كل شخص يتولى عملا فهو يبالغ فيه . ولكنهما لم يصارحانى بها هكذا، وكان قد إنتابهما يأس من مصير أفغانستان ودورها الإسلامى.

وطلبا منى كتابة هذا العرض في تقرير من أجل، أن أقوم بمناقشته مع كوادر المعسكرات و للإستفادة العامة، ولكون بعضهم سوف يشارك معى فى العمليه، فوافقت. وقمت بكتابة مذكرة بعنوان" أفغانستان: الصيف الثانى بعد رحيل السوفييت" . وكان الصيف الأول قد ضاع فى جلال آباد. وقد أقبل علينا الصيف الثانى الذى قد يكون تأكيدا للفشل والضياع إذا لم نساهم مع الأفغان فى إحراز نصر ذو قيمة. وهذا ما جاء فى تلك المذكرة.

□ □ □ □

أفغانستان: الصيف الثانى بعد رحيل السوفييت

الفصل الأول ــ الو ضع الراهن:

ترتبط كل حرب إرتباطا وثيقاً بالوضع السياسى المحلى والوضع السياسى الإقليمى، والوضع السياسى الدولى . وعلي القيادة التى تتصدى لإدارة حرب ما أن تضع تلك الحقيقة نصب أعينها وتتصرف على أساسها.

ونتعرض فيما يلى بإختصار شديد ملامح تلك الأوضاع السياسية المحيطة بالحرب الأفغانية.

أولاً ــ الوضع السياسى الدولى :

ويتميز فى الوقت الراهن بميزات فريدة..

أ ـ تفرد الولايات المتحده بموقع الصدارة بلا منافس كأقوى قوة عالمية مهيمنة.

ب ـ هزيمة السوفييت فى الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة وإنهيار الأساس الأيدلوجى، والإقتصادى للإمبراطورية الشيوعية.

ويحاول جورباتشوف أن يخرج من بين الأنقاض بصيغة تحفظ لبلاده وللكتله الشيوعية مكاناً لائقاً فى مجال السياسة الدولية.

ومن المجمع عليه أن جورباتشوف يحتاج إلى عدة عقود لكى يستعيد المكانة المفقودة أو حتى قريباً منها. ذلك إذا أتيحت له فرصة البقاء والنجاح والإستمرارية كى ينفذ برنامجه الذى مازال موضع شك.

ج ـ تسعى أوروبا نحو الوحدة السياسية الكاملة بعد أن قطعت شوطاً كبيراً فى الوحدة الإقتصاديه. ولكن أوروبا الشرقية ، التى إنعتقت مؤخراً من القيد السوفيتى مازالت تترنح مضطربة الخطي.

فالوحده الألمانية تحلق فوق سماء أوروبا منذرة بتطورات يصعب التنبؤ بها، وقد تعصف بآمال الأوربيين فى الوحدة الكاملة. فالقوة الألمانية المتحدة والمتفوقة قد تبتلع أوروبا لمصلحتها .

وبريطانيا العظمى مازالت متحفظة وتفضل التحالف مع حلفائها الأمريكان خلف الاطلسى بدلاً من ضياع هويتها فى الخضم الأوربى الذى قد يبتلعه الألمان.

والحيرة الأوربية حالياً تمنعها من أن تنافس أمريكا على المركز الأول أو الثانى لزعامه العالم

د ـ اليابان والصين الشعبيه: وكلاهما مراكز مرشحة لمنافسه أمريكا على الزعامة الدولية، ولكن لأسباب مختلفة فإنه لا بد من مرور عدة عقود من الزمان حتى تستطيع أياً منها أن تكون جديرة بتلك المنافسة.

من ذلك يتضح أن إستفراد الولايات المتحدة بالهيمنة الدولية فى المجال السياسى والإقتصادى المدعوم بقوة عسكرية لاتبارى، هى حقيقه الوضع الدولى الراهن. وهى تقوم حالياً ، أى الولايات المتحده ، بالحلول مكان النفوذ السوفيتى المنكمش فى أوروبا الشرقية ، والشرق الأوسط وباقى مناطق العالم ،ولكن بحكمة حتى لا تحدث ردود فعل سوفيتية، أو دولية قد تقود إلى مضاعفات سيئة.

ومن باب تلك الحكمة ذلك الحل الذى تشير الوقائع أنه جرى الإتفاق عليه بين العملاقين فى أفغانستان. ويقضى ذلك الحل المفترض بأن يتم تقاسم النفوذ بينهما فى أفغانستان، فيكون التوجيه السياسى والأمنى خاضعاً لمطالب السوفييت . وذلك يقتضي بأن تبقى فلول العناصر الماركسية مهيمنة على الإدارة السياسية للبلاد.

وبعد ذلك يكون النشاط الإقتصادى الحر والتفسخ الإجتماعي والخلقى والتغريب الثقافى والتهريج البرلمانى هى باقى السمات المكملة للدولة الأفغانية . وجميعها نتاج الحضارة الأمريكية ونسخ متخلفة عنها. كما أنها جميعاً منافذ للسيطرة الأمريكية على الشعب الأفغانى.

وغنى عن البيان أن القول بإتفاق الطرفين على إستبعاد المجاهدين،وفرض الحكم "الشيوعى / الإسلامى" المشترك،ماهى إلا صيغ مختلفة لحقيقة واحدة، وهى حقيقة تقاسم النفوذ التى ذكرناها آنفاً.

ثانياً_ الوضع السياسى الإقليمى :

تجاور أفغانستان ثلاث تجمعات بشرية عملاقة تحكمها نظم عميقة العداء مع الإسلام، وهى :

1 ـ الاتحاد السوفيتى:

350 مليون نسمه من بينهم 70 مليون مسلم تقريباً ،وهو الطرف الرئيسى فى الحرب الدائرة على أرض أفغانستان، ويشكل العدو الأول فيها حتى الآن.

وأهدافه الأساسية فى أفغانستان :

أ ـ ضمان تبعيتها السياسية .

ب ـ ضمان عدم تهديدها لأمن الأراضى الروسية من ناحية الأحلاف العسكرية والنظام السياسى والإجتماعى فى أفغانستان .

ج ـ بعض المكاسب الإقتصادية من ثروات أفغانستان فى المواد الخام .

وقد قفزت المعونات الإقتصادية والعسكرية التى تقدمها روسيا لنظام كابول إلى حوالى خمسة مليار دولار سنوياً بعد أن كانت فى حدود ثلاثه مليارات أثناء الإحتلال العسكرى المباشر .

كل ذلك للحيلولة دون إنهيار النظام الشيوعى القادم ومنع وصول المجاهدين الي السلطة .

ومن المعلوم الدور الأمريكى الموازى والذى يهدف إلى عرقلة وصول المجاهدين إلى السلطة وذلك بإتخاذ عدة إجراءات منها .

ـ منع السلاح والذخائر عن المجاهدين .

ـ طرح عدد كبير من المبادرات السياسية بعضها أمريكى وبعضها من مصادر تابعة للسياسة الأمريكيه وجميعها تهدف نحو إقرار مبدأ تقاسم النفوذ .

ـ إضعاف المركز السياسى للمجاهدين بمصادرة حقهم في تكوين جبهة سياسيه تمثلهم فيما عدا الحكومة المؤقتة الوهمية المستقرة فى بشاور بلا سلطات أوصلاحيات، وكذلك الأحزاب السبعة التافهة والتى لايعدو دورها عن دور وسيط لنقل السلاح الأمريكى إلى داخل أفغانستان، وقد توقف هذا الدور حالياً فتوقفت مهمة الأحزاب وإقتصرت على إقتراح مبادرات إنتخابية لحل مشكلة أفغانستان .

ـ الحصار الإعلامى دولياً لعزل "الجهاد الأفغانى" عن الشعوب الإسلامية والرأي لعام الدولى ، ثم تشويه صورته والعمل عل تصفيته عملياً .

ـ عمليات إغتيال لقيادات ميدانية، ولعناصر إسلامية ناشطة فى دعم "الجهاد الأفغانى" .

ـ تبنى برامج للأمم المتحدة ترمي إلى تثبيت حكومة كابول وإكتساب الإعتراف الدولى بها ومعاونتها إقتصادياً ، فى مقابل عرقلة عمل المجاهدين ووضعهم في تناقض مع المحيط السكانى

2 ـ الهـند :

700 مليون نسمه من بينهم 170 مليون مسلم . وهى عدو عنيد للإسلام فى منطقه آسيا كلها وما جاور الهند من بلدان، خاصه أفغانستان التى إنطلقت منها تاريخياً العديد من الحملات العسكرية لتأديب الهندوس لتعديهم على المسلمين فى الهند .

وتخشى الهند بشدة من قيام حكم إسلامى فى أفغانستان سيكون حتماً مقدمة لبعث إسلامى جهادى في آسيا كلها خاصة الهند وما جاورها وسيكون ذلك بداية النهاية لإمبراطورية الهندوس فى القارة الأسيوية .

وتقوم الهند منذ عهد" أنديرا غاندى" ببناء قوة عسكرية جبارة تؤهلها لأن تكون"قوة عظمى"

أقليمية تقوم بمهام القوة العظمى فى جنوب آسيا والمحيط الهندى، وتحاول لعب هذا الدور الخطير بعد إستئذان وموافقة القوتين الأعظم وبما يتوافق مع مصالحهما.
3 ـ الصين الشعبيه: مليار ومئتى مليون نسمه من بينهم 30 مليون مسلم.
العلاقات التاريخيه بين المسلمين والشعب الصينى تعتبر علاقات طيبة بشكل عام. ولكن طبيعة النظام الشيوعى الحاكم هناك الآن ورغم تراجعه الكبير عن كثير من مبادئ الشيوعية إلا أنه مازال يرى فى الإسلام خصماً عقائدياً خطيراً.
ولا ترحب الصين، حالياً، بنظام إسلامى جهادى فى أفغانستان، وترحب بنظام علمانى يمكن إختراقه والاستفادة منه.
والصين بوصفها قوة مرشحة للتنافس على المراكز الخمسة الأول فى صدارة العالم والهيمنة على شئونه، لايمكنها أن ترحب بوجود نظام حكم عقائدى على حدودها لأنه سيجاب لها مشاكل عسيرة الحل.
ومن هذا المنطلق لا ترحب الصين الشعبية بحكومة للمجاهدين فى كابل، وتميل أكثر إلى الحل الأمريكى السوفيتى للقضية المبنى على مبدأ تقاسم النفوذ.
رغم أن حكومة مبنية علي مبدأ كهذا لن تترك للصين، حصة فى تقاسم النفوذ فى دولة صغيرة كأفغانستان تقع علي حدودها مباشرة.
هذا وتحيط بأفغانستان دولتان مسلمتان هما
1 ـ باكسـتان : 90 مليون مسلم.
وهى دوله حديثه التكوين قدمت عام 1949 بعد إنفصالها عن الهند بالإتفاق مع بريطانيا قبل إنسحابها من المنطقة. وباكستان، أو جمهورية باكستان الإسلامية، تقوم على الإنتماء العاطفى والتاريخي للإسلام وبدون أيه ميول حقيقية لإنتماء أصولى.
بالنسبة للقضية الأفغانية قامت باكستان بالدور الأهم في مجرى الأحداث، فإستقبلت غالبية المهاجرين. ثم كانت رأس الرمح فى تنفيذ السياسة الأمريكية تجاه قضية أفغانستان.
ومن ملامح ذلك:
ـ تدخلت فى تشكيل الأحزاب الأفغانية للمقاومة وهيمنت عليها.
ـ إستولت على الدور السياسى للمقاومة الأفغانية وصادرته لصالح الولايات المتحدة أولاً ثم مصالحها الذاتيه ثانياً.
ـ تدخلت فى سياسة توزيع معونات الأسلحة والأموال، لتعمق نفوذها داخل أوساط المجاهدين فى الداخل وفوق أراضيها.
ـ تدخلت فى سير العمليات العسكرية وتحكمت فى مداها وتطورها، سلباً وإيجاباً.
وقد نالت باكستان العديد من المكاسب من جراء إندلاع الحرب الأفغانية، كما أصابها العديد من البلايا. وقد فقد ضياء الحق حياته ثمناً لمحاولته تقديم مصلحة بلاده في أفغانستان، أمام المصلحة الأمريكية.
وإستوعبت الحكومه الحالية ذات الإتجاه العلمانى ذلك الدرس، وتسعى لأن تكون فى كابل حكومة علمانية أخرى لاتشكل خطراً عقائدياً، ماركسية أو إسلامية أصولية، كما انها ترغب فى ألا تثير أية حكومة قادمة فى كابل المشاكل الحدودية مع باكستان على طول خط ديورند الفاصل بين البلادين.

2ـ ايـ ـران : 50 مليون مسلم شيعى.
فجر الإمام الخمينى الثورة فى إيران بعد أقل من عام من الإنقلاب الشيوعى في كابل. ومن يومها لم تشهد إيران نوعاً من الإستقرار إلا ذلك الهدوء النسبى الذى ساد الحياة هناك بعد توقف الحرب مع العراق.
تلك الحرب الذى دمرت إقتصاد البلدين. وبإنتهاء الحرب ورحيل الإمام الخمينى، إتخذت إيران لنفسها مساراً أكثر "إعتدالاً" مع كونه لم يتبلور بشكل كامل حتى الآن.
ومن مناخ الثورة وحتى توقف الحرب مع العراق، كان الإجتياح السوفيتى وبلوغ الحرب الأفغانية ذروتها ثم إنسحاب الروس قد تم تقريباً، لذلك لم يكن لإيران دور ملموس على الساحة الأفغانيه طوال تلك الفترة.
وبعد الإنسحاب الروسى الذى رافق تقريباً إنتهاء حرب الخليج سارت إيران فى طريق بناء إقتصادها وإعادة ترتيب وضعها الداخلى فى ظل عدائها مع أمريكا والمعسكر الغربى.
فتوجهت بسرعة لإصلاح العلاقات مع السوفييت، وتقويتها مع الصين، وذلك على حساب المجاهدين الأفغان الذين نظرت إليهم إيران كحلفاء لأعدائها الأمريكان ولأعدائها السعوديين فى الخليج.
كذلك فإن حالة الحصار التى تعيشها إيران منذ ثورتها يدفعها حالياً إلى للبحث عن مجال للتمدد والإنتشار ويغريها الفراغ السياسى والقيادى على الساحة الأفغانيه أن تتمدد هناك عبر الأقلية الشيعية فى البلاد، وبالغزل مع السوفييت وعملائهم فى كابل.
ومازالت إيران بعيدة عن الوصول إلى حالة الإستقرار وسياستها فى أفغانستان لاتبشر ، حتى الآن ، بأى عون لقضية المجاهدين الأفغان، بل العكس هو الصحيح حالياً فهى قد تدعم مبدأ تقاسم النفوذ بين الكتلتين فى أفغانستان، ويحتمل أن تؤدى الصراعات الداخلية الدامية التى ستصاحب هذا الحل إلي تمدد نفوذ إيران داخل المجتمع الأفغانى المرتبط بها إرتباطاً ثقافياً وتاريخياً عميقاً.
من ذلك الإستعراض السريع للموقف الدولى والموقف الإقليمى نجد أن الإتجاه نحو إقرار مبدأ "تقاسم النفوذ" داخل أفغانستان يحظى بموافقة إجماعية شبه شاملة.
ويرى كل طرف،دولياً وأقليمياً ، أن جزءاً لابأس به من أهدافه داخل أفغانستان سوف يتحقق فى ذلك الإطار الواسع.

ثالثاًـ الموقف علي الساحة الافغانية:

أولاًـ الحكومة الشيوعية فى كابل:
سياسياً: كما حدث فى أوروبا الشرقية فإن نظام كابل أدخل على هيئته كل الإصلاحات التى أجراها على نفسه السيد الأكبر فى موسكو.
فتخلى رسمياً عن الشيوعية وسعى نحو إكتساب الجماهيرية فإدعى الإسلام، وسعى للغزل مع الغرب فإدعى الديموقراطية، وأشرك بعض الوجوه الباهته في مناصب وزارية ثانوية وإدعى أنه قد وسع قاعدة المشاركة فى الحكم.
وقد تلقى بذلك دعماً سياسياً مؤثراً من أوروبا والأمم المتحدة ، وذلك بمباركة خفية من الحبر الأعظم فى واشنطن، حيث أن الإتفاق قد تم على أن يكون للشيوعين الأفغان اليد العليا فى حكم أفغانستان بمقتضى مبدأ "تقاسم النفوذ" وبالتالى فقد تلقى النظام دعماً كبيراً من الدول

الإقليمية المحيطة التى ركزت إعتراضها على شخص "نجيب" بدون إعتراض على مبدأ التسوية.

عسـ ـكرياً: فى أعقاب الإنسحاب السوفيتى تخلى جيش كابل عن مناطق كثيرة وركز دفاعاته عن المدن الهامة والطرق الرئيسية.

كما أنه خسر عنوة بعض المناطق الإستراتيجية ولكنه ظل متماسكاً ولم يخسر أى موقع يشكل خطورة على الوضع العسكرى أو السياسى للنظام.

ويلاحظ أن جيش كابل إسترد شيئاً من الطابع الهجومى بعد محاوله "تناى" الفاشلة للإنقلاب، فإستعاد مناطق إستراتيجية كان قد فقدها حول كابل، باغمان وحول جلال آباد، هيرات.. إلخ ولكن مازال الجيش يعانى ضعفاً فادحاً فالجنود يؤدون بالقوة خدمة عسكرية شاقة بدون راتب تقريباً كما أنهم ملوا الحرب تماماً.

وفى المقابل زادت قوات الميليشيات إلى حد كبير بالإستفادة من الوضع المعيشى السيء داخل أفغانستان، ونتيجة لضعف إدارة المجاهدين للمناطق التى تحت سيطرتهم، كما أن الروس أدخلوا إلى الساحة العسكرية نوعاً جديداً من الميليشيا العقائدية المدربة لسنوات طويلة داخل الأرض السوفيتية لتكون سنداً عسكرياً للنظام بعد إنسحاب قواتها من أفغانستان.

وبشكل عام تمثل النجاح العسكرى للنظام الشيوعي فى:

أ ـ التمسك بالمدن الرئيسية الإستراتيجيه الست : قندهار ، جلال آباد ، هيرات ،جارديز، خوست، غازنى ، إلى جانب العاصمة كابل.

ب ـ إبقاء معظم الطرق الرئيسية مفتوحة أمام حركة القوات المسلحة لنجدة وتموين المدن الكبرى

ج ـ إبقاء الإتصال البرى والجوى بين كابل والإتحاد السوفيتى مفتوحاً.

أما عن قوة النيران لدى جيش كابل فقد زادت إلى درجة كبيرة بعد أن زودته موسكو بجزء من فائض المخزون الذى سحبته من أوروبا الشرقيه، ومن معدات متقادمة . ويعتقد أن المخزون الحالى من معدات وذخائر يكفى إستخدام عدة سنوات من القتال.

كما أن مستوى متقدم من التكنولوجيا المتطورة أصبح فى خدمة المجهود العسكرى خاصه فيما يتعلق بالأقمار الصناعية وإستخداماتها فى مساعدة العمليات التكتيكية وتوجيه نيران صواريخ سكود وغيرها. إلى جانب تكنولوجيا متقدمه فى مجال الذخائر مثل القنابل الإنشطارية والغازية والفسفورية.. إلخ

وتبقى نقطة الضعف القاتلة فى البنية العسكرية هى الإنهيار المعنوى فى صفوف الجنود وقطاع كبير من صغار الضباط.

إقتصادياً: تعتمد حكومة كابل على تمويل كامل يأتيها من موسكو، وكافة تكاليف الحرب والإدارة الحكومية والمواد الغذائية والمحروقات تأتى جميعها من هناك.

وعلى ذلك فالحرب الأفغانية مازالت تستنزف الإقتصاد السوفيتى المريض.

موقف المقاومة الافغانية:

منذ إندلاع القتال والمقاومة الأفغانية تعانى من سلبيات خطيرة أصبحت مزمنة، أهمها:

1 ـ ضعف القيادات وتشتتها.

2 ـ ضعف التنظيمات وتفرقها.

3 ـ إنعدام التخطيط المركزى للعمل العسكرى.

4 ـ الإعتماد الكامل على الخارج فى التمويل والإمداد.
5 ـ إختراق المنظمات فى المستويات القياديه وحتى الوحدات الميدانيه بجواسيس النظام الحاكم، وجهات أجنبية أخرى معادية للإسلام.
6 ـ حرمان المقاومة من ممارسة العمل السياسى وإغتصاب الولايات المتحدة وحلفائها الإقليميين لذلك الدور الحيوى الذى يهدد مصير الحرب وهدفها النهائى.
كما أضيفت لتلك السلبيات عوامل ضعف أخرى ظهرت جلية بعد الإنسحاب السوفيتى. منها:
1 ـ عملت المنظمات وقيادتها السياسية فى بشاور على إضعاف العمل العسكرى الداخلى وكرست فعلاً التخلى عن نظرية الحسم العسكرى والإعتماد الكامل علي مبادرات التسويات السياسية على أسس "إنتخابيه".
2 ـ عملت القيادات فى بشاور، وبدفع من الولايات المتحدة، على القضاء على أى أمل لدى الشعب الأفغانى فى إمتلاك قيادة موحدة تخرجه من محنته.
فالحكومه المؤقته أضعف من أن تستأجر لنفسها بيتاً تقيم فيه. وليس لها ميزانية أو جيش، والمنظمات مازالت تحتفظ بصلاحياتها وتعمل جاهدة على التباعد فيما بينها، فتعززت بالتالى مسيرة الحلول الدولية لاقتسام النفوذ.
3 ـ خلال عملية تشكيل الحكومة المؤقتة وما تلى ذلك من أحداث عمدت الولايات المتحدة من خلال سفيرها لدى المنظمات الأفغانية في بشاور على تكريس عوامل الصراع داخل فئات المجتمع الأفغانى وتحويلها إلي صراعات مسلحة لطمس الطابع العقائدى للقتال فى أفغانستان وتحويله إلى حرب أهلية.وقد ساهم قادة المنظمات فى هذا المخطط وبدرجات متفاوتة.
هذا وقد قامت الولايات المتحدة وأصداقائها فى المنطقة مستخدمين قيادات بشاور السبعة ببث روح اليأس من تحقيق إنتصار عسكرى، والترويج لفكرة مقاسمة السلطة بين المسلمين والشيوعيين والملكيين فى حكومة واحدة، ومقاومة الطابع العقائدى للحرب الذى ظلت محافظة عليه طوال إثنى عشر عاماً.
 وقد أدت السياسة الأمريكية إلى نتائج سلبية على الجهاد فى أفغانستان وتهدد حالياً بضياع كل المكاسب التى جناها الشعب المسلم بدماء أبنائه.
فقد منعت الأسلحة عن المجاهدين، وأوقفت معونات الطعام والمواد الغذائية عنهم، وأفسدت عدداً من قيادات الداخل وحثتهم علي التعاون مع كابل لفك الضغط العسكرى عن الحكومة الشيوعية، إلى آخر سلسلة طويلة من التآمر الأمريكى علي التيار الإسلامى الجهادى في أفغانستان والعالم كله، بعد أن إعتبرت السياسة الأمريكية هذا التيار هو عدوها الأول فى العالم حالياً بعد أن سقطت الشيوعية وإستسلمت للنفوذ الأمريكى.

إستعادة المبادرة:

منذ الإنسحاب الروسى وحتى الآن بدت المقاومة الأفغانية وكأنها فقدت زمام المبادرة فى العمل العسكرى خاصة بعد فشلها فى جلال آباد.
وحتى الإنتصارات الجيدة التى تم تحقيقها هنا أو هناك تمكن الإعلام الغربى من طمسها.
كما أن تلك الإنتصارات لم تكن من الضخامة بحيث تعرض نفسها على الساحة الداخلية والدولية. وقد قام القادة الميدانيون داخل أفغانستان بمحاولة لإستعادة زمام المبادرة فى مجال العمل العسكرى والأمساك بزمام الأمور داخل المناطق المحررة.

فعقدوا إجتماعهم الأول فى جاور (من 7 الى 9مايو 1990) ثم إجتماعهم الثانى فى نفس المكان من 21 الى 23 يونيو 1990 وقد حضر الإجتماع الاول 37 قائداً ميدانياً في حين حضر الإجتماع الثانى أكثر من 250 قائدا ميدانيا. وتعكس زيادة نسبة الحضور مع شواهد أخرى عديدةعلى جدية التوجة نحو إستعداة زمام السيطرة على مجريات الأمور وقد إتخذت أربع قرارات هامة تم الإتفاق عليها بالإجماع وهى:

1ـ ضمان أمن المواطنين داخل الأرض المحررة وضمان أمن الطرقات والقوافل والمنافذ.

2ـ وقف الإقتتال الداخلى مهما كانت بواعثه باستثناء الجهاد ضد النظام الشيوعى.

3ـ توحيد العمل العسكرى على مستوى البلاد وإستخدام الأمكانات البشرية والعتاد بشكل جماعى وفق تخطيط مركزى.

4ـ ـ المشروعات الدولية داخل أفغانستان لابد لها من الحصول علي موافقة القادة الميدانيين، وأن تتم تحت حمايتهم ووفق شروطهم.

ويعتبر القرار بتوحيد العمل العسكرى هو القرار الرئيسى والذى يتوقف على جدية تنفيذه إستعادة زمام المبادرة فى مجال الأحداث الداخلية والخارجية، عسكرياً وسياسياً، وقد إتفق القادة فى ذلك الخصوص على تقسيم البلاد إلى سبعة مناطق عسكرية، كل منطقه تتألف من 4 إلى 5 محافظات تكون تحت قيادة واحدة وإحتياطى ذخائر مشترك.

كل تلك المناطق تخضع بدورها لقيادة واحدة وتخطيط مركزى للعمل العسكرى.

وذلك التقسيم أثبت نجاحه فى حروب مماثله.

<u>إيجابيات فى موقف المجاهدين:</u>

رغم السلبيات العديدة التى ذكرناها أنفاً فإن المجاهدين مازالوا يمتلكون أوراقاً قوية تجعل لهم نصيباً لايستهان به من إمكانيات النصر.

<u>من هذه الايجابيات:</u>

1ـ الطابع العقائدى للحرب لم يطمس رغم المحاولات الدولية والإقليمية الجبارة، فالشعب الأفغانى مازال يرفض الشيوعية بكافة فئاتها.

2ـ الشعب الأفغانى هو الوحيد فى الشعوب الإسلامية بل بين شعوب العالم الذى قاتل حروباً شرسة ضد النفوذ الغربى والنفوذ الشيوعى.

لذلك يحتفظ الأفغان بكراهية عميقة للكفار شرقاً وغرباً كراهية تزكيها ثارات ودماء وتاريخ حافل.

والبنيه الدينية والإجتماعية مازالت بوجه عام سليمة وقادرة علي إستمرار رفض الإختراق الحضارى ورفض السيطرة السياسية من جانب أمريكا أوالسوفييت.

3ـ الحالة المعنوية والإرادة القتالية لدى المجاهدين مازالت كافية للإستمرار فى القتال حتى الوصول إلي حسم الموقف عسكرياً.

والهبوط المعنوي الحالى مرجعه فشل القيادات والجمود المفروض علي العمل العسكرى والعلاج يمكن أساساً فى ضرورة تحقيق نصر عسكرى بارز يعيد المعنويات الي حالتها المرتفعه ويحي الآمال فى النصر الشامل.

 ومقارنة الحالة المعنوية في صفوف المجاهدين ، رغم ما يعتريها حالياً ، ومعنويات القوات الشيوعية نلاحظ فرقاً هائلاً في صالح المجاهدين.

وذلك هو المفتاح الرئيسى للنصر فى أى حرب.

4 ـ مجموع الإمكانات البشرية والعتاد لدى المجاهدين تكفى لإحراز النصر ، رغم التفوق الكاسح لدى العدو فى هذين المجالين، ولكن بشرط وجود قيادة صالحة ذات كفاءة، وتوحيد الصفوف وإخلاص النيات. وبعد ذلك يأتى دور التخطيط السليم والإستفادة من نقاط القوى لدينا (المعنويات) ونقاط ضعف الخصم (المعنويات أيضاً) .

أى لابد من التركيز على ذلك الجانب الخطير الذى أصبح حاسماً في حربنا هذه أكثر من أى حرب أخرى ألا وهو الجانب المعنوى.

ونعود لنؤكد أن الجانب المعنوى هو سلاحنا الحاسم والأساسى، وعناصره هى:

ـ الجانب الإعتقادى فى الحرب، وهو العنصر الأساسى فى تكويننا النفسى والمعنوى.
ـ الثقة في إحراز النصر.
ـ الإصرار علي تحقيق النصر مهما كانت التضحيات ومهما طال الوقت.
ـ التنظيم والثقه في القيادة.

ونلاحظ أن سلاح المعركه الحاسم هو فى متناول أيدى المجاهدين ولايمكن منعهم من الوصول إليه. فليست هناك قوة على ظهر الأرض بقادرة علي منع المسلمين من الإلتجاء إلي ا لطلب النصر. وقد تكفل ا للمسلمين بنتائج القتال إن هم إستوفوا الشروط (إن تنصروا ا ينصركم ويثبت أقدامكم) .

5 ـ يمتلك المجاهدون خطوط إمداد آمنة ومناطق خلفية مستقرة، وسيطرة كاملة على الجبال ومعظم الأرياف، فى حين أن العدو محصور في المدن وطرق إمداده مع الإتحاد السوفيتى يمكن تهديدها بشدة، وليست لديه القدرة العسكرية إطلاقاً لإعاده السيطرة على الريف والجبال مالم ينهار موقف المجاهدين تماماً أو أن تنجح الحكومة في إستمالة السكان.

وهذا ما تحاوله الولايات المتحدة والأمم المتحدة بواسطة برنامج إعادة توطين المهاجرين برنامج إعادة الإعمار وجميعها تهدف إلي خلق تكتل سكانى تحت سيطرة حكومة كابل تكون مصالحه وإستقراره متناقضة مع مصالح المجاهدين ونشاطهم العسكرى.

6 ـ فى حاله وضع إتفاق"جاور" للقيادات الميدانية موضع التنفيذ المخاص ستنتقل المبادرة العسكرية إلى أيدى المجاهدين وسيصبحون بالتالى طرفاً سياسياً لايمكن تجاهله. ولذلك نتائج لا شك فيها فى تحسين مستوى التسليح والتمويل وتحديد حل للقضية على أسس إسلامية صحيحة حل قائم على إحراز الحسم العسكرى أو إمتلاك القدرة علي إحرازه.

الفصل الثانى

خطـــة العـــمل

أولا: المطلب العاجل أمام المجاهدين الأفغان هو تحقيق نصر عسكرى كبير بالإستيلاء على أحد المدن الستة الرئيسية وإستثمار الآثار النفسية لهذا النصر فى التالى:

أ ـ رفع معنويات المجاهدين والشعب الأفغانى وإعادة الأمل في تحقيق الحسم العسكرى وفرض نظام إسلامى فى أفغانستان عن طريق الجهاد ورغم أنف تآمر الدول الكبرى

ب ـ كبح جماح الحلول السلمية التى تنهال من الدول الكبرى والإقليمية وحتى منظمات المقاومة نفسها، تلك الحلول التى تطعن التصور الجهادى الإسلامى فى الصميم، وتفرض اقتساماً للسلطة مع الشيوعيين.

ج ـ إنقاذ الروح المعنوية الجهادية في البلاد الإسلامية التى سوف يطالها العطب إذا إنتهى هذا الجهاد الدامى الطويل فى أفغانستان نهاية مؤسفة لا تتفق مع التصور الإسلامى.
د ـ إعطاب التصور الذى تروج له أمريكا وعملائها فى بلاد المسلمين من أن الجهاد المسلح لايسفر إلا عن خراب البلاد ولا يعود بأية نتائج مثمرة، وأن الحل الوحيد أمام الشعوب المسملة والحركات الإسلامية هو السير من خلال قنوات السلطة الطاغوتية وبرلماناتها.
فأمريكا تسعى الآن إلي حذف الجهاد من قاموس المسلمين، وواقعهم. وتريد أن تثبت فشله فى الواقع العملى.
إن إحراز نصر عسكرى في أفغانستان أصبح مطلباً مصيرياً بالنسبة للمجاهدين الأفغان، بل أيضاً للحركة الإسلامية الجهادية في العالم أجمع.
ثانياً: وضع قرارات مؤتمر جاور موضع التنفيذ الحقيقى فذلك كفيل بنقل مركز ثقل الجهاد ومصادر قوته إلى داخل الأراضى الأفغانية وبين يدى الشعب الأفغانى، ويقلل إلى حد كبير سيطرة القوى الدولية والإقليمية على حركة الجهاد ومساره.
ثالثاً: الإنتصار العسكرى الكامل للمجاهدين هو أمر ممكن حتى ولو لم يتم تجهيز قوات نظامية كافية لإقتحام المدن.
فالسيطرة السياسية على المناطق المحررة مع حسن إستخدام القوات المتوافرة ، وهى قوات شبه نظامية مختلطة بقوات حرب عصابات.
هذان العاملان يكفيان لإسقاط النظام فى كابل.
والعنصر الحاسم كما ذكرنا هو تفوق المعنويات وإظهار التصميم على النصر، ذلك مع الضغط المستمر علي معنويات العدو ، الضعيفه أصلا، وإيصاله إلى نقطة الإنهيار.
ونكرر مرة أخرى أن الصراع الآن يدور على الساحة المعنوية قبل غيرها ، وكلا الطرفين المجاهدين والجيش الشيوعى ، لا يستطيع تحطيم الآخر مادياً والطرف الذى يحافظ على معنوياته وينميها فى مقابل إضعاف معنويات الخصم ودفعها إلي الإنهيار، هو الذى سيكسب الحرب. والمجاهدون فى هذا الصدد أقرب بكثير إلى النصر من عدوهم الشيوعى.

<u>ساحة المعركة</u>

أقرب الساحات لتحقيق نصر كبير ومبكر هي ساحة خوست التى تعتبر أضعف نقاط العدو الحيوية وتعتبر قوات المجاهدين فى أفضل أوضاعها الهجومية.
وذلك الرأى أجمع عليه عدد من المصادر الموثقة عسكرياً، حيث قالوا:
(مالم يستطع المجاهدون الإنتصار فى خوست فلن ينتصروا فى أى مكان آخر) .
ومن أسباب ذلك الإختيار مايلى:
1 ـ يتمتع المجاهدون فى المنطقه بأقصر خطوط إمداد وأكثرها أمناً.
فى مقابلة خطوط إمداد طويلة ومحفوفة بالمخاطر بالنسبة للعدو، مع العلم أن خطوط إمداد العدو برياً مقطوعة منذ فترة طويلة.
2ـ منافذ إمداد العدو محدودة للغاية ويمكن للمجاهدين أن يقطعوها وتتمثل فى:
أـ مطار المدينة وهو في متناول أسلحة المجاهدين الذين تمكنوا من إسقاط وإحراق عدد كبير من طائرات النقل.
ب ـ عمليات التهريب التى تقوم بها عناصر قبلية عبر حدود باكستان، وقد تم التحكم فى هذه العملية إلي درجة كبيرة وأصبحت قليلة.

ج ـ عملية الإسقاط الجوى بالمظلات، وهى لاتكفى لإمداد القوة الموجودة بكل إحتياجاتها.
ذ ـ يعاني العدو ضعفاً فادحاً فى سلاح الدبابات وليس لديه أكثر من10 / 15 دبابات متحركة، من أجل ذلك نجح المجاهدون فى السيطرة علي الأراضى المنبسطة، كما أنهم يمتلكون عدداً من الدبابات المتحركة يساوى تقريباً ما تمتلكه القوات الحكومية.
ح ـ يمتلك العدو حوالى 11 ألف مقاتل تقريباً(4آلاف جندى + 7 آلف ميليشيا) ، وقفز الرقم الآن إلى حوالى13 ألف تقريباً بعدما تراخى حصار المجاهدين لمطار المدينة نتيجة لقلة الذخائر لديهم ولأسباب آخرى.

هذا العدد من المقاتلين محشور فى مساحة ضيقة نسبياً ومحروم من مجال المناورة، ومتطلبات إمداده أكبر بكثير من طاقة وسائل الإمداد المتاحة، وبإختصار فإن العدو في خوست قابع في مصيدة قاتلة تحتاج إلي قليل من الإحكام حتى يختنق بداخلها حتى بدون الحاجة الي عملية إقتحام كاملة.

ط ـ طول فترة الحصار وقلة الإمداد جعلت القوات الحكومية في أسوأ وضع معنوى في كل البلاد وعمليات الهروب الكبيرة مستمرة، وحوادث الصدام بين الجيش والميليشيا متكررة، ومؤخراً أسرت مجموعة من قوات الجيش بعض الميليشيات وفرت بهم وسلمتهم للمجاهدين.

ومع تزايد عمل المجاهدين وتنظيمهم تتفاقم معنويات العدو بشكل هائل.

<u>سلبيات فى موقف المجاهدين حول خوست :</u>

أ ـ نقص شديد في ذخائر الأسلحة الثقيلة وهذا هو السبب الرئيسى في عرقلة عملية إقتحام المدينة، وجمود الموقف العسكرى حولها.
ب ـ ضعف القوة البشرية الناشطة، فأكثر مجموعات المجاهدين تقف سلبية إزاء العمليات، ويتفوق العدو عددياً على المجاهدين الناشطين بأكثر من 12 إلى 1.
ج ـ ـ فتح طريق (كابل ـ جارديز) يشكل خطورة على الوضع فى خوست إذا ما حولت القوات الحكومية فتح طريق جارديز ـ خوست بالقوة.

ونشير إلى أن تنفيذ مقررات جاور يمكن أن تعالج تلك السلبيات كما ذكرنا آنفاً.

<u>مجال العمليات العسكرية:</u>

أمام المجاهدين ثلاث مجالات للعمليات العسكرية في خوست وهى:

<u>أولاًــ عمليات تضييق الحصار:</u>

وتشمل العمليات التالية:

أ ـ إغلاق منافذ التهريب من باكستان إلى داخل المدينة، وقد تقدمت تلك العملية إلى درجة كبيره منذ شهر رمضان الماضى (1410هـ) وحتى الآن.
ب ـ منع العدو من إستخدام مطار المدينة فى عمليات الإمداد، وهى عملية تراجعت حالياً ، رغم إستيلاء المجاهدين على جبل تورغار الذى يشرف مباشرة على المطار، وذلك لعجز شديد فى الذخائر ولأخطاء تكتيكية في عمل المجاهدين.

<u>ثانياًــعمليات منع وصول النجدات</u>:

تأمل القوات الحكومية فى وصول نجدات برية إلى خوست بعد أن تمكنت من إخماد مقاومة المجاهدين في طريق لوجر وإرسال قوات كبيرة إلي جارديز.

ومع ذلك لن تستطيع القوات الحكومية عبور أياً من الطريقين بين جارديز وخوست إلا بإتفاق سياسى مع القبائل المحلية وهو إتفاق من العسير أن يتم بدون مساعدة الحكومة الباكستانية

وأحزاب المقاومة فى بشاور.
ويبدو أن ذلك عسير الحدوث فى وقت قريب ولكنه ليس مستحيل الحدوث ولابد من الإحتراز بإتخاذ إجراءات مثل:
أ ـ تقويه كمائن المجاهدين على طول الطرق بين المدينتين، وتعزيز الدفاعات بحقول ألغام عميقة ومحمية بالنيران.
ب ـ تنشيط العمليات حول جارديز نفسها لوضع القوات هناك فى موضع دفاعى يشغلها عن التفكير فى إقتحام الطريق الى خوست.
ج ـ إعادة تنظيم مجموعات المجاهدين فى لوجار والسيطرة مرة أخري على طريق كابل جارديز.

ثالثاً ـ عمليات الهجوم المباشر:

أتبع المجاهدون وبنجاح سياسة "قضمة قضمة" وذلك بإبتلاع المواقع واحداً تلو آخر على فترات والتشبث بها.
وتعرقلت تلك السياسة فى الفترة الأخيرة نتيجة لنقص الذخائر لدى المجاهدين مع وصول كميات كبيرة من الذخائر للعدو عبر مطار المدينة الذى خف ضغط المجاهدين عليه لأسباب سبق ذكرها.
ويمكن بسهولة نسبياً معالجة ذلك الموقف، والعودة مرة أخرى إلي قضم أطراف المواقع الحكومية والتقدم ببطء نحو مركز المدينة.

ومن أهم الخطوات المقترحة:

أ ـ مع إعادة إحكام الحصار حول المطار ومنع العدو من إستخدامه، يجب تحويل جبل تورغار إلي بارجة نيران تقدم الدعم لعمليات الهجوم الأرضى وللقيام بعملية تدمير لمصادر نيران العدو ومراكزه الحساسة وحتي الآن لم يستغل المجاهدون المزايا الإستراتيجية لجبل تورغار نتيجة لأسباب يمكن التغلب عليها.
ب ـ تركز العمل العسكرى إلي درجة كبيرة فى القطاع الجنوبى من خوست ، وعلى وجه الخصوص فى الساحة المحصورة مابين جبل تورغار إلي مطار المدينة، وسهل ذلك مهمة القوات الحكومية فى تركيز نيرانها وتقوية دفاعاتها وبالتالى إحباط محاولات الهجوم من جانب المجاهدين، وتحول الموقف إلى حرب إستنزاف فى هذا القطاع، وحاله خمول فى باقى القطاعات. ولابد من إعادة النشاط إلي الطوق الدائرى حول المدينة لإستنزاف ذخائر العدو وتثتيت دفاعاته.
وإذا رافق ذلك إحكام إغلاق مطار المدينة ومنع عمليات التهريب فإن العدو سيسير بسرعة نحو الإنهيار المعنوى والإستسلام.

....

الفصل الثالث:

المشاركة العربية

من العرض السابق يتضح أن مصير الحركه الجهادية فى العالم العربى ستتأثر تأثيربالغاً بمصير الحركة الجهادية فى أفغانستان سلباً أو إيجاباً.
وكما ذكرنا فإن هدف قوى الطاغوت الدولى هو إستبعاد الدور الجهادى من حياة المسلمين وإبتلاعهم فى دوامة الأنظمة الطاغوتية المحلية و(قنواتها الشرعية) من برلمانات وإنتخابات.

وتريد تلك القوى أن تجعل أفغانستان ساحة تجربة عملية تثبت فيها للمسلمين فشل الفكر الجهادى وعدم صلاحيته، وإن طريق الإنتخابات وإقتسام السلطة فى حكومات موسعة تشمل تيارات مختلفة هو الحل الأمثل.

فالساحة الأفغانية لابد أن تتحول من جانب المجاهدين الأفغان والعرب معاً الى ساحة عملية لإثبات صحة منطلقاتهم الجهادية على أرض الواقع دفاعاً عن إسلامهم وشعوبهم.

ومن كل أفغانستان إختيرت خوست كساحة قتالية لإحراز أسرع نصر ممكن ضد هدف إستراتيجى هام يتمتع فيه المجاهدون بأفضل وضع عسكرى فى مقابل أسوأ وضع لقوات العدو، هو أيضاً إختيار منطقى.

كما أن المجهود العسكرى العربى يجب أن يكون مكملاً لعمل المجاهدين الأفغان وليس مزاحماً لهم وأن يعمل على سد الثغرات الموجودة لديهم وليس التكدس معهم فى عمل مزدحم بالأفراد.

بناء على ذلك فإنه يمكن تقديم العمليات التالية كمقترحات للمشاركة العربية في معارك خوست

<u>أولاً ــ عمليات ضد مطار المدينة:</u>

والهدف منها حرمان العدو من إستخدام المطار فى تزويد المدينة بالعتاد والرجال أو إخلاء الجرحى. ويستخدم العدو مطار المدينة ليلاً حتى لا يستطيع المجاهدون توجيه نيرانهم بدقة إلى الطائرات الرابضة على مدرج المطار.

كما يستخدم العدو المطار نهاراً عند إحتدام معارك أرضية وإنشغال مدفعية المجاهدين فى العمليات فتصبح ساحة المطار آمنة لهذه الطائرات.

كما أن العدو يقصف جوياً وبشدة ضد مدفعية المجاهدين الموجهة إلي المطار.

<u>**تكتيك العملية :**</u>

حتى تعطى العملية ثمارها ويختنق العدو لعدم وصول الإمداد لابد أن يستمر إغلاق المطار مدة طويلة نسبياً يستهلك العدو فيها ذخائره فى الإشتباكات اليومية وبدون تعويض عن طريق المطار كما يعجز عن إخلاء الجرحى وترتبك خدماته الطبية إضافة إلى العجز المتزايد فى الطعام. .إلخ

والنتيجة المنطقية والمطلوبة هى حدوث هبوط حاد فى معنويات العدو تجعل هزيمته أيسر وقبوله بالتسلم أقرب.

وهذا التكتيك لن يكون ثابتاً لأن العدو سيلجأ إلى أساليب كثيرة للإفلات من الحصار، ولابد أن تقابلها إجراءات مضادة سريعة قبل أن يتمكن من الإفلات بالإمدادات إلى المدينة، عبر المطار <u>وبشكل عام لابد أن تتوافر فى نيران المجاهدين العرب</u>

<u>التى يصبونها فى المطار الميزات التالية :</u>

أ ـ دقه الرماية. ب ـ تغطيه أكبر مساحة من المدرج. جـ ـ الضرب فى أية لحظة.

د ـ الإستمرار حتى نهاية المعركة أو إلى حين الإستيلاء على أرض المطار.

ومن أجل التخفيف من تأثير رماية العدو المعاكسة جوياً ومدفعياً لابد أن يلجأ المجاهدين العرب إلى إستخدام مواقع تبادلية عديدة أو إستخدام راجمات محمولة، كما يمكن إستخدام قواذف صواريخ فردية تغير مواقعها بإستمرار.

وكلها تكتيكات لايستخدمها المجاهدين ولم يتعود عليها العدو، لذلك فسوف يكون لها طابع المفاجأه.

ثانياً_ بارجه النيران الهجومية :
ونعنى بها تحويل جبل تورغار ذو الموقع الإستراتيجى الذى يتحكم فى كل المراكز الحساسة للعدو الى قوة نيران مؤثرة تقدم الدعم النيراني لهجمات المجاهدين، وتحطيم النقاط الحساسة للعدو.
ومن المؤسف أن ذلك الجبل الذى سيطر عليه المجاهدون فى فبراير الماضى (1990م) لم يقم بدوره كاملاً حتى الآن، رغم أن العدو قد إستخدمه لأكثر من خمس سنوات بكفاءة كبيرة ضد المجاهدين. والمقترحات فى هذا المجال كثيره، ومن أهمها:
إستخدام دبابة من فوق سطح الجبل لقنص مواقع العدو الهامة، وتدميرها، على أن تستخدم الدبابة مواضع تبادلية عديدة فوق الجبل تمكنها من الضرب فى أى إتجاه، كما يكون لها ملجأ ثابت بعيد عن رمايات العدو ومستور عن الطيران.
ويمكن القول أنه بتلك الطريقة يمكن إصابة معظم المراكز الحساسة للعدو فى المدينة على شرط أن يتوافر للدبابة طاقم كفء وأن يجهز الجبل هندسياً لذلك العمل.
يمكن وضع فريق للترصد فوق تورغار مزود بمعدات متقدمة وخرائط عسكرية لتحديد مواقع العدو الحساسة ولمساعدة طاقم الدبابات وفريق المدفعية العامل ضد المطار وقطع المدفعية الأخري للعمل بكفاءه أكبر ضد أهداف العدو وتدميرها.
ثالثاً_ تدمير النجدات الأرضية:
للعدو الآن قوة كبيرة فى مدينة جارديز ويمكن أن يفكر فى إرسال نجدة برية إلى خوست، وهناك ثلاث إحتمالات.
الإحتمال الأول: إذا نجحت تلك الحملة في الوصول فذلك معناه ضياع مجهود المجاهدين الذى بذلوه خلال عام أو عامين.
الإحتمال الثاني: إذا تمكن المجاهدون من صد الحملة أو منعها من الوصول فإن ذلك يعنى مزيداً من اليأس والإحباط فى نفسية القوات المدافعة عن المدينة.
والإحتمال الثالث: هو أن يتمكن المجاهدون من تدمير القواة الزاحفة من جارديز نحو خوست أو أسرها وذلك هو أروع الإحتمالات إذا أن تدمير قافلة كبيرة أو أسرها هو صدمة فوق إحتمال الجيش والنظام فى كابل.
وسوف يودى ذلك العمل إلى تزويد المجاهدين بكميات من الذخائر والسلاح هم فى أمس الحاجة إليها، وسيعرض ذلك خوست لإنهيار سريع بل سوف يعرض نظام كابل نفسه للإنهيار
 وأفضل مساهمة للمجاهدين العرب فى هذا المجال هو تجهيز حقول ألغام بمواصفات غير تقليدية تجعل من الممكن الإيقاع بالقوة المهاجمة وأسرها أو تدميرها وعلى أقل الإحتمالات تسهل على المجاهدين عمليه صد القوة ومنعها من التقدم.
رابعاً_ تحطيم معنويات العدو بوسائل أخرى:
لابد من الإسراع فى تحطيم معنويات العدو نتيجة الحصار، وللعدو في خوست قوة كبيرة نسبياً محشورة في مساحة ضيقة تحرمها من حرية المناورة، وفي حالات إحكام الحصار تشتد أزمة الطعام والذخائر والوقود لدى العدووتزداد أزمة الخدمات الصحية والظروف المعيشية للجنود.
العمل على مضاعفة تلك الأزمة لدى العدو وتصعيد أزمته النفسية هى الواجب الأول للمجاهدين العرب فى خوست.
وعليهم، بشتى الوسائل، دفع العدو نحو الإنهيار النفسى الذى يقوده إلى التسليم.

وإذا كان المجاهدون يعانون من أزمة فى الذخائر ففى إمكانهم بذل بعض الجهود حتي يعاني العدو من أزمات مستعصية ليس فقط فى الذخائر بل فى الطعام والشراب والمحروقات والعلاج والراحة.
ونترك التفصيلات حتى يتم تنفيذها على مسرح العمليات.
ـ وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين ـ
ملاحظة: سيشعر العدو بعد فترة بتواجد العرب على ساحة المعارك، وفى الغالب سيرد بقصف مراكزهم بالطيران، سكود، فلابد من إتخاذ تدابير أمنية مبكرة خاصة فى معسكرات التدريب، وإخلاء بعضها وتخفيض أفراد البعض الآخر، وتبديل بعض المواقع.. إلخ
ملاحظة 2: من الأفضل إستخدام الحد الأدنى من الأفراد ذوى المعنويات العالية في كل عملية.
....
كانت المذكرة مفيدة للغاية بالنسبة للعدد القليل من الكوادر الذين شاركونى فى العملية.
فقد أصبح لديهم تصور كامل لما يجب أن نفعله وإنعكس ذلك إيجابياً ليس فقط فى المعنويات، بل أيضاً فى روح المبادرة. ولم تكن المذكرة هى كل الحوار بيننا بل كنت أجتمع كل يوم مع أفراد مراكزنا . وكان لنا عدة مراكز للعرب واحد منها للترصد وإثنان لراجمات الصواريخ.
وفى الإجتماع أقوم بعرض الموقف النهائى سواء لعملنا أو لعمل المجاهدين، ونتائج إشتباكات الليل حيث كانت إشتباكاتنا كلها ليلية.
كانت تلك الإجتماعات بهيجة، وأحياناً تبدأ بالعناق والدعاء، وكيف لا وقد كانت الخسائر كلها فى جانب العدو، بينما لم نصب طول العملية بأى إصابة فى الأفراد أو المعدات.
وكما سنرى عندما مرت بنا أشد أزمات العمليه وفرغت ذخائرنا،بسبب إهمال إخواننا الإداريين في (القاعده) ،وكما ذكرت فهي سمه ملازمه لهؤلاء الإداريين وقد عانينا منهم قبل تلك العملية وأثنائها وبعدها فى عمليات الفتح الكبير للمدينة ـ فى وقت الأزمات تلك لجأت مراكزنا جميعاً إلى الدعاء والقنوت الجماعى سبحانه وتعالى، فتحقق لنا مالا يكن يمكن لنا أن نحققه ولو كان عندنا آلاف القذائف. النتيجه من كل ذلك هو ضرورة وضع المجاهدين بشكل مستمر فى الأجواء الحقيقية للمعركة وشرح أبعادها وتطوراتها بإستمرار، وعدم حجب أى معلومات عنهم أو إحتقار قدرتهم على الفهم والتقييم والتفاعل الإيجابى مع الحدث.
كانت تلك من أهم إيجابيات"عملية المطار"التي تركت أطيب الآثر فى نفوس كل المشاركين فيها.

التكامل الإيجابى:

هذا هو ما يمكن أن نصف به علاقتنا أثناء" مشروع المطار" مع المجاهدين الأفغان، وكنت أتصور هذا المفهوم على أنه مجهود متكامل بين العرب والأفغان خلال معركة واحدة، وبحيث لايكرر العرب نفس الأعمال التى يقوم بها الأفغان فعلاً بشكل جيد أو بكثافة كبيرة، بحيث يكون المجهود العربى هامشياً وتكراراً للعمل القائم بهم أو بدونهم.
وكنت أتصور أن يكون المجهود القتالى العربى منصباً على الثغرات التى لايستطيع المجاهدون الأفغان القيام بها كلياً أو جزئياً، وهى أعمال إما فنية تحتاج إلى مستوى تعليمى وتدريبى متقدم ، أو عمليات معقدة تحتاج إلى درجة عالية من التنظيم، أو أنها عمليات عادية ولكنها لاتناسب لسبب أو آخر مزاجية الأفغان وطباعهم.

لقد كرر العرب المجهود الأفغاني بشكل غير مبرر، وأصابهم هوس الإقتحامات، بأكثر مما أصاب الافغان، وكان الأفغاني أفضل فى ذلك العمل ، أولاً لعلمه بطبيعة الأرض، وثانياً لإمكانية تفاهمه طول العملية مع باقى الأفراد بسبب اللغة، وثالثاً لفهمه طبيعة ومزاجية قومه فلا يفاجأ بتصرفاتهم غير المعقوله التي كثيراً ما تحدث أثناء التنفيذ وقد تودى بحياة من يرافقهم إذا كان يجهل طبائعهم تلك.

رابعاً والأهم هى أن الأفغان يراعون فى هجماتهم العائد من الغنائم لذا يحجمون عادة عن العمليات المجدبة مادياً مثل القصف المدفعى، أو عمليات الحصار الطويل، أو مهاجمه مواقع قوية جداً، أو التصدى لعمليات هجومية معادية قوية جداً، وهذا مبدأ صحيح وهام من مبادئ حرب العصابات. فى المقابل فإن العرب المتحمسون، الذين يرفضون عادة أخذ نصيبهم من غنائم العمليات التى يشاركون فيها، كانوا يهتمون بالشهادة أكثر من إهتمامهم بالغنائم بل وأكثر من إهتمامهم بالنجاح في إنجاز العمليات نفسها، فأكسبهم ذلك هيبة وثقلاً فى العمليات الهجومية وكان ذلك أوضح ما يمكن فى جلال آباد نظراً لسعة المعركة وطول مدتها. ولكن ذلك الطابع "العدمى" عرض العرب إلى خسائر لم يكن لها ما يبررها فى أحيان كثيرة، لمجرد الرغبة في الشهادة، وكان ذلك سلبياً بلا شك.

خطتنا الأساسية للعمل ضد المطار كانت تقوم علي خمسة عناصر. وكانت تلك العناصر غير قابلة للتنفيذ من جانب الأفغان، وبالتالى لم يكن ممكناً لهم إغلاق المطار إلا فى حالة الإقتراب منه فى زحف أرضى. وبدون إغلاق المطار سيكون ذلك الزحف باهظ التكاليف طالما أن العدو يستطيع تعويض خسائره ومواصلة إمداد قواته عبر المطار. فلم يكن من بد والوضع هكذا إلا أن يتقدم العرب لأداء المهمة، وفقاً لمبادئ الخطة.. وهى:

1 ـ تخصيص عدد كافى، على الأقل ثلاثة، من الراجمات ليس لها سوى مهمة واحدة فقط هى العمل ضد المطار.

2 ـ أن تكون الراجمات وأطقمها جاهزة للعمل على مدار الساعة ليلاً ونهاراً.

3 ـ يخصص لكل راجمة قطاع معين من أرض المطار ، تضبط رمايتها عليه أثناء النهار ، وتثبت فى العمل عليه طوال الليل وأثناء الإشتباكات.

4 ـ إلى جانب دقة الرماية يجب أن تتوافر كثافة عالية من النيران، لرفع نسبة الإصابة فى طائرات العدو من جانب، ولبث الزعر واليأس في نفوس الطيارين وحامية المدينة، من جانب آخر.

5 ـ بما أن العدو يستخدم المطار، فى أغلب الحالات، ليلاً فقط فإن الإشتباكات سوف تكون ليلية، ورمايتنا الليلة بكثافة عاليه سوف تزيد من إحتمال إصابة راجماتنا بواسطة طيران العدو وبالتالى لابد من القيام بعمليات تحصين قوية لحماية الأطقم والراجمات.

كانت تلك المبادئ الخمسة تمثل مفاجآت تكتيكية للعدو لم يكن يتوقعها، ولم يتعود عليها طوال فترة الحرب. وحاول إبطال تأثيرها بشتى الوسائل ، والحق أنه أبدع فى ذلك ، إلا أنه لم يوفق وخسر المعركة، معركة المطار التى فقد فيها 14 طائرة إحترقت على المدرج، أثناء فترة العملية.

وكان كل واحد من تلك المبادئ يزود المجاهدين الأفغان، بسبب أو أكثر لرفض القيام بالمهمة. وللننظر إلى الموانع المتعلقة بكل بند من الخطة.

أ ـ بالنسبة للبند الأول القاضى بتخصيص ثلاث راجمات على الأقل. لم يكن ذلك ممكناً،

لحاجتهم إلى الراجمات فى عملياتهم الأرضية التى كانت شبه مستمرة، أو للرد على الضربات المدفعية للعدو، وهى دائمة ومستمرة.
إلى جانب عدم قناعة المجاهدين بتعطيل كل تلك القطع القيمة من أجل المطار . وكانت تلك الراجمات BM12 الأكثر إستخداماً لدى المجاهدين.
ب ـ أن تكون الأطقم وراجماتها جاهزة للعمل علي مدار الساعة. كان ذلك شبه مستحيل لما يحويه من إرهاق شديد للأطقم كما أن هناك أوقات، شبه مقدسه للنوم عند المجاهدين، وهى مابين منتصف الليل إلى الفجر. وقد إستفاد العدو من ذلك ، الثقب الزمنى ، أيما إستغلال فى الهبوط إلى المطار. وكانت راجماتنا عندما بدأنا العمل، فى أعلى درجات التألق فى تلك الفترة. وكانت صدمة للعدو لم يفق منها أبداً.
ج ـ أن يكون للراجمة قطاع خاص لاتتعداه، إلا بأوامر جديدة.
كان عملاً جديداً، فلم تكن عند المجاهدين راجمة مقيدة بهدف واحد ناهيك عن التقيد بقطاع محدد من ذلك الهدف. وعندما تعمل الراجمات أو أى قطعة مدفعية أخرى ضد المطار، كانوا يعاملونه مثل لوحة التصويب،الكل يصوب نحو نقطة المنتصف. بينما المفروض أن تكون أفضل إصابة هى نقطة حيوية ليست هى نقطة المنتصف هذه ، بل أماكن تفريغ وتحميل الطائرات حيث تجلس الطائرة ساكنة لأطول فترة حتى تفرغ من مهمتها.
وهذه أضعف حالاتها وأشدها عرضة للإصابة. وكان هناك ثلاث مناطق من هذا النوع، إثنتان منها جهة الطرف الشرقى وواحدة فى الثلث الغربى للمدرج وكلها على الحافة الجنوبية للمدرج.
د ـ كان لدى المجاهدين الأفغان رماة مهرة على قطع المدفعية والهاونات بل أن بعضهم وصل درجات غير عادية بالمرة، وهذا راجع إلى جانب كثره المراس، وإلى نوع من الموهبة الربانية ، والاسماء كثيرة ولكن أذكر على الراجمات صديقنا (سيد جمال الدين) الذى كان بإستطاعته وبدون الإستعانة بخريطة أو معدات توجيه أن يصيب أى هدف فى المدينة ، من الطلقات، أو الطلقة الاولى.
ولكن مسألة كثافة الرماية لم تكن مقبولة بالمرة من جانب الافغان.
وكان العمل ضد الطار تكاف به راجمة واحدة يخصص لها خمسون قذيفه أسبوعياً .
وفى أغلب الأوال لم يكن يستخدم ذلك العدد كله بدوافع ، الإقتصاد ، أو للإستفادة من ثمنها فيما بعد.
بينما أثناء عمليتنا كان علينا أن نستخدم ألف ومئتى قذيفة خلال أربعة عشر ليلة قتالية تناثرت بين 29 يوم ، حتى تمكنا فى آخر الأمر من إغلاق ذلك المطار، وتوقفت القوات الشيوعية عن إستخدامه نهائياً وحتى نهاية الحرب.
هـ ـ الرماية الكثيفة براجمات الصواريخ أثناء الليل، وتحت غطاء جوى كثيف ومتوحش من قاذفات العدو، ومقاتلاته كان عملاً بالغ الخطورة. وطبقاً للمقاييس البشرية، فإن القذائف التى سقطت علي بعد أمتار قليلة من جميع الراجمات التى عملت معنا كانت كافية للقضاء على جميع الأطقم الراجمات، فقط هى عناية ا التي حفظت الجميع فلم يصب أحد بخدش.
راجمة واحد أصابها عطب جزئى فى ماسورتين منها. ومن جانبنا فقد إتخذنا كل الإحتياطات الممكنة ، والمقبولة ، لأن عدد من الإحتياطات قاومها العرب، وقاومها الأفغان أكثر، بإعتبارها ، إما مبالغاً فيها، أو قادحة فى الشجاعة.

ولكن أثناء المعارك إعترف الجميع بصحة الإجراءات وطالبوا بالمزيد منها، وسوف نذكر ذلك فى حينه .

"مشروع المطار" كان عملية العرب، والمجاهدون الأفغان الذين عملوا معنا فيه كانوا قوة ثانوية فى المشروع . ومع ذلك فإن قوة إندفاع المشروع جذبت معنا قوة أفغانية أكبر من قوتنا الأساسية، ومع ذلك ظل المشروع عربياً .

لقد زودت "القاعدة" المشروع براجمة صواريخ واحدة، وطاقمان للرماية . فإستعرت من حقانى راجمة أخرى فصار لدينا راجمتين بأطقمهما .

وعند وصولنا منطقة العمل وجدنا راجمة تعمل ضد المطار بقيادة شاب إسمه محمد أفضل الذى فرح جداً بالمشروع وأنضم إليه بلا قيد أو شرط، فتعهدنا بإمداده بالذخائر وبعض التموين وتحصينات للموقع .

ثم جماعة حقانى كانت تعمل ضد خط دفاع العدو المواجه لها، فوافقوا على العمل الليلى معنا ضد المطار، على أن نمدهم بالذخائر، وكان قائدهم شاب ذو خبرة يدعى "مجبور" .

وكان على مسافة قريبة منا جماعة تجمع شظايا القنابل وتشترى الموجود منها لدى المجاهدين في مقابل أموال أو مواد غذائية بسيطة وفاكهة، هؤلاء أيضاً ظهر أنهم من المجاهدين وأسرعوا بإحضار راجمتهم وإنضموا إلى المشروع بنفس الشروط السابقة .

وفى الأخيرصار لدينا فى المشروع خمس راجمات لنا منها إثنتان فقط يديرها العرب. وكانت تلك قوة ثابتة تعمل بأمر قيادة واحدة. وأثناء الإشتباكات الليلية التى كانت غاية العنف والإثارة، كانت تنضم إلينا قطع مدفعية أخرى من المجاهدين من فرط الحماس. من أهمها راجمة صواريخ فردية ،ماسورة واحدة، تعمل من فوق جبل تورغار، وأصابت قبلاً عدد من الطائرات .

وكان هناك مدفع ثقيل أو أكثر يتدخل أحياناً خاصة فى النصف الأول من الليل .

وهكذا من حيث عدد الراجمات كنا نمثل الأقلية فى القوة الثابتة" راجمتان من خمسة" .

أما كثافة الرماية فكنا نحن الأقوى ولنا فيها الغلبة المطلقة، وكان ذلك من سياستنا فى عمليتنا تلك .

وجاءت بنتائجها المتوقعة بل وأفضل. لقد أظهرنا التصميم والقوة علي منع العدو من إستخدام المطار، ولم يسبق للعدو أن رأى راجمات للمجاهدين تقصف بهذه الوحشية ليلاً.

وكنا نتوقف عن القصف المتواصل عندما نشاهد الإنفجارات فى المطار ونسمع إستغاثات العدو على اللاسلكى، ونتحول إلي رمايات متقطعة .

وجاءت الأخبار من خوست تقول بأن مصادر العدو قد علمت بأن العرب قد إشتروا مئة ألف قذيفة لضربها على المطار . والطريف أنه فى ذلك الوقت بالتحديد كانت ذخائرنا قد نفذت تقريباً، وإخواننا الإداريين فى ميرانشاه قد لعبوا لعبتهم الشهيرة معنا بوقف الإمداد بالقذائف فى ذروة العمل. وقد تكرر ذلك فى معركتنا التالية أيضاً عند فتح خوست .

على أية حال لقد يئس العدو من أن تليين هجماتنا الصاروخية، وبعد أن بلغت خسائره 14 طائرة نقل عسكرية قرر التوقف عن إستخدام المطار .

ومع أن الكثافة الأعلى فى الرماية الصاروخية كانت للعرب، إلا أن الراجمات الأفغانية كانت تطلق فى الليلة الواحدة ما يعادل أو يزيد عن إستهلاكها العادى لمدة شهر، فكانت هى الأخرى ذات كثافة غير عادية.

وكان العرب هم الممون بالصوايخ لتلك الراجمات حسب إتفاقنا المسبق معهم، بل وكنا نحدد لهم قطاعات الرماية، وكل طائرة تصاب كنا نحسبها للراجمة صاحبة قطاع الإصابة وكنا نذهب لتهنئتهم وكأننا في عيد. وقد رفع ذلك حماسهم إلى أعلى درجة، ولم يبال أحد منا أو منهم بأخطار الطيران التى كانت لاتطاق. ولأول مرة و آخر مرة ، كنا نسمع المجاهدين يتصايحون فى أجهزة المخابرة قائلين: (عرب زنده أباد) ـ أى فليحيا العرب ـ إن ذلك لم يفرحنا بقدر ما أبكانا من فرط التأثر والإحساس بالعجز، لأنه لولا لطف ا بنا لقضت علينا طائرات العدو منذ أول ليلة من عملنا.

ـ لقد ساهم معنا المجاهدون فى عملية" الترصد" وكانت عملية صعبة لأنها تتم فى الليل. ورصد هبوط الطائرات كان عسيراً لكون أصوات الطائرات تملأ الجو ، وكان العدو يتعمد ذلك لتغطيه كل هبوط لطائراته. كان للأفغان نقطتان للترصد: الأولي في القيادة لدى حقانى والتى يقودها عبد العزيز أو صديقنا الضاحك دوماً" فضل"، وميزة تلك النقطة هى المعلومات القيمة التى تحصل عليها من التصنت اللاسلكى فكانت معلوماتها لاتقدر بثمن، فكان إعتمادنا الأساسى علي ما يصلنا منها من معلومات.

نقطة الترصد الأخرى كانت فوق تورغار، وكان صاحبها متمرساً فى الترصد والعمل الليلى ضد المطار. يساعده فى ذلك إنكشاف ساحة المطار أمامه بدون أى حاجز من جبل آخر ولكن الظلام كان يحد من فعاليته، ولكن يبدو أن قدرته الشخصية على الإستماع وتمييز الأصوات أفادتنا كثيراً فى أكتشاف هبوط طائرات إلي مدرج المطار.

نقطه الترصد الثالثه كانت لنا، وكانت قدرتنا فى الحصول على المعلومات أقل من الآخرين، وقليلاً ما إعتمدنا على معلوماتنا منفردين فى تحديد هبوط الطائرات.

فمساهمة الأفغان فى تلك العملية الحيوية كانت هى الأهم، وقمنا نحن بربط كل المراكز المهتمة برصد المطار مع بعضها البعض، وكنا ثلاثة مراكز ترصد أساسية ، إضافه إلى متبرعين غير ثابتين، وكانت عملية الربط هى التى أعطت للمعلومات قيمتها العملية، بحيث تترجم المعلومة فوراً، إما إلى إطلاق نيران كثيفة أو متقطعة أو توقف عن الرمايه، حسب الظروف.

....

تحرك عائلى . . نحو الجبهة

قررت أن أضع عائلتى قريباً منى أثناء فترتى التجهيز والتنفيذ لمشروع المطار. كان المقرر لفترة التنفيذ أن تكون شهراً من الإغلاق المتصل للمطار، وذلك حسب تقريرات حقانى بأنها المدة اللازمة لإستسلام المدينة.

أما فترة التجهيز فلم يكن من المستطاع تقديرها بدقة، وكانت المهام المطلوب إنجازها خلال فترة التجهيز هى:

1 ـ إختيار الكوادر الأساسية من الأفراد الذين سيقوم بهم المشروع.
2 ـ تجهيز الأسلحة الضرورية للعمل وهى ثلاث راجمات.
3 ـ إختيار مواقع الأسلحة وتجهيزها.
4 ـ شراء الذخائر اللازمة للعملية (1500 قذيفه كاتيوشا).
5 ـ جمع المعلومات الممكنة عن المطار والمدينة والوضع العسكرى العام في خوست.
6 ـ إختيار موقع لإدارة النيران ورصد الحركة فى المطار.

7 ـ وضع خطة العمل فى شكلها النهائى.

....

توقعت أن تطول الفترة، وأن عائلتى قد تتعرض لمتاعب أثناء فترة غيابى، أما سبب تلك المتاعب المتوقعه فهى من نتائج مشروع المطار بالتحدد، خاصة إذا صادف المشروع نجاحاً كما هو منتظر. كنت أخشى من جواسيس باكستان والسعودية. لم أكن أخشى على نفسى بقدر خشيتى على عائلتى، ونقطة الضعف لدى المسلم خاصة هى عائلته، لذلك يتوجه هؤلاء الكلاب إليها مباشرة إذا أرادوا الإضرار به أو تحطيم مقاومته. وقد صح توقعى هذا بأكثر مما تصورت. ذلك لأننى تصوت أن الخطر على الأسرة سيكون فى إسلام آباد حيث نقيم ، لكن الأخطار وقعت فى إسلام آباد، وفي ميرانشاه أيضاً، رغم وجود أعداد كبيرة من العرب المسلحين، وجماعة حقانى حول المنزل الذى نقيم فيه هناك. ولكن ظهر أن الخطر جاء من داخل تلك التجمعات أيضاً ، بما يؤكد أن أصابع الإستخبارات كانت ممتدة، من قمه التجمعات الجهادية الي أخمص أقدامها .

كان من أسباب إصطحاب الأسرة معى الى ميرانشاه هو وصول الزوجة العربية للشيخ حقانى، وذلك لأول مرة منذ أن تزوجها العام الفائت.

وقد كانت زوجتى وبناتى الثلاث متحمسات للمغامرة الجديدة وللتعرف أيضاً على الضيفة القادمة من بلاد الخليج، وتقديم العون الإجتماعي لها فى بلاد الغربة، التى أعتادت عليها أسرتنا الجسورة أيما إعتياد.

....

ـ كان يوم الأحد(الموافق للتاسع من ذى الحجه 1410 ـ الأول من يوليو 90) يوماً حافلاً بالنشاط فى بيتنا فى حي "بشاور مور" فى العاصمة إسلام آباد.

كان الجميع يتهيأون للرحيل، تجهزت الحقائب، وإتفقنا مع "بابا على" وهو عجوز مهاجرمن جلال آباد، وزوجته "زليخه" أن يمكثا في بيتنا طوال مدة سفرنا حتى لا يتعرض للسطو وهو "أى السطو" تقليد باكستانى قديم يمارس مع أى منزل يغيب عنه صاحبه لأكثر من يوم. أبنى الأكبر وليد والأصغر محمد سيرافقان أمهما وإخواتهما فى الطائرة غداً صباحاً إلى بنون ومنها بالسيارة إلى ميرانشاه . وقد إتفقت مع الشيخ حقانى أن يرسل لهم سيارة ، مع حراسة لنقلهم من المطار إلى منزله فى ميرانشاه.

أما أنا وعبد الرحمن وعبد ا فسوف نتحرك غداً عن طريق البر، ولا بد لى من المرور على بشاور لعقد بعض الإتفاقات مع أبوحفص.

* كان اليوم هوعيد الأضحى عندما غادرت إسلام آباد متوجهاً إلى الجبهة في مهمة إغلاق المطار فى خوست لمدة شهر. ورغم أننى كنت غايه التفاؤل والثقة في نجاح العملية، إلا أن الذهاب إلي الجبهة يعني دوماً الذهاب إلى الموت، وهو الإحتمال الأرجح من إحتمال النجاة والسلامة.

وفي كل مرة كان في خلفية ذهنى أن هذه هى المرة الأخيرة وأن اللقاء الأرجح هو مع الموت. كان ذلك يضع قلبى فى غلاف من الحزن والزهد فى كل شئ والشفقة الشديدة على أطفالى. ماذا سيحدث لهم إن أنا قتلت؟.

إن تلك الخطوات التى تقود الإنسان إلي الجبهه هى أشد عسراً وصعوبة على النفس من المعركة نفسها، التى غالباً ما ينسى فيها الإنسان نفسه.

في الطريق الى الجبهة كنت أتلو فى نفس تلك الكلمات من القرآن الكريم
(إذ أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون)
كنت أظن نفسى من هؤلاء "الكارهون" ثم أعزى نفسى بأن ا سبحانه وتعالى قد ذكر أن القتال كريه على النفس البشرية (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) . وأشد اللحظات ثقلاً وكراهة هى لحظة الخروج من البيت، وتوديع الأهل والأولاد، ربما لآخر مرة وإلى الأبد.
....
قضينا أيام العيد في ميرانشاه، وسط تقاليد الأفغان فى تبادل التهانى والتبريكات. قضيناها فى منزل حقانى، فى أحدى الغرف المنعزلة. كان أطفالى سعداء بهذه الأجواء الجديدة عليهم.
وحتى بالنسبة لى لم أجد يوماً فرصة حتى أقدم تهانى العيد لمئات من رجال القبائل من مجاهدين وكومندانات، أما هذا العيد فلم يكن لى خيار آخر سوى خوض هذه التجربه الفريدة.
ولكننى كنت فى أنتظار أبو تميم وعثمان الصعيدى وكلاهما كان فى منطقة بارى، وكنا على موعد، أن نلتقى فى أيام العيد فى ميرانشاه حتى نتباحث فيما أنجزاه خلال الأسبوعين الأخيرين بعدما إجتمعنا فى بشاور لآخر مرة، وكانا أول الملتحقين "بمشروع المطار".
أبو تميم من جانب القاعدة وعثمان من تنظيم الجهاد المصرى وقد إلتحق بالمشروع مؤقتاً إلى حين بداية دورة في المساحة العسكرية تعقد فى جلال آباد وكان من المفروض تنظمياً أن يلتحق بها.
وإتفقت بالتالى مع أبو تميم أن يشرف على عدة أعمال فى خوست وما حولها.
أهمها شراء ما يمكن من قذائف الكاتيوشا، بالتعاون مع مولوى سيف الرحمن، رجل المشتريات العسكرية لدى حقانى، (وهو صديق قديم لى تعرفت عليه فى رحلتى عام 1981 حيث رافقنى مع حنيف شاه إلى سرانا) .
وكان من المفروض أن يقوم أبو تميم بإستجواب الأسرى والفارين من العسكريين والضباط الحكوميين، ورجال الميليشيا حول الموضوعات التى تهمنا فى مشروع المطار سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.
وأن يستجوب بعض الكومندانات الذين لديهم معلومات واسعة عن تلك الموضاعات، وكان يعاونه حاجى إبراهيم في الترجمة.
وقد قام أبو تميم بعمل جيد، وكتب عدة تقارير مفيدة.
السابع من يوليو: وصل أبو تميم من خوست في الصباح الباكر، وشعرت وقتها أن العمل قد بدأ. وقد كان مصاباً بالملاريا، التى يحمل جراثيمها من جلال آباد، فكان منهكاً.
قدم لى تقريراً موجزاً على أمل أن يكتب ما حصل عليه من معلومات، فأعطيته التقرير الذى أعددته عن المشروع، فذهب لقراءته فى "بيت العرب" إلى أن يستريح من عناء الملاريا.
مع حاجى إبراهيم قمت بزيارة الزملاء فى المكتب الثقافى، وكان لنا فيه بعض "العزال" الذين يمنحوننا مشاعر عداء مكتوم بغير مبرر، ولكن الوضع يكون فى أسوأ حالاته إذا حضر الزملاء من طاقم مجله "منبع الجهاد" التي تصدر بلغة الباشتو.
وقليلاً ما أفصح الزملاء عن إمتعاضهم أمام الحاجى إبراهيم، لكون مجلتنا العربية لا تصدر بإنتظام بل تتأخر كثيراً جداً عن موعدها. وكنت وحاجى إبراهيم نمثل كل طاقم المجلة، وفى بشاور شاب عربى يتولى إعمالا إدارية متعلقة بالمجلة ويدعى "أبو مصعب السوهاجى"، وهو سلفى من صعيد مصر، ومع ذلك تحمل أن يكون معى ومع الأفغان فى عمل واحد.

كان إنغماسنا فى مشروع المطار موضع إستنكارالزملاء في المجلة ، وقد سأل أحدهم حاجى إبراهيم مستهجناً وهو يومئ نحوى : (هل هذا صحفى أم كومندان؟؟) . وفى الحقيقه لم يكن مظهرى مدنياً أو متمدينا خلال إقامتى فى ميرانشاه، فقد كنت لا أدع الكلاشنكوف أو جعبة الذخائر إلا نادراً. كنت أعتبر ميرانشاه أكثر خطورة من خط الجبهة الاولى، فباكستان عامة أرض خيانة وإغتيال.

إنتقلنا إلى بيت ضيافة العرب الذى تفصله ساحة ضيقه عن المكتب الثقافى، وقابلنا هناك مبشر وهو أمير قطاع خوست لدى القاعدة،أى المسئول عن كل نشاط القاعدة فى تلك المنطقة وكان من المفروض أن يكون تعاملنا المباشر معه فى مشروع المطار.

ومبشر شاب سعودى من أبرز كوادر القاعدة وقتها.

تحركت مع مبشر وحاجى إبراهيم، وأبنائى الصغار عبد الرحمن وعبدا   إلى معسكر(جهاد وال)، كان هدفى مناقشة المشروع مع كوادر القاعدة هناك، فبعضهم سوف ينضم إلى ذلك المشروع، أما أولادى فقد جاءوا من أجل مشاهدة الجبهة وإطلاق النار.

كان من المفروض أن يسافر عبد الرحمن بالأمس إلى إسلام آباد كى يتابع دراسته هناك مقيماً مع أسرة سودانيه صديقه لنا، ولكنه رفض بعصبية كعادته

لأنه لم "يستفد"من رحلته، والإستفادة فى قاموسه تعنى زيارة الجبهة وإطلاق النار للتدريب.

فى ليلتنا الأولى فى معسكر(جهاد وال)نمنا مطمئنين، والسبب هو أن عبد ا   ، إبنى الصغير ، قد تولى حراستنا فى أول الليل، ثم عبد الرحمن بعد ذلك، كانت الإنفجارات البعيدة فى الوادى تملأهما إثارة وحماساً، ولكنهما أرهقا بلا شك ، زملائهما ، من حراس المعسكر بالسؤال عن تفاصيل كثيرة لايعلمها أحد، مثل السؤال عن سبب الإنفجار البعيد وهل هو بفعل المجاهدين أم الكفار؟ وهل سيحدث عندنا قتال الآن؟ ولماذا يعوى إبن أوى مثل الطفل الصغير؟.

الأحد 8 يوليو 1990

جلساتنا مستمرة منذ الصباح الباكر لم نقطعها سوى لإداء الصلوات، وطعام الغداء بدون قيلولة.

كنت أتولى شرح الوضع السياسى والعسكرى فى أفغانستان في ظل التطورات الدولية المتسارعة ودور الجهاد فى أفغانستان فيما حدث للسوفييت والتوازنات العالمية.

ثم الحديث عن معارك خوست وأهميه (مشروع المطار) فى برنامج فتح المدينة.

كان النقاش مفيداً وحاراً، كانت القاعدة فى حالة (خمول جهادى) ولكن البعض منهم الآن أصبح مقتنعاً بالعمل معنا فى المشروع.

الأولاد عبد الرحمن وعبدا   لم يضيعا وقتهما لكونى مشغولاً عنهما، بل شغلا وقتهما بنشاطات (القوات الخاصة) فهذا عبد الرحمن يصعد أحد الجبال المحيطة ويتعمق فى السير هناك حتى أثار قلقنا، أما عبد ا   فقد شمر ساقيه ونزل إلى جدول الماء القريب، وأخذ يصطاد الأسماك الصغيرة و]يأكلها نيئة وهي تتلو تحت أسنانه، وفى وقت الصلاة كان يطالب بحصة من الحراسات الليلة.

وقت العصر جاء "شير خان" شقيق صديقنا القديم الكومندان "مالى خان" وأخذ يذكرني بأيام "بارى" القديمة والشهيد عبد الرحمن. كان يتحدث بتأثر وصدق، وكان قد قابل أبو تميم وسمع منه عن (مشروع المطار) ووعد بتقديم راجمته كى نستخدمها وهى حالياً قيد الإصلاح من أعطال كهربائية. ثم توجهت إلى ميدان الرماية فى المعسكر مع عبد الرحمن وأخيه

عبد ا وبدأت تمرينات الرماية لهما، ومن فوق أكياس الرمل حققا إصابات جيدة في صفيحة ذخائر فارغة على بعد مئه متر، أما عبد الرحمن الذى شعر بأنه أصبح أكبر وأقوى، حيث أصبح فى الثانية عشر تقريباً ، فقد طالب بتمرينات رماية غريزية وآلية بالكلاشنكوف.
أجبته إلى طلبه مع أخذ الإحتياطات اللازمة، بأن شاركته جزئياً فى الرماية بأن قبضت معه على البندقية حتى لا تتغلب علي يديه الصغيرتين وتذهب في إتجاهات غيرمرغوب فيها داخل المعسكر.
عموماً شعر الأولاد بالسعادة والرضا فقد إستهلكا مخزنا كاملاً (30 طلقه) وفى الليل شارك عبدا في الحراسة الأولى، أما عبد الرحمن الذى أنهكه صعود الجبل فقد نام بعمق حتى الصباح.

الإثنين 9 يوليو 90

بعد صلاة الفجر ركبنا سيارة فى طريقها إلى ميرانشاه، ولكنها ستقضى بعض الأعمال في معسكر الصديق القريب منا. في منتصف الطريق إلى المعسكر نزلت مع الأولاد وتمددنا فوق الصخور حتى ترجع إلينا السيارة. إستيقظت على ضوء الشمس، وجدت عبد ا الذى قضى جزءاً من الليل فى الحراسة، مازال نائماً، أما عبد الرحمن الذى إستراح طوال الليل فقد أمضى وقته فى صعود التلال والقفز فوق الصخور.
فى ميرانشاه جلسنا فى بيت العرب حيث أبو تميم مازال يعانى من الملاريا، وإجتمعنا مع مبشر أمير قطاع خوست، وعثمان الصعيدى (تلميذى النجيب) كما كان يتندر أفراد جماعة الجهاد التي ينتمى إليها عثمان.
إتفقنا على مقابلة مولوى جلال الدين حقانى بعد صلاة المغرب، فلدينا عدة موضوعات لابد من بحثها معه، أولها وجود ثلاثمئة صاروخ كاتيوشا أشتريناها من مدينة (ورسك) جنوب منطقة وزير ستان ويصعب علينا نقلها بدون الحصول على تصريح حكومى من باكستان، وذلك صعب الآن بسبب مشاكل بين قبائل المنطقة والحكومة.
وثانيها حاجتنا إلى راجمة صوايخ إضافيه لبرنامجنا على المطار ،ثالثاً وأخيراً ما أثاره أبو تميم من أن تصريحات حكمتيار فى بشاور قد أساءت إلى سمعة حقانى بين العرب هناك، فقد أذاع بينهم حكمتيار بأن حقانى قد تسبب فى إفشال محاولتة المشتركة مع (شاه نواز تناى) من أجل إستسلام خوست بلاقتال.
فى إجتماعنا معه فى بيته وعد حقانى بإعطائنا راجمة صواريخ لإستخدامها في عملية المطار، كذلك 300 صاروخ عوضاً عن صواريخ (**ورسك**) التى سوف يسحبها من هناك فيما بعد عندما تهدأ أوضاع القبائل.
وعن إشاعات حكمتيار قال حقانى أن المحادثات بينه وبين حكمتيار ورئيس الأركان الهارب شاه نواز قد تمت أمام أبو الحسن المدنى "وائل جليدان" وعبد ا أنس زوج إبنة الدكتور عبد ا عزام، ويمكن سؤالهما عما حدث. وقال حقانى: لقد أعطيتهما مدة محددة لإجراء المباحثات مع حكومة خوست، وقال كلاهما أنها مهلة كافية تماماً، ولكن حكومه خوست رفضت عروض شاه نواز وحكمتيار، فبدأنا القتال بعد إنتهاء المهلة المحددة طبقاً للإتفاق.
شعر أبو تميم بهول الفارق بين ما يسمعه من حقانى الآن وبين ماسمعه فى بشاور، فطالبنى بحماس أن أكتب ماحدث فى مجلتنا "منبع الجهاد"، فقلت له أننى سوف أفعل ولكن بدون هجوم على حكمتيار لأن ذلك مخالف لسياسة حقانى كما أنه ضار جداً بعملنا هنا فليس من

الحكمة أن أعرض نفسى لعملية إغتيال قبل تنفيذ (مشروع المطار) على الأقل.

<u>الثلاثاء 10 يوليو 90</u>

فى حوالي التاسعة صباحاً تحركت بنا السيارة من ميرانشاه متجهين إلي منطقة بارى. كان مبشر يقود السيارة، وجلست إلى جانبه وخلفنا جلس أبو تميم وعثمان الصعيدى وحاجى إبراهيم شريكى فى المجلة وفى العمليات. كان هدفنا زيارة موقع راجمة صواريخ لجماعة (مالى خان) تعمل ضد المطار حالياً، وكان شقيقه شير خان قد وعد بوضعها تحت تصرفنا هى وطاقمها أثناء عمليتنا على المطار. كما وعد بإعطائنا راجمة نعمل نحن عليها. كان شيئاً جميلاً أن نجد مثل هذا التعاون مع أصدقائنا القدماء فى مشروعنا الجديد.

وكانت جماعة مالي خان قد عرقلت، إلى حد ما، عملنا على المطار عام 86،وتضررت منه عام 85، بأن قصفت طائرات العدو مراكزهم فى ضربات إنتقامية نتيجه لعملنا على المطار.

ولكن الآن الظروف تغيرت وإقترب المجاهدون من المطار خاصة بعد فتح تورغار، وليس فى إستطاعه كومندان أيا كان أن يعرقل العمل ضد المطار، فالموجه طاغية والقفز فوقها مهارة لاتنقص الكثيرين ومنهم مالى خان صديقنا القديم.

الرحلة إلى بارى تعود بى دوماً إلى الذكريات القديمة وعملى مع عبد الرحمن ضدالمطار الذى كان أهتمامنا الأول، يليه جبل تورغار لكونه العقبة الأولى لعملنا.

لقد إستطعنا أيام نشاطنا عام 85 أن نمنع العدو من إستخدام المطار نهار عدا الفترة ما بين العصر والمغرب، ولكننا لم نستطيع لأسباب كثيرة أن نواظب على ذلك العمل لفترة طويلة، وبعد فتح تورغار هذا العام لا يستطيع العدو إستخدام المطار إلا فى الليل.

أما فى مشروعنا الجديد هذا فنسعى لحرمانه من إستخدام المطار ليلاً أو نهاراً، وسيكون الليل هو مسئوليتنا الأولى لأن أعيناً كثيرة تكون متيقظة أثناء النهار.

فى أيامنا الخالية كان أقصى ما وصلنا إليه هو إطلاق صاروخين فى اليوم الواحد من مكان قريب للخط الأول للعدو بإستخدام وسيلة بدائية للاطلاق عن بعد وهو خيط سميك بطول 300 متر نجذبه فتنغلق مصيدة فئران تعمل كمفتاح فى الدائرة الكهربائية للصاروخ فينطلق نحو مدرج المطار .الأعجب أننا أحدثنا العديد من الإصابات في طائرات العدو بمثل هذا العمل المضحك. ولم تفلح معنا التكنولوجيا الحديثه وأدوات(التفجير عن بعد) اللاسلكية. فالمتوفر منها فى أيدينا وقتها كان صناعة محلية فى ورش العرب فى بشاور، كانت سريعة التلف، ولا تتوقف عن العمل إلا عندما تكون فى أحرج الأوقات.

فى ضربتا الأولى ضد المطار عام 85 إستخدمنا فى شهر كامل 15 صاروخاً بينما نتحدث الآن عن ألف وخمسمئة صاروخ لنفس الفترة، مع ثلاث راجمات نسعى إليها(وصلت فيما بعد إلي خمسه راجمات) بدلاً عن إطلاق الصواريخ من فوق الصخور وبتصويب معقد وغير دقيق.

وبعد أن كنا نضع صواريخنا تحت أقدام العدو فى خطه الجبلى الأول، نستخدم الآن مواقع منيعة بعيدة تماماً عن أعين العدو، فيما عدا الطائرات بالطبع. لشد ما تغيرت الأمور، لاشك أنها سارت نحو الأفضل، فيما عدا شئ واحد، هو إختفاء عبد الرحمن الذى سأظل أفتقده حتى ألقاه مرة أخرى.

لم تغادرنى ذكرى عبد الرحمن طوال الحرب وحتى الآن، ولكن فى أثناء عملياتنا الأخيرة ضد المطار (عام 90) ثم ضد المطار الجديد (عام91) كنت فى أشد حالات الحزن ألا أراه إلى

جانبى ودوماً كنت أسأل نفسى عند كل موقف: لو كان عبد الرحمن معى الآن.. فماذا عساه أن يقول؟.
بينما كنت غارقاً فى أفكارى وجدت سيارتنا تعبر من بين الأطلال الحزينه لقرية (تودة شنى) الواقعه فوق هضبة واسعة قليلة الإرتفاع عن الوادى الذى يخترقه جدول ماء، يصبح أحياناً مجرى هائل للسيل. لم أنتبه إلى (طريق أبو أنيس العسكرى) الذى شققناه عام 88 تمهيداً لعمليتنا ، التى لم تتم ،ضد تورغار. بعدها بحوالى كيلومتر ينحرف فرع من الوادى الضيق مع جدول الماء نحو الشمال متجهاً إلى الحافة الشرقيه لسلسلة تورغار. وبعدها بحوالى كيلومتر آخر تأتى منطقة (**دروازجى**) المنيعة والتى إفتتحها المجاهدون فى أواخر عام 89 فكشفوا بذلك الجانب الشرقى لجبل تورغار وإمتلكوا حرية العمل ضده من ذلك الجانب.
كما فتحت أمامهم مناطق واسعة فى الشمال الشرقى تسير وسط الجبال فى محازاة وادى خوست وتمر بمناطق حيوية مثل "ماليزى" ثم "لاكان" التى تلتقى مع نهر شمل بعد أن يكون قد عبر الجزء الحيوى بالنسبة للمدينة، وبعبور النهر إلي الجهة الشرقية تأتى مناطق هى خليط بين الجبال ومسطحات زراعية خصبة وبها مناطق هامه مثل "شينكاى" و"خرمتو" التى يحدها شمالاً موقع حكومى منيع هو جبل "كوكاراك" الذى يشرف على إنبثاق طريق جاجى ميدان/ خوست، أى طريق التهريب الرئيسى القادم إلى المدينة.
لقد كانت رحلتنا تلك فى شهر يوليو، أول تعرف بالنسبة لى ولجميع من معى بتلك المناطق الجديدة بالنسبة لنا. وقد ظللت أعمل فى تلك المناطق حتى أبريل 91 حين فتحت مدينه خوست. وقد كان عملى كله ضد الطائرات التى كانت أهم مشاركاتى في حرب أفغانستان. لقد كان عملاً خطيراً وممتعاً بكل معنى الكلمة، حتى لا أظن أننى أتردد فى مقايضة حياتى كلها فى مقابل يوم واحد من تلك الأيام، خاصة أيام حملتنا البدائية الأولى ضد مطار خوست مع عبد الرحمن وأبو حفص، فهى بلاشك أحلى أيام العمر.
من بعد قرية توده شني وحتى وصولنا في مركز جماعة مالي خان علي راجمة الصواريخ فى مقابل الحافة الشرقية لسلسلة تورغار كانت قنابل الطائرات الثقيلة قد دكت مجرى الماء وجنباته ، فمراكز المجاهدين ومدافعهم تقع عادة على جانبى مجرى الماء العذب الرقراق ولحسن الحظ أنها لم تحقق أى إصابة مباشرة فى المراكز.
تعرفنا لأول مرة علي مجموعة راجمة الصواريخ بقياده الشاب الرائع "محمد أفضل"، كان المركز بسيطاً للغاية، مجرد راجمة واقفة بعناد على منحدرصغير مائل وعلى بعد حوالى مترين هناك حفرة متجهة إلى الأسفل ومغطاة بغطاء رقيق من الخشب والتراب للحماية من الرمايات الجوية.
أما الذخائر فهى أقل من عشر قذائف جاهزه للرماية، ومرصوصة على الأرض إلى جانب الراجمة. كانت مهام محمد أفضل هى الرماية على المطار وكذلك "البوسطات" فى خط الدفاع الجبلى الأخير المواجه للمطار، كان يقضى شهراً فى هذا الموقع، ثم تأتى مجموعة أخرى من زملائه لتقضى شهراً آخر وهكذا يتبادلان العمل.
سألناه عن مكان ترصده الذى يراقب منه مدرج المطار فأرسل معنا ثلاثه من زملائه إصطحبونا إلى تل مرتفع نسبياً يقع على حافة مجرى السيل شامخاً على كل ما حوله من تباب، وحذرونا بشدة من الألغام، وأكدوا علينا إلتزام الممر وسار أحدهم أمامنا.
من نقطة الترصد شاهدنا فقط جزء من الممر فى جانبه الشرقى، شعرنا بخيبة أمل فنحن فى

حاجة ماسة إلى نقطة ترصد خاصة بنا تحقق ملاحظة كاملة للمطار.
أثناء نزولنا من الجبل تلقينا أول ضربة جوية فى عمليتنا هذه. طائرة نفاثة أسقطت قنبلة على الحافة الشرقية لجبل تورغار، وقنبلة ثانية علي بعد مئة متر من موقعنا، ولم يقذف الطيار قنبلة ثالثة وإلا لأصابنا مباشرة، لقد كان ذلك من سؤ حظه ولا شك. كنا قد جلسنا القرفصاء خاف بعض الصخور عند سماعنا الإنفجار الأول ، رفاقنا الأفغان لم يفعلوا ذلك إلا بعد الإنفجار الثانى، وبعد مرور الأزمة خرجوا يتضاحكون كالعادة.
سألناهم عن موقع أفضل من ذلك نستخدمه للترصد وسألناهم عن خيمة بيضاء بين الأشجار فى جبل إلى الشمال الغربى من موقعهم لكنه مرتفع كثيراً، فقالوا بأنه مركز تابع لجماعه "كريم" المرتبط بحقانى . كان كريم أيضاً صديقاً قديماً لى، فأخذنا منهم دليلاً يصطحبنا عبر حقول الألغام إلى هناك.
كانت منطقة وعرة بها مدق واحد لسير المشاة، بعض الجبال والشعاب بها ألغام بالتأكيد، والمناطق الآخرى مشكوك فيها، فالحذر هو خير صديق فى منطقة كهذه.
قمنا بإلتفاف طويل مع المدق الإجبارى قاطعين مجارى جافة للسيول وهضاب إلى أن بدأنا الصعود الفعلى للجبل. الجزء الأخير منه جزء أسود قائم بحيث يكون إستخدام الأيدى ضرورياً في الصعود. ولكن ميزة الجبل والمنطقة حوله هى كثافة نسبية فى الأشجار التى تميز منطقه خوست، وهى أشجار إرتفاعها المتوسط متران ذات أوراق حوافها أبرية، وهناك أشجار زيتون برى غير مثمر، وأشجار شوكية تنبت فى الصيف ثماراً حمراء قانيه لذيذه الطعم يسمونها "جرجورا" يقال أنها مفيدة جداً للدم، كنا نأكلها من أجل الجوع أكثر من إلتماس الفائدة الطبية.
أكتشفنا أن الجبل هو أحد إمتدادات سلسله تورغار وآخرها من جهه الشمال الشرقى، وإن كان أقل إرتفاعاً إلا أنه يكشف كل مدرج المطار ماعداً مساحة صغيرة يخفيها نتؤ في قمة مقابلة تشغلها القوات الحكوميه كآخر خط دفاعى على الجبل، وهو خط طويل مكون من مجموعة مواقع جبلية تشكل خطاً مقوساً مدعوم بعدد من الدبابات الثابتة فوق الجبال مع حقول ألغام و هاونات ورشاشات ثقيلة محصنة جيداً.
كان الموقع مثالياً سواء للترصد أو للقتال، وكانت خطتنا ألا يستخدم موقع الترصد لأى عمليات أخرى، ولكن جماعة كريم لهم رأى آخر، وكانوا مجموعة من شباب شمال أفغانستان ذوى ملامح صينية إلى حد ما، وكانوا يحرسون الموقع بإستخدام رشاش ثقيل "دوشكا".
وكان لديهم ثلاث بغال يستخدمونها في تموين موقعهم الجبلى بالماء والطعام والذخيرة التى يجلبونها من معسكر خلفى يتمركز فيه كريم مع عدد كبير من أتباعه.
وكان كريم يرجع أصله إلى منطقة زدران إلا أن جده هاجر إلى الشمال، وتزوج كريم من هناك. وعند بدء الجهاد عاد إلى"زدران"مع عدد كبيرمن أقارب زوجته ومعارفه .
فكانت مجموعته هذه ذات الملامح الغريبة عن المنطقة.
كانوا شباباً في العشرينات عظيموا الحيوية وأكثر من رأيت فوضوية، ليس لديهم نظام أو قانون سوى أوامر "كريم" فقط لاغير.
إقترح كريم أن نستخدم الموقع الى جانب جماعته هناك وافقنا على شرط ألا يستخدموا "الدوشكا" فوافق كريم، ولكن جماعته لم يستطيعوا الإلتزام بذلك الامر كما سنرى حقاً.
عدنا إلى ميرانشاه فقد كنا نتوقع وصول أبوحفص مع يوسف حمدان مدير هيئة الإغاثه

الإسلامية، وهدف الزيارة كان الوصول إلى تفاهم بشأن إدارة مستشفى ميرانشاه. كان من المفروض أن أكون وسيطاً فى المحادثات، بينهما وبين حقانى لكنهما لم يصلاً، وجاء بدلاً عنهما عدد من الشباب العرب من بينهم شاب فى أواسط الثلاثينات قدم لى نفسه بأنه"أبو نور" ومعه رسالة من أبو حفص يوصينى به خيراً لكونه الأخ الأكبر لصديق قديم لنا من جماعة الجهاد يدعى "أبو اليسر" وطلب أن ألحقه معى بمشروع المطار. وافقت على الفور بسبب علاقتى الطيبة مع أبو اليسر منذ مشروعنا القديم على تورغار عام 88.

كان أبو النور خفيف الظل مثل أخيه الأصغر، وقد قابلته بترحاب، ولكونه أكبر سناً من شباب المجموعة فقد فوضت إليه دوماً مسئوليات خاصة فى المحاسبة والإدارة وهو مايتناسب مع خبرته كمحاسب سابق.

لكنه سبب لنا بعض المشاكل أثناء العملية، وفى نهاية رحله الجهاد في أفغانستان إنضم أبو نور إلى حكومه بلاده فى مطاردة إخوانه المجاهدين والتجسس عليهم. ولم يكن فى ذلك وحيداً بل أن عديدون فعلوا ذلك، وقد نتعرض لتلك "الظاهرة" فى مواضع قادمة.

إجتمعنا مع الشيخ حقاني ليلاً وعرضت عليه فكرتنا فى إقامه شبكة نيران موحدة تعمل ضد المطار تحت إمرة واحدة مستعينة بعده نقاط ترصد فوق الجبال، وربما إذا إستطعنا من داخل خوست نفسها، لتحديد لحظة هبوط الطائرات ومكانها على المدرج وهى نقطة تمثل تحدياً لنا فى العمل الليلى، وقلت له أننا فى حاجة للتنسيق مع(د.نصرت ا) فلديه ترصد جيد فوق تورغار وعدد من قطع المدفعية والراجمات بعضها يعمل ضد المطار.

وافق حقانى علي الفكرة وطلب مني البقاء فى ميرانشاه اليوم لأن(د. نصرت ا) سوف يحضر إجتماعاً للقيادات يعقد في المكتب الثقافى.

بقيت هذا اليوم فى ميرانشاه وإنتقلت بالعائلة إلى بيت إستأجره لنا حقانى إلى جوار بيت مماثل للشيخ عزيز خان والذي يعمل مديراً في المدرسة الدينية "منبع العلوم" كان البيتان يشكلان كتلة ضخمة علي حافة الساحة المقابلة للمكتب الثقافى، ويفصلها حارة ضيقه عن بيت العرب، لذلك كان يعتبر بيت ذو حماية أمنية جيدة ولكن الأحداث أثبتت عكس ذلك.

عندما قابلنا (د. نصرت ا) وافق علي فكرة العملية، ولكنه تشكك فى نقطة الترصد التى إخترناها في مركز" كريم" وقال أنه يريد أن يعاين بفسه تلك النقطة وأنه يتشكك فى إمكانية الإتصال اللاسلكى منها لكونها فنخفضة عن تورغار.

ثم تواعد معنا في لقاء بعد الظهر لكنه لم يحضر الي الموعد، وأظن أنه لم يكن متشجعاً بما فيه الكفاية، فلم يحدث بيننا تعاون يذكر أثناء العملية.

حتي يوم الخميس لم يظهر نصرت ا ، رغم إستمرار إجتماع الكومندانات وطلب منى مبشر أن أنتظر فى ميرانشاه حتى الجمعة، وأكد بأن أبو حفص سوف يحضر بالتأكيد وأنه يحمل لى أخباراً سارة كما أخبره على الهاتف.

ولكن جاءنى شاب من طرف أبو حفص يحمل منه رساله يخبرنى فيها أن حامل هذه الرسالة ، وهو شاب صغير يدعى أبا مصعب ، سوف يشارك معنا فى مشروع المطار، فأعطيته تقرير العملية وهو عبارة عن التقرير الذي أعددته بعنوان (**أفغانستان : الصيف الثانى بعد الإنسحاب السوفيتى**) إضافة لتقارير الترصد وأقوال الأسرى حول الوضع فى خوست ومعلوماتهم عن المطار. وجلس فى المقر الإدارى لعملية مشروع المطار، والواقع فى غرفة في الطابق الأسفل فى المكتب الثقافى لجماعة حقانى ولكنها غرفة معزولة تماماً مع باب منفصل

لها على الشارع الخارجى، وباب آخر مع باقى البيت نتحكم نحن فى إغلاقه، وهكذا عزلنا أنفسنا عن "عزالنا" فى المكتب الثقافى.

الجمعة 13 يوليو 90

أخيراً وصل أبو حفص فى العاشرة صباحاً في أحد الباصات القادمة من بشاور، لخصت له الوضع الذى وصلنا إليه وسألته عن الأخبار التي حملها معه لى من بشاور.

فقال أن بعض مجموعات العرب فى جلال آباد خاصة جماعة القاعدة، بدأت ترحل من جلال آباد صوب خوست .سرنى ذلك بالتأكيد.

خبر آخر يقول أن (**مكتب الخدمات**) فى بشاور قد قطع مساعداته عن أبو الحارث وجماعته فى خوست، لأنه رفض طاعة أوامر المكتب بالتخلى عن حقانى ومغادرة خوست مع جماعته ، وأن أبو الحارث الآن يبحث عن مصادر جديدة لتمويل جماعته.

لقد سرتنى صلابة أبو الحارث فى وجه جواسيس السعودية الذين يديرون مكتب الخدمات، وغيره من المؤسسات العربية وبيوت الضيافة فى بشاور. لكننى أشفقت من أن أبو الحارث قد لايجد ما يكفى للإنفاق على مجموعته ، رغم أن له مصادر تبرعات خاصة تأتيه من زوار إرتبطوا سابقاً مع جماعته وعملوا معه لفترات مختلفة فى خوست، ولمسوا عنده الجديه والبعد عن الإستعراضات الدعائية التي أغرقت معظم المجموعات العربية فى أفغانستان عامة وجلال آباد خاصه، حيث تفشى معرض أنشاء تنظيمات "ميكروسكوبية" لزعماء، صغار جداً ، بكل المقاييس، وإختفى "الجهاد" لتحل محله"التنظيمات الجهادية" . وكما فعل الكبار تراجعت مصلحة الإسلام لتحل محلها "مصلحة التنظيم" إلى غير ذلك من مهازل.

قال أبو حفص أنه يحتاج يومين أو ثلاثه للمرور على المعسكرات وبعد ذلك سوف يزورنا فى مركز الترصد عند كريم.

مازال اليوم طويلاً وليس عندى أى إرتباطات، فمكثت مع الأسرة فى بيتنا الجديد ذو الأسوار المرتفعة، وكان له بوابة واسعه تفتح على الساحة الرئيسية الواسعة التى تقع المقابر علي حافتها المقابله لنا، يليها هضبة صخرية فوقها عدد من بيوت المهاجرين. ولبيتنا الجديد باب آخر أصغر يفتح على الزقاق الضيق الذى تفصلنا عن صف طويل جداً من البيوت وباب بيت العرب هو الثانى فى ذلك الزقاق الضيق.

بدأت فى محاضرة للأسرة جميعاً فى فك وتركيب الكلاشنكوف مع التنظيف والتزييت، وأخيراً الرماية. فوضعا علبة فارغه للحليب جاف، فوق سور البيت المرتفع.

شارك الجميع فى الرماية، من أم وليد وحتى محمد أصغر أفراد العائلة (5سنوات) ، طبعاً قدمت المساعده له، وكذلك للبنات، وكانت صغراهن مريم (6 سنوات) هى أفضلهن فى الرماية.

لقد أثبتت زوجتى مهارة كبيرة في الرماية، ولم أتصور وقتها كم كان ذلك حيوياً للحفاظ على سلامة العائلة، أو أنها سوف تستخدم مهارتها تلك فى الدفاع عن أولادها فى نفس البيت الذى نسكنه ويتدربون فيه.

أما محمد الصغير فقد أصر على أن الكلاشنكوف هو ملكية شخصية له وافقته علي ذلك على أن يسمح لى بإستخدامه أحيانياً عندما أذهب إلى الجبهة، فقال بأنه يحتاجه أيضاً للجهاد، فسألته وأين تجاهد فأخذنى من يدى وأشار إلى الجبل الواقع خلف المقابر قائلاً، سأجاهد فى هذا الجبل

، فطلبت منه تأجيل ذلك حتى أنتهى أنا من الجهاد فى جبل بعيد داخل أفغانستان لأننى قد بدأت الجهاد قبله ويجب أن أنتهى من جهادى أولاً ، فوافق بروح رياضية.
بعد الرماية أخذت العائلة بكاملها في زيارة إلى عائلة الشيخ حقانى الذى جلست معه وطلبت منه رسائل لبعض قادته فى الداخل، فكتب لى ثلاث رسائل واحدة إلى الكومندان كريم كى يضع نقطه الترصد تحت تصرفنا الكامل مع تفويض الأمر لى إذا كنت سأقبل وجود مجموعة كريم معنا فى نفس الجبل أم لا. ثم كتب رسالة أخرى لمسئول كتيبة سلمان الفارسى، فى دروازجى ، وإسمه مجبور كى يضع راجمه الصواريخ التى بحوزته تحت تصرفنا فى "مشروع المطار" . ثم رسالة ثالثه إلى جولاب أخو الشهيد منان كى يسلمنا راجمة صواريخ بحوزته وأيضاً كى يساعدنا فى إستطلاع المطارمن طرف حافته الشرقية، حيث لدى الكوتشى مراكز جبليه تكشف تلك الجهه بشكل جيد فى منطقه تدعى(ماليزى) وأن نستخدم مراكز جولاب هناك فى الرماية على المطار إن وجدناها مناسبة.

السبت 14 يوليو 90

لم نستطع التحرك إلى بارى بعد صلاة الفجر بسبب بعض الأعمال لتجهيز السيارة. تحركنا فى الثانيه ظهراً، كان أبو طلحة يقود السيارة ورافقنا أبو نور لمباشرة الأعمال الإدارية في جبهتنا ، وعثمان الصعيدى كى يعمل على أحدى الراجمات، لفترة محدودة حتي يحين موعد دورة تدريبية فى جلال آباد يريد أن يحضرها مع رفاقه في جماعة الجهاد. ورافقنا أيضاً حاجى إبراهيم الذى أصبح عضواً أساسياً في برنامجنا الجديد ومهمته الترجمة والإتصال اللاإسلكى مع المجموعات الأخرى من أجل التنسيق، وقد خصصنا له مكافأة مالية من ميزانية العملية، لقاء المجهود الكبير الذى يبذله، إلى جانب راتبه من المجلة الذى كان قليلاً بالفعل.
فى بداية الطريق الأسفلتى الضيق الذى يقود إلى الحدود الأفغانية دخلنا إلى محطة بترول لملء خزان سيارتنا،و فإستهلك ذلك كل ما كنا نحمله من مال، وأفرغ كل منا جيوبه، لقد نسينا أن نأخذ معنا أموال إضافية، لكننا واصلنا المسير لأن مهامنا كثيرة هذا اليوم.
وكان برنامجنا كالتالى:

1ـ زيارة مركز (سمير جول) والإتفاق معهم على إستخدام أحد المغارات لديهم لتخزين الذخائر والمعدات الخاصة بعملية المطار. على إعتبار أن ذلك المركز آمن جداً ومحصن ضد أنواع القصف جميعاً، كما أنه قريب نسبياً من أماكن إستخدام الراجمات.
2ـ زيارة جماعة مالى خان التى يقودها الشاب محمد أفضل وتحديد الإتفاقات النهائية معهم.
3ـ تجهيز مركز الترصد في جبل جماعة كريم.
4ـ زيارة جماعة مجبور (كتيبه أبو جندل) للإتفاق معهم على برنامج العمل.
5ـ زيارة جماعة جولاب فى منطقة ماليزى وبحث إمكانية إستخدام المنطقة فى الرماية على مدرج المطار من جهة الشرق.

عبرنا مركز خليل الذى كان مزدحماً كما هى العادة عند التجهيز لعمليات قريبة. لم يكن لنا عمل هناك، فواصلنا المسير حتى مركز سمير جول الذى لم أراه منذ فترة طويلة. ورغم قربه من طريق السيارات إلا أنه من الصعب مشاهدته أثناء المرور في الطريق حيث تستره تماماً هضبه قليله الإرتفاع، وأظنه أفضل المواقع في بارى كلها من حيث صلاحيته لعمليات إيواء وتخزين كبيرة، مع مناعة ضد القصف الجوى أو الصاروخى، وعيبه الوحيد أنه كان في

مرمى الهاونات الثقيلة من جبل تورغار، وهذا السبب فى ظنى هو الذى منع حقانى من إتخاذه مقراً لقيادته عندما إنتقل مركز ثقل أعماله الي منطقة بارى أى منتصف عام 89 تقريباً.
لم نجد مولوى عبد الحليم، وكان إبن أخيه هو المسئول حالياً عن (قوة وزيرستان) ولم أكن أعرفه قبلاً، وأخبرونا أنه يحضر إجتماعاً لقادة المجموعات مع حقانى فى مركز خليل، فإصطحبنا أحد شباب المركز كى يدلنا عليه، وهناك قابلت حقانى الذى سألنى عن سير أعمالنا ، فذكرت له برنامجنا اليوم وأننا سنتوجه لمقابله كريم، فقال أنه موجود هنا حالياً.
وأرسل إليه من أحضره فجلس معنا وأوصاه حقانى شفوياً بما كان قد كتبه لنا فى رسالة بالأمس كما أوصاه أيضاً بأن يطلعنا علي المغارات الخلفية التابعة له، لعلها تكون أنسب لنا من مغارات جماعة سمير جول.
وبالفعل وجدناها كذلك، فقد كانت شبكة كاملة من المغارات المتصلة بخنادق إرتباطية، محفورة فى هضبة ترابية متماسكة، أعطت فرصة لأجراء هذه الحفريات الرائعة، ولكن إرتفاع الأتربة فوق المغارة لم يكن كبيراً إذا كان فى حدود ثلاثة أو أربعة أمتار، و القنابل الجديدة المضادة للمغارات والتى يستخدمها طيران العدو كانت قادرة بسهولة علي إختراق ذلك السقف قبل أن تنفجر بيننا وسط المغارة. ولحسن الحظ أن ذلك الإحتمال لم يتحقق معنا أو مع أحد من المجاهدين، ولكن الشظايا المتميزة لتك القنابل كانت هدفاً يثير لعاب جامعى الشظايا" الخردة" وكان عليهم أن يحفروا عميقاً جداً لإستخراج رؤوسها الضخمة من الصلب السميك والتي تباع بأسعار غالية.
كانت المغارات تفتح أبوابها على شعب ضيق. يقع بين الهضبة وجبل مرتفع يمر بينهما جدول ماء ضيق. عند المسير جنوباً مع مجرى الماء يمكن رؤيه جزء كبير من جبل تورغار، ونهاية الطريق الذى يمر من أمامه إلينا، وهو الآن عبارة عن مدق صغير متعرج يمر فى جزء منه فيما يشبه الدغل من الأشجار الشوكية وأشجار الزيتون البري، وأشجار قصيرة تشبه النخيل يسمونها (مصرى) ! ! .
وكل الطريق هو كابوس ضخم لكون المنطقه موبؤه بالألغام التى قتل منها كثيرون، وكان من ضمن آمالى فى المنطقه تجهيز هذا الطريق لمرور السيارات حتى يكون هناك إرتباط مباشر وسريع بين منطقة بورى خيل مع منطقتى (**توده شنى**) **و**(**دروازجى**) وما يتصل بهما من مناطق الشرق مثل (**ماليزى**) **و**(**لا كان**) وغيرها.
لقد قررت أن نتخذ تلك المغارات مركزاً إداريا لنا إضافة إلى كونه مركزاً لراجمة. وكان لابد من إعداد المغارات والساحة المقابله لها.
وكانت جبالاً من الأتربة مكدسة أمام المغارات نتيجة الحفريات وعلينا تسويتها، وتجهيزها لوصول السيارات حتى أبواب المغارة وإعداد مكان إطلاق للراجمة، وقررنا جعل مغارة إرتباطية مخزنا للذخيرة، وكانت أكثر أمانا من سواها. وكان لابد من تحصين جميع الأبواب بأكياس التراب لمنع وصول الشظايا والموجات الإنفجارية إلى داخل المغارات.
* فى مركز كريم عدد من المغارات الأصغر حجماً والأقل جودة جهة الجنوب، كانوا مازالوا ينقلون منها بعض الأمتعة التى تبقت لهم هناك، فقد قرروا إخلاء معظم أفرادهم من المنطقة فيما عدا مجموعة قليله لتقدم الخدمات إلى مجموعتهم في الترصد الذى سنشاركهم فيه.
كانت منطقتهم غنية بآثار قصف الطائرات. ولأول مرة أجد قنبلة صغيرة، وهى جزء من القنابل الإنشطارية الضخمة التى تنثر آلافاً من القنابل الصغيرة هذه، وكانت إسطوانية الشكل

قطرها حوالى خمسة سنتيمترات وطولها عشرين سنتيمتر قريباً، فإلتقطت لها عده صور.
تحركنا إلى مركز مجبور ولم نتوقف عند مركز محمد أفضل، وأجلنا زيارتنا لهم إلى رحلة العودة.

* كان مجبور مع رجاله يعالجون آثار سيل داهمهم بالأمس. وكان مركزهم سيئاً من حيث قدرتة على الحماية، فهو واقع فى شعب على جانب الطريق، وهو مجرى سيل، أمام هضبة قليلة الإرتفاع جداً محفور بها مغارات إعاشة متجهة إلى أسفل من أجل هذا إمتلأت بالمياة وصارت الإقامة بها مستحيلة وقد أخرج الرجال أمتعتهم وذخائرهم وأكوام البطاطس والبصل التى تمثل مخزون طعامهم لعدة أيام.
كانوا متجهميين، ومجبور نفسه أخبرنا أن السيل قد جرف الهاون الثقيل، وكاد يوصله إلى منطقة العدو. وقال إنهم من هذا المكان يبعدون عن مدرج المطار مسافة خمسة ونصف كيلومتر وهى أقرب نقطة إلى المدرج فى هذا القطاع كله، لذلك يفضل هو ورجاله البقاء فيها.
ولما ذكرت له أن حمايتها الطبيعية ليست جيدة وأن مغاراتها الضعيفه لاتتحمل حتى إرتجاج إنفجارات قنابل الطائرات، قال أنه ورجاله لايهتمون بذلك. عرضنا عليه البرنامج وأعطيناه رسالة حقاني فرحب بالتعاون معنا وعرض علينا أن نستخدم موقعه هذا كموقع لراجمتنا وإن لم نوافق عليه فيمكن لنا الذهاب إلى مغارة قريبة قوية ومناسبة لكن إمدادها صعب لأن باب المغارة مرتفع عن الطريق بحوالي مترين.
ذهبنا لرؤيه تلك (المغارة المعلقة) وقد أعجبتنى كثيراً فقد كانت فريدة من نوعها فى كل ما رأيت من مغارات المجاهدين.
فبعد صعود إلى إرتفاع ثلاثة أمتار على سلم خارجى منحوت فى الجبل يبدأ مدخل مغارة ذات حجم مناسب، وفى طرفها الداخلى يبدأ باب آخر يقود إلي دهليز ملتوى يقود إلى سطح الجبل، حيث يستقبلنا خندق عميق بطول القامة وعلي بعد أمتار يتسع الخندق ليستوعب هاون ثقيل (غرناى) مع مخابئ جانبية للذخيرة، ويستمر الخندق لينتهي بعد أمتار أخرى عند راجمة صواريخ موضوعة على الحافة العليا وقد مهدوا لها ساحة دائرية، ويمكن لطاقم الرماية أن يظل فى الخندق عند الإطلاق، أما الهاون الغرناى فإن الرامى والطاقم يكونون داخل الدهليز، ويجذبون حبل الإطلاق وهم في مأمن تام من الرمايات المعاكسة المدفعية والجوية.
عجبت لكون مجبور تخلى عن ذلك المركز، وقررت أن نتخذه قاعدة لنا، لكن أصحابى عارضوا لصعوبة نقل الذخائر إلى الراجمة، وهو نفس السبب الذى ذكره مجبور.
عدنا إلي مركز محمد أفضل الواقع الجنوب من المغارة المعلقة بحوالى ثلاثة كيلومترات، وهناك قابلنا (شير خان) شقيق صديقنا (مالى خان) ،الذىرحب بى بحرارة كبيرة تليق بصديق قديم، وأكد على إستعداده التام للتعاون معنا فى برنامجنا.
تركنا مجموعة الترصد فى هذا المكان كي تتوجه إلي الجبل عند مجموعة كريم لمراقبة المطار ليلاً وكتابة تقرير عما يحدث كل ليلة.
سألوني عن أميرهم فى المهمة فقلت أنه "أبا نور"، وإكتشفت خطأى فيما بعد.
وكنت أظن أنه لكونه أكبر المجموعة سناً فسوف يقود المجموعة بسلاسة، والذي حدث هو أن إختياري أغضب بعض أفراد المجموعة وكلهم أفضل تأهيلاً للمهمة من "أبانور" وكنت أعرف ذلك، أما كونه أكبر المجموعة سناً فقد أدى ذلك إلي المزيد من المشاكل بينه وبين المجموعة عل عكس ماكنت أتوقع، وكانت تلك آخر "مهمة عسكرية" أكلفه بها ولكن حتى في المهام

الإدارية الأخري، كان كثير الخلاف والنزاع مع الآخرين.

الاحد 15 يوليو 90

مركز خليل تحول إلي خلية نحل كما هى العادة فى أوقات التجهيز أو خوض العمليات ،خاصة مع وجود حقانى.

عسكرنا فى المركز لإنهاء عملنا مع "جولاب" و"نصرت ا " وكلاهما من نجوم المعارك فى قوات حقاني.

بعد مفاوضات مع جولاب صباحية ومسائية قال أنه فى حاجة للراجمة في المعارك الوشيكة، وبعدها يمكنه أن يتخلي عنها لنا. وبالنسبه لإستطلاع" ماليزى" فقد وعد بإرسال دليل معنا للتجوال في المنطقة ومراكزها.

أما "نصرت ا " فقد وافق علي تسليمنا الراجمة ، وهى ذات ثمان فوهات فقط مع إرسال شخص من طرفه لمعاينة ترصدنا فقط . ورغم تحفظه فقد كان ودوداً مهذباً.

وظلت علاقتنا يسودها الإحترام والتقدير، رغم أن التعاون العملي كان محدوداً، لظروف عديدة أجبرتنا على ذلك.

الاثنين 16 يوليو 90

بعد صلاة الفجر توجهنا الى مركز نصرت ا وبالأحرى قاعدته الرئيسية . فى مدخل وادى بوري خيل من أجل إستلام الراجمة، فوجدت بقايا صاروخ موجه وقد وضعه المجاهدون في الساحة المقابلة لفتحات المغارات، فالتقطت له عدة صور، أما الراجمة فقد أرسلوا معنا شخصاً ليدلنا علي مركز"شمشير" لإستلامها من عنده. كان تعرفنا على شمشير أهم من حصولنا علي الراجمه الأولى في مشروع المطار. كان مركزه علي جانب الطريق الأيسر عند الذهاب صوب خوست، لم أعلم بوجوه قبلاً وليس له مدخل واضح، وكأن السيارات لاتذهب إليه.

كومندان المركز شمشير، شاب غريب الأطوار، بعيد دوماً عن الأضواء و المهرجانات الإجتماعيه. بصفته رام ماهر علي الهاون الراجمةBM!2 فهو معروف تماماً لدي مجاهدى الخط الأول الذين يقدم لهم الدعم في الأوقات الحرجة، وهو محبوب منهم جميعاً لحسن خلقه وشجاعته وتواضعه، ودقة تصويبه.

لقد شارك شمشير مع العرب ، ضمن مجموعة أبو الحارث ، فى معركة جرديز ثم ذهب مع مجموعة أبن الخطاب للجهاد في طاجيكستان ثم حاول الذهاب للمشاركة فى الجهاد فى الشيشان لكن السلطات الباكستانيه منعته في المطار.

أثناء إستلامنا الراجمة من شمشير هاجم الطيران مركزه أربع مرات خلال ربع ساعة، ولحسن حظنا أن وجدنا عنده مغارة جيدة إحتمينا بداخلها.

إنتهت إجتماعات القادة فى مركز خليل، وغادر حقانى إلي ميرانشاه. وأظنه يعود مع العمليات الجديدة. نزلت أمطارا شديدة وإمتلأت الوديان بالسيل، وكان عثمان الصعيدى وطلحة قد ذهبا إلي مركز العرب فى موقع البتالون على حافة الوادي لإحضار خريطة عسكرية ومنظار كبير، ظهر لنا فيها بعد أن الخريطه ممزقة والمنظار تالف تماماً فلم نستفد منهما.

إستطعنا الوصول إلي ترصدنا الجديد في جبل كريم. وسهرت الليل أراقب تكتيكات العدو ومناوراته في إستخدام المطار تحت حماية جوية ومدفعية.

وملخص مناورات العدو الجوية فى تلك الليله هو التشويش علي المجاهدين بكثرة أصوات الطائرات فى الجو، بعضها طائرات نفاثة تقصف مواقع المدفعية، وطائرات مروحية ضخمة

(أنتينوف-12) أو "الجاموسة" كما نطلق عليها وهى ترمى قنابل ثقيلة على مواقع المدفعية ومراكزالمجاهدين، وصوت مراوح تلك الطائرات يشابه صوت طائرات النقل العسكرية (أنتينوف32) ذات المروحتين والتي تهبط فى المطار أثناء تلك الضوضاء والإرتباك الناتج من القصف الجوى المكثف.

وللمطار خطان من الأضواء الحمراء التى تحدد ممر الهبوط علي طول ثلاثة كيلومترات تقريباً وهناك ضوء أحمر يدور متقطعاً مثل سيارات الشرطة ويقع إلى شرق المطارعلى بعد كيلومتر تقريباً وعلى نفس إستقامة المدرج. ولايمكن مشاهدة ذلك الضوء الدوار إلا من فوق الجبل و كان تقديرى أن الرادار قريب جداً من ذلك الضوء الذى لا يعمل سوى في الليل ولا يمكن تحديد مكانه بدقة. وأدركنا أنه لابد لنا من تدميره لعرقلة عمل المطار.

وكان العدو يناور بمهارة بتلك الأضواء لإرباك ترصد المجاهدين وأيهامهم بعكس الواقع أى أن هناك طائرة تهبط بينما تكون الطائرات لم تستخدم المطار فعلاً.

لقد كانت مناورات العدو الجوية والضوئية غاية المهارة، وضللتنا وأرهقتنا فعلاً، لكننا تغلبنا عليها بسرعة.

وكان العدو ماهراً أيضاً فى مناورته في الزمن، فقد ألغي النهار من قائمة الأوقات المناسبة لإستخدام المطار، وبدأ يعمل ليلاً، ثم إكتشف، كما إكتشفنا نحن أثناء فترة ترصدنا الأولى وقبل أن نبدأ العمل الفعلى، أن المجاهدين يكونون فى غاية النشاط في الثلث الأول من الليل، ثم يخمد نشاطهم تماماً قرب منتصف الليل ثم نادراً ما يعمل منهم أحد فى النصف الثانى فى الليل خاصة في ثلثه الأخير، لذا إستنتجنا أن عمليات الإنزال الحيوية هى التى تتم في الثلث الأخير من الليل، أى عمليات نقل شحنات الذخيرة أو إنتقال كبار الضباط وغير ذلك.

لذا عندما بدأنا العملية كان تكتيكنا هو الرد بعنف وغزارة نيران على كل محاولة هبوط، والبقاء في حالة إستعداد تام للإشتباك من غروب الشمس، وحتى شروقها في اليوم التالى.

لقد خذلتنا الذخائر أحياناً قليلة، ولكن جاهزية أطقمنا للعمل الفورى طوال ساعات الليل كانت مثار دهشة المجاهدين قبل العدو، الذى رصدنا تعجبه ذلك أثناء إتصالاته اللاسلكية.

مراسلات مع شباب المشروع

لقد دارت بيننا مراسلات عديدة، أى بينى وبين مجموعتنا العاملة فى الترصد ومواقع الرماية، والشئون الإدارية فى ميرانشاه، والشخصيات القيادية فى القاعدة خاصة أبو حفص وأبو عبيده. وقد طلبت من جميع أفراد العملية أن يحتفظون بتلك المراسلات كى نحفظها في سجل خاص بالعملية حتي نقيم عملنا فيما بعد . وقد إستطعت بذلك أن أحتفظ بعدد لابأس به من تلك المراسلات مازالت معى حتى الآن. ومما يثير كوامن الحزن قراءة كلمات كتبها هؤلاء الذين إستشهدوا في معارك لاحقه مثل أبو تميم المصرى، وأبو الشهيد القطرى، وكلاهما كان من الشخصيات الهامة فى"مشروع المطار" .

وهذه أول رسالة أرسلتها لمجموعة الترصد مركز كريم وكان أميرها "أبو نور" . وقد طلبت منه فى هذه الرسالة أن يستلم تلك المسئولية إلي أبوزيد التونسي بعد أن لفت نظرى أبو تميم إلى خطأ قرارى بوضع أبو نور الذى لايمتلك أي خبرة أميراً على أبو زيد الخبيرفي علم الطوبوغورافيا وتوجيه نيران المدفعية، وعذرى أننى لم أعمل قبلاً مع أبو زيد ولم أكن أعلم عن تخصصات الشباب والدورات التّى تلقاها كل منهم سوى القليل، وكنت مهتماً أكثر بمعرفة

الرماة المهرة على راجمات الصواريخ أكثر من أى تخصص آخر، لذا كان أهتمامى أكثر على أبو تميم ثم عثمان الصعيدى ثم إتضح أن عمل أبو زيد فى الترصد وتوجيه النيران أكثر أهميه أو لا يقل عنهما بحال. وهذه هى الرسالةالأولى إلى الترصد.

□ □ □ □

بسم ا الرحمن الرحيم

الإخوة، عين الإسلام الساهرة في الترصد

تحية طيبة وبعد

رجاء حضور الإخوة التالية أسمائهم الى مركز خليل فى بارى:

1 ـ أبو تميم.

2 ـ عثمان.

على أن يبقى الإخوة أبو زيد، أبو النور فى الترصد مع ملاحظة الآتى:

أ ـ المراقبة الليلية أطول فترة ممكنة بالتنسيق مع المجاهدين لمعرفة أحوال المطار.

ب ـ كتابه تقرير يومى تفصيلى عن حالة المطار.

ج ـ رسم كروكى للمطار وماحوله من منشآت وتلال ومواقع عدوة أو صديقه مع المسافات التقريبية للأهداف الهامة مع ملاحظة رمايات العدو الجوية ومكانها.

أخبارنا هنا كالتالى:

1 ـ (**د. نصرت ا**) موافق علي فكرة توحيد شبكه النيران والترصد ولكن قراره الأخير متوقف علي تقرير مندوبه لديكم.

2 ـ قابلنا (جولاب) وافق هو الآخر علي المشروع ورحب به، عنده راجمه سيعطيها لنا ولديه مواقع جاهزة لضرب شرق المطار.

3 ـ سنتحرك مع جولاب صباح الغد لرؤية أماكنه المقترحة لرماية الراجمة، ولتقرير إمكان الرماية على إستقامة المطار جهة الشرق.

4 ـ جماعة محمدى عرضوا علينا راجمة فائضة عن حاجتهم ولكن بعد العملية والمفروض أنها قريبة.

هذا وقد قررنا إتخاذ أحد مغارات" كريم" كقاعدة خلفية لنا فى المنطقة، سنطلب الذخائر من ميرنشاه مع معدات المعسكر، وسيقوم بذلك أخونا عثمان غداً بإذن ا ، أرجو معرفة مقترحاتكم بهذا الخصوص.

إذا كان تقرير إستطلاع الأمس جاهزاً أرجوا إرساله، ومن الآن وحتى إشعار آخر يكون أخونا أبو زيد مسئول موقع الترصد ومسئول أيضا عن أعداد التقرير اليومى التفصيلى للإستطلاع، كما نرجو من أخونا أبو النور حسن التعاون كما عودنا دائماً.

أى طلبات من ميرانشاه سجلوها فى قائمه وأعطوها لعثمان كى يحضرها فى رحلته غداً.

والسلام عليكم ورحمه ا وبركاته. أخوكم

أبو الوليد

بارى ـ مركز خليل 90/7/15

ملحـ ـ ـ وظة

أرجو الإحتفاظ بهذه الرسائل وبكافة التقارير، للحفظ على ملف العملية.

:::::::::::::::::::::::::::::::::::::

لقد كنت مهتماً للغاية (بتنوير) جميع وحداتنا العاملة بجميع التفاصيل المتعلقه بتطويرات عملنا فى مشروع المطار يوما بيوم، مع شرح كل التفصيل التى تصلنا عن مشروع المجاهدين ومعاركهم في ودى خوست. مع توضيح التأثير المتبادل لمشروعنا فى المطار وعملياتهم فى الوادى. وقد أثار ذلك حماساً كبيراً فى وسط أفرادنا من العرب، وأبدوا الكثير من روح المبادرة فى العمل والتخطيط، وهذا بالضبط ماكنت أطمح إليه. وكل من بقى حياً ممن شاركوا في تلك العملية يعتبرها أفضل العمليات التى شارك فيها أثناء حرب أفغانستان وأكثرها تنظيماً. وهذا ما سمعته تحديداً من أبو زيد التونسى بعد المعركة بسنوات وكذلك سمعته من آخرين من الإخوة.

وفى تقديرى الخاص أن (مشروع المطار) إضافة إلى عمليتنا التالية ضد المطار الجديد (**عام 91**)، كانت العمليات الوحيدة للعرب ذات التأثير المباشر علي مسيرة الحرب فى أدق مراحلها.

لقد كان حرمان خوست من إتصالها الجوى مع كابول هو الخطوة الأساسية نحو سقوطها النهائى وقد أكد لي ذلك أثنان من جنرالات جيش كابل تم أسرهما عند فتح مدينه خوست أولهما الجنرال طيار محمد عظيم، ثم الجنرال "صلح أمل" المستشار العسكرى لرئيس الدولة وسوف نتعرض لأقوالهما في مواضع تالية بإذن ا .

الثلاثاء 17 يوليو 90

كانت ليلة الأمس موفقة فقد تمكن المجاهدون من إصابة طائرة في المطار ولكن ثلاث طائرات أخرى تمكنت من تفريغ حمولاتها والعودة بسلام. عدنا إلى مركز كريم الذى أصبح قاعدتنا الخلفية أطلق عليه جماعة القاعدة إسم مركز أبو العباس على إسم أحد شهدائهم في معارك جلال آباد. بدأنا بإستخدام مغارة ذات بوابة حديدية كمخزن للأشياء الهامة.

أحضرنا الراجمة التى حصلنا عليها من شمشير وكذلك رجلين من جماعة جولاب كي يدلانا على مواقعهم فى "ماليزى" وأحد مواقعهم في" دروازجى".

توجهت بنا السيارة مباشرة إلي موقع جماعة جولاب في"دروازجى" بدون الوقوف علي مراكز الراجمات الواقعة علي جانبى مجرى الماء فى الوادى الضيق. وهى المنطقه التى أسميناها "دزجات ستان" أى أرض الرجمات. وموقع جولاب يفصله عن مركز مجبور جبل مرتفع كانت تشغله القوات الحكومية في الماضي وكان أحد قلاعها المنيعة في المنطقه قبل أن يجتاحه المجاهدون في معركه باسله فى أواخر عام 88، وهو نفس الجبل الذي كنا نتسلل قريباً منه عام 85 كى نطلق صواريخنا علي المطار من فوق الأحجار، لكننا الآن سنضع فيه راجمة صواريخ.

كان علينا القيام بدورة واسعه حول سلسله جبل دروازجي حتى نصل الي مركز جولاب . عرض علينا جولاب إستخدام هذا المركز في مشروع المطار لكننى لم أكن مرتاحاً لذلك المركز منذ تلك الليله (الصاروخية) التى قضيتها مع أبو الحارث داخل مغارة المركز مع جميع أعضاء فريق جولاب، وصواريخ العدو تنهال حول المغارة حتي كاد سقفها أن يتهاوي فوقنا. سألت جماعة جولاب إن كان هناك مغارات أخري قريبة منهم.

فدلونا علي مركز آخر على بعد خمسئة متر يشغله رجال الكومندان وزير التابع لتنظيم (محاز ملى) التي يرأسه الجيلانى ـ وهو أخو الكومندان الشهيد "داد مير"وهى جماعة

صديقه لنا منذ سنوات.
كان المركز مكون من مغارتين صغيرتين بينهما وصلة إرتباطية ضيقة تستخدم كمخزن للمواد الغذائية الطازجة لكونها أكثر برودة من سواها، ويشغل المركز عدد من رجال البدو الأشداء ذو الملامح القاسية المتجهمة، ولكنهم كانوا غايه الترحيب بنا، وأكرمونا بأقصى ما يمكن أن تتيحه لهم إمكاناتهم القليلة جداً.فشربنا معهم شاياً أخضراً مع كرات العسل الأسود المتكلسه والتي يسمونها "جور" . حدثناهم عن حاجتنا إلى تلك المغارات لمدة شهر للعمل منها ضد المطار بواسطة راجمة.
رحبوا بالفكرة وقالوا بأنهم علي وشك الرحيل بعد أيام قلائل حيث تحل مكانهم مجموعة أخرى، وتخفيفا علينا فقد وعدوا بإجراء الإتصال بهم وإعطائنا نتيجه ذلك في خلال ثلاث أيام، وأعربوا عن إعتقادهم بأن إخوانهم لن يمانعوا فى التخلى لنا عن هذا المركز لأى مدة نحتاجها قمنا بعد تناول الشاى لمعاينة المركز مرة أخرى، فقد بدا لنا أفضل بكثير من مركز جولاب.
كان الماء على مسيرة خمسة دقائق من المركز حيث جدول صافى يمر فى الوادى الذى يتسع نسبياً أمام المركز، ونفس الجدول يمر على مركز جولاب، ويستمر فى سيره حتى يصب في الوادى الرئيسى الذى تقع به منطقة "دزجات ستان" مخترقاً منطقة عشبية كثيفة واقعة بين الهضاب ذات الجروف الرملية، بإختصار كانت مكاناً رائعاً للكمائن، لكنا لم نتعرض لكمائن وإن كانت سيارتنا قد تعرضت للتدهور من فوق أحد هذه الجروف كما سنرى.
أستأنفنا المسير نحو منطقه "ماليزى" التى تبعد عن شعب "جولاب" وأخوانه حوالى عشرين دقيقة بالسيارة، فى أكثر من نصفها نكون مكشوفين لمواقع العدو الجبلية، تعجبت لكون العدو لم يضع دبابة قرب إحدى هذه القمم ليقطع الطريق بين دروازجى وماليزى. ظللت أبحث هذه النقطه حتى تبين لي فيما بعد أن العدو قد وضع فعلاً دبابة لهذا الغرض، ولكن جانب تلك الدبابه كان مكشوفاً للمجاهدين الرابضين على قمة أخرى فدمروا الدبابة، فلم يحاول العدو تكرار العمل مرة أخرى وظل الطريق مفتوحاً. ولكنه فى وقت لاحق حاول إغلاق الطريق مستخدماً، هاوناته الثقيلة، ولكنه أخفق فى تحقيق إصابات مباشرة فى السيارات التى كانت تمرق مسرعة بأقصى ما تملك من طاقة والتصميم من جانب سائقيها. إلى جانب أن الطرق الملتوى، والأشجار والجروف تستر السيارات فى العديد من النقاط، والأهم من ذلك كله هوأن المجاهدين كانوا في معنويات عالية جداً، ويحققون إنتصارات مستمرة وكبيرة رغم الكبوات المؤقتة والصغيرة، وفى حاله كهذه يرحب الجميع بالقيام بأى مجازفة مهما كانت كبيرة، والغريب أنهم غالباً ما ينجحون.
عشرون دقيقة من الخطر ليست بالشئ الكثير، وإذا تشاغلت عن الخطر بالنظر حولك، فسوف تكتشف أنها منطقة رائعة الجمال، كثيرة العشب والشجر ومتسعة كثيراً حيث تتراجع السلاسل الجنوبية إلى الخلف. هناك ألغام كثيرة فى مناطق غير محددة لذا فالسير ممنوع على غير المدقات المعروفة جيداً والمطروقه من جانب المجاهدين.
إنحرفت بنا السياة خارج الطريق وتوجهت إلى مجموعة من التلال جهة الشمال، وهناك إستحكمت عدة مجموعات من المجاهدين فى التلال وفي مجرى نهر جاف، وأقاموا عدد من الغرف التى يغوص معظمها تحت الأرض وقد تغطى بعضها بسقف من الأخشاب والأحجار

أما بعضها الآخر فقد كان عبارة عن غرف ريفية بعيده تماماً عن أجواء الحرب، يستخدمونها لإستقبال الضيوف أو لجلسات السمر، تناولنا طعام الغداء ..نمنا قليلاً داخل إحدى تلك الغرف، فى أجواء هادئة ومسالمة تماماً، وقد عزفت الطيور أحلى نغماتها التى حملتها نسمات صيفية جميلة، أخذتنى سريعاً إلى نوم عميق لكن قصير.

قمنا بالتجوال فى المعسكر والتلال المواجهه له، فوجدنا أن رؤية المطار غير ممكنه فطلبنا منهم رؤية مواقع أخرى، فإصطحبونا إلى الخط الأول حيث آخر سلسلة جبلية للمجاهدين فى مواجهة مع آخر سلسله جبلية للعدو بفاصل مئتى متر تقريباً. لأجل ذلك كان علينا القيام برحلة بالسيارات تستغرق ثلث ساعة تقريباً نقوم فيها بعملية إلتفاف حول التباب الصغيرة التى كنا فيها كى نصبح بعدها في ساحة واسعة جداً .كان الطريق مكشوفاً تماماً لمواقع العدو، والساحة منبسطة وملغمة على جانبيها، والسيارة تمرق بسرعة عالية وخلفها سحابة هائلة من الأتربة.

وإن لم يكن لدى العدو أي دبابات على القمم المطلة، فأى طيار لايمكنه مقاومة حب إستطلاع سحابةالغبار الضخمة التي يتقدمها جسم السيارة مثل رأس ذبابه يطل من بين كومه أتربة.

وزاد من قلقى أن مرافقينا من جماعة جولاب كانوا يحثون السائق على الإسراع أكثر لأن المنطقة خطيرة ومستهدفة من مدفعيات العدو.

أطلعنا مجاهدى الموقع عن رغبتنا فى رؤية مدرج المطار، فصعدوا بنا قمه عاليه حادة الإرتفاع ذات صخور سوداء صلبة، قريباً من القمة حفرت خنادق طويلة، وبنيت غرفتان صغيرتان.

مشينا على أربع ثم هبطنا فى الخندق، وقد أوصانا المجاهدون بالحرص الزائد، أطللت على الجهة الأخري فبدت قمة الجبل المعادى على مرمى حجر وهى الأخرى سوداء متجهمة على قمتها آثار حفر حديث، كان منظراً مقبضاً منذراً بالشر المستطير.

كانت السحب قد غطت السماء والرؤية أصبحت رمادية، لكن مدرج المطار ذو الأرضية البيضاء التى كنت أظنها من الأحجار الكلسية المدكوكة، قد بدا قريبة، وربما ساعد على ذلك الخداع كونه مساحة بيضاء كبيرة فى وسط وادى رمادى شاسع الإتساع.

ظهرت لنا منطقه "فارم باغ" التى لا نراها عادة من مواقعنا القديمة.

فظهرت مثل غابة من الأشجار اليانعة، لقد كانت قاعدة إدارية كبيرة للعدو، وطبيعتها المشجرة تحجب عن أعين المجاهدين مايدور فيها من نشاط، وما تحتويه من إستحكامات وأسلحة، وكانت مواقع العدو الجبلية توفر حماية قوية لقاعدة فارم باغ التى نجحت في إحباط عدة هجمات للمجاهدين في أوقات سابقة.

قمت بإلتقاط عدد كبير من الصور للمطار وفارم باغ وجبل كوكاراك الذى يربض على مدخل الطريق الرئيسى للتهريب الواصل بين جاجى ميدان على الحدود مع باكستان.

هبطنا من جبلنا هذا كي نصعد جبل آخر إلى جهة الشرق، كانت مواقع العدو قريبة أيضاً، وإستقبلتنا بقذيفتى هاون متوسطة العيار لم يكن للمجاهدين فوق القمم سوي رجال مسلحون بأسلحة خفيفة، وليس لديهم هاونات، ولكن هناك راجمة علي حافة مجرى مائي جاف هى السلاح الرئيسى فى المنطقه، وكانوا يحضرون أحياناً قطع مدفعية لوقت قليل ويسحبونها لأن الطيران كان يؤذيهم كثيراً وكذلك هاونات العدو المتوسطة التي كانت تغطى كل منطقة المجاهدين بسهولة، فكانت تشكل خطورة كبيرة عليهم. ومن أجل ذلك إستبعدت تماماً فكرة إستخدام ذلك الموقع في الرماية بالراجمات ضد المطار. لقد كان إحتمال المخاطر عالياً جداً

من مواقع العدو القريبة، خاصة الهاونات.
ولنطلق على ذلك الموقع إسم (موقع ماليزى المتقدم) وسوف نعود اليه لاحقاً تحت هذا الإسم.
ونحن فوق الجبل سألت مرافقنا الكوتشى عن الموقع الذى إستشهد فيه قائدهم "منان"، فأشار صوب قرية فى جنوب الشرق تدعى "شين كاى" وقال بأن منان قد إنفجر به لغم عند مدخل القريه، وأنه كان قد إستخدم ذلك الطريق فى السابق عدة مرات، وإستخدم صواريخ ستنجر من هناك مرتين وأسقط طائرتين، ثم توقف عن إستخدام القرية، ولكنه لم يعلم بأن قوات الحكومة قد دخلتها ولغمت مداخلها، وكانت القرية فارغة تماماً من السكان.
وقال مرافقنا بأن زملاء منان قد حملوا جثته ودفنوه فى قريه" **بانج دار**"على الحدود الباكستانية.
هناك قرية أخرى محطمة تماماً، أطلالها سوداء، وليست بلون الطمى كما هى باقى القرى فسألت البدوى عن إسمها فقال أنها قريه "كوته كادا" فسألت حاجى إبراهيم عن معنى هذا الإسم فقال أنها تعنى (الحمار الأعرج) حاولت أن أعرف سبب هذه التسمية العجيبة، لكن صاحبنا البدوى لم يكن هو الآخر يدرى.
غادرنا الموقع وعدنا الي مركز "راجمة" محمد أفضل حيث يبدأ من عندهم طريقنا الصاعد إلى موقعنا الجديد للترصد عند جماعة كريم.
جلسنا نحتسى الشاى الأخضر مع طاقم الراجمة وطلبت من طلحة وحاجى إبراهيم توصيل جماعة جولاب إلى مركزهم الخلفى ثم العودة إلينا في الترصد بعد صلاة فجر الغد.
إختفت الشمس خلف الجبال المرتفعة، فودعنا مضيفينا، وغادرنا بسرعة قبل أن يدهمنا الظلام.
ومن شده عجلتنا ضللنا الطريق وسط المنطقة الملغومة . تركنا المدق وصعدنا بشكل مستقيم نحو الرأس الأسود البارز للجبل، كان طريقاً وعراً وشاقاً والأهم هو أنه أيضاً ملغوم فى أماكن لا يعلمها أحد، لذا كان المجهود العصبى والنفسي أكبر بكثير من المجهود الجسمانى.
كانت غيبتى قد طالت على عناصر الترصد، أبو زيد وأبو نور، في جبل مركز كريم، وصلنا قمة الجبل وكان أبو نور قد إنتهى من الآذان، أدينا الصلاة جماعة داخل الخيمة، ومعنا أفراد جماعة كريم، وبعد أن فرغنا جلسنا نتبادل الأخبار حتى حضر طعام العشاء، وكان بعض اللحم قد وصل من مركزنا الخلفى ،مركز أبو العباس، فأعد شباب كريم ثريداً فاخراً باللحم.
وبعد نقاش مطول حول مشاهداتهم للمطار، قدمت تصوراً طموحاً للعمل بحيث نبدأ بتدمير قيادة المطار ، أو برج المراقبة ، وكنا نظن أننا قد حددنا موضعه .ثم نتحول بعدها إلي المنشآت المحيطة بالمدرج، وبعدها سيكون المطار مجموعة حطام لاتصلح للخدمة، ثم نركز الرمايات بعد ذلك على نقط التفريغ والتحميل وعددها ثلاثه مواضع مع قصف المدرج الترابى بعد تعديل نظام إنفجار الصواريخ بحيث تحدث حفراً أعمق.
لم نستطيع تحقيق كل ذلك أثناء العمل، فالمنشآت الحيوية للمطار كانت على حافته الشمالية وهى منطقه مشجرة فيها الكثير من البنايات الحكومية التى لاندرى ماذا يحدث فيها فكان لابد تدميرها جميعاً، وهنا برزت مشكلتين الأولي هى أننا لانمتلك مايكفى من ذخائر لهذا العمل الضخم، والثانى هو أن موقع راجمة مجبور هى الوحيده التى يمكنها الوصول إلى جزء من الحافة الشمالية لايمكنها تغطية كل الأهداف. ولكننا نجحنا أحياناً فى تعطيل عمل قيادة المطار وأجهزة الإرشاد والتوجيه فيه، كما سنرى لاحقاً.
تحركنا صوب نقطة الترصد سالكين ذلك المدق المتعرج الذى تعترضه عده عوائق لايسهل

عبورها فى الظلام، فالجانب الأيمن منحدر بشدة إلى الأسفل بحيث أن السقوط منه لن يخلو من الكسور، ولاننسى الألغام التى يكتشفون عدداً منها كل يوم، قرب نقطه الترصد التى تحتمى بصخرة سوداء عظيمة، وإلي الشرق منها منطقة مشجرة رخوة التربة نسبياً لذا زرعتها القوات الحكومية بالألغام.

كان هناك ثلاثه من الشباب العرب يقومون بمراقبة المطار بواسطة منظارين محمولان على قوائم معدنية ثلاثية من ذلك النوع المستخدم لكاميرات التصوير.

خلف موقع الرصد ذاك كان هناك خندقاً جديداً حفره أفراد جماعة كريم، وكان واقعاً تحت شجرة شوكية كبيرة، لذا يلزم تنظيفه دوماً من الأشواك وهو الشئ الذى لا يحدث إلا نادراً، ولا يتم إكتشاف هذا الخطأ إلا عند إستخدام الخندق وقت القصف الجوى . والخندق لايسع سوى شخص واحد، أو شخصين بصعوبة.

وبعد الغارة يخرج الشخص منه مثل القنفذ من كثرة الأشواك، ويلزمه أن يتعاون معه الزملاء في نزع الأشواك من جسده خاصة ماتكسر منها تحت الجلد وفى اللحم.

وما لبثنا أن تعلمنا وضع بطانيه أوأكثر في قاع الخندق فى بداية الليل، حتي نقفز بأمان إلي داخل الخندق عند الضرورة، وهى ضرورة قد تحدث مرات عديدة فى الليلة الواحدة، أوحتى فى الساعة الواحدة.

أما الصخور السوداء الضخمة على يسارنا فكان بها شق طولي عملاق يصلح مأوى لشخص واحد كى يقف فيه أثناء الأزمات. وإستقر الرأى أن يكون ذلك مقر حاجى إبراهيم، حتى يتمكن من متابعه الإتصالات اللاإسلكية مع مواقع المجاهدين، حتى أثناء تعرضنا لتساقط القنابل من الطائرات.

ورغم أن موقع ترصدنا كان سرياً، وأوقفنا إستخدامه فى أى عمليه إطلاق نيران من جانب المجاهدين، وقيدنا الحركة فوقه بحيث يبدو مهجوراً تماما، إلا أننا أثناء العمل تعرضنا لعدة غارات خطيرة للغاية كادت أن تودى بنا، ولم يكن لدينا خنادق كافية فكانت تحدث مواقف طريفه نضحك منها كثيراً، خاصة وأن أحدنا لم يصب لحسن الحظ.

بقيت ألاحظ المطار من خلال منظار المراقبة مدة ساعة تقريباً كان مظلماً تماماً، وحتى المبانى على الحافةالشماليةكانت حريصةجداً في إستخدام الأضواء، ذهبت إلى نوم على أن يوقظنى طاقم الحراسة والمرقبة المكون دوماً من شخصين، عندما تضاء الأضواء الحمراء على طول المدرج والتى تعمل عادة تمهيداً لعملية هبوط.

لم نكن قد مهدنا ما يكفى من مواضع تصلح للنوم فوقها، فالأرض مائله جداً ومليئة بأنتواءات الحاده التى تنغرس في اللحم، لذا لم نكن ننام بالمعني المفهوم لدى باقى البشر، بل كنا فى حالة غيبوبة واقعة ما بين النوم والإستيقاظ، ونتقلب ذات اليمين وذات الشمال حتى تأخذ كل الأعضاء نصيبها من وخزات الأبر الصخرية.

فى الحادية عشر أيقظنى أحد الحراس قائلاً بإنفعال : لقد بدأوا العمل وأشعلوا أضواء المدرج. ثم مضى سريعاً إلى نقطة المراقبة وتبعته على الفور. وقفت خلف أحد المنظارين، كان صفان من الأضواء الأرضية الحمراء يلمعان في الظلام، وعلى قرابة كيلومترين إلي غرب المدرج وعلى نفس إستقامته هناك ضوء أحمر كبير يدور مثل أضواء سيارات الشرطة، فيعطى إشارات متقطعة، كانت تلك علامة تدل أن المطار جاهز لإستقبال طائرة، ثم أقدمت طائرة نفاثة وقصفت واحداً أو أثنين من مواقع المجاهدين، هذا من العلامات التى تؤكد على جدية عملية

الهبوط لأنها إجراء لحماية الطائرات من رمايات المجاهدين، وذلك بجعل المجاهدين أنفسهم تحت الرماية ،ورغم ذلك لم تكن هناك عملية هبوط فعلية. فلم نلاحظ نحن ما يدل على ذلك وإتصلنا لاسلكياً بباقى نقاط المراقبة فأكدوا أنها عملية جس نبض، مع ذلك أطلق أحدهم قذيفة مدفعية علي المطار، وبعد دقائق أطفئت الأنوار وأظلم المطار تماماً وعم الهدوء وادى خوست وما حوله من جبال.

الساعة الثانية والنصف صباحاً لم أكن فى حاجه لأن يوقظنى الحارس فأصوات الطائرات النفاثه والقاذفات المروحية الثقيلة قد حفزت فينا مشاعر الخطر وأطارت النوم الذى لايعشش أبداً بشكل مستقر فى أعيننا. وما لبث أن هطلت القذائف والصواريخ على جميع مراكز المجاهدين، أما القنابل العنقودية بإنفجاراتها المتتالية فى السماء ثم هبوطها في عناقيد حمراء قانية تهبط بخيلاء من علو شاهق متباطئة، ما تلبث أن تنقض بسرعة رهيبة تحمل معها الموت بإنفجارات تصم الأذان على مساحات واسعة.

كانت ذلك خطراً بشكل خاص على الأسلحة الشاخصة فوق سطح الأرض وأكداس الذخيرة التى حولها و الخنادق غير المسقوفة، مثل خندقنا الشوكى الذى يرقد فيه السعداء منا، أما غير السعداء فيتكومون خلف الصخور الكبيرة.

ومالبثت طائرات النقل العسكرية أن بدأت الهبوط والإقلاع من المطار بدون أى تدخل من جانب المجاهدين الذين كانوا مشغولين فى بمعركة كبيرة فى الوادى شارك فيها جبل تورغار وقطع المدفعية المتوفرة في باقى المواقع بحيث لم يكن هناك من يهتم بما يحدث فى المطار. فتمكنت أعداد كبيرة من الطائرات من إستخدام المطار، ونقل كميات كبيرة من الذخائر، وربما من الضباط والجنود أيضاً، شعرت ساعتها بأهمية مشروعنا لإغلاق المطار وأهمية تواجده فى مثل هذه العمليات، وكونه شرطاً أساسياً لإسقاط المدينة، وأحزننى أننا لم نكن جاهزين في هذه الليلة، بل مازال أمامنا الكثير حتى نكون على أهبة الإستعداد.

ومع ذلك رفضت جميع الضغوط من جانب الزملاء فى المشروع الذين أرادوا أن نبدأ قبل إتمام الإستعداد الشامل بالشكل المخطط له.

بدأ الهدؤ يعود مرة أخرى مع أضواء الفجر، وكان أول إهتماماتنا لليوم الجديد هو أن نعرف ماذا حدث بالأمس ؟.

الأربعاء 18 يوليو 90

لم نكد نغادر نقطة الترصد حتى كانت جماعة كريم قد خالفوا أهم نقاط الإتفاق بيننا. فمعارك ليله الأمس أشعلت حماسهم، ولم يكن فى مقدورهم المشاركة لبعد المكان، فأرادوا تعويض مافاتهم فوضعوا الدشكا محل نقطة الترصد، وأطلقوا زخات طويلة على موقع العدو المقابل لنا،و فأجابتهم الدبابة هناك بعده قذائف، كانت قريبة جداً من الدشكا، وطارت أحداها من فوق رؤوسنا.

لم يجد صراخنا أو رجاءنا في وقفهم عن حماقتهم، وتجاهلونا فى البداية ثم ردوا علينا بوقاحة، وواصلوا إشتباكهم الغبى ضد الدبابة مستخدمين الدشكا، ثم قالوا لنا ونحن نهم بالإنصراف أن لديهم عدة صناديق من الذخائر عليهم أن يطلقوها على مواقع العدو المقابل لنا قبل أن تنتهى نوبتهم في حراسة الموقع، وكم حسدت الجيوش النظامية وقتها على نعمة المحاكمات العسكرية والإعدام الفورى لبعض الجنود.

وإنتقاماً منهم أطلقت عليهم فى مذكرتى إسم" رعاع الكومندان كريم كان" من صلاحيتى الآن

طلب سحبهم من الموقع، وهو ما قررت فعله فى أقرب وقت عندما نحضر باقى الأفراد والمعدات إلى موقع الترصد.
توجهنا إلي مركز خليل ، قلب العمليات النابض ومقر القيادة، حتى نقابل حقانى ونحصل منه على تقدير الموقف الحالى فى الجبهة ومعارك ليله أمس.
جلسنا هناك لتحديد خطواتنا التالية، ولإستكمال تقارير الإستطلاع عن جولاتنا الأخيرة، وإتفقنا علي الإجراءات التالية:
1- أن يقوم أبو زيد بتجهيز نقطة الترصد بما يلزمها من مهمات وأفراد، وأن يطبق مشروعه الخاص بإستخدام الكمبيوتر فى تصحيح رماية الراجمات.
2- أن يتولى "أبو نور"تجهيز المعسكر الخلفى الرئيسى ، معسكر كريم سابقاً ، ومعسكر أبو العباس حالياً، بحيث يؤدى المعسكر المهام المطلوبة منه. فمن المتوقع أن يقيم به 15 فرداً بشكل دائم.
ويقدم فى نفس الوقت خدمات إدارية لعدد مماثل من الأفراد فى نقاط الراجمات والترصد، وأن يقوم أبو طلحه بمساعدة أبو نور فى تلك المهمة نظراً لخبرته السابقه في هذا المجال.
3- يتحرك عثمان لإستكمال شراء الذخائر بأن يكمل الموجود منها إلى ألف قذيفه ثم يشترى بعد ذلك ألفاً أخرى.
وكان شراء القذائف يسير ببطء، وظلت هذه المشكله تلازمنا طوال هذه العملية، وحتى فى العملية التالية في العام التالى. وكانت تلك ضمن مسئوليات القاعدة حسب إتفاق العملية.
علمنا أن حقانى عاد اليوم من ميرانشاه وصعد إلى مركز القيادة فوق الجبل. توجهنا نحوه، وهناك أخبرنا حقانى بأن المعركة دائره الآن فى موقع "الشلكا" وبعد الإستيلاء عليها سوف تتحول المعركة إلى شيخ أمير.
وكان موقع الشلكا عبارة عن مركز متقدم للعدو على طرف الوادى مهمته حمايه شيخ أمير من جهه الجنوب، وتمت تسميته بهذا الإسم لوجود مدفع مضاد للطائرات من طراز شلكا كان محمولاً على شاحنة، ويستخدم في ضرب محاولات تقدم المجاهدين.
أظهرت لنا الأنباء المتوالية وقتها أن الموقف جيد للغاية، وأن المعركة الحاليه ما هى إلا إمتداد للمعركة التى تناهت إلى أسماعنا ليله أمس.
قالت الأنباء على اللاسلكى بأن العدو سحب من ميدان المعركه 16 جثة من قتلى بالأمس ومازالت جثث كثيرة متناثرة فوق أرض المعركة، وأن دبابات العدو المشاركة في المعركة قد فرغت ذخائرها لذا فشلت عملية إخلاء جثث القتلى والجرحى.
أما صواريخ صقر فقد حققت العديد من الإصابات الهامة فى صفوف العدو فقد فجرت مخزنا للذخائر. وقالوا بأنها ليلة أمس لم تترك مجالاً لطائرات العدو أن تكمل نقل الجرحى وجثث القتلى وأن العسكر الذين كانوا يغادرون الطائرات القادمة قد أصابتهم صواريخ مباشرة أدت إلى قتل العديد منهم علي مدرج المطار.
من جهتنا فى ملاحظات الأمس ومراقبنا للمطار لم نلاحظ مثل هذه العرقلة، بل كانت الطائرات حسب تقديرنا تحظى بحرية كاملة فى الهبوط والاقلاع.
أما عن معنويات العدو فى المعركة الحالية، فقد أفادت التقارير هنا أنها متدهورة وأن الضباط يتملصون من تنفيذ الأوامر، وكل منهم يطالب الآخر بأن يقوم هو بتنفيذ المهام المطلوبة، وأن ثمانية جنود إنضموا بأسلحتهم إلى المجاهدين ليلة أمس بعد أن قتلوا ثلاث من الضباط.

كنا فوق جبل القيادة نشاهد جزءاً ضيقاً من ساحة المعركة قرب موقع الشلكا، ولكن شيخ أمير مكشوفة لنا كلياً ويمكن رصد الكثير من تفاصيلها بواسطة منظار الرصد المتقدم الذى وضعوه لحقاني تحت شجرة ضخمة علي جانب الجبل المواجه للعدو ولكن ليس بعيداً عن الصخور السوداء الضخمة على قمه الجبل، كان حقاني علي إتصال دائم بالمجموعات المتقدمة والدبابات والمدفعية والإمداد، وكافة القادة فى المنطقة يساعده فى ذلك عبد العزيز وفضل ومعهما عدد من أجهزة المخابرة الكبيرة والصغيرة. كانت شبكة رائعة من الإتصالات اللاسكية يديرها عبد العزيز وفضل وكلاهما ذو كفاءة، وخبرة عالية. كان لتلك الشبكة دور بارز جداً في تمكين حقانى من إدارة معاركة والسيطرة علي قواته. ثم هو بعد ذلك يحرك نفسه بشكل رائع، فهو موجود دوماً فى أفضل الأماكن التى ينبغى أن يكون فيها القائد العام.

فتارة هو علي جبل القيادة والإتصالات، وتارة أخرى فى مركز خليل، القلب الإدارى للمنطقة ، وأحياناً فى الخط الأول أو خلفه مباشرة، وكان يساعده إخوانه الثلاثة إسماعيل وإبراهيم وخليل مع عدد كبير من أكفأ قادة المجموعات الميدانية.

- كان وجودى فى مثل تلك المعارك إلي جانب حقانى فوق مركز القيادة فرصة نادرة كى أتعلم، فكانت حواسى جميعها فى حالة يقظة تامة، ألاحظ كل شئ وأسمع وأتابع ما يجري أمامى وحولى.

وأسأل حقانى أحياناً أو أناقشه وأستفسر منه، وأسجل أحياناً أحاديثه علي المخابرة. ومازلت أحتفظ بشرائط التسجيل ، وأحياناً أحصل على المعلومات مباشرة من عبد العزيز أو فضل فكانت تربطنى بهما علاقة صداقة متينه وحب واضح.

كنت أكتب كثيراً ملاحظات أظن أنها ستفيدنى فيما بعد لتحليل مجريات المعركة فى خوست وخاصة مسئوليتنا القادمة عن إغلاق المطار.

<u>قبل الغروب كتبت هذه الملاحظات</u>:

- مدفعيه العدو ضعيفة جداً، وأقل من مستوى مدفعية المجاهدين يظهر أن العدو يعانى نقصاً شديداً فى الذخائر والمعنويات.
- <u>الساعة الآن 6.18 مساء</u> ومن المفروض أن القتال يدور على بعد 4كيلومتر من المطار، ومع ذلك توقف عمل الطيران ، أى القصف الجوى ، منذ الثانيه ظهراً، ومنذ ساعة توقفت مدفعية العدو عن العمل.
- كثافيه نيران المجاهدين ، أعداد كبيرة من صواريخ صقر ، مع ضئآله المسافة التى قطعوها في الهجوم، تظهر أن القتال فى المنطقة دخل مرحلة الحرب الثابتة، أظن أنها تحتاج إلى أسلوب جديد فى إستخدام النار ، أى المدفعية.

بعد غروب الشمس كنت أتجول فوق سطح الجبل، ثم نزلت إلى السفح الخلفى للحصول على بعض الأشياء من سيارتنا المحتمية بين الصخور، حين سمعت صوتاً أجشاً يلقى السلام ثم يوجه لى تحية بالانجليزية: (كيف حالك يا أخى).

نظرت فإذا جثة ضخمة تعرفت عليها رغم عدم وضوح الملامح فى الظلام فقد كان الصوت مألوفا إنه "الجنرال إمام" مسئول المخابرات الباكستانية، ومد نحوى كفه الضخم، وصافحنى.

كنت أحمل فى يدى الأخرى كاميرا بها عدسة مقربة كبيرة، فأغراه ذلك أن يلقى على مسامعى تصريحاً صحفياً رناناً عن مجريات المعركة وأنها تدور بنجاح وأنه يبذل جهده وعلى ا

التوفيق، فهمت أنه يريد أن يفهمنى أنه هو الذى يدير المعركة، وأن مصير الجهاد معلق برقبته ، كان يقف إلى جانبه حائط بشرى آخر مكون من غوريلا على هيئة إنسان، كان حارسه الخاص بلا شك.
رددت التحيه بإختصار وإستأذنت كى أتابع من فوق القمة ما يجرى أسفل فى الوادى عند الشلكا وشيخ أمير، فودعنى متوجهاً نحو سيارته الواقفه إلى جانب سيارتنا خلف الصخور.
فى الثامنه والنصف سقط صاروخ سكود إلى الغرب من مدخل وادى بورى خيل. وبعد ساعة سقط صاروخ آخر قرب منطقه الإشتباك في موقع الشلكا. كان ذلك مؤكداً لخبر إستحكام المجاهدين فى الموقع، وحسب معلومات عبد العزيز لم تقع أيه إصابات من الصاروخين.
- بعد الغروب تقدم المجاهدون من بوسطة الشلكا وواصلوا تقدمهم شمالاً فأعادوا إحتلال قرية مهجورة مهدمه تدعى "مانجى" كانوا قد إستولو عليها أثناء النهار لكنهم تركوها تحت ضغط هجمات العدو الأرضية والقصف المدفعى والصاروخي والجوى.
وقبل إنسحابهم من القرية كانوا قد إستأذنوا حقانى فى إخلاء القرية لعدم تمكنهم من البقاء أو إستلام الإمدادات مع وجود جرحى وشهداء فأذن لهم بذلك. ولكن أحد طلاب العلوم الشرعية الذى كان ضمن قادة الهجوم، ويحمل مخابرة يتولى عبرها الإتصال بحقانى رفض طلب الإنسحاب وصرخ فى المخابرة: (**كيف ننسحب من القرية بعد أن أستولينا عليها؟ لن أنسحب**) .
ثم إنقطع الإتصال به فجأة، ولم يكن من بين الذين عادوا إلي مركز"الشكا" وفشلت كل محاولات الإتصال اللاسلكى معه، فظن الجميع أنه قد إستشهد وأن العدو لابد أن يكون قد نقل جثته إلى خوست، فعم حزن وكآبه على الجميع لفقدان ذلك الشاب الشجاع.
وعند إعادة إحتلال القرية بعد الغروب عثر المجاهدون علي زميلهم الطالب حياً، ولكنه كان فاقد الوعى نتيجة نزف الدماء من جروحه التى لم تكن خطيرة جداً، وكانت المخابرة ماتزال فى يده.
فعم الفرح والتكبير فى جميع المواقع وصرخت بها جميع أجهزه اللاسلكى فى المنطقه، حتى حقانى نفسه شارك فى ذلك الحفل البهيج وكان يضحك مكبراً.
 أمر حقاني رجاله فى قرية "مانجى" أن يبثوا ألغاما بينهم وبين العدو حتى يمنعوه من محاولة إستعادة القرية مرة أخرى أثناء الليل.
وبعد قليل غادر حقانى الجبل متوجهاً إلى مركز خليل.
هبط الليل، فقررت أن أقضيه فوق الجبل مع حاجى إبراهيم، فتمددنا فوق الحصى الناعم الذى يغطى صخور المسجد الصغير فوق الجبل ، وهو مسجد بلا جدران، وتحدد مساحته أحجار صغيره تنحنى تجاه القبلة على شكل محراب.
كان الهواء دافئاً ومعشاً، وأخبار اليوم الماضى كانت جيدة، وسرح خيالى صوب المطار ومدرجه الأبيض اللامع، الذى يبتسم فى سخرية وتحدى، ماذا لو كان عبد الرحمن معى الآن؟ ورحت في نوم عميق لم أفق معه إلا على صوت المؤذن لصلاه الفجر.
الخميس 19 يوليو 90
كان حاجى إبراهيم - وهو طالب سابق للعلوم الشرعية - إمامنا فى صلاة الفجر.
تجولت قليلا فوق قمة الجبل مستغلاً العتمة المتبقية من الليل، فالعدو لن يرانى مهما فعلت، ثم توجهت مع حاجى إبراهيم إلى ذلك المنظار العسكرى العملاق الموضوع تحت الشجرة الشوكية قرب القمة.

كان منظار روسى الصنع من غنائم معركة جاور الشهيرة، وذلك فى مرحلتها الإبتدائية فوق جبل رغبلى، حيث دارت ملحمة بين رجال حقانى وجنود الكوماندوز السوفييت حصلوا خلالها على هذا المنظار وتبادلوا معهم الإستيلاء على الجبل عدة مرات قبل أن يستقر السوفييت عليه فكسبوا المعركة كلها نتيجه لذلك.
كان منظاراً قوياً صافى الرؤية ملئ بالتدريجات المعقدة والرموز الروسية سألنى حاجى إبراهيم ـ (هذا منظار رائع.. كم ياترى ثمنه؟).
فقلت له: (مئة وعشرون شهيداً فى جاور) .
هز رأسه في حزن وحاول أن يبتسم لكنه فشل.
تبادلنا المشاهدة في المنظار وركزنا على شيخ أمير. هذه بيوت القرية المهجورة، ثم طريق ترابى يتدلى منها جهه الجنوب، فى طرفه مبنى حجرى من طابق واحد تهدم معظمه، كان فى السابق مدرسة حكومية ـ تدرس الشيوعية للأطفال ـ وهى الآن جزء من الموقع الدفاعى المتقدم والمكون من خطين من الخنادق الدفاعية شبه الدائرية تتقدمها حقول ألغام كثيفة وعميقة، وهناك عده مواقع تشكل مع شيخ أمير جداراً دفاعياً ضد أى زحف قادم من الجنوب والجنوب الغربى.
هناك دبابات ، ربما أربعة، مختفية بين أطلال القرية المهدمة، بعيداً عن نيران المجاهدين.
لم نشاهد أيه حركة، الوادى رائع الجمال وهادئ تماماً، ذلك الهدؤ يمزق النفس أكثر من القتال العاصف، ذلك لأنه كاذب ومخادع رغم جماله الخلاب.
وسألت نفسى مرة أخرى: هل نعيش حتى نرى ذلك اليوم الذى ندخل فيه ذلك الوادى الرائع في سلام وأمن،و وتصبح تلك الحروب الضاريه وهماً من سراب الماضى.
كم كان ذلك حلماً عذباً بعيد المنال، بل أكثر من بعيد، لذا مازلت حتي لحظة كتابة هذه السطور أشعر بالدهشة والإنبهار عند مرورى فى ذلك الوادى بعد إنتهاء الحرب، لأننى أسير بقدمى داخل الحلم المستحيل، الذى لا أكاد أصدق أنه تحقق رغم أننى ألمسه بيدى وقدمى وأشاهده بعينى، وأسمع بأذني أصوات الكائنات المسالمة الجميلة وهى تمرح فى أرجاؤه غير عابئه بما يحدث أو قد حدث .
كم من المجاهدين الشجعان بذلوا أرواحهم بسخاء من أجل كل صخرة وشجرة وأطلال بيت مهدم؟. مضوا جميعاً بصمت لايدرى عنهم أحد، ولايكاد يتذكرهم إلا القليل من الناس، وتذوى ذكراهم يوماً بعد يوم.
ومن تبقى من هؤلاء الشجعان طواه النسيان ولاتكاد تميزه الأعين بعد أن كان ملء السمع والبصر، وتندك له الجبال وتهتز الجيوش، وتعيا منه الصوريخ والطائرات.
قابلت بعضهم وقد فقد أحد أعضائه، فى الحرب ويحاول الآن جاهداً أن يعثر على قوته وقوت أولاده بعيداً عن ذل السؤال بمهنة حقيرة لايكاد يكون لها دخل.
ومن بقى منهم سليم الأعضاء إضطر إلى مهانة الغربة فى دول الخليج أو باكستان، أوحتى الغربة الأقسى داخل بلده ووطنه الذى أصبح حطاماً شحيح الرزق، وإن كان لاتنقصه العزة والإباء.
تحركت مع إبراهيم صوب مركز خليل سيراً على الأقدام بعد أن غادرنا الزملاء مع السيارة ليلة أمس. فى الطريق داهمتنا الطائرات بقصف عنيف على جميع المواقع، وإزدحمت السماء بالطائرات النفاثة والقاذفات المروحية الثقيلة، كانت الساعة السادسة والربع صباحاً وكنا وقتها

مع "جمال" الرامى الشهير لصواريخ "صقر 20" المصرية، لقد كان نجماً يوم أمس.
قبل الغارات الجوية بدقائق كنت منهمكاً فى تصوير "جمال" ومدفعه الرباعى المواسير، وموقعه المحفور فى الأرض والمحصن بصناديق خشبية فارغة مملؤه بالتراب بعد أن كانت مملؤة سابقاً بصواريخ صقر، وظهر فيما بعد أن الكاميرا كانت خالية، وأن مجهودى الفنى ضاع عبثاً.
مر علينا الدرويش "مصطفى التركى" خبير الأسلحة المتجول وألقى السلام وصافحه الجميع بحرارة، ثم مضي تحت القصف غير عابئ بشئ.
كم كان غريباً حقاً ذلك الرجل التركى. نادراً ما يستخدم السيارة في تجواله ، ويمر على مراكز المجاهدين فى الجبال والشعاب يصلح لهم ما تعطل من أسلحتهم ، ويحمل الأجزاء التالفة فى حقيبته ليعود بها بعد أيام وقد أصلحها فى ورشه بعيدة.
لايأخذ أجراً من أحد، ولا يقبل مدحاً من أحد، فقط كوب الشاي الأخضر . . ثم يمضى.
{{ حتى إستشهاده كان غريباً، فقط ثقب فوق القلب فى حجم رأس الدبوس. لم يصدق أحد أن ذلك كاف للقضاء على ذلك القلب الكبير والجسد القوى ذو العزيمة التركية الخارقة، ولكنه مات فهل نحن كائنات أم سراب؟. ثم دفنوه قريباً من مدفع الشلكا الذى كان يصلحه ، طلقة منه صدمت الجبل، وأرتد منها جزء لايكاد يرى ، رأس دبوس ، قتل إنساناً كبيراً}}.
تحرك معنا جمال وإثنين من رجاله صوب مركز خليل لمقابلة حقانى. أزعجتنا الطائرات كثيراً وإضطررنا إلى الإنتشار والإحتماء بالصخور والجروف ومجارى السيل مرات كثيرة، حتى وصلنا المركز منهكين مشتتين. ولم يكن المركز أسعد حالاً ، ولكن لا إصابات مباشرة ولا ضحايا، حمدنا ا كثيراً.
وبدأت البحث عن "أبو تميم" الذى إتصل بى ليلاً عبر اللاسلكى. وعندما عثرت عليه توجهنا فوراً إلى مسجد المعسكر لتبادل الأخبار بعيداً عن الضوضاء ، وكان حقانى قد غادر في سيارتين إلى مركز القيادة فوق الجبل رغم أن الأجواء ليست آمنه والطيران لم يختف تماماً.
بادرنى أبو تميم بالقول أنه قد أنجز مهمته وأحضر معظم الأشياء اللازمة لمعسكر أبو العباس وأرسلها فعلاً إلى هناك، وأردف بالقول أنه يرغب فى الإشتراك في المعارك الحالية فى الوادى مع جماعات الإقتحام.
عارضته بشدة، وكررت عليه أهمية وخطورة مشروعنا لإغلاق المطار وهو أمر ناقشناه مطولاً وهو محل إتفاق جميع العرب والأفغان.
وأن الإقتحام له أناس كثيرون من أهل المنطقه لهم خبرات كبيرة وشاركوا فى فتوحات ومعارك ضخمة ومنتصرة، وبالتالى لن يضيف هو شيئاً كثيراً بإشتراكه معهم، بينما مشروع المطار ليس له إلا العرب،وأنه أحد الأعمدةالرئيسية للمشروع، ثم تحولت إلى محاضرة نظرية عن خطورة تبديل الهدف أثناء الشروع فى مهمة تكتيكية وأن ذلك قانون هام فى العلم العسكرى.
إستنفذت كل حججى، ولكنه واصل الإبتسام حتى تلألأت أسنانه البيضاء الناصعة، فى وجهه الداكن الوسيم، وطلب منى أن أسامحه وأجيزه. فعلمت أنه حتماً سيفعل ما يريد ولم يكن عندى ما أستطيع عمله سوى أن قلت له : (إفعل ما تشاء) . وقد شعرت بخيبه الأمل لكون الكوادر العربية مازالت تفكر وتتصرف على هذا النحو.

ورأيت وقتها أننى لا أستطيع الإعتماد على أبو تميم وأنه قد يترك المشروع فى أي وقت جريا وراء عمليه إقتحام وربما تسبب ذلك فى إفشال عملنا، هذا إضافه الى عامل آخر هو سؤ علاقته بالآخرين خاصه حاجى إبراهيم وأبو نور وعثمان الصعيدى. وكان يعاتبنى على ثقتى في حاجى إبراهيم وكونى أعامله كواحد من العرب. رغم أن حاجى إبراهيم من أصحاب السمعة الطيبة ،إلى الآن ، فى أوساط المجاهدين الذين إحتك بهم فى أى مكان.
قررت أن أغادر مع حاجى إبراهيم إلى ميرانشاه لكى أتابع موضوع شراء الذخائر الذى تأخر كثيراً، مع موضوعات إدارية أخرى أبحثها مع مبشر مسئول تنظيم القاعده عن قطاع خوست. وقررت أن أطلب منه سحب أبو تميم من مشروع المطار وإستبداله بشخص آخر لتشغيل الراجمة التى لم تصل هى الأخرى!!.

::::: :::::::

وصلنا ميرانشاه فإذا بأصوات إنفجارات وزخات رصاص تدوى في الطرقات شعرت فوراً بالقلق على أسرتى. حاجى إبراهيم سأل المارة عما يحدث فقالوا بأن الميليشيات الحكومية تقاتل أحد تجار الهيروين . خلت الشوارع تقريباً من المارة والسيارات، والدكاكين أغلقت أبوابها بسرعة وكان قد تبقى القليل على آذان الظهر.
المنطقه التى نسكن بها فى ميرنشاه كانت مركز المعركة التى تدور رحاها بين الميليشيات والمهربين، ولا أدرى بدقة ما هو السبب فى سؤ التفاهم ذاك فالمفروض أن هناك تعايشاً وتعاوناً وثيقاً بين الطرفين، وخمنت أنه خلاف على تقاسم الأرباح.
خلف بيت العرب ساحة واسعة عبارة عن سوق ذو أسوار وأبواب لتجارة الخيول، تطل عليه سلسله، دكاكين ومطاعم بدائيه جداً يستخدمها رواد السوق، من البشر طبعاً وليس من الخيل، وقفت الميليشيات على باب السوق الخارجى، ورجال الهيروين تترسوا بالدكاكين، وتبادل الطرفان التراشق بقذائف RPG ورشقات رصاص الكلاشنكوف، ومنطقتنا خاليه تماماً وقد أختبأ الجميع داخل البيوت.
لم نستطيع الوصول إلى بيت العرب أو بيتنا المقابل له تقريباً، لكونهما على الحافة المباشرة للجبهة. فدخلنا مكتب حقانى الرئيسى وهو قلعة ضخمة مليئه بالغرف والمكاتب والمخازن، وعرفنا من هناك قصة المعركة بالتقريب، وحذرونا من الخروج بالأسلحة لأن رجال الميليشيا في رعب شديد ويطلقون النار على أى مسلح وبدون سؤال أو جواب. تركنا أسلحتنا فى المكتب وخرجنا من بابه الخلفى الصغير المفضى إلى زقاق ضيق عبرناه بسرعة وتوجهنا إلى بيت العرب ولم يكن عندهم أيه مشاكل رغم أن ساحة سوق الخيل، تقع مباشرة خلف بيتهم، ثم توجهت بسرعة إلى منزلنا وأنا أتخيل حالة الذعر التى لابد أنها قد إستبدت بهم.
ولكنى وجدت غير ذلك، فالأولاد فرحون لأن "الجهاد" جاء قريباً من بيتهم، ولابد أننى أيضاً جئت مع هذا الجهاد.
حاولت أن أشرح لهم أن لصوص الحكومة فى معركة مع لصوص الهيروين، لكنهم لم يفهموا. لكن أمهم كانت خائفة قليلاً من عواقب تلك الإنفجارات القريبة والتى تصم الآذان، وتحاول منع الأطفال من فتح الباب أو الصعود إلي سور سطح البيت لمراقبة المعركة. وساعدتها في ذلك المجهود وأصدرت أوامرى المشددة لجميع الأطفال بالجلوس داخل إحدى الغرف، وتجاهل هذه المعركة الساخنة التى تدور قرب باب البيت، وقد فعلوا ذلك على مضض.
إجتمعنا ليلاً في بيت العرب وكان مبشر قد دعانا لأكل كمية مناسبة من المانجو الباكستانية

وقد فعلنا بكل ترحاب وسرور.
حضر الإجتماع كل من أبو النور وطلحة، فجلسنا نناقش مشروعنا والخطوات التى قطعناها، وتلك الإجراءات المتأخرة، ولكنني فوجئت أن أبو نور يشكك في مشروعنا بأنه مدفوع من الخارج!! ويخدم خطة دولية ! ! ، فرددت عليه بجفاء، وتهكم وذكرته أنه جاء من مصر منذ أيام قليلة فقط، ودخل معنا الجبهة لأول مرة في حياته، فكيف توصل إلى هذا الإستنتاج الرهيب فى تلك المدة الوجيزة والخبرة التافهه؟. وأظنني ذكرت له أنه ليس هناك أسوأ من الجاهل عندما يتعالم أو الغبى عندما يتذاكى، ومع ذلك فقد جعلتنى كلماته تلك أقضى ليله سيئة، لأننى لم أتوقعها منه فقد كنت أعامله كما أعمل أخاه الأصغر أبو اليسر الذى له فى نفسى مكانة كبيرة.
الجمعه 20 يوليو 90
فى الصباح قابلت مبشر فى بيت العرب وطلبت منه سحب أبو تميم وأبو نور من مشروع المطار وإستبدالهما بآخرين.
الأول لتململه وسؤ علاقاته مع الآخرين، والآخر لكونه متشكك فى دوافع العملية ويري أنها مدفوعة من الخارج وبالتالى لا معنى لإلحاقه بذلك العمل.
لم يعطنى مبشر جواباً قاطعاً وطلب التأجيل كالعادة، ولم يتخذ أى إجراء فى هذا الصدد حتى نهاية العملية. بل حدث ماهو أسوأ فبينما عمليتنا فى أوجها إستدعت القاعدة جميع كوادرها في الجبهات نتيجه تداعيات الوضع فى الخليج بعد الغزو العراقي للكويت.
ولم يكن مصير مشروعنا بعد ذلك الإجراء موضع إهتمام أحد.
سوف نرى هذه المشكلة في وقتها، ولكن رغم نجاح مشروع المطار بشكل كامل، وساحق وبدون أيه خسائر فى الأرواح أو المعدات، ورغم مرور سنوات علي إنتهاء حرب أفغانستان وجدت بين كوادر القاعدة من يلمز مشروع المطار - وهو يقصد قيادتى لهذا المشروع - بأنه كان غارقاً فى الفوضى الإدارية وتضارب الإختصاصات.
لقد حدث شئ من ذلك، بل كان من المستحيل في مثل الظروف التي نفذنا فيها المشروع ألا يحدث شيئ من الإضطراب الإداري وتداخل الإختصاصات، بل أن ذلك مرض شبه دائم في حرب العصابات بشكل عام، فما بالك بمشروع تم بدون تعاون كامل من العرب، بل تم "بموزاييك" عربى غريب الشكل، فمع أفراد القاعدة هناك أفراد من تنظيم الجهاد المصرى، ثم أفراد من جماعة أبو الحارث وهم متعددى الجنسيات، وبعضهم مجرد عابر سبيل جاء إلى أفغانستان لأول مرة وربما كان قد تلقى تدريباً أولياً فقط.
وكان أصعب تعامل بالنسبه لي هو تعاملى مع القاعده لكونها لم تلتزم بشراء وتوريد الذخائر فى موعدها فكاد ذلك أن يودى بالمشروع فى لحظته الحرجة لولا تدخل أحد كوادر القاعدة من العسكريين وليس الإداريين وبشكل شخصي بحت لإنتهى مشروعنا إلى فشل مؤكد. كذلك لم تلتزم القاعدة بالتزام مسبق وهو تثبيت الأفراد الملحقين بالمشروع وعدم سحبهم أو تكليفهم بأى مهام أخرى قبل أن ينتهى المشروع - أى لمدة شهر كامل من العمليات.
إذا أضفنا إلى ذلك حساسية الشباب المنتمين إلى تنظيمات إزاء العمل إلى جوار مخالفين في الإنتماء التنظيمى مما يجعل المشروعات المشتركة عرضة لإحتكاكات وتنازع سواء كانت الإختصاصات متداخلة فعلاً أم لا، وسواء كانت الحالة الإدارية مضطربة أصلاً أم مضطربة بفعل تلك التحرشات.

وفي مشروعنا هذا شهدنا تحرشات مزدوجه منها ماهو داخلى بين شباب القاعده أنفسهم ومنها ما هو بين شباب القاعدة وجماعة أبو الحارث. حتى أن العديد من هذا الجانب أو ذاك قدم لى بعض الشكاوى طالباً إعفائه من العمل في المشروع أو التخلص من الطرف المنافس له.
أما الشكاوى من الأفغان المتحالفين معنا في المشروع فهى لم تكد تنتهى من جانب إخواننا العرب إجمالاً والمنتمين منهم إلى القاعده بشكل خاص، وكانت محاولاتى لإطفاء تلك المشاكل أو تسكينها تستهلك جانباً لابأس به من مجهودى العام، لذا اعتبر إن مجرد إكمال المشروع فى مثل تلك الأجواء كان إنجازاً هائلاً نحمد ا عليه ،ونتذكر قوله تعالى (ولو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم) .
لا يعني ذلك أننا نجحنا لأننا تمكنا من القضاء على تلك المشاكل فذلك كان مستحيلاً وقتها وأظن أنه سيظل مستحيلاً فى المستقبل بحكم الطبيعة البشرية علي الأقل، أو بحكم التربية والفهم الخاطئين فى الجانب العربى، ولكن نجاحنا يتمثل فى القدرة على إتمام مشروع خطير بهذا الشكل رغماً عن هذه المشكلات التى خففنا من حدتها قدر المستطاع أولا ، ثم تعايشنا معها ثانياً لمدة أسابيع قليلة هى مدة الإعداد للعمليات ثم فترة الإشتباكات.
وهو ما أراه نعمة جزيلة من ا سبحانه وتعالى التى لولا أنه نصرنا على سيئات أعمالنا وشرور أنفسنا، لما تمكنا فى إكمال مشروعنا.
وفى كثير من المناقشات مع زملاء المشروع كنت أحاول توضيح فكرة كانت غريبة عليهم تماماً ، أو هكذا بدا لى، وهو أنه لايمكننا أن نعالج كل أوجه القصور عندنا أو عند حلفائنا الأفغان في عمليتنا تلك، لذا علينا القبول بأننا سنمضى فى تنفيذ العملية رغم أخطاء نراها ولا نملك لها حلاً شافياً، لأن البديل الوحيد هو إلغاء العملية وهو ما لايمكننا القبول به، لأنه خيانة لواجبنا فى نصرة هذا الجهاد،ولأن إخواننا المجاهدين الأفغان بمفردهم لا يمكنهم تنفيذ هذه المهمة تحديداً على وجهها الأكمل.
لقد إستوعب إخواننا هذه الحقيقة ولكن بدرجات مختلفة. ولكن حتى أدراكى لهذا الحقيقة لم يمنع من كونى كنت على وشك إلغاء العملية فى مناسبتين على الأقل نتيجه ضعف تجاوب مبشر والقاعدة عموماً مع عمليتنا هذه.
ولم أطلع أحداً علي هواجسى تلك سوى زوجتى وكنت وقتها فى حاله نفسية غاية في السوء، ولكنها شجعتني كثيراً وطردت من ذهنى ذلك الهاجس بإلغاء العملية وذكرتني بمسئوليتى الخطيرة إزاء ذلك الإنسحاب والتقصير فى حق الجهاد والمجاهدين.
لذا أعتبرها ذات فضل خاص على وأنها وراء قدرتى على الإستمرار في عملية مشروع المطار وإلى فتح مدينة خوست في العام التالى، وأظن أنه لولا تشجيعها لما أستطعت الإستمرار

::::::: ::::::: :::::::

كل هذا الإستطراد هدفى منه توضيح أن الجهاد هو عبادة يقوم بها بشر.
لذا يتلبس بأوجه التقصير البشرية وأوجه ضعف البشر وبالتالى فإن الطعن فى الجهاد لكونه قد تلبس بشوائب بشرية هى دعوى كريهة لاترمى سوى لتعطيل هذه الفريضة نفسها.
فالإنسان مكون من مادةحقيرة هى الطين، وعنصر ربانى هو الروح. لذا فإن كل نشاطاته وأعماله يتجلى فيها كلا العنصرين، بدرجات متفاوته، وقليلاً جداً أن تأتى تلك الأعمال طيناً خالصاً أو روحاً خالصة، إلا مع أنواع خاصه جداً من البشر، أو فى لحظات خاصه جداً للإنسان الواحد.

ـ ـ وبعد هذا الفاصل الفلسفى أقول أنه لولا المساهمات التى قدمتها القاعدة ما كان يمكن لهذا المشروع أن يرى النور. وكذلك بالنسبة لمساهمات أبو الحارث وجماعته، وأفراد "الجهاد" القلائل الذين إنضموا للمشروع.
بل رغم أن المشروع كان عربياً ، أى مسئولية العرب، إلا أن مساهمات المجاهدين الأفغان فيه كانت على أقصى درجات الأهمية، ولولاها لكان مشروعنا على درجة من التفاهة والركاكة التى تجعلنى أخجل من مجرد ذكره.
ليس هذا فقط بل أن مساهمات أبو تميم ،رحمه ا ، وأبو نور، كانت كبيرة ومهمة وبذل كلاهما مجهوداً كبيراً لاشك فيه.
وكذلك فعل جميع من شاركوا فى المشروع بلا إستثناء رغم أن كثيراً منهم كان طرفاً في وقت ما فى مشادة ما، وذلك أمر طبيعى ومفهوم إذا أدركنا أننا مجرد بشر محدودى القدرة، ضعفاء فى ذاتنا، وأقوياء فقط بما نعتقده.

الجمعه 20 يوليو 90

عثمان غادر إلى بشاور لإجراء إتصال مع جماعته هناك، فأوصيته بإحضار عدد من أفلام التصوير الملونة وأعداد من"النشرة الإخبارية" التى تصدرها القاعده فى بشاور.
أما حاجى إبراهيم فقد طلبت منه البحث عن مترجم آخر ليساعده فى عملة، فقال أن هناك شاب من منطقته يدعى عبد الحميد، قضى فترة طويلة منذ طفولته فى منطقة الخليج. وقال أنه سيحضره لمقابلتى فى الغد.

السبت 21 يوليو 90

إستطعت اليوم صباحاً توفير سيارة لنقل أفراد الأسرة لزيارة قبر إبنى خالد الذى مضى على إستشهاده عامين تقريباً، فى حادث إنفجار قنبلة طائرة فى جاور.
تحلقت أسرتنا حول قبر خالد، وتحلق حولنا وخلالنا عدد كبير من أطفال الحى المجاور.
كادت المقابر تلامس البيوت بعد أن توسعت بشكل كبير، نتيجة حدة المعارك فى خوست.
وقد دفن هناك الكثير من الشباب العرب والباكستانيين، وقبور هؤلاء لاتحمل أي علامات، أو لوحات بأسماء المدفونين، على خلاف قبور الأفغان. لهذا كنت أجد بعض الصعوبة في العثور على قبر إبنى خالد، إذا تأخرت عن زيارته بعض الوقت، لولا أن بعض أطفال الحى أصبحوا يعرفوننى ويعرفون قبر خالد وإسمه.
وكانوا في كل مرة تقريباً، يستقبلوننى على مدخل المقبرة ويصاحبوننى وهم يشيرون بأيديهم ويذكرون إسم خالد حتى نصل إلى قبره، قرأ أولادى الصغار ما تيسر لهم من القرآن الكريم وكذلك فعل أطفال الحى وكلهم يدرس فى مدرسة دينية قريبة.
لكن زوجتى غمرتها موجه حزن عجيبه لازمتها لعدة أيام، وتخفيفاً عنها صحبتها والأولاد جميعاً إلى بيت حقانى لقضاء ساعات محببة إليهم مع نساء وأطفال القبيلة هناك.
بدأ مبشر وطلحة فى تنفيذ إحد بنود إتفاق أمس الأول، وهو تزويد نقطه الترصد، بمغارة صغيرة لحفظ بعض المعدات والأمتعة من الأمطار وشظايا قنابل الطائرات، فغادر الإثنان ميرانشاه صوب منطقه باري للإتفاق مع واحدة من مجموعات الحفريات المنتشرة هناك لإنجاز العمل المطلوب.
قليلون هم الذين إنتبهوا إلى خطورة الدور الذي تضطلع به مجموعات الحفريات، فى تلك المرحلة ، خاصة في مناطق الجبال جنوب وشرق خوست. بعد التوسع الكبير لمناطق

المجاهدين، والذى رافقه توسع كبير فى حجم وقوة الضربات الجوية والصاروخية من القوات الشيوعية. كان مركز خليل فى بارى هو القلب النابض لمنطق الجنوب والشرق، وأصبح مركز اللوجستيك والإدارة ساحباً تلك الإختصاصات من قاعده جاور التى تخصصت فى القيام بنفس الدور لمناطق غرب خوست، وشمالها أحياناً، ثم المنطقة حول جرديز فى سرانا وستى كندو.
كان مركز خليل هدفاً هاماً لضربات العدو، فعالج حقانى المشكلة بكثرة الحفريات وإنشاء المغارات ذات الأنفاق الإرتباطية وقد زودته خبرته فى جاور بالتقنيات الضرورية.
وإنتشرت المغارات فى طول تلك المناطق وعرضها في جميع مراكز المجاهدين فى الجنوب خاصة و بشكل غير مسبوق فى أى منطقه أخرى. فإنشترت بالتالى مجموعات الحفريات والطريف من أمور تلك المجموعات كون معظمها من محافظة واحدة هى محافظه وردك الواقعة غرب كابل. الشئ الآخر هو كون كل مجموعة تنتمى غالباً إلى أسرة واحده أو عائلة واحده ولاتتخطي بحال نطاق القرية الواحدة.
وإلى جانب القوة الجسدية ، يتمتع أفراد تلك المجموعات أو" الشركات الأسرية المحدودة" بمهارة إستخدام المتفجرات لشق المغارات داخل الصخور، وتلك مهارة تتجسد علي الأخص فى "مدير" الشركة، الذى له كامل صلاحيات كبير العائلة أو شيخ القلبيلة داخل مجموعته.
لقد إنتبه النظام فى كابل الي خطورة تلك "الشركات" وطلب منهم رئيس الجمهورية نجيب ا العودة إلي كابل مع تعويضهم عن عملهم هذا، الذى عزى إليه فشل سلاح الطيران وصواريخ سكود عن إبادة المجاهدين حول خوست.
وفقد أعصابه فى أحد المرات وهو يوجه اليهم نداء عبر إذاعة كابل بأن نعتهم بأولاد الفئران فأثار ضحكات المجاهدين فى خوست، كما أثار نقمه أعضاء تلك الشركات فزاد حماسهم للعمل وتكاثرت شركاتهم التى لاقت رواجاً كبيراً.
:::::: ::::::: ::::::::
فى سيارتنا التى يقودها أبو طلحة ، وهى سيارة أعارها لنا حقانى طوال مدة المشروع تتميز بكثرة الإعطال، تحركنا صوب باري وقد إنضم إلى مشروعنا شابين جديدن رافقانا فى الرحلة أولهما يدعي صلاح الدين وهو شاب بسيط للغاية وغير متعلم، والآخر أبو الشهيد القطرى وهوشاب مثقف من قطر ،عظيم الذكاء والشجاعة وذو همة عالية، فرحت برفقته كثيراً فى هذا المشروع. وإعتمدت عليه فى كثير من الخطوات الهامة، وكنت أتوقع له مستقلاً كبيراً فى مجال العمل الجهادى، ولكنه للأسف إستشهد بعد أيام قليلة من إنتهاء مشروعنا.
ـ ـ أنزلتنى السيارة أسفل جبل القيادة الذى يستخدمه حقانى ومضت لإستكمال مهماتها. كنت أرغب في مقابلة حقانى لأطلب منه بعض المساعدات لإستكمال عمليتنا. كنت قد قدرت العدد الإجمالى للمشاركين بأربعين شخصاً. وقدرت أنه لو إستطعنا توفير نصف هذا العدد من العرب فسوف يكون إنجازاً كبيراً ، بحيث يعملون كأفراد أساسيين فى نقطه الترصد وموقع راجمتى الصواريخ، أما النصف الآخر والمفروض أن يكون فى الأعمال المساعدة والحراسات فكنت أنوى أن يكونوا من رجال حقاني الموثوقين ، وأن يأتوا بأسلحتهم الخفيفة وأن يزودنا حقاني بتسليح شخصى لأفراد العملية من العرب أى عشرين كلاشنكوف مع مستلزماتها من جعب الذخيرة، مع ما يمكن توفيره من "إكسسوارات" مثل القنابل اليدوية أو الحراب.
كنت أيضاً أرغب فى متابعة هجوم وشيك على "شيخ أمير"، فقد أخبرنى الكوماندان جولاب الكوتشى أن المجاهدين قد تقربوا بالخنادق صوب موقع شيخ أمير أكثر من ذى قبل وربما

يهاجمون مساء اليوم أو صباح الغد.
تقطعت أنفاسنا ونحن نصعد صوب القمة، سائرين على الطريق الواسع الذى شقته"الهندسة العسكرية" التابعة لحقانى، حتى تصعد السيارات إلى قرب قمة الجبل، الطريق غير جيد التمهيد لكنه سهل كثيراً إستخدام قمة الجبل ونقل الأفراد والمهمات إليها بسرعة. صادفنا الجنرال إمام والرجل الغوريلا الذى يحرسه، وكان غارقاً في تأملاته عندما وجدنى أمامه ومعى رفيقاى أبو الشهيد وصلاح الدين فصافحنا جميعاً بعد أن ألقى التحية، وكان لابد أن أقول له شيئاً فسألته عن الأخبار "هناك"، فقال بجدية وحكمة عسكرية: { إن العدو قدم أربع دبابات إلي شيخ أمير فعرقل ذلك عمل المجاهدين (وإننا) نقصف بصقر (ونفكر) فيما يجب عمله} .ثم ودعنا وإنصرف وهو واثق أنه ترك فى نفوسنا الأثر المطلوب بأنه هو الممسك بزمام الأمور فى المنطقة.
كنت أعلم أنه يكذب علينا كالعادة كى يعطى نفسه أهمية أكثر من اللازم، فالدبابات التى يتكلم عنها موجودة منذ مدة طويلة بين خرائب القرية خلف مواقع قتال العدو كى تقدم له إسناداً نارياً لا أكثر، وكذلك تفعل دبابات المجاهدين، فالجميع يستخدم الدبابات كمدافع متحركه ليس إلا، وليس هذا بالشئ الجديد وليس بالمفاجأة التى تعطل الهجوم.
هناك إذاً سر آخر وراء تعطيل الهجوم. أما قوله نحن نقصف بصواريخ صقر، فهذا إجراء روتينى يقوم به صديقنا جمال بما يلزم علي خير وجه عندما يطلب منه حقانى ذلك، فقط يذكر له ما يريد تدميره.
وصلنا إلى القمة فتوجهت مباشرة إلى عبد العزيز أسأله عما حدث فأجابنى بشئ من العبوس ، لكون الأخبار سيئة: (إن الهجوم قد تعطل بسبب تعطل دبابات المجاهدين) .
كان حقانى فى غاية الإنشغال مع كثيرين حوله ومع صياحات على أجهزة المخابرة الصغيرة و الكبيرة، كان حقانى عابساً وإختفت البسمات عن الوجوه، قلت فى نفسى:
إنها كارثه جديدة فى شيخ أمير، وهكذا هى المواقع المنيعة ، ولكنها تسقط في أحدى تلك المحاولات.
كنت أترك حقانى ولا أحاول التحدث معه فى مثل تلك الظروف إلى أن أجده هادئاً فى مكان آخر، لذا تركته يتحرك مع قافلة السيارات المرافقة، وقد أسدل الليل سدوله وتحرك الجميع إلى مركز خليل.
كان صديقى أبو الحارث هناك على سطح الجبل ومعه إثنان من شباب مجموعته، كانت معلوماته عما حدث قليله جداً. هبطنا جميعاً أسفل الجبل فى طريقنا إلي مركز خليل عسى أن نتمكن من الحديث إلي حقانى صباح الغد.
على المدق الضيق أدركتنا سيارة مزدحمة بالمجاهدين لكنها توقفت وتصايحوا علينا أن نركب معهم ، وكانوا يعرفوننى ويعرفون أبو الحارث أكثر منى ، وحاول بعضهم أن يتخلى لنا عن مكانه لكننا رفضنا بشهامة، وتعلقنا بما أمكننا التشبث به من قطع حديد أو أجساد بشرية، وفي المطبات القاسية يتضاحك الجميع بمرح، ولكننى كنت أفضل من صميم قلبى لو أننى قطعت المسافة سيراً علي الأقدام، لكنه الكرم الأفغانى الذى لامهرب منه إلا الموت أحياناً.
وكاد الموت أن يدهمنا عدة مرات عندما أدركتنا الطائرات، وقصفت حولنا فضطر السائق إلى إطفاء الأنوار والتوقف عن المسير مع كل هجمة، إلى أن وصلنا المعسكر الذى تعرض هو

الآخر لعدد من الهجمات، وسقطت قنابل عديدة فوق قممه بدون أن تصيب أهدافاً فى شعابه أو مغاراته.
لم نلبث فى المعسكر إلا قليلاً حتى إشتدت الغارات الجوية وتوالت، فدخلنا إلى إحدى المغارات الحصينة، وإستمرت الأزمه طويلاً وشملت جميع المراكز حتى أن الرمايات المدفعية بأنواعها توقفت تماماً وشمل السكون القهرى جميع مراكز المجاهدين، ثم بدأت الطائرات تهبط علي مدرج المطار، ونحن نسمع أصوات الهبوط والإقلاع المتوالى، ولم تتدخل مدفعية المجاهدين، وكأن الناس قد رحلوا، وليس إلى جانب أصوات طائرات النقل العسكرية سوى أصوات الطائرات النفاثة وقصف القنابل الثقيلة والعنقودية.
وقد وصفت ذلك القصف فى مذكرتى بأنه (قصف لم أرى له مثيلاً) لقد تمكن الطيران من إسكات مدفعية المجاهدين وإفساح المجال واسعاً لطائرات النقل العسكرية كى تستخدم المطار بكل حرية، شعرت بهبوط معنوى كبير وأنا أتخيل مثل هذا القصف فوق مواقعنا أثناء العملية القادمة ضد المطار، فكيف نواجه هذه المصيبة؟. أخذت أفكر فى الحلول الممكنة. فكرت فى عمل سحابات من الدخان، وكذلك فى عمل سواتر ترابية مرتفعة حول الراجمات، فوميض الصواريخ المنطلقة من الراجمات وتتابعها، يجعلها هدفاً سهلاً للطائرات، خاصة وأن ظلام الليل يزيد ذلك الوميض وضوحاً بشكل فضائحى، كيف نحمي الأفراد والذخائر والراجمة ونواصل العمل تحت قصف مثل هذا ؟؟.
كان نومى متقطعاً طوال الليل بسبب شدة القصف الجوى الذى لم يكد أن ينقطع.

<u>الاثنين 23 يوليو 90</u>

إستيقظنا لصلاة الفجر ولم أكن قد نمت سوى قليلاً. إلى الغرب من مدخل المعسكر وعلى مسافة مئتى متر هضبة تكسوها الشجيرات حفروا بها نفقاً صغيراً وغرفتين، جعلوا منها عيادة طبيه قام عليها طبيبان من الجزائر، صلينا معهما الفجر ثم نمت داخل الخيمة مع أبو الحارث وكانت أمام باب المغارة بين الشجيرات.
أيقظونى بعد الشروق لتناول الافطار،وكان عبارة عن شاى أخضر مع الخبز الطازج.
ذهب لمقابلة حقاني فى مغارته المرتفعة في مركز خليل ولكنه كان قد غادر إلي ميرانشاه، فقابلت عبد العزيز ضابط اللاسلكى فحصلت منه علي بعض أخبار معركة الأمس فى شيخ أمير، فقال أن هناك 12 شهيداً وجرحى كثيرون وأن "على جول" قد أصابته شظية صغيرة من قذيفة هاون مازالت مستقرة فى يده، أما عن هبوط الطائرات أمس فقال أن طائرتان فقط هبطتا ليله أمس فى المطار .(**ولكن فى إعتقادى أنهم اكثر من عشر طائرات**)، وربما أنه لم يتابع ما يحدث في المطار نظراً لانشغاله بمعارك شيخ أمير التى قال بأن خمسه دبابات شاركت فيها ولكنها تقدمت علي محور واحد بدلا من محورين كما كان مفترضاً، كما أنها إنسحبت قبل أن ينسحب المجاهدين وكان عددهم 150 مجاهداً فحدثت بهم إصابات كثيرة من مدفعية العدو
عند العصر غادر خليل إلى ميرانشاه وإصطحب أبو الحارث معه لمقابلة حقانى.
وبعد قليل وجدت سيارة نقلتنى إلي مركز أبو العباس حيث زملاؤنا الجدد، وهناك وجدت مبشر وأبو تميم وأبو نور.
تولى مبشر تلخيص ماحدث فى شيخ أمير طبقاً لمشاهدات أبو تميم الذى شارك فى الهجوم وكان ضمن جماعة "فايز محمد" التابعه لحكمت يار (حزب إسلامى) ، فقال بأن جماعتهم قد تعرضت للخيانة من جانب دبابات حقاني التى إنسحبت من العملية بدون أن تشارك فيها.

وعلق مبشر قائلاً بأنه يشك فى كلا الطرفين.
كنت أشعر بالغضب على أبو تميم وأبو النور فلم أشأ التوسع فى النقاش وإكتفيت بالقول لمبشر، سنذهب إلى حقانى لسؤاله عما حدث.
وذكر أبو تميم ملخصاً ما حدث وكيف أن (جماعة الحزب) قد وصلوا إلى المنطقة وإنتظروا الدبابات التى لم تصل فأجلوا موعد الهجوم إلى وقت آخر ولكن الدبابات لم تصل، فإنسحبوا بينما فايز محمد يصيح: (حرام..حرام.. خيانة.. خيانة).
لم أسترح لمسرحية فايز محمد، وشككت فى أنها تصنعاً لامبرر له، فكم من هجمات فشلت أو تأجلت لأسباب مختلفة، ولم يظهر أبداً ممثل مسرحى كى يلقى قطعاً درامية كهذه، هذا إضافة إلي أن الخلفية التى عندى عن هذا الشخص جعلتني أشك فى أن له دوراً خبيثاً فيما حدث.
لكننى لم أصرح بذلك لتعاطف عرب "القاعده" الشديد مع حكمتيار وقائده فايز محمد. فطلبت التأجيل حتى نسأل حقانى ونستجوبه عما حدث.

الثلاثاء 24 يوليو 90

فى الصباح بدأت جلسة عمل مع جميع العاملين فى المشروع شرحت لأبو الشهيد وصلاح الدين فكرة المشروع والهدف منه.
ثم للجميع شرحت تكتيكات الإرهاق التى يتبعها طيران العدو ضد مراكز مدفعية المجاهدين حتى يمكن الطائرات النقل العسكري هبوطاً آمناً فى المطار، وكيف أن القصف الجوى ضد مراكز المدفعية يبدأ قبل الغروب بقليل ويستمر إلي بعد الفجر بقليل.
والنتيجة أن مواقع المجاهدين يصيبها الإعياء فتتوقف عن العمل قبل منصف الليل، أما النصف الآخر من الليل فيكون مفتوحاً تماماً للطائرات النقل حتي تستخدم المطار، وأيضاً تحت تغطية قوية من القصف الجوى علي مراكز المجاهدين التى صمتت.
من ناحية الذخائر فإن الإحتياط الذى نبنيه منها، ألفى قذيفه، يكفى حسب ظننا حتى لانعانى من أى نقص طيله مدة العمليات ومدتها شهر من الإغلاق الكامل والمستمر للمطار.
أما لتفادى إرهاق فيلزمنا وجود طاقمان يتناوبان العمل على الراجمة الواحدة، يعمل أحدها النصف الأول من الليل، والطاقم الثاني للنصف الأخير من الليل حتى الفجر.
أى أننا لراجمتينا نحتاج إلى أربعه أطقم، وهناك شك فى أن نحصل علي أكثر من طاقمين فيلزم تدريب طاقمين آخرين قبل بدء العمليات، وإن يكون التدريب في نفس معسكرنا هذا " أبو العباس".
وللحماية من القصف الجوى أثناء العمل علي الراجمة، قلت بأننا سنحيط الراجمه بأكياس الرمال ونجعلها على مقربة من مدخل المغارة على قدر الإمكان، وأن نحيط الطريق الواصل بينها وبين فم المغارة بأكياس الرمال أيضاً، وأن طاقم الرماية سوف يستخدم لوحة مفاتيح الإطلاق وهم داخل المغارة قرب الباب وأمامهم أكياس الرمال، لذا طورنا لوحة مفاتيح بأسلاك أما القذائف الجاهزة للتركيب فى الراجمة والتى زودت بصواعق التفجير فتبقى داخل المغارة خلف الطاقم وليس فى الخارج قرب الراجمة كما يحدث عادة.
ولحماية مخزوننا الرئيسى من الذخائر فإنه سوف يخزن في نفق إرتباطى هو أكثر الأماكن لدينا تحصيناً وأمناً بالنسبة لأى قصف جوى.
لم يسبق لى أو لأحد من مجموعتنا فى مشروع المطار أن رأى مثل هذه التحصينات، خاصة

لراجمة. بشكل عام كان هناك إحساس أنها إجراءات مبالغ فيها، وقد أشرفت بكل إصرار على تنفيذها حرفياً كما أتخيلها، وفى الحقيقة كان الجميع غاية الحماس فى العمل، فقد ناقشنا بإستفاضه كل إجراء نريد إتخاذه والأسباب التى دعت إليه، كان شعور الجميع أننا أمام تجربة جديدة فريدة من نوعها، وقد كانت فعلاً كذلك.

فى نفس اليوم عقدت جلستين منفصلتين مع تميم ثم أبو نور لتصفية الأجواء معهما حتى نستطيع العمل معاً، بدون كراهية دفينة.

فأعدت على مسامع أبو تميم محاضرتى السابقه له عن خطورة تغيير الهدف أثناء الشروع في العمل، فأعتذر بتهذيب زائد وصالحنى.

أما أبو نور فأردت إقناعه بأننا لسنا عملاء مدفوعين، من قوي عالمية لإغلاق مطار خوست، فسارع إلى الإعتذار بأن تعبيراته قد خانته، فوافقت وإنتهى الأمر.

إنتهينا من إجتماعاتنا التى إستمرت من بعد صلاة الفجر إلى وقت الضحى، قررنا التوجه إلي ميرانشاه لرؤية حقانى لبحث عدة موضوعات معه على رأسها ما حدث فى شيخ أمير.

فى الطريق سوف نمر على الراجمة القريبة لجماعة" مالى خان" ثم مركز خليل.

مركز الراجمة قريب على بعد دقائق، وهناك قابلنا الطاقم وسألونا أن نمدهم بالقذائف لأن معارك الليلة الماضية قد إستنفزت ما عندهم ولم يتبقى لديهم سوى سبعة صواريخ فقط.

فقفزت الي ذهنى مأساه جلال آباد وتحول العرب إلي خزينة المعركة بدون ضابط أو رابط، لم نكن ننوى أن أو نستطيع أن نكرر نفس المهزلة.

فأفهمناهم بهدؤ ورقة أن إتفاق الذخائر يسرى فقط علي عملية المطار، وتحديدا للإشتباكات الليلية ضده. وأن إمكاناتنا متواضعة للغاية لذا لا نستطيع أن نتوسع أكثر من ذلك .

ظهر على وجوههم أنهم أيضاً صدموا من الإتفاق وكانوا يأملون فيما هو أفضل من ذلك. وفى الحال تقدم مبشر بما يخفف من صدمتهم والحفاظ على حماسهم للعمل معنا فوعدهم بتقديم معونات غذائية كلما تيسر ذلك، إنفجرت أساريرهم مرة أخرى فقات لهم أن مبشر لن يقصر بإمدادهم بكل ما يمكن من مواد غذائية وأننا سنتابعه في ذلك الأمر نيابةعنهم فسرهم ذلك كثيراً ، كما سرنى أن يكون مبشر وليس نحن هنا إلى جوارهم ، هدفاً للمراجعة المستمرة.

لم ينزعج مبشر من ذلك، لأن مراجعات كثيرة من هذا النوع كانت جزءاً فى روتين عمله اليومي فى ميرانشاه.

فى الطريق إعترضنا سرب كبير من طيور الحبارى"الزركا"، عبرت الوادى الضيق بخطواتها السريعة، صاعدة هضاب الجانب الآخر من الطريق متخلله أشجارة الكثيفة،أوقف مبشر السيارة وهبط الجميع شاهرى السلاح، وحاولوا مطاردة الطيور الجميلة وأطلقوا بعض الأعيرة النارية ، ظللت جالساً فى مكانى حتى عادوا مكللين بالفشل، لم أخفى شماتتى بهم متمنياً لهم حظاً أفضل فى صيد الطائرات من مدرج مطار خوست.

 فى مركز خليل توقفنا قليلاً للتزود بالأخبار، وجاءنا الخبر اليقين علي شكل صاروخ بعيد المدى أطلقته طائرة فأصاب أحد التلال القريبة كما أصاب الجميع بالهلع، لكونهم لم يكتشفوا وجود الطائرة النفاثه إلا بعد إنفجار الصاروخ فعلاً. كانت أول فرصه أتعرف فيها على ذلك الصاروخ، وتقابلنا بعد ذلك مراراً في مناسبات حارة.

وصلنا ميرانشاه ولم نستطيع مقابلة حقانى ليلاً، فأجلنا المحاولة إلى الغد.

الخميس 26 يوليو 90

إمتد بنا الإجتماع مع حقانى من قبل العصر إلى ما قبل العشاء وتحدثنا معه طويلاً، وحضر الجلسه مبشر وأبو تميم، وكان على رأس الموضوعات معركة شيخ أمير وما حدث فيها ، خاصة الإتهام الموجه إلى جماعته بأنهم خذلوا جماعة الحزب بقياده فايز محمد فرفضوا المشاركة بالدبابات وسحبوها بدون أن يطلقوا منها طلقة واحدة بينما جماعه فايز محمد وجماعته في خط القتال، وأشرت إلى أبو تميم على أنه شاهد عيان على ماحدث.

فقال حقاني أن النقطة الأساسية فى الموضوع هى كون الدبابات لايمكنها المشاركة فى هذه المعركة إلا تحت ستار الظلام، لكون المنطقة مسطحة، يمكن للعدو أحراق دباباتنا فيها بسهولة إذا كان القتال يتم فى ضوء النهار، وكان عند فايز محمد مشكلة أخرى كما ذكر هو بأنه لايستطيع أن يسيطر على رجاله فى القتال الليلى وأن أكثرهم يهربون أو يتقاعسون لذا يفضل أن تكون المعركة فى ضوء النهار، وكان الحل المشترك هو أن تؤدى الدبابات عملها قبل بزوغ النهار ثم يهاجم المشاة مع أول ضوء وتنسحب الدبابات قبل أن يفضحها ضوء الشمس.

ـ فى المحاولة الأولى تأخر وصل الدبابات إلى مواقعها المحددة ساعتين كاملتين بسبب أنهم غيروا خط سيرهم المفترض، وكانوا يتقدمون علي محورين للهجوم على شيخ أمير، فأكتشفوا أن واحد من الطرق كان ملغماً بألغام ضد الدبابات، والآخر يعترضه جرف ذو زاوية كبيرة جعل عبور الدبابة مستحيلاً.

وإلى أن وجدوا طرقاً بديلة كانت أضواء الصباح تغمر المنطقه فانسحت الدبابات مسرعة حتي لا يصطادها العدو فريسة سهلة وهى موضع مكشوف تماماً، وإتفقنا مع جماعه فايز محمد على تأجيل الهجوم إلى الليلة التالية عند الغروب. وفى الوقت المحدد وصلت الدبابات الخمسة إلي مواقعها المحددة لكن جماعة فايز محمد رفضوا العمل ليلاً، فعرض عليهم حقانى أن يدفع رجاله للهجوم على شيخ أمير والإستيلاء عليها، ثم يتولو هم الدفاع عنها بعد ذلك ولكنهم إستمروا فى الرفض وأنسحبوا من المنطقة.

بعد هذا العرض لم يكن لدى أبو تميم ، شاهد العيان على المعركة ، أى تعليق. وقال لى بعد الجلسة إن سماع طرفى المشكلة شئ هام لمعرفة الحقيقة. وكان مقتنعاً بما قال حقاني، أو على الأقل تخلى عن فكرة المؤامرةأو الخيانة التى جاء بها من شيخ أمير.

تطور حديثنا مع حقانى بعد ذلك عن الموضوعات الأخرى ومنها الحصول على عشرين كلاشنكوف لتسليح العرب فى عملية المطار وإمدادنا بعشرين مجاهداً من رجاله، ثم تحولنا إلي الوساطة بينه وبين هيئة الإغاثة الإسلامية لعقد إتفاق بينهما تتولى الهيئة بمقتضاه إدارة المستشفى الكبير المجاور لمكتبه الرئيسى . ثم موضوع العثور على سكن مناسب لطبيبة عربية تعمل في قسم النساء بالمستشفي.

كانت التائج كلها إيجابية، وكان يمكننا إستلام البنادق من أحد مخازنهم بعد أخذ تصريح كتابى منه نقدمه إلي أمير المخازن، أما الأفراد فيحتاج حقانى إلى بعض الوقت لإنتخاب الأفراد المناسبين.

الجمعه والسبت 27 ـ 28 يوليو 1990

يومان من التوتر، كاد أن ينقضي شهر منذ مجيئى ومازال هناك الكثير من النواقص التى يجب إستكمالها حتي نستطيع البدء.

ومعارك خوست لاتكاد تنقطع، ونحن كمن يدور حول نفسه، بينما حقاني ومن حوله في إنتظار أن نبدأ برنامج المطار.
أهم بنود التجهيز ـ فى نظرى ـ كان مخزون الذخائر. لم يكن لدينا منه حتى الآن شئ يذكر، وعمليه الشراء مازالت(فى حيص بيص) ، كان مبشر هو المسؤول الأول عن ذلك، فعاتبته بشده، فقد كنت أراه يعمل وفقاً لروتين المصالح الحكومية.
وتكهرب الجو بيننا أكثر عندما رفض إعارتنا، ناظم عسكرى، وهو منظار خاص لتصحيح رمايات المدفعية، وكانت حجته أنه يحتاج إليه فى المعسكرات لأجل التدريب، فكان عذراً من أقبح ما سمعت حتى الآن، ودخلت معه فى نقاش مرير للمرة الثانية كي أوضح له أنه ليس فى العالم جهه ما تضع الأولوية لإحتياجات معسكر التدريب قبل إحتياجات الجبهة، وقلت له أن معسكر التدريب نفسه ما هو إلا لخدمة الجبهة وأن التدريب ليس هدفاً فى حد ذاته.
زاده كلامى عناداً. وكان توجه القاعدة أساساً هو التدريب بعد أن كفروا بقضيه أفغانستان وفقدوا الثقه بكل ما فيها.
وتأكد ذلك عندهم نتيجه عاملين أولهما كارثة جلال آباد، التي كانوا أحد أعمدتها، والثانى هو التأثير الفكرى لجماعة الجهاد المصرية التى كان ذلك هو موقفها من اللحظه الأولى.
وبعد نكسة جلال آباد كانوا لايملون من تكرار جملة: (إن قضيتنا ليست أفغانستان بل قضيتنا مصر)، وتحت هذا الشعار كانوا يجذبون الشباب المصرى من الجبهات ويضمونه إلي صفوف التنظيم، فتضخم تنظيمهم بشكل كبير، بما إمتصه من شباب الجبهات، ولكن ذلك إنعكس لاحقاً بشكل سلبى جداً علي حركتهم فى مصر نفسها وظهر ذلك جلياً عام 1992 عندما بدأت الحكومة المصرية حربها العلنية علي التنظيمات الجهادية.
أرسلت أبو زيد مرة أخرى الى مدينه "لاندى كوتال" على ممر خيبر فى باكستان ليشترى لنا ناظماً عسكرياً، وكان أبو زيد قد عاد لتوه من هناك وقد إشتري مهمات لنقطة الرصد وتوجيه النيران، ولم يكن هو الآخر يتوقع من مبشر هذا الموقف العجيب، ويمنع عنا جهازاً لا يزيد ثمه عن خمسة آلاف روبية باكستانية بأسعار ذلك الوقت.
لقد صرح مبشر بضيق لعدد من كوادر القاعدة العاملين معى فى المشروع:
(إن عمليه المطار ليست هى العمليه التى ستحرر أفغانستان) .
كان يراها إذن مجرد عبث ككل شئ فى حرب أفغانستان، وأن التدريب هو الشئ المفيد للعرب حتى يجاهدوا فى بلادهم ليقيموا فيها الإسلام الذي يجهله الأفغان.
كانت تلك وجهه نظر تنظيم القاعده، وقد أكد لى ذلك مرة أخرى فى نفس اليوم رساله وصلتني من الصديق العزيز أبو عبيده النبشيرى "سلطان" الذي عاد من الحج فأرسل لى فور وصوله هذه الرساله:
 أخى الحبيب أبا الوليد ـ السلام عليكم ورحمه ا وبركاته ـ حضرت من السعودية وما وجدتك ـ وجدتك فى مدينة خوست العربية فجزاكم ا خيراً ـ أخى ـ أبو عبد ا طلب منى أكثر من مرة آخرها أمس بأن تذهب عنده لأنه فى حاجة ماسة لوجدك بجانبه ـ فرجاء على الأقل نزولك عمرة وتقابله وتتفقا على شئ ـ أخوك أبو عبيده .
رغم سعادتى بعودة سلطان من الخارج إلا أن الرساله وضحت أنه غير متفاعل مع مشروع المطار، وكذلك أبو عبد ا أمير تنظيم القاعدة، فهذا الإستدعاء لم أدرى له سبباً ـ ومازلت ـ ولكنه لن يكون قصير الأمد كما هو واضح من الرساله بما يعنى الإلغاء الفعلى لمشروع

المطار.
تقرر أن يغادر أبو زيد غداً إلى بشاور ومنها إلي "لاندى كوتال" سيرافقه أبو خليفة العمانى أحد الكوادر البارزة فى القاعدة، فحملته رسالة قاسية نسبياً كى ينقلها إلى أبو حفص وأبو عبيده على شكل نصيحة بتغيير إسم القاعدة إلى إسم "وزارة الشباب والرياضة" لكونها قد تحولت إلى مصلحة عامة للتريض الشبابى، وأنها إبتعدت عن الفكر الأصلية من إنشائها.
وتكلمت معه بتفصيل عن كون القاعدة أول تنظيم عربى جهادى أنشئ على أرض أفغانستان من العرب المجاهدين، وكان أولي أن يكون الجهاد فى أفغانستان هو الهم الأول لذلك التنظيم. وكثيراً ما كررت للشباب العرب بأننا كمسلمين وعرب إذا لم ننجح فى أفغانستان فلن ننجح فى أى مكان آخر، وذلك لتوافر شروط النجاح هنا رغم المصاعب الضخمة التى نراها ، وحذرتهم من الإستخفاف بالجهاد فى المنطقة العربية، وأنه لن يكون نزهة.
بل أن جهاد أفغانستان ليس سوى رحلة خلوية إذا قيس بمخاطر الجهاد فى المنطقة العربية، وأحياناً كنت أسهب فى شرح ذلك المعنى، لكننى لم أصل إلى الهدف المطلوب.
- كنت فى حالة معنوية هابطة جداً نتيجة موقف مبشر وأبو عبيده والقاعدة عامة ، وراودتنى وساوس الشيطان بإلغاء تلك العملية كما ذكرت آنفاً.
- الشاب الجديد صلاح الدين عاد من الجبهة يريد العودة إلى بشاور بدعوى أنه يريد تجديد جواز سفره، ولم يكمل معنا سوي أيام.
كان هذا الصنف يميتنى غيظاً، لا يستطيع أحدهم أن يمكث فى موضع سوى أيام قلائل حتي يطير مرفرفاً إلى مكان آخر.
بعضهم فقط، كانوا جواسيس للسعودية غالباً ومصر أحياناً. وأكثرهم تعرض لفيروس القلق، فلا يعرف ماذا يريد وأين يسير. كنت أسميهم(المجاهد ذو الحقيبة) .فهو دائماً على سفر يبحث عن طيف مجهول، ولا يقدم شيئاً في أي مكان سوى القلق، فكنت أرحب دوماً بمغادرتهم العمل، ولا أطلب منهم الإنتظار ولو لدقيقة واحدة.
يوم السبت عاد أبو نور إلى ميرانشاه لعلاج يده، وبقيت منتظراً بها لمتابعة موضوع شراء الصواريخ، وإن كانت معنوياتى قد لامست درجه الصفر.

<u>الاحد 29 يوليو 90</u>

- غادر أبو خليفة وأبو زيد إلى بشاور وقد حملتهما رسالة إلى أبو حفص.
- بعد وساطة أبو أحمد الأفغانى حضر مندوب أحد الكومندانات كي يبيعنا صوراريخ بسعر 400 روبية باكستانية للواحد . سعرها حالياً فى السوق يتراوح بين 580، 600 روبية.
ومن خلال بحثنا فى السوق علمنا أن جماعتى سياف وجميل الرحمن قد شرعتا فى شراء الصواريخ من السوق فإرتفع السعر من 520 روبية الى 600 روبية للصاروخ الواحد، ولما كانت الجماعتان غير مشغولتان بأى عمل عسكرى فى الجبهات فقد فسرت عملية شراء بأنها محاولة منهما لعرقلة عمليات خوست، وكلاهما من البيادق السعودية على رقعه الشطرنج الأفغانية، فالتوجيه إذن أمريكى لمنع سقوط مدينة هامة، وذلك للأسباب التى شرحناها فى غير مكان. ونضيف إلى هذا سبب آخر معروف وهو حرص القيادات السياسية فى بشاور على منع أى قيادة ميدانية من تحقيق إنتصارات باهرة حرصاً منهم من مركز وسمعة وصدارة قيادات بشاور الهزيلة.
مفروض أن أسافر اليوم إلى بارى لبحث الموضوعات التالية:

ـ الحصول علي راجمة صواريخ من جولاب وأخرى من شاه خان.
ـ إختيار مكان لإنشاء مركز فردى للترصد على المطار وتصحيح الرمايات، والهدف هو الحصول على دقة أكبر إضافة إلى وجود إحتياط فى حالة إصابة مركز الترصد الرئيسى، فلا يتوقف للعمل بذلك.
ـ إختيار مكان مناسب للراجمة الثالثة.
ـ إتمام إستحكامات المركز الرئيسى "أبو العباس".
لكن السفر تأجل إلى صباح الغد، لأسباب غير هامة.

الاثنين 30يوليو 1990

بعد صلاة الفجر تجمعت العائلة حول براد شاى بالحليب، وهو تقليد عائلى ثابت ومحبب.
أسعدنى أن إبنتي الصغيرة مريم قد إستعادت مزاجها المعتدل بعد فترة طويلة من الحساسية، فقد جاوبت علي مداعباتى لها بمداعبات مضادة. كنت أنظر اليها ثم أسألها فجأة:" ما السبب؟" فتبكى ظناً بأنني أسخر منها، لكنها هذه المرة إبتسمت بدلال وثقة، وردت السؤال إلى ملعبي قائلة:" أنت ما السبب ؟". ضحكت وإحتضنتها فقد إكتشفت هى أخيراً أننى كنت أمازحها ولا أسخر منها.
كنت سأغادر اليوم إلى بارى وأردت أن أنقل العائلة إلى بيت حقانى كى يستمتعوا بالجو الإجتماعى هناك، بين أطفال ونساء إنغمس رجالهن فى معارك خوست، ويعيشون ظروفاً إجتماعية ونفسية واحدة.
نقل الأطفال عنزتهم ووليدها إلي الجيران لتكون تحت رعاية أصدقاء لهم هناك، إحداهن نقلت زوجاً من الحمام الأبيض إلي غرفة فارغة وتركت لهم كميات من الماء والحبوب تكفى عاماً على الأقل، وكانت لاتسمح مطلقاً لأياً كان بأن يتدخل فى شئون طيورها الأليفة.
في السابعة والنصف صباحاً تحركت بنا السيارة صوب الحدود وكان معى حاجى إبراهيم وأبو نور وأربعة آخرين.
فى بدايه بارى سألنا عن "شاه خان" فى مركزه فوجدناه قد غادر إلي قاعدة جاور، وفى مركز جولاب أخبرونا أن جولاب مريض فى بيته ولكن نائبه لديه تعليمات بتسليمنا راجمة الصواريخ ، فواعدناهم أن نأتى اليوم أو صباح الغد لإستلامها، ثم مررنا على مركز خليل وحاولنا العثور على أربعة مواسير للراجمة التى عندنا حتي نستكمل نصابها القانوني وهو إثنى عشر أنبوبة، فلم نجد شئ هناك ،وأخبرونا أن مولوي سيف الرحمن قد أرسل ماسورتين للتصليح في أحد الورش فى ميرانشاه.
تحركنا إلى مركزنا الرئيسى" أبو العباس" فوجدت المركز فى حالة نشاط تحت قياده أبوالشهيد ذلك الشاب الهادئ الحيوى المبتسم دوماً.
كان الجميع مشغولون فى ملء أكياس الرمل وإحاطة راجمة الصواريخ التى وضعناها على مسافة قريبة من باب أول المغارات وفوهاتها فى مقابلة جرف مرتفع تطير من فوقه الصواريخ صوب مدرج المطار.
أعجبنى الموقع والتحصينات، كانت أفضل تجسيد توصلنا إليه لفكرة "المغارة الراجمة" التي ستقاتل ليلاً تحت قصف جوى لايرحم.
رأيت فوق مدخل المغارة صخرتان سودتان معلقان بشكل ظاهر، فخفت أن يشكلا خطراً على طاقم الراجمة أثناء العمليات فقد تسقط أحداها نتيجه الإهتزازات الناجمة من الإنفجارات.

فإتفقت مع أبو الشهيد على إسقاط الصخرتين. سيتولى هو الإشراف على ذلك على شرط ألا يستخدم المتفجرات حتى لايتاف مدخل المغارة.
بعد الغداء وصلاة الظهر عقدنا جلسه عامة للجميع، لخصت لهم فيها الموقف الحالى للعمليات في خوست، والخطوات التى قمنا بها حتى الآن، وما تبقى لنا من عمل حتى نفتتح مشروعنا للعمل ضد مطار المدينة.
ثم أشرت في نهاية الجلسة إلى أن أبو الشهيد هو المسئول عن إدارة المعسكر، وأن أبو تميم هو المسئول عن إدارة راجمة الصواريخ وتجهيزها وتدريب أفراد جدد على العمل عليها، وأبو نور مسئول عن المخازن، بما فيها الذخائر أو الأطعمة والمهمات الأخرى، ومن بين الثلاثه الذين أسندت إليهم المهام الرئيسية فى المركز لم يكن غير أبو الشهيد هو الذى يجمع بين الأهلية فى أداء الوظيفة إلى جانب حسن معاملة الآخرين، ولكن لم يكن لدى خيارات أخرى سوي تحمل تجاوزات أبو تميم وأبو نور.
وشفع لى أن كلاهما كان عظيم الهمة، وكان أبو تميم صلباً شجاعاً وهو ما يتطلبه إدارة راجمة صواريخ فى مثل ظروف عمليتنا تلك.
بعد الإجتماع تحركت بالسيارة التى يقودها طلحة وبرفقتى حاجى إبراهيم وأبو نور إلى مركز مجبور الجديد فى المغارة المعلقه التى ظهرت لنا مثل قلعة منيعة، وشعرت بالندم لأننا ترددنا فى الإستيلاء على ذلك الموقع المثالى قبل أن ينتقل إليه مجبور مع جماعته، كانت هندسة المغارة فريدة فى نوعها .
طلبنا من مجبور أن يتخلى لنا عن راجمة الصواريخ لديه كى نديرها نحن بطاقم من عندنا طول مدة عملية المطار، فرفض ذلك ولكنه عرض بكرم زائد أن نستخدم الراجمة في أى وقت بإدارة طاقمها الأصلي، أو أن نستولى على الراجمة عدة أيام فقط بطاقم من عندنا، كان ذلك مدخلاً لتعاون فعال بيننا وبين مجبور وجماعته طوال مدة العملية.
سألناهم علي المسافة بينهم وبين مدرج المطار فقالوا أنها تبلغ 4 . 4 كم وأن وراجمتهم تستطيع ضرب هضبه متون وليس فقط فى المدرج شرقاً وغرباً.
سألت مجبور عن موضوع رادار المطار فقال أنه لايدرى عن موضعه شيئاً.
ثم وافق مجبور على أن نشغل مركزه القديم إذا ناسبنا ذلك.
ولكن عند معاينتنا المركز مرة أخرى وجدنا السيل قد أتلف المغارات المنخفضة الموجودة فيه، ومع كل ذلك فهو فى حاله أفضل، من حيث إمكانية الوقايه من القذائف، من موقع راجمه محمد أفضل.
تحركنا بالسيارة إلى خلف جبل دروازجى حيث يوجد مركز جولاب ومواقع البدو. الموقع الذى قررنا سابقاً إستخدامه كان مايزال مشغولاً ويحرسه رجل عجوز مع طفله الصبي، وقد تناثرت قذائف الراجمة إلى يمين الموقع. حكى لنا العجوز قصة الموقع بأنهم ثلاث مجموعات من الكوتشى تتناوب على إستخدام الراجمة وهم جماعات داد مير، وجولاب، ومالانج، وجميعهم أصدقاء قدماء لنا. قال لنا العجوز أنه سيغادر الموقع بعد أربعه أيام، فطلبنا منه أن يترك لنا الموقع منذ الغد إذا لم يكن لديه مانع، فرحب بالأمر بل وعد بأن يترك لنا ما تبقى عنده من صواريخ وكانت أقل من عشرة.
شربنا معه عدة أكواب من الشاى الأخضر وودعنا بحفاوة. أثناء عودتنا مررنا على مجبور مرة أخرى وشرحنا له حاجتنا إلى نقطة إضافية للترصد وأننا نفكر في تلك القمه العالية إلى

الجنوب من مركزه وكانت فى السابق موقعاً حكومياً هاماً ،ضمن مواقع جبلية ممتدة مئات الأمتار فوق سلسة جبال دروازجى، فكانت أشبه بسور يحمى ممتلكات الشياطين.
قال مجبور أن القمة القريبة يعرف لها طريق خالى من الألغام أما القمة العالية التي نريدها فأمرها مجهول لديه، ولكن تلك السلاسل ملغمة بكثافة وخطيرة جداً، ونصحنا بأن نسأل جماعات الكوتشى التى إستولت عليها من القوات الحكومية وأن نأخذ منهم دليلاً.
إتفقنا مع مجبور أن نرسل إليه وفداً فى الغد كي يرسل معهم دليلاً إلى الخط الأول للمجاهدين والمقابل لأخر سلسلة جبلية في يد الحكومة وتعتبر مدفعية مجبور إسناداً لذلك الخط الذي لم نزره قبلاً .
إرسلت السيارة مع حاجى إبراهيم، وعثمان الصعيدي، وطلحة للمبيت في مركز منان الخلفي لإحضار راجمة الصواريخ من هناك في الصباح الباكر، حتى نتمكن فى نفس اليوم من إحضار وتركيب الراجمة التي وعدنا بها "مالى خان" .
بدأ القصف الجوى من بعد صلاة العشاء وطوال الليل، ولكنه لم يكن كثيفاً. جلست مع أبو الشهيد أشرح له ضرورة تشتيت رمايات الطائرات عن راجماتنا عندما نبدأ في العمل، وأننى أفكر فى إنشاء مجموعة خاصة مهمتها أختراع وسائل لجذب إنتباه الطائرات إلى أهداف كاذبة أثناء عمل الراجمات.
وإقترحت أن يتولى هو مسئولية تلك المجموعة إذا أمكننا أن نجد له بديلاً فى العمل على أحدى الراجمات الثلاث، وقد كان مقرراً أن يكون أبو الشهيد مسؤلاً عن إحداها.
وافق أبو الشهيد بترحاب، وبدأنا في سرد بعض الأفكار التى يمكن أن تنفذها تلك المجموعة، حتى غلبنا النوم فنمنا في المغارة الكبيره المخصصة للمبيت، وكان أفراد الحراسات ينامون قرب بابها حسب ترتيب نوبات الحراسة.

<u>الثلاثاء 31 يوليو 90</u>

بدأ العمل مبكراً قبل شروق الشمس فى تعبئة أكياس الرمل وتحصين مداخل المغارات وراجمة الصواريخ، وبدأ أبو الشهيد بصحبة أربعة من الشباب في عملية إسقاط الصخرتان المعلقتان فوق "المغارة الراجمة" وتدلى أبو الشهيد بحبل من فوق الهضبة ليهبط فوق الصخرة الأولى وبدأ في الحفر والطرق فوقها، وظهر أن العملية لن تكون سهلة.
تمت تغطية مداخل معظم المغارات بأكياس الرمال، كان أبو النور يقوم ببعض أعمال النجارة، فقمت بدور المساعد له.
وصلت السيارة من مركز منان وهى تحمل الراجمة الثانية فقررنا إبقائها عندنا فى المعسكر حتى إنهاء الأعمال الجارية فى تجهيزة، وحتى يتوفر لدينا عدد كاف من الشباب لأفتتاح مركز جديد في جنوب دوازجى.
ويفحص الراجمة وجدنا قطعة منها مكسورة وتحتاج إلي إصلاح في إحدى الورش فى ميرانشاه ، تبرع أبو تميم بالذهاب لإصلاحها هناك ولحاجته هو نفسه إلى قسط من الراحة.
أرسلت معه السيارة وحاجى إبراهيم الذي كلفته بالبحث عن "شاه خان" للحصول منه على الراجمة الثالثة والأخيرة في مشروعنا لأن المجموعة التى الي جاورنا تراجعوا عن وعدهم السابق بإعطائنا راجمة لأن القرار فى ذلك ليس بيدهم كما أخبرونا اليوم.
في الليل أيقظنى صوت سيارة تمر من أمام مغارتنا، كانت الساعة الحادية عشر ليلاً، ولم يكن ذلك بالأمر العادى، كان الحارس يتحدث مع ركاب السيارة، التى تحركت بسرعة . سألته عن

الخبر فقال أنه الكومندان كريم الذى تحرك إلي جاور لكي يستبدل قواته، شعرت أن فى الأمر شيئاً غير ذلك ، أمر أكثر خطورة ، وقد كان كذلك .

الأربعاء ـ الأول من أغسطس 1990

منذ الصباح الباكر بدأنا بهمة في إكمال عمل تحصينات المغارات بأكياس الرمال، مع إهتمام خاص بمغارة الذخيرة والمزودة بباب حديدى من القضبان الملحومة، لكن أكياس الرمل عندها كانت ضعيفة وغير محكمة، بعكس مغارة الطعام التى تمتعت بتحصينات عبارة عن هضبة رملية مرتفعة فوقها أكياس محكمة من الرمل، حجبت مدخل المغارة عن الأنظار، وكان ذلك موضع تندر من جانبي أن يكون تحصين مغارة الطعام أفضل من تحصين مغارة الصواريخ .

فتوجه الجميع بهمة لتدارك الأمر .عملت معهم فترة فى ملء الأكياس بالرمل وحملها رغم إعتراض الشباب علي ذلك، ربما حرجاً من الشيب الذى علانى مبكراً بينما مازلت فقط في الخامسة والأربعين من العمر ! .

كانت أجواء معسكرنا مرحة ونشيطة فى ذلك الصباح، إلى أن ظهر فجأة الكومندان كريم في سيارته الصغيرة، ثم هبط منها وأقترب نحوى مسرعاً، ثم أخذنى من ذراعى وإنتحي بى جانباً بعيداً عن الآخرين، ثم همس فى أذنى بأنه غادر المعسكر ليلاً نحو جاور عقب سماعه نبأ وفاة إسماعيل شقيق حقاني .

كان النبأ مزعجاً للغاية فى ظروف إشتداد العمليات حالياً، مع تأثير ذلك على حقانى نفسه الذى فقد الكثيرين عن أفراد عائلته في الحرب، ولكن هذه هى المرة الأولى التي يفقد فيها أحد إخوته الثلاثه وأكبرهم سناً، وأقربهم إلى قلوب المجاهدين بعد حقانى نفسه، فقد كانت شجاعته وكفاءته العسكرية مضرب الأمثال وموضع إعتماد حقاني والمجاهدين .

كنت أعرف أن إسماعيل قد أصيب أثناء المعارك بجرح عميق في كف يده اليمنى وأنه إنتقل إلي ميرانشاه للعلاج، ولم يكن هناك ما يتوجب القلق في حالته، فالإصابة لاتعتبر خطيرة .

إنصرف كريم وكان لابد أن نذهب إلى حقانى لتقديم التعزيه له، لكن مكانه غير معلوم لدينا حالياً .

واصلنا عملنا فى تجهيز المعسكر، وقد إنتقل العمل إلي "المغارة الراجمة" لوضع المزيد من الأكياس أمام الباب وحول موضع الراجمة، بينما أبو الشهيد مدلي بالحبال يعالج الصخرة المعلقة، والتى إنهارت فجأة دون سابق إنذار فحمدنا ا أن لم يصب أحد من المزدحمين فى المكان، أما الصخرة الثانية فظهر أنها تضرب عميقاً فى الجبل ولا خوف من سقوطها بسهولة

أوقفنا العمل لأداء صلاة الظهر وتناول طعام الغداء . وكانت جميع وجباتنا الغدائية مكونة من البطاطس ولكن فى أشكال منوعة يتفنن فيها أبو نور. فبدأت حملة تندر إحتجاجية ضد "أبو نور" وبرنامجه الغذائى، كان لى سهماً واضحاً فيها، فعالجنا سؤ التغذية بالنكات الجيدة، وإستمرت الحال كذلك عدة أيام. والطريف أن أبو النور كان يساهم في حمله النكات ضد برنامج البطاطس الغذائي وكان حقاً خفيف الظل وإبن بلد ذو نكته حاضرة .

إستأنفنا العمل بعد فترة الراحة، ولكن السماء بدأت تمطرنا برذاذ خفيف منعش فلبسنا أكياس الخيش الفارغة فى رؤسنا، وأكملنا العمل كالمعتاد .

وصلت سيارتنا من ميرنشاه وهى تحمل إلينا بعض الضيوف كان فى السيارة أبو عبدالرحمن (بى، إم) وإبنه الأكبر عبد الرحمن وشخص ثالث يرافقهما ظننته ضيف شخصي لأبوعبد الرحمن ولم أكن شاهدته قبلاً. وكم كنت مخطئاً في عدم سؤالي أبو عبدالرحمن عن ضيفه

الجديد إذن لإكتشفت مبكراً أن ضيفنا الجديد لم يكن سوى جاسوساً للحكومة السعودية جاء فى جولة تفقدية لمعسكرات العرب في خوست، لكن حرصى الزائد علي مجاملة صديقي أتاح فرصه نادرة لذلك الجاسوس.
بعد المغرب ثم بعد العشاء كان لنا جلسة طويلة جمعت كل أفراد المركز تقريباً ما عدا الحرس تكلمنا مطولاً عن أوضاع أفغانستان ومعارك خوست وعملية المطار، ثم مقارنة ما يحدث في كل ذلك مع المبادئ الأساسية لحروب العصابات، كانت جلسات مشوقة ومثيرة شارك فيها معظم الجالسين، حتى أبو عبدالرحمن نفسه الذى تناول بالتعليق والشرح بعض النقاط من واقع تجربته فى جاجى وجلال آباد.كنت المحاضر الرئيسي في الجلسة ولكن معظم الحاضرين شاركوا بالأسئله والإستفسارات ماعدا شخص واحد وهو ضيف صديقنا أبو عبد الرحمن، الذى جلس يتفحص الحاضرين بنظرات حادة ثاقبة، وقد ركز جهازه العصبى خاف كل كلمه تقال وكأنما يحفرها فى ذهنه.
كان قوي البنيه يقظاً كحالة معظم الجواسيس الذين رأيناهم في الجبهات، سواء كانوا مرسلين من جانب حكومة كابل الشيوعية، أو حكومة خادم الحرمين الإسلامية أو حتى جمهورية مصر العربية.
أثار ريبتي منظره المتحفز وتركيزه الشديد ونظراته الحادة الثاقبة، ثم صمته الرهيب، ولاحظت أن لحيته قد نبتت حديثاً فقط، فأنهيت الحديث وذهب الجميع الى النوم. وقد إنتابنى قلق فلم يكن عندى شك بأننا كنا برفقه جاسوس.
وعزمت على سؤال أبو عبد الرحمن صباحاً عن شأن رفيقه هذا، لم أكن قد إستغرقت فى النوم حين طلبنى أبو عبد الرحمن للحديث خارج المغارة فوافقت وخرجت معه.
كان هواءالليل منعشاً خاصة بعد الأمطار الخفيفة نهاراً، وكان القمر ساطعاً،(**فى ليلة الحادى عشر من محرم 1411هـ**). والجو مناسب لسهرة ليلية طويلة، وهذا ما حدث معنا.
وقد إنضم إلينا أبو الشهيد ثم عثمان الصعيدى وجلسنا فى ساحة رملية متسعة أمام المغارات.
كان أبو عبد الرحمن منشغلاً بموضوع التواجد العربى في أفغانستان، وأراد أن يناقش هذا الأمر معى، لعلمه بتقارب وجهات نظرى معه فى هذا الأمر، وإن كنت أكثر منه تشاؤما في تقييم الوضع الراهن للعرب، وأكثر منه تفاؤلاً بما يمكننا أن نفعله ، كعرب، إن نحن أحسنا العمل ونظمنا صفوفنا.
كنا متفقين على أن التواجد العربى فى أفغانستان يفتقد إلى القيادة كما يفتقد إلى الهدف والخطة، وإقترح أبو عبد الرحمن أن نقوم بتجهيز برنامج عمل عربى ونقدمه إلى جماعة القاعدة كى تشرف على تنفيذه.
كنت الأقل حماساً والأكثر تحفظاً إزاء الفكرة. وأوضحت وجهه نظرى فى أن القاعدة غير قادرة علي تبنى أى برنامج ذو قيمة فى أفغانستان.
فليس لدى قيادتها إيمان كامل بالقضية أو تصور صحيح لأبعادها الأسلامية والدولية، وأنها فى أفغانستان أصبحت مثل جماعة كشافة ، أو حسب تعبيرى وقتها "مصلحة للشباب والرياضة" كأى مصلحة حكومية.
وكانت تجاربى الشخصية معهم الآن من مشروع المطار وسابقاً فى مشروع تورغار عام 1988 وغير ذلك من إحتكاكات عملية تؤكد وجهة نظرى تلك.
إنتقل أبو عبد الرحمن إلى عرض مشروع إنشاء مجلة خاصة بالتجمع العربى مهمتها رفع

المستوى الفكرى والثقافى والعسكرى والسياسى، فقلت له أن الفكرة جيدة وتستحق المحاولة رغم أنني شخصياً قليل الثقة في أن يستفيد التجمع العربى بحالته الراهنة من مثل تلك المجلة. فالعقلية العربية الحاضرة معنا غير مهيئة لغير الدعايات الغوغائية لجماعات أو قضايا فقهية يلوكها غير المؤهلين ، إن لم نقل مشبوهين، من المتطفلين على موائد العلم الشرعى ممن يطلق عليهم عادة في أوساط العرب المجاهدين بإصطلاح (أخ عنده علم) وهو إصطلاح يقال بإحترام وخشوع كأننا أمام عالم حقيقى مجتهد .

ثم حدثته عن مجلة "منبع الجهاد" ومحاولتى نشر ما يشبه الدراسات العسكرية وتحليل المعارك العسكرية فى خوست، وما سببه ذلك من إتهامات وتشويهات طالتنى كما طالت حقانى

ذهب عثمان ثم أبو الشهيد الى مغارة المبيت، وبقيت أتناقش مع أبو عبد الرحمن وحيدين حتى جاوزت الساعه الثانيه صباحاً.

وفى النهايه سألته عن مرافقه الذى جاء معه فى السيارة ففاجأنى بقوله أنه لا يعرفه بل هو مجرد شخص سعودى كان واقفاً في مركز خليل ويريد الذهاب إلى مركز أبو الحارث للبحث عن صديق له هناك، ذكر إسمه للأفغان لكن أحداً لم يعرفه، فطلبوا منا أن نحمله معنا فربما وجد صديقه فى مركز أبو العباس أو نرسله إلى مركز أبو الحارث أذا لم يجد ضالته عندنا.

شعرت بحنق شديد لأن ذلك الشخص الكريه لم ينبس ببنت شفه منذ دخل المعسكر ولم يسأل عن أى شخص بل جلس يرصد كل حركة وكل كلمة وكل شخص، كأى جاسوس نشيط هبط فجأة علي بغيته.

وكم إحترقت غيظاً علي ضعفنا البائس وعجزنا عن فعل شيئ إزاء أمثال هؤلاء، فلا يمكننا التحقيق أو المعاقبة، فالفوضى ضاربة أطنابها، والتلويح بالمساعدات يفتح جميع الأبواب أمام شتى أنواع الجواسيس، بل تضعهم تحت حماية المجاهدين ! ! .

قررت إبعاده عن المعسكر فى الصباح الباكر قبل وقت الإفطار. ولعنت ضعفنا وفوضويتنا التى جعلت أمثال هؤلاء يمروحون بيننا آمنين مطمئنين.

الخميس 2 أغسطس 1990

بعد صلاة الفجر شرعنا فى الحركة، طلبنا من ضيفنا غير المبجل أن يجلس فى السيارة، فبدأ يتكلم ويطلب الذهاب إلى مركز أبو الحارث فلم نرد عليه وكررنا طلبنا منه الجلوس فى السيارة، وبعيداً عنه تحدثت مع أبو عبد الرحمن بأنى سأذهب إلى ميرانشاه لتعزية حقانى فى وفاة شقيقه، وسألته عن برنامجه معنا، فقال أنه سيغادر يوم السبت وأنه سيمضى الوقت فى تدريب الشباب علي إستخدام الراجمة، وقد كان خير من يفعل ذلك بعد أن أعطته الراجمة إسمها كى يضاف إلى إسمه فيصبح "أبوعبد الرحمن بى، إم" .

فى مقابل مركز خليل أنزلنا ضيفنا الجاسوس، وتحركنا مباشرة صوب الحدود الواقعة على بعد حوالى ساعتين بالسيارة.

وصلنا بيت حقانى قبل الظهر، وكان نائماً. كانت أجواء الحزن تخيم على المكان. وحتى الأطفال الذين يملأون أرجاء المكان قد توقفوا عن الحركة والصراخ، ومضافة البيت مليئة بوفود التعزية، أصطحبت عائلتى وعدت بهم إلى منزلنا وكانوا قد عايشوا التجربة المريرة مع آل حقاني كأنهم أحد مكونات العائلة، حتى أن زوجتى أصيبت بإرهاق جسمانى وعصبى شديد .. بدأت أمطار شديدة تهطل فأجلت عملية التعزية إلى الغد.

قمت بزيارة إلى بيت العرب القريب منا، كان مبشر متهيج الأعصاب أو"طهقان" كما وصف

نفسه، أبو زيد أيضاً موجود، وأخبار الإذاعات تتحدث عن حرب بين الكويت والعراق، وذلك تتويجاً لعده أشهر من توتر العلاقات بين العراق والسعودية والكويت، وأنباء عن فرار أمير الكويت وأسر بعض أفراد الأسرة الحاكمة. . إلخ

كان الشباب العربي مع كراهيتهم للنظام العراقى يظهرون شماتة بالغة بالكويت، ودول الخليج الأخرى والتى أسموها "بوسطات" **(أى مواقع عسكريه صغيرة تضم غالباً ما بين 15 الي 20 جندياً)** .

الجمعة 3 أغسطس 1990

فى الصباح ذهبت لتعزية الشيخ حقاني، وكان بصحبتى أبو الحارث وطلحة، وأبو شداد. سألنا عنه فدلونا علي مكانه فى مسجد المهاجرين، فذهبنا إليه فوجدناه يغادر المساجد فصافحناه معزين له، فرد علينا بابتسامة رائقة، وعيون مترقرقة بالدمع كان فى حالة من الحزن النبيل لم أشاهد مثلها من قبل.

صاحبناه إلى منزله وذهبنا إلى القسم الخاص بالضيوف حيث هناك شقيقاه إبراهيم وخليل جالسان بين وفود المعزين فقدمنا لهما التعازى. ولما كانت دموع الرجال هنا محظورة ونادرة فقد كان وجهاهما جامدان، ولكن القامات التي كانت عادة ممتدة بقوه وفخر بدت محطمة وكأنها خرجت تواً من تحت إنقاض جبل إنهار فوقهما فطحنهما طحناً.

كان إسماعيل هو الأخ الثانى فى ترتيب إخوته الأربعة، أبيض البشرة مثل باقى إخوته ـ ماعدا إبراهيم ـ قوى البنية، لايكاد يخرج من المعارك ، عظيم الإختلاط بعوام المجاهدين.

تعرفت عليه منذ زيارتى الأولى عام 1979 ، لكننى لم أعمل معه أبداً، ولم نتقابل كثيراً. وإن كان يقابلني دوماً بترحاب كبير كأننا أشقاء قد فرق الزمان بينهم. وكان يفاخر بى من حوله قائلاً لهم أننى معهم فى الجهاد منذ أيام طراقى!!.

أحزان الأم الكبيرة

علمت أن إسماعيل قد توفى نتيجة لإصابته بتسسم الدم "غرغرينا" وأجمع الأطباء العرب أن المسئولية فى ذلك تقع على الطبيب الأفغانى الذى عالجه فى مستشفى ميرانشاه. فقد قام الطبيب بإخاطه الجرح رغم القاعدة المشهورة لدى الأطباء بعدم فعل ذلك فى جروح الحروب لأنه يؤدى إلى الإصابة "بالغرغرينا" وهو ما حدث مع إسماعيل.

وكان الدكتور خالد الذى يعمل فى نفس المستشفى قد حذر سابقاً عدة مرات من أن ذلك الطبيب "حمار" ولايفقه شيئ فى الطب وتسبب فى مقتل كثيرين، مما حدا بالدكتور خالد وآخرين إلى الشك فى أن ذلك الطبيب يتعمد قتل المجاهدين وأنه مازال شيوعياً خاصة وأنه قد هرب منذ فترة وجيزة من العاصمة كابل. وكان الأفغان يطلقون على هؤلاء المهاجرين إسم (صقر بيست) إشارة الى أن سبب هجرتهم هو صواريخ "صقر 20" المصرية التى إستخدمها المجاهدون فطالت عمق العاصمة كابل فأدت إلي موجة جديدة من الهجرة ولكن فى أوساط المتعاطفين مع الحكومة الشيوعية، خوفاً على حياتهم من الصواريخ وليس بسبب إسلامهم أوإنخراطهم في الجهاد.

وللأسف فإن هذا الطبيب القتال أو"الحمار" كما وصفه خالد قد تمكن من قتل الكثيرين بعد أن أثار الحمية القومية فى وسط الأفغان العاملين في المستشفى وحرضهم ضد الأطباء العرب

"الوهابيين"، ثم أطلق أيدى المنحرفين منهم فى سرقة الدواء وبيعه في السوق السوداء، فإكتسب منهم تأييداً وحماية أبقته بعيداً عن أى مساءلة رغم الشكاوى الكثيرة التى تقدمت بها عائلات ضحاياه.
ولكن بعد مقتل إسماعيل على يديه تدخل حقانى وطرده من المستشفى، وقد كان رحيماً جداً في هذا القرار رغم أن آخرين، وكنت أحدهم ، نادوا بمحاكمته.
لقد أصيب إسماعيل "بالغرغرينا" فى ميرانشاه، وعندما تدهورت حالته تم نقله علي وجه السرعة إلى المستشفى العسكرى فى روالبندى. وقد نقلته طائرة هيلوكبتر باكستانية إلى هناك. ولكن الوقت كان قد فات فتوقفت أحدى كليتيه عن العمل ثم لحقتها الأخرى وما لبث أن توفى، فعادت الهيلوكبتر بجسده إلي ميرانشاه كى يدفن هناك.
الغريب أن والدة إسماعيل كانت تعالج منذ فترة في نفس المسشفى من إصابة متقدمة بمرض السرطان، لقد كانت في الواقع تموت ببطء، ولكن ثاني أبنائها وأقواهم بنيه كان الأسبق منها إلى الموت وعلى بعد خطوات منها. وقد شاهدت بنفسها لحظاته الأخيرة فى المستشفى، ثم رافقت جثته في الطائرة إلي ميرانشاه كى تشرف على غسله وتكفينه، وتلقى العزاء فيه ثم تموت هى نفسها بعد عدة أيام.
لقد وجدت زوجتى نفسها مره أخرى وسط دوامه الموت المذهلة.
ولكن هذه المرة مع هذا التجمع الأفغانى الذي فتح لنا قلبه وبابه وشاركنا أفراحه وأتراحه وكأننا جزء عضوى متكامل معه. وكان إسماعيل أحد غرف القلب الذى يضخ الحياة والحيوية فى هذا الجسد المجاهد، من رجال وأطفال ونساء، كما كان إخوانه الثلاث الآخرون هم باقى الغرف الأربعة لهذا القلب القوى النابض بقوة الإيمان وتدفق البطولة الفطرية التى لاتظهر صارخه إلا فى الأوقات التى يندر فيها الرجال، ثم تتوارى تواضعاً فى أوقات ترتفع فيها جميع الرؤوس بحيث يصعب تمييز معادن الرجال، فيطفوا الخبث غالب الوقت.
والأم الكبيرة ، التى شاء قدرها أن يكون إبنها الحبيب إسماعيل هو آخر من تشهد مصرعه من سلسلة طويلة يصعب حصرها من رجال العائلة والأقارب. تلك الأم أسطورة قد يساعد فك رموزها فى معرفة سر المعجزة التي حدثت فى أفغانستان، وقد تقرب إلي الأذهان فهم معجزة قام بها شعب يعيش في فقر مدقع وتخلف حضارى ثم يتصدى لأكبر قوة عسكرية فى العالم فيهزمها ثم يتصدى للعالم كله فيما بعد ليفرض فوق أرضه إرادته ودينه فى عالم طاغى لا يسمح بدين أو إراده مخالفة لإرادة الشيطان الدولى الأكبر.
كانت(الأم الكبيرة) صمام الأمان لهذا التجمع المهاجر، والذى يشمل أسر أبنائها وبناتها وأيضاً أسر الأقارب، وجميعهم في بيوت متقاربة في حى المهاجرين فى ميرانشاه.
كانت (الأم الكبيرة) هى أيضاً مسئولة "الجبهة الداخلية" فى غياب معظم الرجال معظم الوقت. وهناك رجال يتناوبون علي حراسة وخدمة الأسر والبيوت ولكن الإشراف على النظام داخل البيوت وضبط حياة الأطفال وذهابهم إلى المسجد لحفظ القرآن وفرض المشاحنات بينهم وكذلك مشاجرات النساء التى قد تنشب أحياناً لسبب أو آخر، ثم رعاية الحياة الخاصة للأطفال الأيتام وأمهاتهم ممن فقدن الأزواج فى ساحات الجهاد، كل ذلك جزء من واجبات الأم الكبيرة التى تمارسها بحزم ورحمة، وعصا فى يدها تلوح بها فى وجه المخالفين والمخالفات ومسبحة فى اليد الاخرى تتلو عليها الأدعية والأذكار.
ليس هذا فقط ، بل أن الحملات التى قد تنطلق من أمام بيوت الحي بقيادة واحد أو أكثر من

أولادها ، تشرف هى على العديد من شئونها الإدارية، وتجمع الأطفال من تحت عجلات السيارات قبل الإنطلاق. وقد تطرق أحدهم بضربة عصا على الرأس أو الظهر لتذكيره بقوانين السلامة والبعد عن مواطن الخطر أثناء تحرك الموكب الذى قد يشمل عشرات المركبات التى تحمل الرجال المسلحين فى موكب مهيب متوتر بين عناق وداع وتكبيرات وأمل غامض وقلق مكتوم فالعديد منهم قد تكون رحلته تلك هى أخر جولاته في الجهاد وفراقه الأخير للزوجة والأولاد والأهل.

كانت الأم الكبيرة الأكثر نشاطاً وحيوية بين كل هؤلاء وكأنها الروح الخفية التى تحرك وتدفع ، وبقامتها النخيلة المنحنية قليلاً إلى الأمام وملامحها الطيبة الحازمة تدفع كل شئ نحو الحركة السريعة المنضبطة، ترمق أبنائها وجميع الرجال بعطف الأم الحنون وحزم المربية التى لا تسمح بالضعف أن يتسرب إلى النفوس ناهيك أن تنطق به الملامح.

وكثيراً ما ودعتنى ودعت لى أيضاً عندما شاركت في بعض تلك الحملات، وكانت تنطق أسمى مجرداً "مصطفى" مشفوعاً بكلمات كثيرة لا أفهم منها شيئاً ولكننى كنت أفرح وكأن أمى أطلت علي بوجهها لتودعنى وداعاً أخيراً.

بعد ذلك كنت أتعمد مراقبتها أطول فترة ممكنة، وكانت عينى تدمع مرات كثيرة، من هيبة الوداع والرجال الذاهبون إلى الموت والأم الصلبة التى تدفع أبنائها نحو الواجب والرجال المتضاحكون المكبرون وقد جاشت صدورهم بإنفعالات شتى متضاربة.

كانت سيارتى هى الأخيرة في الموكب، وكنت أتعمد ذلك أحياناً حتى أشاهد الأم وأرى ماذا ستفعل بعد ذهاب الموكب بفلذات أكبادها، والرجال الذين أحبتهم وأحبوها كصانعة أبطال وأم.

مع بداية تحرك الموكب كانت ترفع كفيها المعروقتان نحو السماء وقد تعلقت مسبحتها الطويلة بكفها الأيمن وتبدأ فى دعاء طويل لاينقطع حتى تغيب السيارة الأخيرة علي ناظريها.

ثم دمعت عيناها وطفرت منهما دمعتان ثم إستدارت نحو باب بيتها تدفع الأطفال أمامها وتغلق الباب.

كان غريباً جداً أن أراها تبكى وكأننى نسيت أنها أم وكأننى نسيت أننى قد بكيت أكثر منها أثناء المشهد المهيب لتجهيز الوفد وتحركه.

كنت أتحرك بعد ذهابها نحو سيارتنا المنتظرة فى مكان بعيد، حامداً ا أنها لم ترانى متخلفاً عن الركب الذى مضى، وإلا نالنى من عصاتها ضربة على الرأس أو الظهر. وكنت أظن أن علاقتي القديمة بالأسرة والمنطقة ما كانت لتعفينى من عقوبة التقصير فى مرافقه الرجال إلى الجهاد، فالأم الكبيرة لاتحابى أحداً فى الحق مهما كان.

** دخلت الأم على كرسيها المتحرك إلي غرفة داخل البيت حيث كان إبنها إسماعيل يغسل ويكفن فأشرفت بنفسها علي ذلك رغم أنها فعليا فى حاله إحتضار، وبعد أن فرغت من مهمتها أشرفت على إخراج جثه إبنها ووضعها فى غرفة واسعة حتى يراه الأقارب وأفراد الأسرة في وداع أخير.

خرج إسماعيل متكفناً بالبياض وقد كشفوا وجهه الأبيض وقد إزداد تألقاً وإشراقاً، حتى بهر أعين مودعيه وهى سمة الشهداء، و كأنهم يطمئنون من خلفهم أنهم أسعد حالاً بالشهادة والرحيل، منهم بالبقاء مع الاطفال والأهل. لقد أحاطوا وجهه بالورود والأزهار كما هى العادة ودخل أطفاله الخمسة وزوجته لوداعه قبل أن يتوافد الرجال والنساء، وجلست الأم الكبيره علي كرسيها المتحرك قريباً من باب الغرفة وهى متصلبة الجسد جامدة الملامح حتى جاءت

زوجتى ووقفت إلي جانبها، فنادت عليها الأم الكبيرة بدون أن تنظر نحوها(وفا . . وفا)
فأقتربت منها زوجتى وإحتضنتها، فمالت الأم الكبيرة برأسها على كتف زوجتى وإنتحبت بشدة فجاء أبناؤها ورجوها أن تسكت حتى لا يفلت زمام النساء وينطلق النواح فإستجابت لهم.
وكان حقانى وإخواه إبراهيم وخليل يكافحان بشده لمنع النساء من الندب والنواح، وإستعانا بزوجتى ،كقوة طوارئ، لتهدئة النساء الآتى يبكين حزناً أو مجاملة ومراعاة للتقاليد.
كان منظر زوجتى يثير الأسى ويدفع إلى البكاء، فالدمع يهطل من مقلتيها كأمطار الشتاء، فجروحها لم تندمل وقبر أبنها خالد يقع على بعد أمتار منها، والأحزان الجديدة من حولها أهاجت أحزاناً لم تنطفئ نيرانها بعد.
لقد طحنها الإرهاق والحزن معا حتى صارت تتحرك مثل آلة محطمة تقطع أمتارها الأخيرة نحو الإستيداع بعد رحله شاقه مهلكة. ومع ذلك نجحت بشكل باهر في كبح جماح النادبات وهو أمر يستحيل حتى على مؤسسة دولية.والغريب أن يحدث ذلك وهى لاتتكلم لغتهم بل تخاطبهم بمزيج من لغات متعددة إضافة إلى أصوات إبتكرتها لتؤدى معانى مجهولة حتى لديها . ولم تستطيع هى أن تفسر لى سر نجاحها فى مهمتها المستحيلة، والأرجح عندى أنها بلغتها المبهمة تلك ودموعها المنهمرة بغزارة خارج السيطرة البشرية، مع صوتها المنهك المتهدج قد أثارت شفقتهم، وربما خوفهم أيضاً، فشعروا أنهم أمام مأساة مجسمة أنستهم المصيبة التى جاءوا للنواح عليها، فلاذوا بالصمت الرهيب.
بعد دفن إسماعيل إستمر المأتم فى البيت عدة أيام كانت كلها طوارئ بالنسبه لزوجتى التى أدت نسبياً جزءاً من مهام (الأم الكبرة) التى أقعدها السرطان على كرسى متحرك ويكاد أن يطيح بها خارج حلبة الحياة.
ومع ذلك كانت زوجتى تشفق على صديقتها اليمنية زوجة حقاني الجديدة من أن تخلع فؤادها تلك الشدائد التى تجرى حولها، فكانت تهدئ من روعها وتثبتها.
ولكنها لم تكن فى صلابة(الأم الكبيرة) فسقطت مغشياً عليها فاقدة للوعي عدة ساعات، حتى ظنوا أنها على وشك الموت. وكنت وقتها فى الجبهة في إعدادنا الطويل الشاق لمشروع المطار ، فطلبوا لها طبيبة فى المدينة ولكنهم لم يجدوا فأضطروا إلى الإستعانة بطبيب عربى صديق لى يعمل فى مستشفي ميرانشاه. فأسعفها بالحقن والأدوية حتى أفاقت ثم نقلوها إإلي منزلنا بأمر الطبيب حتى تخلد إإلى الراحة التامة. ولكن ذلك لم يتحقق إذا ظلت تلازم الأم الكبيرة يومياً لمواساتها ورعايتها.
وفى صباح يوم 29 أغسطس جاءت سيارة من بيت حقانى، مع أحد أبنائه الصغار يستدعيها على عجل لأن (الأم الكبيرة) تحتضر وتريد رؤيتها.
فذهبت زوجتى مسرعة إلى هناك وذهبت إلى غرفة (الأم الكبيرة) وفتحت الباب فوجدت النساء والبنات الصغيرات متحلقات حول سرير وقد تمددت فوقه (الأم الكبيرة) وهى مغطاة بملاءة بيضاء، ورأسها نحو الباب بحيث لاترى الداخل والخارج من الغرفة، وما أن فتحت زوجتى الباب حتى نادت (الأم الكبيرة) عليها قائلة: (وفا..وفا).
فذهبت زوجتى إليها وإحتضنتها وقبلتها فوق جبينها وأخذت نسخة من القرآن الكريم كى تنضم إلى النساء والبنات فى تلاوة سورة (يس) .
فى كل مرة كانت الأم الكبيرة تشعر بقدوم زوجتى إليها قبل أن تراها، فتنادى عليها . وكان ذلك غريباً على النساء من حولها فى بدايه الأمر، ولكنهن إعتدن على ذلك فيما بعد. لقد كان

بينهما حب كبير وتعلق شديد، لقد كان الموت ينزع من (وفا) أمها الثانية وينتزع من(الأم الكبيرة) أحب بناتها إليها.
كانت النساء فى الغرفة تدوى بسورة يـس كدوى النحل، إلى أن إستأذن حقانى في الدخول لرؤية أمه، فهيأن له المكان وتسترن بملاءاتهن، فوقف إلى جانب سريرها بقامته النحيلة الفارهه ووجهه الباسم المنهك وعينه التي يلمع فيها الدمع المتجمد، وتبادل معها حديثاً خافتاً ثم ضحك عندما كلمته، ثم كلمها قليلاً ودعى لها ثم إنصرف.
لقد إخبرنى حقانى فيما بعد عن هذا الحديث الأخير بينهما، ومازال من وقتها محفوراً فى قلبى بسكين الألم، مثيراً في روحى إعجاباً ودهشة. قال لى حقانى: { لقد وجدت أمى تبكى، فقلت لها مواسياً : يا أمى أتخافين الموت وهو علينا حق؟ تجلدى وأذكرى ا كثيراً وإستغفريه}.
فردت عليه وهى تبكى: { يابنى أنا لا أبكى خوفاً من الموت فهو حق علينا، ولكننى أبكى لأننى كنت أتمنى أن أطمئن على مصير أفغانستان قبل أن أموت}.
فضحكت لقولها وقلت لها: { إطمئنى يا أمى فا لن يضيع جهادنا ودماء الشهداء، وإهتمى بنفسك الآن وأذكرى ا واستغفريه}.
لقد أدهشتنى تلك الأم وزادتنى ثقه بالنصر في معركة أفغانستان بل ثقة في مصير الإسلام فى أفغانستان ، وأن تلك الأرض وشعبها سيظلان قلعة إسلامية فى سقف العالم إلى قيام الساعة.
فالإسلام فى مأمن فى مثل هذه الأرض التى تنبت فيها نساء من أمثال هذه (الأم الكبيرة) تلك الأم التى تستطيع أن تقدم للإسلام رجالاً أمثال حقانى وإسماعيل وإبراهيم وخليل، رجالاً يعدلون العالم كله إيماناً وشجاعة وإقداماً.
هذا المزيج الرائع من البشر والإيمان والأرض يجعل أفغانستان دوماً فى ذروة الإنسانية، والمحضن الأقوى للإسلام على ظهر الأرض وفوق سقف العالم.
مع الظلام أعادوا زوجتى الى البيت كى تستريح ولكنهم إستدعوها مرة أخرى فى الصباح الباكر(من يوم 30 أغسطس) لحضور جنازة (الأم الكبيرة) التى توفت أثناء الليل.
وفى بيت العائلة الكبير إستمرت(وفا) في أداء دورها الذى إستمر لأيام طويلة من الحزن، كقوة "إطفاء" لإخماد محاولات النواح أو الندب. ولم تواجه هذه المرة صعوبات كبيرة، فقد إنهدت النساء من كثرة البكاء وعم الرجال والنساء شعور متجدد باليتم بعد فقد (الأم الكبيرة) .
حتى الأطفال توقفوا عن شقاواتهم المعتادة، وقد إتسعت حدقات أعينهم البريئة وهم غير مصدقين أنهم فقدوا(الأم الكبيرة) ، التى لم تكن لتسهوا عن رعايتهم حتى لو سهت الأمهات وسهي الآباء أو تشاغلوا.
حتى مواكب الحرب التى تحركت بعد ذلك من الساحة الصحراوية المواجهه لبيوت المهاجرين، إفتقدت الروح والحماس وبدت كمواكب جنائزية أو هكذا كنت أراها.
وأظن أنها كانت كذلك فى أعين الرجال الآخرين بعد أن فقدوا (الأم الكبيرة) التى كان تشرف على تلك المواكب وتودعها.
وسألت نفسى هل يمكن أن تكون تلك المخلوقة الضعيفة بجسدها النحيل وأكفها المعروقة، وليس لها من سلاح سوى مسحبة طويلة فى يدها اليمنى، وعصى قصيرة فى يدها اليسرى أن تعطى الشجاعة والأمل لكل هؤلاء الرجال الأقوياء المدججين بأدوات الحرب والصراع.
من أين تستمد هذه المرأة الضعيفة قوتها؟ وكيف تفيض بها على هذا الجمع الكبيرمن الرجال

الأقوياء الخشنين المتلاعبين بأسلحة الموت كما تلهوا الأطفال بالدمى الخشبية؟، ولكنهم مع ذلك متعلقين بذلك المخلوق الضعيف كى يمنحهم الدعاء والبركة والأمل فى النصرعلى الأعداء.
ولماذا أشعر أنا أيضاً باليتم مرة أخرى وبعد أن تعديت الخامسة والأربعين، وبأن ساحة المجد هذه والتى إنطلقت منها عشرات الحملات المسلحة قد تحولت إلى ما يشبه المقبرة الواسعة التي تنتظر الجثث، وأن المواكب التى كانت تهز مشاعرى سابقاً أصبحت فى نظرى باردة لامعنى لها وعملاً روتينياً لاتبهجه الحياة كما لا يفجعة الموت فأصبح كلاهما سواء بسواء.
لقد تجددت فى نفسى بوفاة إسماعيل ووالدته فى غضون أيام قليلة، أحزان لم يمضى عليها سوى عامان، حيث فى عام واحد فقدت ثلاثه من أحب وأهم شخصيات حياتى، وهم صديقى عبد الرحمن ثم تلاه أبنى خالد، ثم لحقه الصديق والأخ عبد المنان القائد الكوتشى المؤنس فى الملمات الجسام.
ولكن رحمة ا تداركتنى كما تداركت غيرى من أمثال حقانى وإخوته فتتالت الإنتصارات المهة هذا العام ، حتى توجها فتح مدينة خوست بعد ذلك بأقل من سته أشهر ثم فتح كابل وسقوط النظام الشيوعى بعد أقل من عامين.

الجمعه 3 أغسطس 90

نعود مرة أخرى إلى أحداث ذلك اليوم،فقد أكدت الأخبار أن العراق أتم إحتلاله للكويت، التى هرب شيخها بصعوبة وكاد أن يقع فى الأسر، وأن بعض أفراد عائلته قد قتل أو أسر.
ـ مكالمة تلفونيه من إسلام آباد أفادت أن الصديق "باسل" قد وصل كى يعمل فى باكستان مراسلاً لإذاعه أبو ظبى.
ـ وصل سياف ليلاً الى ميرانشاه وذهب مبشر مع أبوالحارث لمقابلته، ودارت بينهم مناقشة ساخنه. فقد كان سياف يطعن فى أهمية العمل العسكرى فى خوست ويقلل كثيراً من شأنه.
وكرر طرح نظريته العنفة بأنه لاجدوى من الإستيلاء على أى مدينة سوى كابل فقط لأنه التى ستحسم الحرب.
علقت على ما قاله سياف عندما سمعته بأن هذا الرجل يشبه شحاذ يكاد يموت جوعاً ويرفض أن يأكل أى طعام سوى الكباب.

السبت 4 أغسطس 90

من ميرانشاه إشترينا ثلاثة حمير لمعسكرنا الرئيسى "أبو العباس"، وهكذا إكتمل لنا سلاح (النهقيات) .
كذلك تحركت شاحنة كبيرة تحمل سبعين صاروخاً نحو" أبو العباس" وكانت الشاحنات ترفض أن تحمل أكثر من ذلك نظراً لوعورة الطريق.
تحدثت مع أبو عبد الرحمن قبل مغادرته مركز أبو العباس، فأخبرنى أنه قد أتم تضبيط الراجمة على القطاع المخصص لها من مدرج المطار وأنه إستخدم لذلك أثنى عشر صاروخا، وقد هالنى الرقم ، لكون التضبيط قد لا يحتاج لأكثر من ثلث هذا الرقم، إضافة إلى أن مخزوننا من الذخائر مازال ضئيلاً وينمو ببطء شديد. ثم أضاف قائلاً بأن الشباب كانوا فى معنويات عالية بالأمس بسبب الرمايات ونصحنى بالعمل الآن براجمة واحدة حتى لاتتأثر معنويات الشباب من طول إنتظار بداية المشروع بشكله النهائي.
فشرحت له أن فكرة المشروع كلها سوف تنهار إن فعلت ذلك لأن الفكرة هى أن نعمل شبكة

متكاملة من الراجمات تمنع العدو من إستخدام المطار فى أي وقت ليلاً أو نهاراً.
وأن راجمة واحدة لن تستطيع أن تغطى مدرجاً طوله ثلاثه كيلومترات، وأن ثلاث راجمات هى الحد الأدنى الكافى لتنفيذ المشروع لتشكيل عوائق نارية تمنع الطائرات من النزول بدون التعرض لإصابة مؤكدة.
في عمل جماعى قمنا بترتيب مخزن الذخيرة فى الممر الواقع بين (مغارة الراجمة) والمغارة المجاورة، وقد أدخلنا القذائف الجديدة في المغارة الراجمة وبسرعة خوفاً من تعرضنا لقصف جوى مفاجئ، ومنها إلى (مخزن الممر) الذى كنت معجباً به أشد الإعجاب.
فقد كانت القذائف فيه مرتبة بشكل مثالى وفقاً لنوعها مع وقايتها من إحتمالات تسرب الرطوبة، فكانت مرفوعة عن الأرض بواسطة عوارض خشبيه،وبعيدة عن جدران المغارة. وحددنا إرتفاع الصفوف الرأسية بأربعة فقط. وخصصنا جانباً للقذائف الحارقة لتسهيل الحصول عليها عند الحاجة.
ثم فتحنا سجلاً خاصاً بتلك الذخائر يوضح نوعها وتاريخ وصولها، ثم جهات صرفها والمراكز التي سوف تستلمها مع تاريخ ذلك، وقد حافظت تلك السجلات على دقتها والمخزون الرئيسى على نظامه حتى نهاية العملية، وكان ذلك أحد مآثر عمليتنا التاريخيه تلك.

<u>الأحد 5 أغسطس 90</u>

بدأ برنامجنا اليومى فى معسكر أبو العباس كالمعتاد بصلاة الفجر داخل "مغارة المعيشة" وهى الطرف الجنوبي للمعسكر بينما مغارة الراجمة تقع فى الطرف الشمالى للمعسكر، ويلى مغارة المعيشة مغارة المطبخ، ثم مغارة المهمات، ثم مغارة الذخيرة وأخيراً مغارة الراجمه، وجميعاً على خط واحد مقوس قليلاً ويربطها ببعضها ممر إرتباط داخلى.
كنت قد منعت الشباب من التجمع فى خارج المغارت بشكل جماعى لإداء الصلوات أو تناول الطعام أو للسمر، تفاديا لخسائر لالزوم لها إذا تعرضنا لقصف جوى أو صاروخى مفاجئ.
ولكننى قلت لهم اليوم أننا، وبشكل إستثنائى غير قابل للتكرار، سوف نتناول طعام الإفطار مع الشاى فى جلسة جماعية أمام المغارة، فأثار القرار حماساً وفرحاً شديداً بين الشباب فجهزوا الجلسة بسرعة وفرح وساعدوا فى جلب الشاى والخبز وأطباق الطعام، والذى كان عبارة عن الطبق الأزلى فى معسكرنا - ألا وهو البطاطس - ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك أويعلق عليه، وكان هذا بالضبط ماهدفت إليه من قرارى الثورى فجر هذا اليوم.
بدأنا فى إستكمال عمل الأمس فى ترتيب مخزن الصواريخ، بفحص الراجمة وجدنا بعض القطع التى تحتاج إلى إصلاح فى ميرانشاه.
بدأنا جولتنا الخارجية، فزرنا مجبور في "مغارته المعلقة" فقال بأن الطائرات قصفت بعض مراكز المجاهدين المتقدمه كى تغطى علي عملية إسقاط مؤن بالمظلات، وأنه حاول قصف منطقة الإسقاط ولكن راجمته تعطلت بعد القذيفة الأولى بسبب عطل كهربائى فوعدناه بفحصها عند عودتنا من الجولة.
توجهنا بالسيارة إلى مركز الكوتشى في "دروازجى الجنوبى" ولم نكن قد إستلمناه منهم بعد بسبب إنشغالنا فى موضوعات متعددة مع قلة عدد الأفراد. كان معنا ثلاثة من الشباب يقومون بأعمال المساحة وتحديد مواقع وإرتفاعات بعض النقاط الهامة، فصعدت معهم الى قمه مركزنا القادم فى" دروازجى الجنوبى" وكانت جماعة أخرى من مركز ترصدنا الرئيسى على إتصال معهم فحددوا موقع جبل دروازجى بدقة، حتى يمكنهم توجيه الراجمة الرابضة فيه وقت

العمليات.
طلبنا من جماعة الكوتشي إعطائنا دليل يسلك بنا طريقاً خالياً من الألغام في الجبل الشامخ فى "دروازجى الشمالى" فأعطونا شخصاً إصطحبناه معنا إلى هناك.
توقفت بنا السيارة أمام الجبل وكان علينا أن نقطع نحوه حوالى مئة متر فوق هضبة ذات أعشاب كثيفة، ثم نصعد إلى القمة الشامخة عبر ممر مجهول وسط ألغام كثيفة، يسقط ضحاياها من وقت إلى آخر من بين الرعاة.
نزلنا من السيارة ونزل معنا الدليل ثم أشار بيده قائلاً : (هذا هو الجبل) . شعرت أن هناك شئ غير صحيح ، فقلت له نحن نعرف أن هذا هو جبل دروازجى وإنما جئنا بك كى تدلنا على طريق للصعود إلى القمة يكون خالياً من الألغام.
فقال: (لكننى لم أصعد هذا الجبل قبلاً) .شعرت بالغيظ وقلت للسائق أن يعيده مرة أخرى الى مركز دروازجى الجنوبى.
ثارت حماسة الشباب فى السيارة وحتى حاجى إبراهيم بأن نصعد القمة بدون مرافق. ولكننى رفضت بحزم وقلت بأننا سنبحث عن دليل آخر أو أن نعمل بنقطة ترصد واحدة.
وافقوا على مضض وأضمرها بعضهم فى نفسه وعاتبنى عليها أبو تميم في أحد الأيام ونحن منفردين فى سيارة المعسكر في طريقنا نحو ميرانشاه، ثم تساءل ضاحكاً:(هل هذا تطبيق للمثل، عيش نذل تموت مستور؟) ، لم تعجبنى النكته وإعتبرتها محاولة غير موفقه للتنكيت.
كان إمتحاناً صعباً ساعدنى ا فيه كونى أحتفظت بعلاقه طيبة مع أبو تميم طول عملنا معاً رغم أن طبيعته فى معاملة الآخرين لاتساعد على ذلك. وقدرت أنها صدمة للشباب العرب أن يكتشفوا عملياً أننى لا أبحث عن الشهادة بطريقتهم.
وقد أدينا عمليتنا أو مشروع المطار مستخدمين نقطة واحدة للترصد والقيادة، وبدون الخوض فى حقول ألغام بدون دليل، وعن سبق إصرار وترصد. وقد حدث أحياناً أن خضنا فى بعضها بغير أن ندرى أو مجبرين على ذلك.
وقد أخذنا كافة الإحتياطات الأمنية المعتادة والمبتكرة وغير الإعتيادية ، ثم أولاً وأخيراً بفضل ا ومنته لم يصب منا شخص واحد ولم يسقط لنا شهيد رغم ضراوة القصف الذى تعرضنا له أثناء العمل، وكان بشهادة الجميع عرباً وأفغاناً قصفا غير عادى.
عدنا إلى مركز مجبور وقام أبو الشهيد بفحص الدوائر الكهربائيه للراجمه وأصلح ما بها من عطل. كان لمجبور نقطة ترصد على جبل قريب، فطلبت من أبو الشهيد الصعود ليرى إمكانية إستخدامه كموقع ترصد مساعد لنا، ولكنه وجد أن هناك جبلان يحجبان أجزاء من مدرج المطار، وأن مركزنا الأصلى أفضل منه.
علمنا من مجبور أنه يعد لعمليه قصف مكثف على خط دفاع العدو المقابل له، فخطر لى أن نشارك بعملية خداع للعدو تكون تدريباً لأبو الشهيد على هذا النوع من الأعمال، التى من المفروض أن يستخدمها ضد الطائرات لتشتيت رماياتها عند بدء مشروعنا.
قمت معه بجولة فى المنطقة الفاصلة بين خط دفاع المجاهدين والخط الأول للعدو.رافاقنا أحد رجال مجبور، وسرنا فى وادى ضيق متعرج حتى وصلنا إلى مسافة ليست بعيدة عن جبال العدو وقال لنا الدليل أنه هنا، يبدأ حقل ألغام العدو فتوقفنا. تشاورت مع أبو الشهيد أن إفتعال ستارة دخان من هنا مع إطلاق عدد من صواريخ الكاتيوشا بالتوقيت أو بوسيلة أخرى من نفس

المكان كفيل بإيهام العدو أن قصف مجبور المدفعى إنما هو تغطية لهجوم أرضي قادم من هذا الوادي، خاصة وأن مثل هذا الهجوم قد حدث قبل ذلك وتكسر عند حاجز الألغام.
فأضاف أبو الشهيد أنه سيعمل على إحداث مؤثرات صوتية لتحريك دبابات بإستخدام مسجل صوت مع ميكروفونات قوية وأنه سيحاول أيضاً الحصول علي واحدة أو أكثر من بنادق القنص لإزعاج خط الدفاع المعادى.
أعجبنى حماسه، ودفعته إلي الأمام بأن قلت له بأننا سنتحرك فوراً فى هذا المشروع وعليه إعداد قائمة بالإحتياجات من المعدات، وأن يختار الأفراد اللازمين لمساعدته من بين أفراد معسكرنا أو من أى مكان آخر، وبدأنا نعمل سوياً بحماس ذكرنى بشئ من حماسنا الطفولى القديم أثناء عملى مع عبد الرحمن منذ خمس سنوات.
سألنا مجبور عن إمكانية إيجاد دليل يصعد بنا جبل" دروازجى الشمالى" ولكنه لم يجد أحداً يمكنه ما مساعدتنا فى ذلك.
أبو زيد داهمته الملاريا فجأة فقررت أن نتحرك فوراً إلى ميرانشاه لإعادته إلى هناك من أجل الراحه والعلاج وأن أبحث له عن بديل يقوم بعمله من جماعة أبو الحارث.
رافقنا فى السيارة" أبونور" بعد أذان المغرب.
وفى بيتنا وجدت أبنى وليد قد جاء من بشاور وينوى الإلتحاق في دورة قصيرة في معسكر جهاد وال.
الاثنين 6 أغسطس 90
من الصباح الباكر بدأ أبو الشهيد فى شراء مايلزمه"لعملية الدخان" فى بيت العرب قابلت أبو الحارث فطلبت منه شخصاً يحل محل أبو زيد لفترة مؤقتة، وأن يزودنا بقاذف صواريخ فردى لدعم قوة نيران مشروع المطار فقال أنه سيحضر إلى معسكرنا ومعه أخيه غداً، ويعطينى الإجابات النهائية فى ذلك. ثم ذكرته بما بحثناه قبلاً من تدعيم القيمة العسكرية لجبل تورغار بعمل مرابض إطلاق لدبابة أو أكثر وقلت له أننى أتوقع نتائج غير عاديه لذلك العمل، فإن موقعاً مثل شيخ أمير لن يمكنه الإستمرار وسوف يستسلم، بل أن خط الدفاع الجبلى المواجه لنا الآن لن يمكنه الإستمرار طويلاً، وأن طريق من تودة شني إلى جبل تورغار أمر مهم جداً، فإذا كان لايمكن تمريره من فوق الجبل فليمر من خلفه حتى يصل توده شني بشكل مباشر مع بورى خيل، وهذا يختصر ثلاث أو أربع ساعات تسير فيها السيارات في طريق وعر جداً. فقال أبو الحارث أن هذه الأعمال تحتاج إلى البلدوزر وهم يستخدمونه الآن في تجهيز مغارات لمركز يقيمه العرب "الجزائريون" تحت جبل القيادة والترصد الذى يستخدمه حقانى. هذا إضافه إلي أنه شخصياً ، أى أبو الحارث، مشغول بحراسة الشيخ حقانى، لأن الحرس الذين حوله مهملين.
فى حديث آخر مع مبشر تحدثت معه عن عمليه شراء الذخائر التى مازالت بطيئة ومتعثرة وطلب من مبشر شراء مئة صاروخ حارق، وقذائف إنارة تطلق من الهاون عيار 82 مليمتر كل ذلك بهدف محاولة إضائه مدرج المطار أثناء شروعنا فى العمل، لكون الظلام عقبة كبيرة أمام إحكام رمايتنا على مدرج المطار نتيجة عدم تيقننا من نزول الطائرة فعلاً.
قال مبشر أنه عثر علي 60 طلقة هاون مضيئة عند الكومندان "نور أحمد شاه" التابع لحزب مجددى، فطلبت منه البحث عن المزيد وأرسالها إلينا فى المركز الرئيسى.
تحركنا بالسيارة من ميرانشاه صوب معسكر "جهاد وال". كنا مجموعه مكونة من أبو الشهيد

وحاجى إبراهيم وأبو طلحة مع وليد إبنى الأكبر، الذى تركناه فى المعسكر مع إبراهيم وطلحة بعد أن حصلنا من هناك علي منظار جديد للترصد، ثم تحركنا الى معسكر "الفاروق" القريب فحصلنا من هناك على بندقية قنص روسية ولكنها لم تكن بحالة جيدة.
أدركنا الغروب في "الفاروق" فإقترحت على أبو الشهيد أن نقضى الليل فى المعسكر أو أن نعود إلي ميرانشاه ثم نغادرها فجراً إلى معسكرنا "أبوالعباس" وقلت له أننى لم أمش قبلاً فى الطريق الجديد الواصل بين منطقه جهادوال ومنطقه بورى خيل، كما أن هناك إحتمال أن نتعرض لأحد كمائن المنافقين كما حدث للكومندان "شيرين جمال" منذ أيام وهو كمين فقد فيه الرجل عدداً من مساعديه، وكاد هو نفسه أن يكون من الضحايا. لكن أبو الشهيد قال أنه يعرف الطريق جيداً، وهو طريق آمن.
قاد أبو الشهيد السيارة لأكثر من ساعة وسط طريق ضيق جداً بين جدارين من الجبال الصادة لاينزاحان عنا إلا لفترات قليلة.
حتى وصلنا مع إطباق الظلام إلى قرب مدخل الوادى حيث موقع لرجال حكمتيار يستخدمون مدفع ميدان "D.C" ولهم عدة مغارات صغيرة قريباً من مدفعهم.
كان أبو الشهيد يعرف بعضهم، فدعونا لقضاء الليل معهم وتناول الطعام ولكننا كنا على عجلة من أمرنا، تحرك أبو الشهيد متعجلاً وإنحرف يساراً فى منطقة شبه منبسطة واسعة، علي حافتيها هضبتان ذواتا أعشاب متوسطة الإرتفاع مع بعض الشجيرات البرية.
لم أدرك إلا بعد عدة أشهر أننى كنت وقتها فى ذلك المكان الذى أحضرنا إليه كومندان المظلات عام 1985 وكنا أيضاً نبحث عن موقع لقصف المطار بصواريخ كاتيوشا وكان معى وقتها الشهيد عبد الرحمن، وأبو حفص المصري.
سار بنا أبو الشهيد مسرعاً فى جدول ماء متعرج وأرض يكسوها حصى ناعم يغري بالجرى السريع، لاحظت أن المنطقه تتسع، كلما سرنا وأن وادينا الضيق يفتح على وادي رئيسى واسع وأننا نتجه شمالاً. ثم بدأت أضواء بعيده تتلألأ قلت لأبو الشهيد: (أظننا أننا على وشك أنا وأنت أن نفتح مدينة خوست، وهذه بشرى طيبة، فأظننا أننا الآن فى وادى خوست، وهذه أضوء المدينة هناك). وجدته متردداً وهو يحملق فى الأضواء البعيدة. فقلت له أن يطفئ أنوار السيارة فوراً قبل أن تصله قذيفة دبابة، وأن يستدير إلى الخلف بدون أن يضغط علي فرامل السيارة حتى لاتستطيع أضواؤها الخليفة الحمراء.
تأكد أبو الشهيد من صحة ما أقول ونفذ فوراً توصياتى ثم إنطلق عائداً بسرعة مضاعفه حتى وصلنا مرة أخرى إلى موقع المدفع فوجدنا عدداً من المجاهدين قد وقفوا متلهفين عودتنا وكانوا قد صاحوا خلفنا يحذروننا ولكننا لم نسمع، فهنؤنا بسلامة الوصول ودلونا على طريق العودة.
على بعد عشرة دقائق منهم نزلنا لإداء صلاة المغرب، وتوضأنا من جدول ماء عذب بارد وصلينا على جانب الطريق، وقد غمرني شعور من ولد من جديد. وقلت لأبو الشهيد:
(إنها بشرى خير على أية حال وسوف نفتح هذه المدينة ، ولكن ليس فى هذه الليلة).
ظللنا فى حديث مرح حتى وصلنا بورى خيل، وأخذنا أربعة متطوعين عرب لمساعدة أبو الشهيد فى "عملية الدخان" كما أسميناها.
وفي تودة شنى أوقفتنا غارة جوية شديدة جداً، فتوقفنا وأدينا صلاة العشاء بينما القنابل تتساقط على مسافات قريبة منا.
إستمر القصف الجوى عنيفاً طوال الليل، والطائرات تنزل إلي المطار فى حماية ذلك القصف

ورمايات مدافع المجاهدين مستمرة على المطار. شعرت بالندم وأننا تأخرنا كثيراً فى بدء "مشروع المطار".

الثلاثاء 7 أغسطس 90

إستمر القصف الجوى رغم شروق الشمس وكذلك رمايات المجاهدين مستمرة. يبدو أن هناك شئ ما فى المطار.

تحركت بالسيارة مع إبراهيم وأبو الشهيد مبكرين قاصدين "الخط الأول" الواقع أمام مجبور فى مقابل دفاعات العدو الأولى فوق الجبال. وهى آخر سلسله يمتلكها العدو على حافة الوادى.

قاد طلحة بنا السيارة وركب معنا إثنان من مجاهدى الكوتشى، ما أن تجاوزنا مركز مجبور بقليل فإنحرفنا يساراً نحو "الخط الأول"، حتى إنقضت الطائرات النفاثه على المكان الذى كنا به حالاً وأسقطت حمولتها من القنابل، طائرات أخرى أمطرت وادى الراجمات "دزجات ستان" بالقنابل فى هجوم مفاجئ وعنيف.

عاد طلحة بالسيارة إلي "أبو العباس" ليصطحب عدداً من الشباب لإصلاح مركز مجبور القديم الذى دمرة السيل لإحتمال أن نضطر الي إستخدامه للراجمة الفردية التى قد يأتى بها أبو الحارث وجماعته.

تكررت الغارات الجوية الشديدة حتى أن الطائرات قصفت فى المنطقة المحرمة الواقعه بين الخطوط الأولى للمجاهدين والشيوعيين، وأثار ذلك عجبى ولم أفهم مبرراً لذلك.

تكلمنا مع قائد الموقع فى الخط الأول عن عملية الدخان فلم يتحمس لها وقال بأن العدو لن ينخدع بها.

قضينا ساعتين في الموقع إلتقطت فيها أكثر من ستين صورة للخط الأولى للعدو كذلك مدرج المطار كما يظهر من هناك.

عدت مع أبو الشهيد إلى مركز مجبور القديم وعاينا مرة أخرى المكان المقترح لعملية الدخان فى مركز مجبور القديم كان الشباب يعملون بهمة في تنظيف المغارات وموضع الراجمة، وموضع آخر للهاون الثقيل "الغرناى".

شاهدنا مصطفى التركى "الدرويش"، حاملاً حقيبته ويسير منفرداً في وادى "دزجات ستان" المواجه للموقع، وقد فوجئ بوجودنا فى الموقع الذى أصبح مهجوراً، فأخبرناه بإحتمال أن نستخدمه نحن كموقع راجمة.

لم يكن لدينا إستعدادات لتقديم الشاى إليه ولكنى جلست على الهضبة التى بها مواقع الراجمة والهاون، ونحن نواجه شارع"دزجات ستان" وبدأت الحديث معه حول تورغار وإستخدام الدبابات من فوقه، كان متحمساً للفكرة منذ تحدثنا فيها آخر مرة وقال بأنه قد عثر على ثلاث مواضع فوق الجبل تصلح لرماية الدبابات وهناك موضعاً حصيناً يصلح لحماية الدبابة من القصف المعادى.

كما أنه قد حصل على موافقه قائد الموقع "الرائد فهيم" علي إستخدام الدبابات فى تلك المواقع ولكنه أى مصطفى التركى لايعرف كيف يتابع الأمر معهم بعد ذلك، فأخبرته أننى سوف أتابعه قدر إستطاعتى مع حقانى وأخواه إبراهيم وخليل.

ثم طرحت عليه إمكانية إستخدام الشلكا من فوق تورغار لضرب الطائرات وهى علي مدرج المطار، فقال أنه ممكن فنياً ولكن الشلكا نفسها تحت الإصلاح.

نتيجه للمعاناة التى نواجهها فى توفير الذخائر اللازمه لعمليتنا فقد كنت أبحث عن سلاح بديل أو مساعد، يمكنه تغطيه مدرج المطار، أوجزء منه على الأقل، بنيران قليلة التكلفه ولكن غزيرة . وكانت الرشاشات الثقيلة هى أفضل ما يمكن إستخدامه لكن مع وجود مشكلتين أساسيتين الأولى هى المدى، والثانية هى تأمين السلاح من الرمايات المعاكسة للعدو.
فبالنسبه للمدى كانت هناك مواقع قليلة جداً تتيح لطلقات هذا السلاح الوصول إلى المدرج، وظهر لنا فيما بعد أن ذلك صحيح فقط لأثقل العيارات المتوفرة وهو "23 مليمتر" أى سلاح الشلكا المضاد للطائرات، وإن كنا نظن فى البداية أن هناك نقطة تتيح لرشاش"زيكوياك" (عيار 14.5 مليمتر) الوصول إلى الهدف، ولكن ظهر خطأ ذلك فيما بعد.
عدنا إلي معسكرنا "أبو العباس" فوجدنا إثنين من جيراننا المجاهدين الأفغان قد أصيبا نتيجة القصف الجوى بإصابات فى الصدر والرأس، فنقلتهما سيارة المركز إلي الخلف عند مركز خليل حتى تنقلهما سيارة إسعاف إلى ميرانشاه، لقد كانت أصابتها سيئة.
- كأن الغارات الجوية عرقلت عمل مجموعة المساحة، فلم ينجزوا شيئاً يذكر هذا اليوم . أبو حامد الليبى مسئول المجموعة سقطت المخابرة التي معه فى جدول الماء، وكانت أعصابه متوترة طوال اليوم.
- وصل خبر بعد عودتنا فى "الخط الأول" أن طائرة نقل قد أصابها عطل ليله أمس فوق مدرج المطار نتيجة رمايات المجاهدين. صباح اليوم وصلها صاروخ فدمرها تماماً، أظن الذى أرسله هو صديقنا جمال.

<u>الأربعاء 8 أغسطس 90</u>

وصل إلى مركزنا"أبو العباس" فى الصباح الباكر الدرويش التركى، جلست للحديث معه رغم الإنفلوانزا التى تنهك جسدى، بدأنا بما تكلمنا فيه بالأمس عن دبابات تورغار، والشلكا وإستخدامها ضد مدرج المطار ثم تشعب الحديث حول قضايا سياسية وعسكرية وموضوعات عامة أخرى. كنت شديد الإعجاب بسعة أفقه وخبرته الواسعة بالحياة، التى إكتسبها من كثرة تجواله في دول العالم. وكان ذو مشاعر صوفية رقيقة، لقد كان صورة مختلفة وحتى متعاكسة مع شخصيه المجاهدين العرب فى أفغانستان.
بعد إنصراف الدرويش لإستكمال رحلته الدائمة بين القمم والشعاب إنصرفت أنا لأنال قسطاً إضافياً من الراحة قبل إستكمال برنامج اليوم، فقد كانت الإنفلوازا الصيفيه ثقيله الوطأة.
بعد ساعتين تحركت مع أبو الشهيد بالسيارة لنبحث عن مركز جديد للراجمة الفردية لأن الجميع معترضون على إستخدام مركز مجبور القديم. قضينا في تجوالنا حتى أذان الظهر ولم نعثر على موقع مناسب.
وأخيراً وصلت راجمة"شاه خان" والتى وعدنا بها منذ مدة طويلة، أحضرها أخوه وبرفقته طاقم الراجمه، فقبلنا منه الراجمة وقلنا له أننا سنطلب منه ثلاث فقط من الطاقم فيما بعد، كانت مفاجأة سارة على أية حال، ولكنها جددت مواجعنا بعدم توافر كواد كافية للعمل، فلم يكن لدينا من يمكنه تشغيل الراجمه بكفاءة، وكان علينا أن نبحث عمن يشغل الراجمه الثالثه، ولكننا لم نستطع أن نفعل ذلك أبداً، "فالقاعدة" بخلت كثيراً بكوادرها على مشروع المطار، كما أنهم لم يوجهوا أبداً مجهوداً أدارياً كافياً لتلبية إلتزاماتهم تجاه المشروع، وهى إلتزامات كانوا قد تعهدوا بها منذ البداية. ومع ذلك كانت هناك مفاجأة أسوأ من ذلك فى إنتظارنا.
وصلت سيارة مضافة العرب في ميرانشاه وبها أبو زيد وأبو تميم، كان ذلك حدثاً مبهجاً لولاً

رسالة مبشر التى بعثها معهم والتى يقول لى فيها أن أبو عبد ا "أسامه بن لادن" قد أعلن حالة إستنفار فى أوساط شباب الجزيرة ،خاصة السعوديين،ويدعوهم للتوجه إلي السعودية للدفاع عن أرضهم ضد غزو عراقى محتمل. وحدد أربعة أسماء من بينهم أبو الشهيد، كما طلب إرسال منظار تحديد المسافات، وهذا هو نص رسالته:

[الاخ الحبيب أبو وليد ـ حفظه ا

السلام عليكم ورحمة ا وبركاته ، وبعد.

الرجاء إرسال الإخوة: أبو الشهيد القطرى ، أبو صهيب الدوسرى، وأبو عبد الرحمن المهاجر ، أبو طلحة المحتسب.

وهذا أمر من الأخ أبو عبد ا إلى الإخوة في بشاور وطلبوا جميع الإخوة السعوديين والخليجيين ما عدا المدربين.

وقد عاثت العراق فى الكويت الفساد وهجرت الأهالى، وأصبح الكويت ساحة للمعارك، وآخر الأخبار اليوم الصباح أن 4000 من القوات الأمريكية في طريقها للسعودية للحماية وتطورت الأمور، نرجوا إرسال الإخوة بسرعة، وكذلك إسال جهاز قياس المسافات بأمر من أبو حفص وجزاك ا خيراً].

أزعجنى كثيراً هذا القرار بسحب هؤلاء الشباب حيث أن مشروعنا يعانى عجزاً فى كوادره البشرية، وقد إستطعنا بصعوبة بالغة توفير كوادر لنقطة المراقبة وتصحيح النيران، إضافه إلى تشغيل راجمتين فقط من مجموع ثلاث راجمات هى الحد الأدنى المطلوب لمشروعنا، أما الآن فقد يتوقف كل شئ. أما جهاز تحديد المسافات فكنت أعتبره ملكاً لحقانى وكنت قد أعطيته لهم عام 1987 فى بشاور من أجل إصلاحه فى أحد الورش التابعة لعرب سياف.

كان الجهاز غالى الثمن (فى حدود عشرة آلاف دولار وقتها) وتسبب إختفاؤه حرجاً شديداً لى مع حقانى، وقد بشرته قريباً بأن الجهاز قد عاد إلينا مرة أخرى، فماذا سأقول له إذا أخذه أبو حفص وهو حتماً لن يعيده.

لقد أصروا أن الجهاز لهم وليس هو الجهاز القديم الذى كان تحت الإصلاح وضاع من الورشة كما يقولون، كان التعنت فى شأن الجهاز كفيل أيضاً بقطع علاقتى معهم ووقف مشروع المطار، فضحيت بالجهاز متعلقاً بأمل إكمال المشروع، ثم حادثت أبو الشهيد عن خطورة سحب هؤلاء الشباب وأنه يهدد عملنا بالتوقف. وكان متحمساً للإستمرار وإكمال المشروع إلى النهاية وقال أنه لن يغادر بل سيتكلم مع مبشر وأبو حفص حتى يبقى.

أعطانى حديثه دفعة من الأمل، وعجبت مرة أخرى من قيادات القاعدة التي تسحب كوادرها من مشروع بمثل هذه الخطورة ولاتبالى بتوقفه بينما لا تسحب مدرباً واحداً من معسكرات التدريب المكتظة "بالسياح" من شباب السعودية واليمن.

أخبرني أبو تميم أن مبشر (زعلان) لتأخير برنامج المطار وعاتب على ذلك. ربما كان مبشر وقتها يبحث عن مبرر أخلاقى لإيقاف تعاونه فى المشروع، خاصة وأن سحب الأفراد الذين طلبهم كان كفيلاً بذلك.

كان لدينا أسباب للتأخير وهى معلومة للجميع، أهمها تأخر شراء الذخائر المطلوبة للمشروع والذى وصل منها لايكفي حسب تقديرى سوي لعدة أيام فقط.

أما الراجمتان اللتان حصلنا عليها، فكلاهما يحتاج إلى قطع غيار، ويجرى إصلاح أجزاء منها فى ميرانشاه.

كان لدينا سبب آخر وهو تعثر برنامج المساحة نتيجة مرض أبو زيد بعد أن عمل في برنامج المساحة لمدة يوم واحد فقط.
وكان العمل بدون إكمال المساحة المطلوبة يعنى ضياع ذخائرنا هباءاً لعدم دقة الرماية خاصة وأن المقرر هو أن نرمى بكثافة غير معهودة حتي نزيد نسبة إصابة الطائرات وللتأثير على نفسية العدو.
تمت إتصالات لاسلكية من مبشر في ميرانشاه، وافق علي أثرها على ترك أبو الشهيد فى المشروع ولكن علينا أن نرسل اليه جهاز تحديد المسافات ، وأن أذهب اليه غداً في ميرانشاه للمشورة.
- تقرر أن أن نفتتح مركزنا الجديد فى "دروازجى الجنوبى"على أن يتولى عثمان الصعيدى إدارة الراجمة وقيادة الموقع. سننقل إلي هناك راجمة وقذائف وإدريات ضرورية أخرى.

الخميس 9 أغسطس 90

خرج أبو زيد برفقه سبعة من أفراد فريق المساحة كى يكمل عمله حتى نستطيع أن نبدأ الرماية يوم السبت القادم.
تحركت السيارة وبها إبراهيم وعثمان الصعيدى وسبعة آخرين من أجل إفتتاح مركز دورازجى الجديد الذى أسميناه وقتها "القادسية".
عادت السيارة وأخذت باقى المهمات ولكنها تأخرت كثيراً في العودة حتى إنتابنا القلق وكانت تحمل الراجمة فخشينا أن يكون قد أصابها مكروه.
لقد حدث المكروه فعلاً، بفعل سائقنا الشاب الجديد، وكان من بدو الجزيرة العربية، وقدم نفسه لنا علي أنه سائق سيارة ممتاز فأختبرناه فى رحلته الأولى تلك، فكان أن تدهورت به السيارة نتيجة سرعته الزائدة وعدم إنتباهه إلي أحد الجروف علي جانب الطريق فإنقلبت السيارة رأساً على عقب بعد أن هوت فى الجرف، وكاد أن يتحول المكروة الذى حدث إلى كارثه لأن الصندوف الخلفى كان يحوى راجمة الصواريخ وكان إلى جانبها أحد البدو "الكوتشى" ركب معهم أثناء الطريق وطلب منهم أن ينقلوه إلى نفس المركز في دروازجى. كان المفروض بعد إنقلاب السيارة فى الجرف أن يتحول المجاهد الكوتشى الرابض فى الصندوق الخلفى إلى قطع من اللحم المهروس تحت كتل الصلب الثقيلة للراجمة التي سقطت فوقه تماماً.
لقد وقع الحادث قريباً من مركزنا الجديد في "دروازجى الجنوبى" وشاهد الشباب هناك الحادث فأسرعوا بإخراج زملائهم من السيارة المقلوبة، وقد أصيبوا برضوض وكدمات، ولكنهم كانوا يتصايحون لإنقاذ الرجل الذى كان فى الصندوق الخلفى إلى جوار الراجمة، ولم يكن لديهم شك فى أنه قد قتل أو أنه فى النزع الأخير.
تعاون الشباب فى دفع السيارة حتى إستوت على عجلاتها ثم رفعوا كتل الصلب الثقيلة للراجمة كى يجدوا الكوتشى الشاب فى أتم صحة وعافية وخرج وهو يبستم ويقول أنه بخير سوى إصابه خفيفة فى رجله. كان إكتشافنا لهذا الرجل النادر هو الجانب المشرق لذلك الحادث المؤسف.
عرفنا بإسمه وهو (حاجى محمد فريدى) وهو من جماعة جولاب وصرنا نعرفه بإسم (الحاج محمد) ، كان ودوداً طيباً محباً للعرب لأسباب دينية بحتة، وكان شجاعاً مقداماً ولكن بلاخبرة عسكرية تذكر.
وكان لنا معه بعد ذلك طرائف كثيرة لأنه حاول الإعتماد علينا فى إمداده بوسائل تعينه علي

تنفيذ مشاريعة العسكرية ـ وكان يشبهنى فى هذا الجانب حيث إعتمد أنا الآخر على علاقاتى الشخصية في توفير إمكانات لمشاريع عسكرية طموحة . لذلك كنت غاية التعاطف معه والحرص عليه فى آن واحد، وقد شعر منى بذلك الشعور ـ لا أدرى كيف ـ فكان يكن لى حباً وإحتراماً شديداً رغم أن علاقتنا كانت حديثة العهد.

لكن حرصى عليه دفعني إلي عرقلة أهم مشاريعة العسكرية، وهو تركيز رشاش ثقيل من طراز "دوشيكا" فوق جبل الخط الأول في منطقه ماليزي الشمالي . فجلست معه وبرفقتنا عدد من أفراد معسكرنا . كان الرجل يتكلم اللغة العربية بلكنة خليجية حيث عمل هناك لعدة سنوات فأوضحت له برفق أنه لكى يستخدم الدوشكا من فوق الجبل المواجه للعدو فلا بد أن يكون له خندق محفور بشكل جيد ومسقوف حتي يحميه من قذائف الهاونات، وأنه سبق لهم فى نفس الموقع أن جربوا إستخدام الدشكا من موقع مكشوف فأصابهم الهاون.

فقال بأنه يريد إصلاح ذلك السلاح نفسه وإستخدامه مرة أخرى بنفس الطريقه لأن الخنادق المسقوفه هذه من أعمال الشيوعيين الذين ليس لديهم إيمان وتوكل على ا ، وأن كل ما يريده منا هو أن نصلح له الدوشكا حتي يمكنه إستخدامها وأنه هو شخصياً سيقوم بإستخدامها وسوف يؤدب قوات الحكومة هناك.

كان أبو تميم هو أقرب أفراد المجموعة إليه فإتفقت معه علي سياسة عامة للتعامل مع الصديق الجديد والمحافظة عليه، وهى سياسة تقوم على حسن المعاملة والإكرام وكأنه واحد منا، ومن جانب آخر إعتماد سياسة المماطلة فى مسألة الدوشكا بحيث لانمكنه فى النهاية من تنفيذ برنامجه الطموح.

إستقرت جماعة الكومندان "شاه خان" قرب مدخل وادينا الضيق قبل أن يفتح مع وادى "دزجات ستان" الأوسع نسبياً والذى يعتبر شبه طريق رئيسى للمجاهدين.

كان لهم بعض حفريات بدائية من الجانب الآخر من الهضبة التى نعيش فيها، وقد وضعوا راجمتهم علي بعد أمتار من مغارتهم البدائية تلك، واليوم طالبونا بأن نحفر لهم مغارة جيدة علي نفقتنا لتحصين موقعهم، كما طلبوا أكياس من الخيش لإحاطة الراجمة وتحصينها من الشظايا، وكان ذلك تطوراً إيجابياً لأنهم فى البداية إعترضوا على مانقوم به من تحصين الراجمة بدائرة من الأكياس الرملية بدعوي أن تلك الأكياس سوف تشتعل بها النيران من الشظايا.

فوعدناهم بأننا سوف نتكلم مع "مبشر"كي يحفر لهم مغارة على نفقته، وكنا علي إتفاق مسبق مع مبشر على توزيع الأدوار بيننا إزاء أمثال تلك المطالب حتى لانقع نحن فى الجبهة تحت وطأة مطالب وضغوط قد لا نستطيع تلبيتها فتتأثر علاقتنا سلبياً مع المجموعات المتعاونه معنا، وإن كنا نضع أعمال التحصينات الخاصة بتلك المجموعات موضع إهتمام شديد بالنسبة لنا لأن أى إصابه لديهم سوف تؤثر سلبياً فى قوة نيران "المشروع" التى كنت أطمح فى الوصول بها إلي خمسة راجمات.

كان لدى جيراننا من جماعة "شاه خان" مفاجأة أخرى غير موافقتهم علي تحصين راجمتهم بأكياس الرمل، فقد أخبرونا عن صديق لهم جاء من خوست المدينة، وذهب إلى ميرانشاه، وكان فى زيارة أخ له سجين في خوست، ولكنه إستطاع أن يلتقط صورة أو صوراً تفصيلية للمطار وأنه أخبرهم أن الطائرة بعد هبوطها تدخل فى طريق جانبى لتفريغ حمولتها بعيداً عن المدرج،و كانت المعلومه صحيحة وتؤكد إستنتاجاتنا من عمليات الترصد، رغم أن هناك قمة

تمنع عنا رؤية هذا الجزء بالتحديد، وهو الجزء الوحيد المحجوب عنا رؤيته.
كان الحصول على مثل تلك الصورة عملاً لايقدر بثمن، فتشبثنا بهم حتى نأخذ معنا ذلك الرجل الذى أبلغنا الخبر إلي ميرانشاه لمقابلة صديقه هناك والحصول منه ، ولو بالثمن ،على تلك الصور.
وبعد شد وجذب ومفاوضات رضخ الرجل لمطالبنا فإصطحبناه معنا فى سيارتنا المتضررة من حادث اليوم، ومعنا أيضاً "حاجى محمد فريدى" كى يحصل على بعض العناية الطبية على قدمه فى ميرانشاه.
ما أن وصلنا إلى هناك حتى علمت أن زوجتى والأولاد قد غادروا ميرانشاه إلي إسلام أباد ولم يوضحوا السبب، فأصابنى القلق نتيجه لهذا الرحيل المفاجئ ولكن لم يحدثنى أحد عن وقوع أي حادث لهم يبرر هذا الرحيل، فقررت الإتصال بهم تلفونيا في صباح الغد.
فى المساء جلست في حديث مطول مع مبشر مستفهماً منه عن الأوضاع الحالية فى منطقة الخليج. كانت المعلومات المتوفرة لدينا ضئيلة لكننى خرجت منها بإنطباع أن منطقه الخليج كلها أصبحت تحت الإحتلال العراقى الأمريكى المشترك، فالعراق إحتلت الكويت وتهدد السعودية. والقوات الأمريكيه وصلت أمس أو تصل اليوم كى "تدافع" عن السعودية وباقى دول الخليج، تصورت أنه برنامج عراقى أمريكى مشترك ومتفق عليه مسبقاً.
قال مبشر أن أبوعبد ا "أسامه بن لادن" قد إستنفر شباب الخليج والسعودية إلى مطار الظهران بالتحديد، أما مبشر نفسه فسوف يتوجه قريباً إلى السعودية وطمأننى على موضوع الذخائر وأنه إتفق على إكمال الكمية المحددة "لمشروع المطار" ومقدارها ألف وخمسمئة صاروخ سوف تصلنا كاملة بعد أن أتفق علي شرائها.
الجمعة 10 أغسطس 90
بدأنا في الصباح محاولات للعثور على ذلك الرجل العائد من خوست ومعه صور للمطار، وبعد محاولات عديدة علمنا أنه غادر إلي بشاور وسوف يعود بعد أربعه أيام، فجعلنا صديقه يترك له رسالة يؤكد عليه أن يحضر إلى المعسكر فور وصوله.
كان البيت الخالى من الزوجة والأولاد مثيراً للحزن والكآبة خرجت من البيت متوجهاً إلى سوق المدينه كى أتكلم تلفونياً مع الأسرة فى إسلام آباد، وإنضم إلى في الطريق مبشر وشاب عربى آخر.
فتجولنا قليلاً فى السوق متوقفين عند عدد من دكاكين بيع الأسلحة، وكان مبشر يبحث عن بعض الإحتياجات للمعسكرات التدريبية، وكنت أستمتع بزيارة تلك الدكاكين وفحص ما بها من أسلحة حديثة وقديمة، وحتى السيوف والخناجر الأثرية، وكنت أتمنى لو كانت عندى القدرة المالية لشراء الكثير من التحف التى تحتويها، ولكن حتى لو توفر المال فإن المعيشة فى الدول البوليسية الحديثة تجعل الحفاظ علي تلك الأسلحة القيمة أمراً مستحيلاً.
علمت أن مدرسة الأولاد قد بدأت العمل منذ أسبوعين، وكان أربعة منهم يدرسون فى المدرسة السعودية فى إسلام آباد.
ولم تكن زوجتى تعلم أن مشكلة كبيرة فى إنتظارها هناك هى وأولادها الأربعة بسبب إصرار إدارة المدرسة السعودية علي التحقيق مع الأطفال والحصول منهم على معلومات حول نشاطاتى!!، وعندما شكى الأطفال إلى أمهم حدثت مشكلة عظمى بينها وبين إدارة المدرسة ثم القنصلية فالسفارة السعودية، وإنتهت المشكلة بسحب الأطفال من المدرسة وعودة الجميع إلي

جبهات القتال فى ميرنشاه كما سنري لاحقاً.
- سنترك سيارتنا فى ميرانشاه للتصليح مع ما يعني ذلك من تأخير برنامج المطار، تعهد مبشر بإعطائنا سيارة توصلنا إلي أحد مراكزهم التدريبية السرية في منطقه بارى وهو مركز يدعى مركز خلاد لم نكن رأيناه قبلاً وكانت به دورة متقدمة علي إستخدام المتفجرات. كانت تلك السيارة منطلقة على أيه حال لتنقل بعض المهام الي ذلك المعسكر، وكان علينا أن نتدبر أمرنا من هناك ونحاول إستعارة سيارة من معسكر خلاد كى توصلنا إلى "أبو العباس" مركزنا الرئيسى. ركبنا السيارة وقبل أن تتحرك بنا أقبل جارنا الذى جاء معنا من أجل صورة المطار وكان معه صديق آخر إصطحبه معه فركبا في الصندوق الخلفى للسيارة.
ثم أقدم أحد الشباب العرب وهمس فى أذنى أن اليوم هو يوم تخرج الشباب فى مركز خلاد من دورة المتفجرات وكانوا قد توعدوا مبشر وأي شخص آخر يأتى من بشاور من بين قياداتهم، وكان أبو عبيده هوالمتوقع قدومه، توعدوهم بعمل كمين بالمتفجرات.
وكان التحدى قائماً وبما أننا سنذهب فقد تقع سيارتنا فى الكمين، شكرته على التحذير الذى كان مفيداً.
وصلنا منطقه بارى وفى بدايتها إنحرفت بنا السيارة يساراً فى شعب ضيق تحيط به جبال مرتفعة، إنه "شارع الصحافة" كما كنت أسميه أنا وعبد الرحمن فى أيامنا الخوالى الذهبية، لكونه ملئ بالمراكز الضخمة التى لم نكتشفها إلا صدفة، وكانت مكدسة بالأسلحة والذخائر، ولا صلة لها تقريباً بالعمليات العسكرية الدائرة فى المنطقة. كنا نراها مراكز مريبة مليئه بالعاطلين
كان سائق السيارة شاباً عربياً، وقد أشار إلى غرفة طينية فوق تل إلى اليسار قائلاً هذا هو مركز خلاد .إلى اليمين كان الجبل مكسو بالشجيرات القصيرة ذات الأوراق المزودة بحواف إبرية . لمحت شابان يركضان بين الشجيرات وثالث يعطى إشارة من فوق سطح الغرفة الطينية، كانت الحركة مريبة جداً، وقفزت إلى ذهنى كلمة الكمين. وفي ذات اللحظة دوى إنفجار ضخم وقفزت إحدى الشجيرات فى الهواء كى تستقر مباشرة على مقدمه سيارتنا وتغطى فروعها وأوراقها الزجاج الأمامى، ثم إنطلقت رصاصات متفرقة ثم أصبحت كثيفة لفترة قصيرة.
وهكذا أفادنى الإنذار الذى تلقيته في ميرانشاه وساعدنى علي المحافظة على وقارى وهدوئى المعتاد، ثم هبطت بهدؤ من باب السيارة، كى أجد صديقانا الأفغانيان قد قفزا من الصندوق الخلفى وإنبطحا تحت السيارة وقد ظنا أننا وقعنا فى كمين حقيقى. ومن حسن الحظ أنهما كانا غير مسلحين فربما أطلقا النار على زملائنا العرب.
أحاط الشباب العرب بسيارتنا متضاحكين، كانوا جميعاً يعرفوننى وكنت أعرف بعضهم فقط، كان مهندس الكمين هو"سيف العدل" الذى كنت أراه لأول مرة، كانت عيونه الأسيوية الضيقة تنطق بالذكاء الماكر، وجسده نحيف قوى ملئ بالحيوية.، أقدم ضاحكاً يحيينا، وأظنه كان آسفاً لكونى لم أظهر أى إنفعال يدل على الإنزعاج، ولكنه كان شامتا للغاية في إخواننا الأفغان الذين خرجوا ضاحكين بخجل من تحت السيارة وقد تلطخت ثيابهم بالطين، وتبللت بالماء، ثم إصطحبنا سيف إلي غرفتتهم أعلى التل.
تجمع الشباب حولنا وكان منظرهم يشرح الصدر ويبعث على الثقة، فالعين لاتخطئ قوة بأسهم وروحهم المعنوية العالية. وكم ألوم ، وربما أتهم ، القيادات الإسلامية التى فشلت فى قهر العالم بأمثال هؤلاء الشباب القوى الرائع.

بعد عام من ذلك التاريخ أصبح سيف العدل زوجاً لأبنتى الكبرى "أسماء" التي كانت فى الخامسة عشر من عمرها وقت زواجها.
تناولنا معهم الشاى بسرعة متعجلان الرحيل قبل حلول الظلام وحاول الشباب سؤالى عما يحدث فى الخليج، فقلت لهم باختصارأن المعلومات المتوفرة قليلة وكذلك متابعاتنا للنشرات الإخبارية بسبب إنشغالنا الزائد بأعمال "مشروع المطار". أعطونا سيارتهم مع سائق منهم ليوصلنا إلي "أبو العباس" ويعود صباح الغد.
بعد الغروب بقليل وصلنا مركز الشهيد عبد الرحمن القريب من قرية تودة شنى، وهو آخر مركز عملنا فيه سوياً، كان الهدؤ مطبقاً والسماء ملبدة بالغيوم، والمكان عابق بالذكريات وصور الشهداء الذين مضوا تاركين في القلب ندبات حزن لا تندمل.
صلينا المغرب والعشاء قصر وجمعاً، كما نفعل دوماً فى الجبهات.
واصلنا المسير الى مركزنا "أبو العباس"، وحتى نستفيد من وجود السيارة معنا قررنا تموين معسكر "القادسية"، أو مركز عثمان الصعيدى كما نسميه بيننا، فوضعنا فى السيار ثلاثون صاروخاً وبعض المهمات الأخرى وقادها أبو الشهيد القطرى وبرفقته أحد أفراد معسكرنا، ولكن أثناء مسيرة في تلك المسالك الوعرة في الظلام إنفجرت إحدي عجلات السيارة فأدت الى تأخيره حتى الحادية عشر ليلاً.
السبت 11 أغسطس 90
مع أول ضوء حملنا فى السيارة 54 صاروخاً لننقلها إلى مركز عثمان كنت أريد أن يكون لدى عثمان مئة صاروخ على الأقل قبل بدء العمليات فمن جهه لم أكن متأكداً من معدل صرف الصواريخ يومياً أثناء العمليات ومن جهة لم أخرى ربما لانستطيع تموين المعسكر يومياً بالصواريخ إما بسبب القصف الجوى أو لإختفاء سيارتنا من مسرح العمليات بسبب إصابة أو إعطال فنية، وهو شئ دائم الحدوث.
كنا قد إشترينا بالأمس خروفاً من ميرانشاه، وتم ذبحه بسرعة بعد الفجر حتى نأخذ جزءاً من اللحم إالي مركز عثمان.
قاد بنا أبو الشهيد السيارة إلى هناك وجاء معنا الشباب الذين رافقونا بالأمس من مركز خلاد حتى يشاهدوا تجهيزات مشروع المطار ويصعدون أعلى الجبل عند عثمان لرؤية مدرج المطار، وقد رافقهم أبو الشهيد إلى قمة الجبل كى يشرح لهم الموقف على الطبيعة وكذلك فكرتنا فى تشغيل الراجمات، وقد كانوا متفاعلين مع المشروع بحماس، لكن قياداتهم لديها رأى آخر ومشاريع أخرى في أماكن بعيدة.
عدنا مرة أخري إلى معسكر"أبو العباس" وتهيأ أصحابنا من مركز خلاد للعودة إلي قواعدهم مع سيارتهم حاولنا تأخيرهم ساعة أخرى للإستفادة من سيارتهم في نقل أبو زيد ومجموعة المساحة إلي منطقة عملهم، لكنهم رفضوا وإنصرفوا إلي معسكرهم.
فأكمل أبو زيد عمله سيراً على الأقدام، بينما ذهبت مع أبو الشهيد لزيارة جماعة محمد أفضل في مركزهم القريب حتى نسألهم عن موقع ملائم لراجمة جديدة .كان لابد لنا من أن نحتسي معه الشاي الأخضر قبل أن نتحرك سوياً إلى موقع فى عمق الجبال في منتصف الخط المستقيم ، الوهمي، الواصل بين مركزه ومركز عثمان "القادسية" كان الموقع مركزاً سابقاً للمجاهدين أثناء معارك تحرير منطقه دروازجى حيث ركزوا فيه قطعاً من المدفعية وراجمات صواريخ.

كان الموقع رائعاً ولم يسبق لنا إكتشافه، ويحتوي على مغارة نصف دائرية ذات مدخلين، عيبها أن الحفر فيها متجه إلى الأسفل مما يسمح بتسرب مياه الأمطار، كما أنها محفورة فى هضبة قليلة الإرتفاع رخوة فكانت أجزاء من السقف منهارة وتحتاج إلي تنظيف.
وفوق الهضبه مكان سابق لإطلاق راجمة وأمامها موضع سابق لهاون وسط، ثم مجرى سيل ضيق علي حافته الأخرى غرفة من الأحجار لها باب وليس لها نوافذ وكأنها كانت مأوى شتوي ولكنها تشرف على ساحة واسعة مليئة بالحفر والأخاديد، وتنتهى بمجرى ماء على بعد حوالي نصف كيلومتر وهو نفس المجرى الذى يمر علي مركز عثمان فكلا المركزين يعتمدان على ذات الجدول المائى.
صعدنا القمة القريبة من الموقع، فإذا بها مليئة بالخنادق من جهه الجنوب، لقد كانت خنادق المجاهدين، والإطلالة من القمة صوب الشمال تكشف موقع مجبور فى مغارته المعلقة، ويفصل بينهما سفح طويل منحدر بشده ملئ بالأحجار مع عدد قليل من الشجيرات الوحشية، مع مدق لمسير الأفراد، فأردنا النزول إلى هناك لتحية مجبور ورجاله لكن صديقنا أفضل حذرنا بأن السفح والمدق كلاهما خطر وملغم ولم يتم تطهيرهما.
أعجبني فى قمة الجبل شقاً صخريا مصقولا عرضه متران وطوله عشرة أمتار وهو منتظم إلى درجة كبيرة،جدرانه وأرضيته شبه ملساء ،إنه شبه خندق طبيعي. محمد أفضل قال أنه مجري سيل شقته الأمطار، فماتت الفكرة لتوها. لقد أفادتنا كثيراً خبرة محمد أفضل في المنطقة وإشتراكه في معارك السيطرة عليها.
كانت المعارك عنيفه جداً كما هو واضح من آثار القصف الجوى، فالحفر العميقه منتشرة في المنطقة وحول المغارة وموضع المدفعية وفوق القمة الجبلية نفسها.
أخبرنا "أفضل" أن هناك طريقاً قديماً للسيارات يربط بين هذا المركز وموقع جماعة عثمان، كان ذلك شيئاً ذو قيمة كبيرة فطالبناه أن يصطحبنا فيه، فسار بنا وسط تلك المجاهل الوعرة الجميلة بشكل يشرح الصدر، كما أنها مكان مثالى للقتال المواتى فى شرئطه للمجاهدين أكثر منه لأى جيش نظامي.
على مسافة ليست قريبة من مركز "القادسية" عثرنا علي القعقاع ، الشخص الثانى في المركز واقفاً على جدول الماء وقد تملكته الدهشه لقدومنا من الإتجاه المعاكس للطريق المعتاد وتوجهنا إلي المركز فواجهتنا نفس الدهشه من باقى أفراد الفريق ثم بدأ الترحيب والعناق.
بعد فترة وصل أبو زيد وجماعته، وتناولنا جميعاً غذاء فاخراً مكوناً من الأرز واللحم لأول مرة منذ حوالى شهر. وتضاحكنا ونحن نتذكر معسكر أبو العباس وكيف أن أبو النور عندما يطبخ اللحم فإنها تتحول أيضاً إلي بطاطس حتى صارت ثمرة البطاطس كابوساً يطاردنا حتى فى نومنا..إصطحبا أبو زيد وجماعته وبعض أفراد مركز عثمان حتى يتعرفوا على المركز الجديد.
وإستطاع أبو زيد أن يحدد موقعه بسهولة على الخريطة العسكرية التى معه نظراً لقربه من عدة نقاط تم تحديدها صباح هذا اليوم.
كل شئ يبدو مشرقاً وموفقاً هذا اليوم، ومعنويات الجميع مرتفعة وجميع المهام يتم إنجازها بيسر وإنشراح .
أعدنا "أفضل" إلى مركزة بعد أن إتفقنا معه علي أن يصحبنا إلى أحد القمم التي تصلح لتركيز "زيكوياك" فوقها، ولم نذكر له مشروع "الشلكا" حتى لا يشيع أمره قبل أن نتمكن من تنفيذه فعلاً. كان أبو تميم منهمكاً فى إصلاح شأن راجمة محمد أفضل التي تعانى من أعطال

كهربائة، وميكانيكية، كذلك راجمة معسكرنا "أبو العباس" التى مازالت فى حاجة إلى المزيد من الإصلاح.
مازلنا غير مستعدين للعمل، وتمنيت أن تتكاثر السحب، ولاتتمكن الطائرات من الهبوط فى المطار. ولكن العكس هو الذي حدث، فقد قصفت الطائرات بعنف فى التاسعة ليلاً وإستمرت كذلك حتي الثانية صباحاً. وحين تم إرهاق المجاهدين ونعست مدافعهم ثم نامت، بدأت الطائرات تهبط وتقلع بلا حسيب أو رقيب. شعرت بالحزن وكذلك جميع أفراد المشروع لكوننا مازلنا عاجزين عن العمل حتى الآن.

الأحد 12 أغسطس 90

لم ينم أحد ليلة أمس من شدة القصف الجوى، كان معسكرنا " أبو العباس" مستهدفاً بشكل واضح أكثر من أي وقت مضى، فقد سقطت أكثر من عشر قنابل ثقيلة فوق الهضبة التى بها المغارات، إضافة إلى قنابل كثيرة ضربت الجبل المقابل لنا.
لقد ضرب الطيران جميع مراكز المجاهدين التي يمكنها إستخدام مدافعها ضد مدرج المطار.
كان إهتمام العدو بقصف مركزنا بقوة أكثر من أى مرة سابقه يوحي بالشك أنه قد علم ما نحن بصدده وحدد مواقعنا أو على الأقل مركزنا الرئيسى.
كان لدينا وقتها عدد من الشباب الذين تخرجوا لتوهم من معسكرات التديب، وكانوا يقضون زيارة إلي مركزنا لعدة أيام. لم يشاهدوا قبلاً مثل ذلك القصف الجوى العنيف، فإنتابتهم إنفعالات شتى، كانت إيجابية وحماسية بوجه عام ولكنها أطارت النوم من عينى. كنت أشعر بالإعياء نتيجه فقدان الأملاح فى مسيرات الأمس الطويلة تحت الشمس الحارة، ولكنى كنت أشعر بالسعادة للتحصينات التى وضعناها أمام أبواب المغارات، فقد منعت الشظايا الملتهبة من الدخول إلي المغارات وأصابة من بداخلها.
ولم أكن بحاجة لأن أطلب من الحرس الليلى أن يدخلوا إلي المغارات أثناء تساقط القنابل، فقد أرغمتهم الطائرات على فعل ذلك، فدخلوا بسرعة وهم يضحكون، وأضواء اللهب تتصاعد فى الوادى والشظايا تصطدم بالصخور وأكياس الرمل التى شعرت تجاهها بالإمتنان.
كانت الأوامر الدائمة لدى الحرس أن يحتموا بالمغارات أثناء القصف الجوى المباشر على مواقعنا.
أول فقرة فى برنامج الصباح قمت بها مع أبو الشهيد كانت زيارة لجارنا محمد أفضل للبحث عن موقع "للشلكا"، شربنا معه الشاى الأخضر وقاطعتنا الطائرات فإضطررنا إلى دخول كهفه الصغيرلفترة.
أما عن الجبل الذى رشحه لوضع الرشاش الثقيل فقد ظهر أنه ملغم، وأن أفضل لا يعلم الممرات"النظيفه" فألغينا هذه الفقرة وإقترح أبو الشهيد أن نركز هذا اليوم فى تجهيز المركز الجديد وحتى يحضر" أبراهيم" للمشاركة معنا فى موضع الشلكا حتى تكون الترجمة دقيقه.
شرعنا بالفعل في ذلك البرنامج فإستعرنا بغلاً من جماعه كريم إضافه إلى سلاح "النهقيات" عندنا والمكون من ثلاث حمير، حتى ننقل الأمتعة من مركز أبو العباس إلى المركز الجديد، ولم تكن سيارتنا قد عادت إلينا من ميرانشاه حيث يجرى إصلاحها.
بعد إرتفاع الشمس شعرت بإعياء شديد فذهب إلي المغارة للنوم ولكن بلا فائده إذا سمعت إنفجاراً كبيراً علي مسافة ليست بعيده ثم تلاه إنفجار آخر، لم يكن أحد يدرى مصدر هذه الانفجارات ولكن لم يلبث أن جاءنا الخبر. فقد وصل إلى المعسكر عدد من البدو يركضون

وقد علاهم الإنزعاج الشديد ملامحهم وقد إتسعت حدقات أعينهم من الرعب وتكلموا كثيراً وبسرعة وهم يشيرون صوب جبل تورغار وفهمنا منهم أن ألغاماً قد إنفجرت بزملائهم أثناء جمعهم لشظايا قنابل الطائرات التى تساقطت فى المنطقة ليلة أمس. طلبوا منا أخشاباً لصنع نقالات وقد ساعدهم شباب معسكرنا في ذلك وتحركوا لنقل المصابين وما لبثوا أن أحضروا ثلاث رجال جميعهم مصابون أصابات بليغة فى أرجلهم التى بترت تقريباً ولا يمسكها بالجسم سوى أشرطة من الجلد المحترق.

كان أولهم قد وقع فى حقل ألغام فإنفجر به لغم فسقط مكانه، وعندما ذهب إليه زميلاه لإنقاذه أنفجر بهما لغم آخر فدمر أقدامهما بشكل بشع.

إستعرنا سيارة من مركز مجاور لنقل المصابين الثلاثه إلي ميرانشاه، ولم نكن قد قدمنا لهم إسعافات أولية كافية لعدم وجود أدوية طبية كافية أو خبير في التعامل مع تلك الحالات. وقد دفعنا ذلك الحادث إلي إستكمال ذلك النقص سريعاً، فإنضم الدكتور جمال، ذلك الطبيب الكفء إلى مشروع المطار لفترة محدودة كانت غنية بالإستفادة من خبراته الطبية النادرة إضافة إلى حالة الروحانيات العالية التى يبثها فيمن حوله من نصائح وقراءة قرآن إضافة إلى إمامته للصلوات التى كثيراً ما أبكى المصلين حوله من فرط تأثيرهم بقراءته الخاشعة التى يتخللها بكاؤه وقنوته. لقد كان الدكتور جمال طاقة طبية كبيرة بقدر ما كان طاقة روحية نقية وراقية.

تحركت السيارة بالمصابين الثلاثة وفي الطريق توفى منهما رجلان ووصل الثالث إلى المستشفى وهو فى الرمق الأخير ولم نسمع عنه شيئاً بعد ذلك.

مع السيارة التي نقلت المصابين غادرنا إثنان من الشباب فى إجازة فزاد عجزنا فى القوة البشرية، وقد أرسلت معهما رسالة إلى مبشر أطالبه فيها بإرسال السيارة إلينا حتى ولو لم تكن قد أصلحت بعد، كما طلبت منه الإسراع فى إرسال باقى أجهزة اللاسلكى، وقد كتبت فى مذكرتى ذلك النص:

 مازالت شكوانا قائمة من تعامل القاعدة مع عملية المطار والقتال فى خوست، فهو يفتقر إلى التركيز والإهتمام.

واضح أن تركيزهم الأساسى هو على المعسكرات، وأنه من المستحيل أن يكون لهم تركيز على معركة بدون أن يكون أبو عبد الله " أسامة بن لادن" متواجداً بنفسه علي رأسها. أرى أن ذلك ظاهرة غير صحية، وكما قال لى أبو الشهيد ونحن نناقش تلك المسأله ونحن نسير أمس فى الطريق حين قال: (إنهم دخلو هذه المعركة خجلاً منك). أخشى أن يكون كلامه صحيحاً

ذهب أبو الشهيد مع ثلاثة من الشباب إلى المركز الجديد لكنه مرض فى الطريق، فلم يستطيع مجاراتهم فى المسير، فأمرهم بأن يتابعوا المسيرة إلى هدفهم، لكنهم أخطأوا الطريق فضاعوا لعدة ساعات وسط الجبال، حتى عثر عليهم شاب يمنى يدعى" إبن عمر" وكان يقود سيارة "بيك آب" فحملهم معه إلى معسكر أبو العباس، وكان قد عثر عليهم فى مكان بعيد جداً عن منطقتنا.كان تعرفنا علي إبن عمر أفضل نتائج ذلك الحادث المؤسف، وقد عملت معه بشكل وثيق فيما بعد أثناء معارك فتح خوست فكان واحداً من أفضل من قابلتهم في حرب أفغانستان (وللأسف فإنه وإن كان قد نجا من القوات الشيوعية فى أفغانستان إلا أن القوات الشيوعية قد قتلته أثناء معارك توحيد اليمن عام 1994 بعد أن وقع أسيراً فى أيديهم وقتلوه فى زنزانته قبل أن يفروا وتسقط حكومتهم فى الجنوب).

لم يفتنا إستغلال وصول إبن عمر بسيارته ونحن فى أشد التعطش لوسيلة نقل حديثة، فحملنا

السيارة بأمتعة المعسكر الجديد، وبراجمة صواريخ مركز عثمان وكانت تحت الإصلاح بعد إنقلاب السيارة بها وركبت إلي جانب إبن عمر وخلفنا ركب أبو بكر وعبد الملك وكلاهما من مسلمى الولايات المتحدة من أصول أفريقية، وكانا يتمتعان بالشجاعة والقوة الجسدية الواضحة مع رقه نفس وأخلاق عالية.

قدرت أننا سنجد أبو الشهيد فى مركز عثمان وإشتد قلقى عليه إلا نجده هناك بعد مرور كل ذلك الوقت، فأرسلنا مجموعة للبحث عنه فى الجبال المحيطة وذهبت بالسيارة مع إبن عمر للبحث عن أبو الشهيد في مراكز المجاهدين فى المنطقة لكن بلا فائدة. أخيراً عدنا إلى مركزنا فى "أبو العباس" فوجدنا أبو الشهيد قد عاد منذ فترة قصيرة وقد راح في نوم عميق داخل المغارة الرئيسية.

فى الليل بدأ قصف جوى عنيف لحماية عملية هبوط الطائرات في المطار وكان مركزنا مستهدفاً منذ البداية، لكننا تمكننا من القيام بعملية نوم متقطعة، إلى أن جاءت نوبة حراسة أبو بكر الأمريكى. في الثانية والربع سقطت قنبلة كبيرة علي مسافة قريبة من مدخل مغارتنا الرئيسية التى هى بمثابة غرفة معيشية ضخمة لمعسكرنا.

والذى أزعجنا ليس هو صوت الإنفجار بل صياح وتكبير أبو بكر. فقد ظننا أنه قد أصيب فخرج الجميع يركضون إلي خارج المغارة للإطمئنان عليه، فوجدناه سليماً معافى، فطلبنا منه الدخول إلى المغارة والإحتماء بها إلى أن ينتهى القصف، لكنه تظاهر بالموافقه ثم تسلل خارجاً ثم تكرر نفس المشهد ثلاث مرات وعندها جذبوه بالقوة الي داخل المغارة بينما هو يصيح بأعلى صوته وبلغة عربية صحيحة قائلاً: (النصر أو الشهادة) ! ! .

<u>الاثنين 13 أغسطس 1990</u>

بعد صلاة الفجر خرجت لتفقد آثار قصف الطائرات لنا بالأمس.

إكتشفنا على الفور أول خسائرنا في قصف ليله الامس، فقد إصابت إحدى الشظايا "الزير" الفخارى الموضوع تحت شجرة قريبة من مدخل مغارة المعيشة، ولحسن الحظ أنها كانت الخسارة الوحيدة.

أما سيارة إبن عمر فقد سلمت لكونها كانت محتمية فى عطفة في ثنايا الهضبة التى نعيش فيها، وقد شرعنا فى تهيئة تلك العطفه بشكل أفضل لحماية السيارات التى تبيت فى المركز.

قريباً من مغارتنا كانت هناك ثلاث حفر ضخمة تعمل بها مجموعات البدو لإستخراج ما بها من شظايا القنابل.

كانت قنابل ثقيلة مضادة للمغارات، وكانت رؤسها المخروطية المصنوعة من الصلب السميك تغوص بعيداً داخل الارض، ولكن البدو ما كانوا ليتركوا ذلك الصيد الثمين يضيع منهم فكانوا يواصلون الحفر حتى العثور عليها. القصف الجوى الشديد لمنطقتنا جذب إليها الكثير من تلك المجموعات الباحثة عن الشظايا وكانوا يحصلون على عائد مجز من تلك التجارة، ولكن بعضهم فقد حياته أو أطرافه نتيجة دخولهم في مناطق ملغومة لايدرون عنها شيئاً.

ثم إكتشفنا فيما بعد أن بعض هؤلاء المغامرين الباحثين عن الشظايا كان يصعد إلي الجبل المرتفع المواجه للهضبة التى نحتمى بها ثم يلوح للطائرات بأقماشة ملونة حتى تقصف المكان فيحصلون على شظايا، غير عابئين بما يعنيه ذلك لنا أو لباقى المجاهدين، وقد فشلنا تماماً فى منعهم من ذلك، وقد عاقبناهم بأن منعناهم من جمع شظايا القنابل التى تهبط قرب معسكرنا فكنا نجمعها نحن ونبيعها لحسابنا حتي لا يحصلوا هم علي فائدة من تلويحهم للطائرات وجذب

إنتباهها إلينا.
لقد فشلنا فى منعهم بتلك الطريقه أيضاً ولكننا كسبنا بعض المال من تلك التجارة بمامكننا من تحسين الحالة الغذائية لمعسكراتنا.
غادرنا "إبن عمر" بسيارته صباحاً متوجها إلي مركز خليل فى بارى وصاحبه أبو الشهيد حيث يكمل من هناك رحلته إلى ميرانشاه للضغط علي مبشر لإستكمال نواقص العملية ويحضر سيارتنا من هناك. كنا فى حاجة إلى ثلاث أجهزة مخابرة صغيرة كان لدينا ثلاثة فقط أحدها ينقصه "الهوائى" وكنا نعانى من نقص شديد في الأفراد لإستكمال قوة المركز الجديد.
حملت حقيبتى قاصداً جبل الترصد لمتابعة أخر المستجدات على ساحة المطار وعلى ساحة الوادي.طلب أبو حامد الليبي أن يصاحبنى حتى مركز "شاه خان" الذى يعمل فيه صديقنا محمد أفضل كى نقترض منه فرشاه تنظيف للراجمة، وكذلك هوائى" إيريال" للمخابرة الصغيرة تمهيداً لتجربة الرماية هذا اليوم، وقد إغتنم أبو حامد مسافة الطريق، وهى ليست طويلة، كى يتحدث معى فى الأوضاع السياسية في منطقة الخليج بعد إحتلال العراق للكويت ثم إستقدام القوات الأمريكية، وحلفائها الغربيين إلى جزيرة العرب، كذلك إستنفار أبو عبدا ، "أسامة بن لادن"،لشباب الجزيرة في أفغانستان واستدعائهم إلى السعودية للدفاع عنها ضد قوات صدام، وتساءل أبو حامد عما أذا كان أبو عبد ا سيتعاون مع الأمريكيين فى الدفاع عن السعودية لكننى إستبعدت ذلك تماماً، وقد كان مرتبكاً من موقف علماء السعودية المشهورين وتأييدهم لقدوم الأمريكيين.
فشرحت له تفسيرى لما يحدث وتفاؤلي تجاه تلك الأحداث المربكة لكونها سوف توقظ المسلمين وبالذات الحركة الإسلامية، وتوضح أمام الجميع حقائق كانت واضحة ولكنهم تعاموا عنها أو تجاهلوها ، ولم يعد ذلك ممكناً الآن. وقلت له أن تاريخنا الحديث قد ينقسم إلى قسمين الأول هو ما قبل نزول القوات الأمريكيه إلى جزيرة العرب والقسم الثانى هو ما بعد ذلك الغزو.
ـ وصلت الى قمة الترصد فى الثامنه صباحاً . جلست خلف المنظار المقرب حتي الحادية عشر ظهراً، كانت الشمس قوية فشعرت بالعطش والإرهاق، فتمددت على الصخور تحت الشجرة الشوكية القريبة، كنت فى غيبوبة بين النوم واليقظة حتى سمعت صوت أبو زيد التونسى ومعاونوه.
كنت أرتاح كثيراً للعمل مع ذلك الشاب المهذب الشجاع، الذى يتمتع بخلفية علمية وفنية متقدمة، وكان هادئ الطباع مرحاً عزوفاً عن المجادلات والخصومات التى إبتلانا بها عدد قليل من العاملين معنا في المشروع.
أحضر أبو زيد معه منظاراً ذو عين واحده مثل مناظير القراصنة، كان أقوى كثيراً من أى منظار آخر لدينا، ولكن زاوية رؤيته ضيقة ولكنه أشبع فضولى فى رؤيتة تفاصيل جديدة، مثل رؤية أرقام الطائرات المحطمة فوق المدرج. وضعت المنظار فوق حامل معدنى وبدأت في مسح المنطقة من جديد، بينما بدأ أبو زيد أول محاولة لتصحيح رماية الراجمات، وبدأ من الراجمة الأولى، وهى راجمة أبو تميم التى مركزها معسكر"أبو العباس".
كانت تلك الراجمة وراجمة عثمان فى دروازجى فى معسكر القادسية كانتا تستخدمان الأسلوب الجديد فى تصحيح الرمايات بإستخدام برنامج كمبيوتر، أما الراجمتان الآخريتان والداخلتان معنا فى البرنامج والتابعة للمجاهدين الأفغان فكانتا تتبعان الأسلوب التقليدى فى تصحيح الرمايات، ولكن على أية حال لم يكن هذا الأسلوب التكنولوجى الراقى ذو تأثير ملموس فى

رفع كفاءة عمليتنا بسبب طبيعة العملية نفسها التى لاتستلزم تغيير زوايا الرمايات أثناء العمل بل هى تبقى ثابتة طول مدة الإشتباك.
بعد أربع محاولات مع راجمة أبو تميم قال أبو زيد أن عليه أن يذهب إلي هناك لإصلاح خلل في الكمبيوتر وأنه سوف يستأنف العمل غداً مع الراجمات الأربعة، لأنه سيذهب إلي عثمان للتأكد من أن برنامج الكمبيوتر عنده لايعانى من نفس المشكلة.
كنا مازلنا نتعاون مع أفراد معسكر كريم فى حراسة نقطة الترصد نظراً للعجز الكبير لدينا في عدد الأفراد، ذلك على الرغم من عدم إنسجامنا مع أفراد تلك المجموعة الفوضوية. فما زالوا يحتفظون بمدفع "دوشكا" وكنا قد أكدنا عليهم عدم إستخدامه على الإطلاق لكنهم كانوا يخالفون ذلك الحظر من وقت إلى آخر. فمثلاً اليوم فى الساعة الثانية ظهراً ذهب كبيرهم وأطلق "زخة" من الدوشكا علي جبل العدو الرابض أمامنا، فصحت في وجهه بطريقة هستيرية أدهشته فتوقف عن الرماية، ربما لأنه لم يتوقع منى ردة فعل شديدة كهذه. لكنه قرر أن يثأر منى فذهب بعد صلاة العشاء صوب مدفعه ومعه كمية ضخمة من الطلقات وشرع فى الرماية، ولكن لحسن حظ الجميع تعطل المدفع بعد الطلقة الثالثة.
كان المدفع يعانى من عدة مشاكل وأعطال، ويظهر أنه تعطل الآن تماماً وكان ذلك من دواعى سعادتى بلا شك.
لم يرد العدو على طلقات الدوشكا، وكذلك الطيران ظل هادئاً طوال اليوم ولم تحدث أى محاولة لإستخدام المطار ليلاً، كانت حالة سلام غير عادية تغمر خوست وكأن الحرب قد إنتهت فجأة، لقد نعمنا بنوم عميق فى ليلة هادئة لم نشاهد مثلها منذ مدة طويلة.

الثلاثاء 14 أغسطس 1990

صلينا الفجر جماعة داخل الخيمة، فليس هناك أي بقعة مستوية غيرها.وتوجهت إلى نقطة الترصد عبر المدق الملتوى الصغير، فوجئت بأحد أفراد جماعة كريم يسبقنى عدواً إلى هناك، أدركته وهو يقلب مدفع الدوشيكا وقد حاول أن يطلقه لكنه لم يستجب له.
لاشك أنه أراد أن يتحدانى لموقفى المتشنج منهم بالأمس، ولم رآنى قادماً بينما هو عاجز عن إطلاق المدفع، نظر نحوى وقال بحسرة "دوشيكا ختم" أي أن الدوشكا إنتهت، فرددت عليه مبتسماً بشماته "الحمد "، وإعتبرت ذلك فألاً حسناً نبدأ به عملنا اليوم.
جلست بالمنظار خلف الصخور السوداء لمراقبه المطار كان الجو غائماً والرؤية غير واضحة، تكاثر الغيم مع فترات مشرقة حارة.
إخترت مكاناً قريباً أكثر راحه للترصد، ومرت الطائرات المقاتلة من فوق مواقعنا بدون أن تقصف. بعد العاشرة بقليل جاءنى مندوب من الخيمة يدعوني إلى الغداء، كان الوقت مبكراً على ذلك، لكن لامجال للإعتراض فلن يكون هناك طعام مرة أخرى، قبل حلول الظلام.
أدركنا على الغداء أبو زيد التونسى وإثنان من معاونيه من بينهما أبو حامد، ثم صعدنا إلى الترصد ليبدأ أبو زيد برنامج شاق لتشغيل راجمة أبو تميم فالإتصالات اللاسلكيه مع المركز صعبة جداً ومتقطعة.
وقد ظلت تسبب لنا مشاكل حتى نهاية العمليه بسبب إنخفاض مركز أبو العباس وكثرة الجبال الحاجزة بينه وبين نقطة الترصد، ولم نتمكن من إقناع القاعدة بتركيب جهاز لتقوية الذبذبات.
أثناء إحتدام العمليات قام بعض الشباب في "أبو العباس" بعمليات جريئة للغاية لتحقيق إتصال مع نقطة الترصد رغم أنهمار قنابل الطائرات حولهم ولكن ا حفظهم، وكان ذلك ضمن

كرامات كثيرة أكرمنا ا   بها خلال مشروع المطار.
وخلال الرمايات التجريبية حققت راجمة أبو تميم إصابات رائعة فى عدد من النقاط الحساسة التي من المفروض أن يتخصص في واحدة منها فقط، فقد أصاب النقطة الأولى من المدرج التى تلامس فيها عجلات الطائرات أرض المطار، ثم النقطه الرئيسية حيث تتوقف الطائرات للتفريغ، وأحياناً للإصلاح أو للإختباء إلى أن يحين وقت مناسب للإقلاع. لم نكتشف إلا بعد فتح المدينة مدى أهمية تلك النقطة لإدارة العمل فى المطار، ثم نقطة أخرى تليها يشتبه فى أنها نقطة تفريغ ثانوية، ثم وجه الراجمة جهة الشرق وأصاب منتصف المدرج. حدد أبو زيد تلك الأماكن الهامة وسجل أبو تميم زوياها حتى يتوجه إليها عند الطلب، ثم حددنا له النقطة الرئيسية، كما كنا نسميها ، وقد كان إختيارنا هذا موفقاً ومصيباً.
بعد إنتهاء الرماية وصلت سيارة جيب إلى مدرج المطار ونزل منها إثنان من العسكريين أظنهما ضباط طالما أنهما لم يفعلا شئ سوى فحص آثار الصواريخ علي المدرج . وفكرت فى أنهما إذا كانا قد شاهدا الرمايات منذ بدايتها وتنقلها من نقطة إلى نقطة أخرى، لأدركوا أن هناك إستعدادات من نوع جديد للعمل ضد المطار.
تناقشت مع أبو زيد فى إدخال تعديلات على برنامجنا الأصلى فى الترصد وتوجيه النيران من أجل إختصار الوقت والبدء قريباً فى العمل.
واستقر الرأي علي إلغاء فكرة إنشاء نقطة ترصد إضافية، وأن نكتفى بالعمل وفقاً للخريطة العسكرية لدينا بعد أن تم خلال الأيام الماضية وبمجهودات فريق المساحة تحديد عدة مواقع هامة عليها..شعرت بألم شديد فى العين وصداع نتيجة إستخدام المنظار الفلكى المقرب معظم الوقت، إنتابتنى مع ذلك رغبة في القيئ، فظننت أننى مصاب بضربة شمس نزلت إلي الخيمة.
جاء كبير جماعة كريم فى مركزنا ورغم ما شاب العلاقة بيننا من تأزم بسبب مدفع الدوشكا إلا أنه تطوع لعلاجى فعصب رأسى بقوة فخف الألم قليلاً وما لبث أن زال تماماً،فعدت لإستئناف العمل في نقطة الترصد، وعادت العلاقة ودية بينى وبين مجموعة كريم حتى أنهم صنعوا شاياً بالحليب عدة مرات ودعونى إليه، وقد إكتشفوا بالملاحظة تعلقى بذلك المشروب. كنت مطمئناً لثبات تلك العلاقه طالما أن "الدوشكا ختم".
ُفى بداية اليوم وصل من ميرانشاه كل من حاجى إبراهيم وأبو عبد الرحمن"بى إم" الذى طلب أن أقابله فى مركز"أبو العباس" فأخبرته أننى سأحضر إليه فى المساء، ولاشك أنه بقى مشغولاً معظم اليوم فى مساعدة أبو تميم في تجارب الرماية التى أجريناها.
بعد إنتهاء عمل الراجمة سألنى أبو زيد إذا كنت أتوقع أن تنزل طائرات العدو إلى أرض المطار، فقلت له بأن الطقس إذا ظل مشرقاً كما هو الآن ولم تتوسع تلك السحب القادمة من الغرب فإنهم سينزلون.
بدأت مع أبو زيد وفريق المساحة هبوط جبل الترصد متوجهين صوب مركز أبو العباس. كان الوقت عصراً حين فاجأتنا الطائرات ورمت قنابلها على مسافة أمامنا على الطريق إلى مركزنا الرئيسى. قد تكون تلك الغارة رداً على رمايتنا النهارية على المطار أو أنها تمهيد مبكر لعمليات إنزال ليلية فى المطار.
قررت العودة إلى نقطه الترصد لمتابعة الموقف فى المطار أثناء الليل ولكن أبو زيد وجماعته لم يروا أنه من المناسب التراجع أمام قصف الطائرات والسماح لها أن تمنعنا من الوصول إلي المعسكر. لم أشأ أن يتحول النقاش الى مهاترة لإظهار الشجاعة، فتركتهم يتابعون وعدت

سريعاً إلى نقطة الترصد، وظللت أراقب الموقف حتي التاسعة ليلاً ولكن الموقف ظل هادئاً، فوضعت فراشى قرب نقطة الترصد ونمت على الأرض المائلة المنزرعة بصخور حادة ناتئة.
فى الثانية والربع صباحاً ظهر صوت الطائرات المروحية يهدر في السماء إنها"الجاموسة" كما نسمى القاذفات الثقيلة، وما لبثت ان ضربت جبل تورغار بقذيفتين ثقيلتين، ومثلها فوق أبو العباس، ثم ما لبثت الطائرات النفاثه أن ركبت منطقتنا فى موجات متتابعة وضربت منطقة الترصد بست قنابل منها أربعة أمام نقطة الترصد مباشرة. توقفت الغارات وكانت كمية القنابل التى رمتها الطائرات قليلة، ولكنها قريبة جداً من أهدافها. ساورنى الشك في أن طائرة واحدة قد هبطت في المطار أثناء تساقط القنابل فوق رؤوسنا.
ولم أكن متأكداً من ذلك ولم يكن لدى إتصال لاسلكى مع تورغار أو عبد العزيز حتى أستعلم منهم عما حدث في المطار، لكن أحداً من مراكز المجاهدين رمى على المطار.
أخيراً تمددت فوق الأحجار الحادة المائلة وتذكرت نومة فقراء الهنود فوق فراش من المسامير ولكنهم أفضل حالاً مني لكون فراشهم ليس مائلاً بهذا الشكل.

الأربعاء 15 أغسطس 1990

إستيقظت فى الخامسة صباحاً فألقيت نظرة علي المطار ثم توضأت بمياة فى وعاء"زمزمية" كانت معى ثم صليت الصبح وكنت عازماً على الذهاب إلى مركز أبوالعباس ولكننى كنت متعباً فنمت ساعة إضافية.
فى معسكر أبو العباس دارت النقاشات الأولية حول خلافات بين أبو نور وأبو تميم بسبب تنازع الإختصاصات فقضيت وقتاً ثقيلاً فى تحديد الإختصاص والصلاحيات لكل منها.
كان صدرى يضيق بأمثال تلك المشاكل التى كنت أراها أصغر من اللازم، خاصة وأن كلاهما كان فوق متوسط أعمار شباب المعسكر، كان أبو زيد يشاطرنى ، بصمت ،رأيى هذا فلم يكد يشارك فيما دار من نقاش.
ثم حدثنى أبو عبد الرحمن عن الموضوع الذى جاء من أجله وهو ما قال أنه ضرورة إصدار مجلة ترفع مستوى الوعى الإسلامى وتكون بعيدة عن أى تدخل وتغطى نواحى الشرع والسياسة والتاريخ، وطلب منى المشاركة على أن أعطيه رداً نهائياً قبل أن يغادرنا بعد غد.
فقلت له أن مشاكل حياتيه بالنسبة للعمل والإستقرار تشكل بالنسبة لي معضلة لا أجد لها حلاً، فقدم لى بعض المقترحات خاصة بالعمل في مجال التجارة أو الصناعات الخفيفة.
فى صباح الغد سيذهب أبو عبد الرحمن إلى مركز عثمان للمساعدة فى تضبيط الراجمه كما حدث أمس مع راجمة أبو تميم، وسوف يصطحب معه أبو حامد الليبى وكمية من الطعام واللوازم الأخرى، علي أن يعود لنا بالفراش الزائد هناك لكون الفراش المتوفر عندنا لايكفى عدد الأفراد حتى أن البعض قد أصيب بالبرد.
بعد العصر غادرت المعسكر مع حاجى إبراهيم قاصدين مركز الترصد حتي نحقق إتصالاً مع عبد العزيز فى مركز الترصد الرئيسى لجلال الدين حقانى، ثم نحقق إتصالاً آخر مع ترصد تورغار، وكنت أنوى إشراك راجمة أبوتميم فى رمايات اليوم، وكان أبو تميم يبدى تلهفاً للإشتراك فى الرماية حتى بدون إرتباط بنا فى الترصد. كان التعامل معه صعباً في الواقع.
في الطريق إعترضتنا ثلاث غارات جوية، وقد سقطت قنبلة على مسافة قريبة منا ولكن لم تصلنا شظاياها بسبب هضبة صغيرة فصلتها عنا.

وصلنا خيمة مركز الترصد قبل الغروب بقليل. شرعت فوراً فى الوضوء وكتابة يوميات اليوم والأمس. وضعنا فرش النوم قريباً من نقطة الترصد. فى العاشرة بدأ الإستعراض ، كما كنت أسميه، لقد أضاءت الأضواء الحمراء الصغيرة على طول المدرج وهى موضوعة على مستوى الأرض، ثم وصلت طائرة نقل مروحية تحاول الهبوط، حقق إبراهيم إتصالاً مع عبدالعزيز فى مركز ترصد حقانى وقد طلب منا أن نبدأ بالرماية لأن الطائرة تحاول الهبوط، لم نتمكن من الإتصال مع أبو تميم أما عثمان فمازال غير جاهز للعمل.

بدأ تميم الرماية بمبادرة منه أما مركز أبو جندل الواقع على يميننا تقريباً فقد أجاب بثلاث دفعات متتالية من راجمته فأثار إعجاب المجاهدين، فكبروا على أجهزة المخابرة.

وصلت الطائرات النفاثة متأخرة عن توقيتها الطبيعي وضربت على مراكزنا ومراكز أخرى وكانت ضرباتها مشتتة، ولكن الجديد هو دخول راجمة الصواريخ عند العدو من طراز(بى إم 13) في ميدان الإشتباك وإرسلت إلينا صاروخاً سقط قريباً منا إلي الخلف ثم أرسلت عدداً من الصواريخ فى إتجاه أبو العباس.

إستمر الحال على هذا المنوال ساعتين متصلتين. وفى تقديرى أن طائرتى نقل نجحتا فى الهبوط، ولكن نقطة ترصد أخرى أظنها فوق تورغار قالت أن الطائرات لم تتمكن من الهبوط

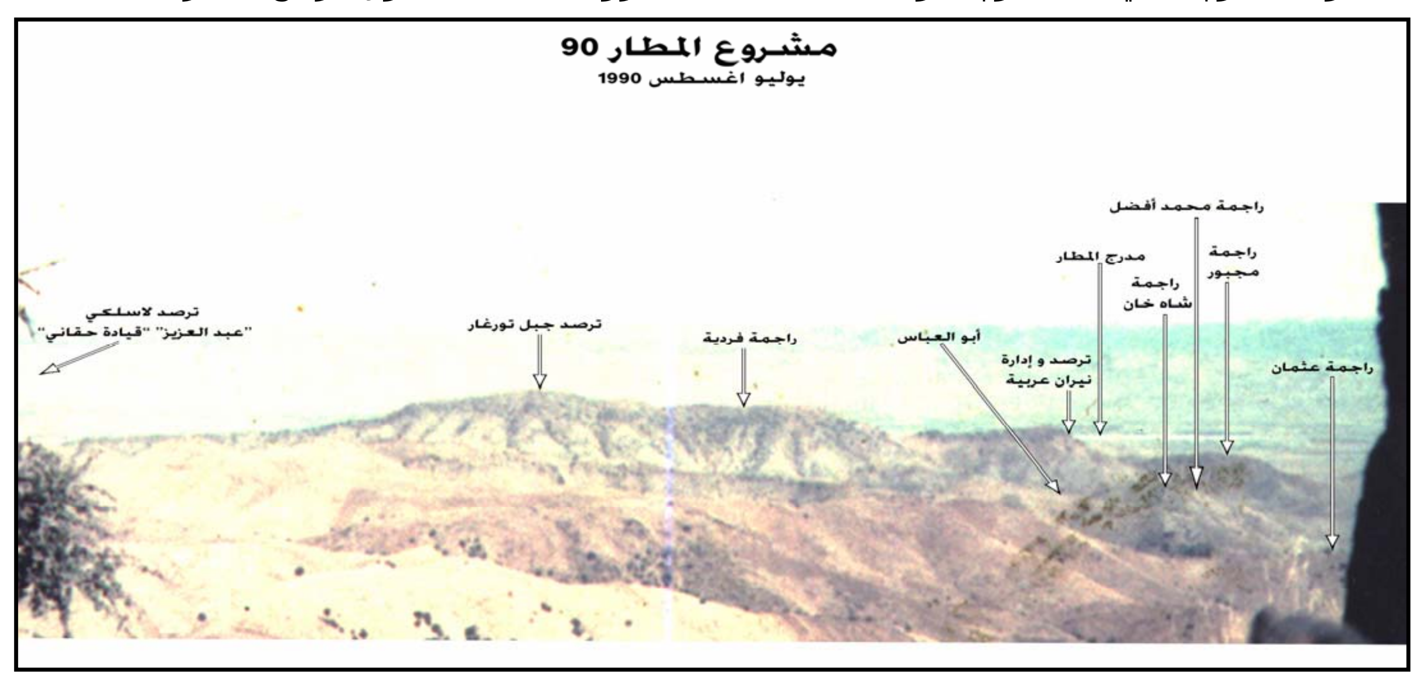
أو أن واحدة على أكثر نجحت وقد كتبت هذه الملاحظه عن إشتباك اليوم:

 (المجهود الجوي ضعيف جداً بالنسبه للسابق، وكان عبارة عن طائرة نفاثة أو أثنين ثم طائرة "جاموسه" أما الرماية الصاروخية فهي أشد من المعتاد.

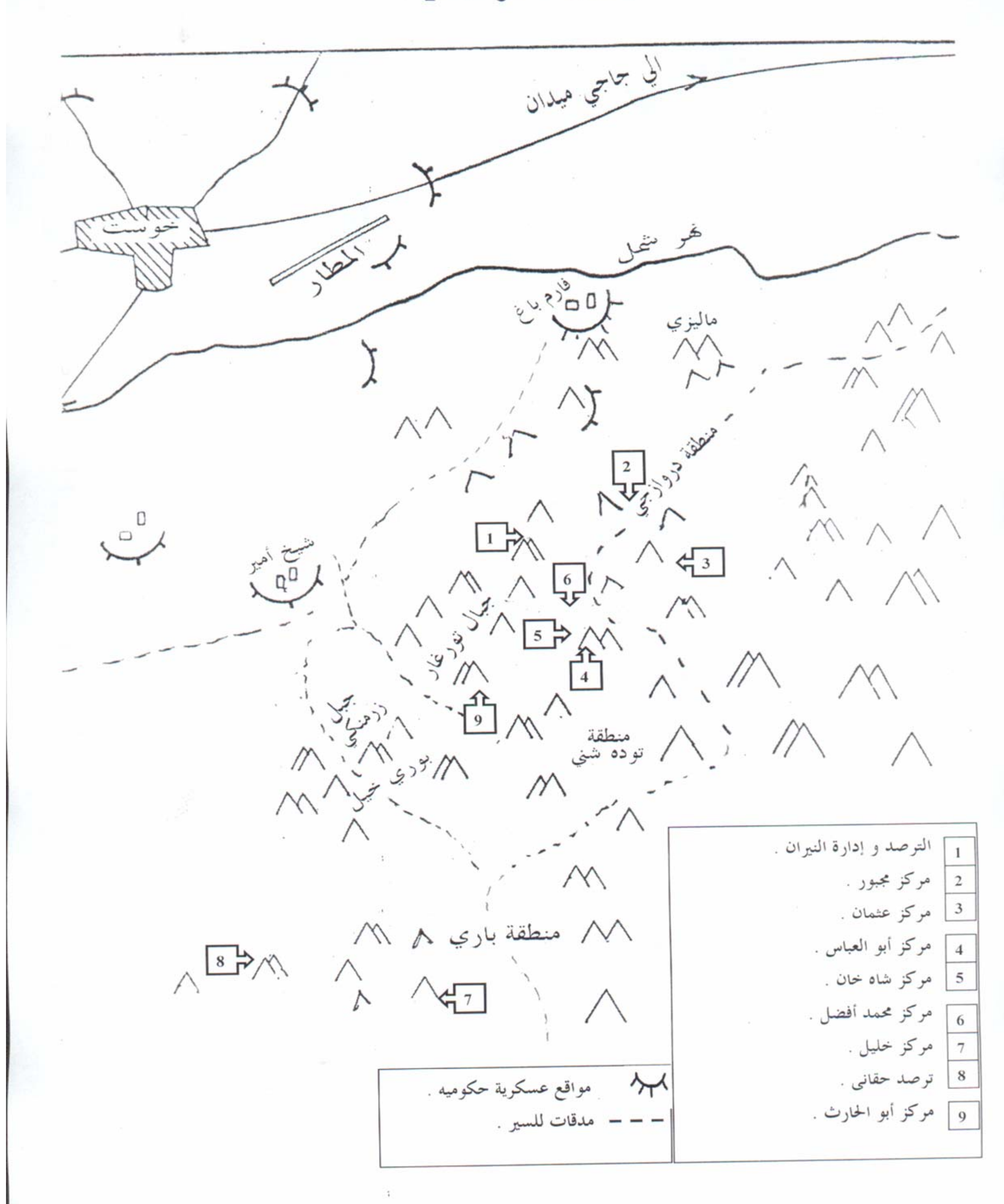
وهذه السياسة ليست فى مصلحتهم ـ أى العدو ـ فهى تستهلك ذخائر قوة المدينة،فتحتاج إلى طائرات إمداد أكثر عبر المطار.)

ورغم القذائف القليله التى رماها أبو تميم بدون إرتباط معنا فى الترصد فإننا لم نعتبر أنفسنا قد دخلنا إشتباك ذلك اليوم، لأن فكرة مشروعنا الرئيسية هى الإشتباك بمجموعة راجماتنا مرة واحدة تحت إدارة مباشرة من نقطة الترصد حيث مركز القيادة.

ولكن اليوم التالي كان اليوم الأول الذى أعلن فيه مشروعنا عن نفسه فوق أرض المعركة.



[عملية المطار 90]



أجهزة الإتصال اللاسلكية كانت أقل من المطلوب، فكان لابد من تأجيل أو إلغاء برنامج العمليات الخاصة"على هامش مشروع المطار، وهو البرنامج الذي كان مقرراً أن يتولاه أبو الشهيد، بسبب عدم وجود جهاز مخابرة للإتصال به، وعدم وجود أفراد يعملون معه فى البرنامج.

عدم توافر الأفراد أدى أيضاً الى أن نعمل براجمتين فقط وليس ثلاث راجمات عربية كما كان مقرراً فى أصل البرنامج، وذلك جعل راجماتنا العربية أقلية فى المشروع من ناحية العدد وأن كانت كمية النيران التي صبتها أثناء العمليات كانت هائله بمقاييس ذلك الوقت بالنسبة للراجمات فى المنطقة

كانت سيارتنا "البيك آب" القديمة تحت الإصلاح وقت بدء العمليات وكان ذلك مجازفة، من حيث إمكان عدم تموين راجمات المشروع الخمسة بالذخائر.

بعض هذه المشاكل كنا نتوقع أن يتم حله بين لحظة وأخرى مثل وصول مخابرة إضافية على الأقل، مع وصول سيارتنا من الإصلاح فى ميرانشاه.

أو وصول بعض المتطوعين الجدد لسد العجز الواضح فى القوة البشرية خاصة ما يتعلق بإفتتاح مركز لراجمة جديدة وكان أبو الحارث بصدد تحمل هذه المسئولية وإرسال الأفراد والراجمة علي أن نتحمل نحن الذخائر والإداريات الأخري

ـ كان موضوع الذخائر بالنسبة لى هماً مقيماً طوال العملية، فقد كان سلوك الإداريين فى القاعدة لايوحى بالثقة، فطوال الفترة الطويلة التى قضيناها فى الإعداد للعملية، لم يوفروا لنا سوى ثلث الكمية المطلوبة، ناهيك عن وضعنا بشكل عام في حالة إدارية أقل بكثير مما توقعت، فلا الأسحة المطلوبة حصلنا عليها ولا أطقمها وصلت، فإضطررت إلى اللجوء إلى جهات أخرى متعددة لإستيفاء المطلوب من أسلحة وأفراد خاصة من جانب حقانى وأبو الحارث، وكلاهما لم يدخر وسعاً فى مساعدتي، ولولا ذلك الموقف الرجولى منهما لما تمكنت من إكمال المشروع.

وقد تحقق ما كنت أخشاه ونفذت الذخائر ونحن في ذروة العمل، والطريف أن الذى أنقذ الموقف هو أحد الكوادر العسكريين فى القاعدة ،وليس الإداريين، فقد إشتري لنا دفعة واحدة أكثر مما إستطاع هؤلاء توفيره لنا خلال عدة أشهر .

قمت قبل بدء العملية بأقتراض الذخائر "الصاروخية" من بعض الأصدقاء القدامي من قادة المنطقه، ومن حقاني أيضاً حتي وصل مخزوننا إلي حوالى (620) صاروخ قبل يوم البدء ومع ذلك فبعد الإشتباك الثالث (أى الليلة الثالثة) إكتشفت أن إستهلاك الذخائر غير عادى، فكتمت إنزعاجى من فكرة أن تقديرى المبدئى كان خاطئاً وأننا قد نحتاج إلي أضعاف ماقدرته فى البداية ـ أى 1500 صاروخ للعملية كلها.

ولكن بحمد ا تمكنا من إغلاق المطار نهائياً، ومنع العدو من إستخدامه ـ إلى الأبد ـ مستخدمين 1200 صاروخ فقط، وبعد 26 يوماً من الإغلاق المتواصل بدلاً من شهر كما كنا نخطط حسب تقديرات حقاني أن العدو لن يتحمل إغلاق المطار لمدة شهر.

وكان كلام حقاني صحيحاً، ولكن العدو لم يسقط أرضاً لأنه قد أعد واستخدم مطاراً جديداً على الطرف الشمالى الشرقى من الوادى وهى منطقة أكثر أمناً بالنسبة له وبعيدة عن نيران الراجمات بشكل خاص.

وسوف نرى كيف تمكن العدو من خداع حقاني ومنعه من التدخل وقت تجهيز المطار الجديد

بضرب المعدات العاملة فيه، وهو ما ضغطت بشدة لأجل إتمامه لكننى فشلت في ذلك. وقد حاولت أن يقوم العرب منفردين بذلك العمل وكنا فى حاجة إلى عدد قليل من مدفعية مناسبة **(من عيار 122 مليمتر)** أو دبابتين على الأقل، ولم يكن الحصول على تلك الأسلحه ممكناً، فى وقت عمل العدو مكشوفاً فى ضوء النهار فى تجهيز مدرج المطار الجديد. كذلك كانت القاعدة أبعد ما يمكن عن إمدادنا بالكوادر المطلوبة لتشغيل تلك المعدات لأسباب عديدة ومعقدة، ويظل من العسير دوماً أن يقوم أحد التنظيمات بدعم عملية يقودها شخص من خارج التنظيم خوفاً من أن يتحول هو نفسه إلي تنظيم تبعاً لقاعدة الوباء التنظيمي أو التكاثر الأميبى في التنظيمات الإسلامية.

لقد إستغرقت العملية ست وعشرين ليله من الإغلاق المتواصل للمطار، ولم تكن جميعها إشتباكات لكون العدو إمتنع عن ـ أو لم يتمكن من ـ إستخدام المطار رغم كون الأحوال الجوية مناسبة.. وفي أيام أخرى كانت الأحوال الجوية هي العائق. أما الأيام ـ أو الليالى ـ التى حاول إستخدام المطار ومنعناه بالقوة فكانت إحدى عشر ليله سوف نسميها (ليالى الإشتباك) أما الأخرى فسوف نطلق عليها (ليالى الإغلاق) وذلك أثناء سرد أهم الأحداث التى دارت فيها، أو فى أيامها، فيما يتعلق بمشروع المطار أو منطقة خوست.

ـ بدأت أيام المشروع في يوم الخميس(**90/8/16**) وإنتهت فى يوم الإثنين (90/9/10) وكلاهما كما نرى من الأيام المباركة التى يستحب فيها الصوم، وكان القتال فيهما مباركاً وأحترقت طائرات العدو فى الأيام الأولى واليوم الأخير أيضاً، وما بينهما فقد بلغت خسائرة المؤكدة أربعة عشر طائرة نقل عسكرية من طراز (AN-32) وهى طائرات حديثه ، وقتها ، يمكنها إستخدام مدرج صغير نسبياً للهبوط ومزودة بأجهزة رؤية ليلية(كما أخبرنا بذلك جنرال طيارتم أسرة فى خوست بعد الفتح وقد كانت مجموعتنا علي الراجمات هى السبب المباشر فى أسره كما سنرى بإذن ا عند الحديث عن فتح خوست.

وقد أخبرنى ذلك الجنرال أن الطائرات التى أصيبت فى خوست، وقت عملنا فى مشروع المطار، ولكنها تمكنت من العودة الى كابل رغم ما تحمله فى بدنها المعدني من شظايا صواريخ الكاتيوشا، قد تم إصلاح بعضها ولكن عشرة منها تعذر إصلاحها فأحيلت علي الإستيداع في مطار كابل.

فيمكن إعتبار خسائر العدو ، بناء على تلك الشهادة ، أنها أربع وعشرون طائرة نقل عسكرية).

لقد كانت الآيات والكرامات التي حبانا ا بها فى ذلك المشروع أكثر من أن تحصى، سأحاول الإشارة إلى بعضها.

ولولا رعاية ا لنا لأبيدت مجموعاتنا العامله عن بكرة أبيها .وقد أوشك ذلك أن يحدث، وكان يمكن أن تنجو جميع أو معظم طائرات العدو من الدمار ـ وقد كاد ذلك أن يحدث ـ

ولكن أظن أننا بذلنا أفضل ما كان يمكن لنا أن نفعله فى ظل ظروفنا آنذاك وظروف المجاهدين، عرباً وأفغاناً.

وأظن أنه كان بيننا وقتها عدداً من الرجال الصالحين ـ عرباً وأفغاناً ـ شفع لنا عند ا صلاحهم ودعاؤهم وإخلاصهم النية والعمل ، ولولا ذلك كله لكنا من الخاسرين.

ولابد من الإشارة هنا إلي ان العدو بدوره قد واجهنا بأفضل ما لديه من إمكانات عسكرية وخبرة قتالية. لقد كان الطيارون الأفغان غاية في البسالة والشجاعة، وأظهر الضباط الذين

أداروا القتال ضدنا قدراً كبيراً من الحنكة والذكاء، ولكن مجهودهم الكبير ذهب أدراج الرياح.

كنت أسجل يومياتى على قدر الإستطاعة من التفصيل وقتها، كما إحتفظت بمعظم الرسائل التى تبادلناها أثناء العملية وكذلك تقارير الترصد والمراكز،وأجمل مافى هذا كله ذلك التلخيص الذي دونته في نهاية العملية على شكل جدول لخصت، فيه ما حدث في الست وعشرين ليلة إغلاق والأحد عشر ليلة إشتباك، وقد عزمت الآن أن أضع ذلك المخاص فى مقدمة الحديث عن كل يوم وقبل الخوض فى التفاصيل التي قد تأخرنا بعيداً عن العملية، إلي مجالات متعددة منها السياسى أو الإداري أو الشخصى، وقد نجد فى السرد الأشياء الهامة إلى جانب توافه ـ كما قد تظهر الآن ـ ولكنها حياتنا التى عشناها على أية حال فمن المفيد هنا ـ فى ظني ـ أن نظهر الجهاد فى سياقه الإنساني والإجتماعى ـ أكثر من كونه عملاً عسكرياً مجرداً أو سياسياً بحتاً.

لقد ذكر لي الجنرال الأسير ـ صلح أمل ـ والذى تم أسرة فى خوست ملخصاً لى خبرته من حرب أفغانستان فى عبارة واحدة حين قال:

(لقد أثبتت لى تلك الحرب أن العنصر الإجتماعي في الحروب أقوي تأثيراً من العناصر العسكرية أو الإقتصادية أو حتي الإستراتيجية).

وأنى أسجل موافقتى التامة له فى ذلك، لذا لا أحبذ هنا أن نتكلم عن القتال كعامل منعزل عن إطار البشر القائمين عليه فهم مادة هذا القتال وهدفه أيضاً.

فدعنا إذن نتحدث عن أنفسنا كبشر ولا أظن أن هناك ما يدعونا للخجل من ذلك طالما نحن لسنا بملائكه ولانسعى بالطبع لأنه نكون من الشياطين ـ والعياذ با .

::::::: ::::::::: ::::::::: :::::::::::
::::::: ::::::::: ::::::::: :::::::::::

<u>أول الغيث</u> .. <u>المطار يحترق</u>

<u>الخميس 16 أغسطس 1990</u> : (الملخص)

ـ ـ ليلة الإغلاق الأولى.
ـ ـ ليلة الإشتباك الأولى.
ـ ـ عدد محاولات هبوط الطائرات إثنتان.
ـ ـ نتائج عمليات الهبوط لم تتمكن الطائرات من تفريغ حمولتها.
ـ ـ الإصابات عند العدو أصيبت الطائرة الثانية ـ فى حين فرت الأولى بدون تفريغ.
ـ ـ الإصابات فى مجموعتنا لاتوجد.

ملاحظات عملت راجمه دروازجى "عثمان" بشكل كامل.أما راجمة العباس "أبو تميم" فعملت بشكل جزئى لعدم وجود إرتباط لاسلكى مع الترصد والقيادة.

صباحا كنت فى نقطة الترصد أراقب مدرج المطار عندما سمعت صوت أبوزيد التونسى ومعه مساعداه أبو حامد الليبى وأبو عبيده الجزائرى.

فقمت لمصافحتهم وألقوا السلام وأنفاسهم متقطعه من صعود الجبل.

كانت مهمتهم اليوم تضبيط رماية الراجمات على أهدافها المحددة على مدرج الطائرات كان علّي أن أحدد النقطة المطلوبة فوق المدرج، ثم يقوم أبو زيد بإعطاء أحداثياتها للراجمة

المطلوبة، التى تطلق بدورها عدة قذائف مع إجراء التصحيحات التى يقدمها أبو زيد الى أن تصل تماماً إلي القطعة المطلوبة منها.
بالأمس أمسكت راجمة أبو العباس بأهم نقطة فى المدرج، وهى نقطة في الثلث الاول من جهة الغرب ـ وكنت أظن أنها مواجهة لورشة الإصلاح، ؛كما أنها تستخدم أيضاً للتفريغ أحياناً، أو لإحتماء الطائرات إذا فوجئت بالراماديات، بأن تتحرك خارج المدرج جهه الجنوب. كان كل ذلك صحيحاً ماعدا مسألة ورشه الإصلاح فما ظنناه ورشة إصلاح تحت الأرض أو منزل ضخم قريب لم يكن سوى مراكز دفاعية وإدارية، ولا أدرى ـ حتى الآن ـ أين كانت ورشة الإصلاح، لأن نقل المعدات إلى المطار الجديد لم يترك أثراً لشئ، ثم تلى ذلك عمليات النهب التى صاحبت وأعقبت فتح المدينة فأودت بكل شئ حتى أرض المدرج نفسه . لا مبالغة فى ذلك لأن بعض البدو إستولوا علي الثلث الشرقى للمدرج وزرعوه قمحاً، وإستدعى الأمر دفع تعويضات سخية لهم من أجل أن يتركوا المدرج ليعاد إصلاحة مرة أخرى، وكنا نحن أيضاً الذين قمنا بهذا الإصلاح في إطار "مشروع طاجيكستان"، وربما أوردنا تفاصيل القصة عبر هذه الثرثرة إذا سمح لنا العمر بذلك .
ـ ـ راجمة أبو جندل جارنا إلي شرق نقطة الترصد أخذت القطاع التالى لراجمة أبو العباس من إتجاه الشرق وكنا نسميها نقطه التحميل الثانية.
ثم راجمة "محمد أفضل" فقد أعطيناها قطاعا بين الراجمتين السابقتين وبهذا شغلت نيران الراجمات الثلاثة معظم القطاع الحيوى على المدرج مع ثغرات ليست واسعة كثيراً فيما بينها. أما الطرف الشرقى على بعد حوالى مئتى متر فقط من طرفه فقد كان محجوزاً لراجمة دروازجى "مركز عثمان الصعيدي".
ـ كان أبو تميم يتولى تشغيل كل راجمة وتضبيطها وتسجيل زوايا الهدف ويتركها للطاقم الأصلى، وقد واجه إعتراضاً في البداية من الطواقم الأفغانية علي إعتبار أن عملة ينطوى علي عدم ثقة فى قدراتهم.
ولكن تدخل حاجى إبراهيم، مترجم الفريق كى يقنعهم بضرورة ذلك .
في مركز دروازجي كانت مشكلة معقدة مع الراجمة، التي (حرنَتْ) ورفضت كل محاولات التضبيط لسبب مجهول، رغم إجتماع كل (عتاولة) ذلك السلاح وخبرائه حولها، وعلي رأسهم "أبو عبد الرحمن بى إم"، ثم ذهب إليه تميم ثم أبو الشهيد ثم أبو زيد. كانت الرماية عشوائية تماماً، تصيب الهدف أحياناً وتتخطاه أو ترسم حوله قوساً يتعدى المدرج قبله أو بعده أحياناً أخرى.
ظهرت تفسيرات كثيرة لذلك، وأخترنا واحداً من الأوضاع الكثيرة التي جربوها علي إعتبار أنها "أخف الأضرار"، وقد غمرنى شعور بالإحباط بسبب ذلك.
كانت راجمة عثمان إحدى عجائب العملية أو كراماتها ـ إن شئت أن تقول ـ فبعيداً عما نخطط ونريد منها كانت تتوجه وتفعل وتحقق نتائج لم نكن نتوقعها أصلاً، حتى صارت هى الراجمة الأشهر لدى طيارى العدو بل منعتهم تماماً من اللجوءإلى الطرف الشرقى من المدرج والذى كان نقطة آمنة بالنسبة لهم لعدم إهتمام المجاهدين بتغطية ذلك الطرف البعيد. ونتيجة لعدم إمكان إستخدام ذلك الملاذ الآمن فى الشرق لجأت الطائرات مكرهة علي ترك ذلك الطرف فوقعت فريسة النيران الكثيفة في منطقة الوسط وما حولها.
ونشير هنا أيضاً أن راجمه أبو تميم "معسكر أبو العباس" قد إهتمت لفترة لابأس بها بالطرف

الغربى من المطار ـ وهو من المناطق المهملة من جانب المجاهدين، فحققت عدة إصابات مدمرة في الطائرات أذهلت العدو لعدم توقعه ذلك.

□□□

أثناء تضبيط الراجمات هذا اليوم ، أصبنا بدون قصد، بعض المواقع الإدارية الحساسة. كان فى ذهني فكرة إحتياطية مفادها تخصيص راجمة أفرادية BM1 لقصف هذه المواقع إذا توفرت الذخائر والأفراد، لكن الأخبار الواردة من ميرانشاه لاتشجع كثيراً على الإسترسال فى تلك الافكار الوردية. فقد وصل من هناك زميلنا أبو الشهيد بعد لقاء غير سار مع بشر الذى فقد حماسة لمشروع المطار وكرر مقولته الشهيرة بأن(عمليةالمطار ليست هي العملية التى ستحرر أفغانستان) ـ وذلك كنوع من التحقير أو التهوين من شأن العملية، وربما لتبرير عدم إستجابته بشكل كاف لمتطلباتها الإدارية والمالية. ليس هذا فقط بل أغلق باب إمدادنا بالأفراد اللازمين لإفتتاح المركز الجديد وتعزيز المراكز الحالية التي تعاني من قله الأفراد. أما سيارتنا فقال أنه أرسل لشراء "فوانيس" لها من بشاور، وهنا لم استطع الإحتمال فقلت لأبو الشهيد أن يتصل فوراً بالمخابرة ليطلب من مكتب ميرانشاه إرسال السيارة على الحالة التي هى عليها بدون إبطاء، فالبرنامج سوف يبدأ اليوم، وبدون سيارة لإمداد المراكزبالذخائر فقد نتوقف بعد وقت قصير جداً، أو يكون برامجنا متقطعاً وهو ما يخالف خطتنا الأساسية في إغلاق مستمر وبدون ثغرات لمدة شهر كامل.

كان أبو الشهيد ـ رحمه ا ـ من الشخصيات النادرة بين العرب والتى تجمع بين قوة الخيال والحيوية الفائقة، بما كان يؤهله لمراكز قيادية عليا في أي عمل ينخرط فيه. إتفقت معه سريعاً علي برنامج عمل عاجل مكون من ثلاث نقاط.

الأول: تعويض النقص في القوة البشرية عن أية طريق آخر، غير القاعدة، وبالذات عن طريق جماعة أبو الحارث التى هى الآن الأقرب الي التجاوب معنا.

الثانى: الإسراع فى تجهيز مركز الراجمة الجديدة بالتعاون مع جماعة أبو الحارث الذين تعهدوا بالعمل هناك.

الثالث: إختيار مركز للشلكا. فقد نحتاج بشدة إلى إستخدام ذلك السلاح إذا عجزنا عن توفير الصواريخ اللازمة، خاصة بعد التصريحات الأخيرة لمبشر الذى قد يتوقف عن الإلتزام بما تعهدت به القاعدة بالنسبة للذخائر.

وفوق هذا كله ذهب أبو الشهيد فى الحال وإستعار بغلاً من جماعة كريم وأحضر لنا حمولة كاملة من الإحتياجات الضرورية لمركز الترصد الذي سيصبح من الآن فصاعداً محور العمل والقلب النابض لمشروع المطار.

إقترب المساء ، وبدأت أجواء المعركة تزحف نحونا، وبدأنا نشم رائحة النيران والموت، فشابنا شئ من التوتر والحماس.

غادرنا أبو زيد ومساعداه وتوجهوا إلي مركز أبو العباس لمساعدة أبو تميم، الذى تخلى عن مخابرته لأبو الشهيد الذى إستعارها منه علي أمل إعادتها إليه قبل الغروب، وكان ينوي بذل محاولة أخيرة في تضبيط راجمة عثمان فى دروازجى لكن المعركة بدأت وخاضها أبوتميم بلا مخابرة، وقد ضايقه ذلك كثيراً. وعلي أيه حال لم يكن لدينا ما يكفى من أجهزة مخابرة ، التي طال إنتظارنا لها لأكثر من شهر ، ولكن مبشر لايرى أهمية لحصولنا علي مانريد طالما أن مشروعنا هذا لن يؤدى الى تحرير أفغانستان !!!.

كان من المفروض أن أدير العملية من فوق جبل الترصد، بينما يساعدنى"حاجى إبراهيم" فى الإتصال مع نقاط الترصد الأخرى خاصة الترصد والتصنت واللاسلكى لدى حقانى والذى يقوده صديقنا عبد العزيز و مساعدة فضل.
وكان على حاجى إبراهيم الإتصال وإيصال أوامر الإشتباك إلى الراجمات الأفغانية الداخلة معنا فى صلب المشروع وهما أثنتان هذه الليلة واحدة لدى جارنا القريب مجبور الواقع إلي يمين موقعنا"الترصد"،وأخرى لدى "محمد أفضل" الواقع إلى خلف مركزنا، علي مسافة نصف كيلومتر علي الأكثر من مركزنا الرئيسى "أبو العباس".
كان دور حاجى إبراهيم حيوياً للغاية بالنسبة للعملية. حتى أنه فى الأوقات التي تغيب فيها إهتز العمل كله. كما كانت طريقه حاجى إبراهيم المفعمة بالود والحيوية والتشجيع ذات أثر كبير في تحميس المجموعات ورفع معنوياتها. فكان إنبعاث صوته على جهاز المخابرة يبعث روحاً جديدة في جميع المواقع التي كانت تتجاوب معه بحب ومرح وحماس، إلى درجه أن العدو إستنتج أن "حاجى إبراهيم" هو قائد العملية كلها وأطلقوا عليه لقب "الرئيسى".
وأثناء تغيبه عن العمل فى أحد المرات طالبت قيادة خوست بإرسال المزيد من طائرات النقل العسكرية إلى مطار خوست لأن الظروف مناسب نتيجه غياب "الرئيسى".
وبالفعل حققوا نجاحاً ـ محدوداً ـ فى ذلك الوقت ولكننا أيضاً إستفدنا من تصورهم ذلك فى أحد المرات وأوقعناهم في كمين، بأن جعلناهم يعتقدون بعدم تواجد حاجى إبراهيم الذى إلتزم الصمت حتى طلبوا المزيد من الطائرات، وعند وصولها، ظهر لهم الشبح ولعلع صوت حاجى إبراهيم علي المخابرة، وبدأت الطائرات تحترق فوق المدرج.
....
....
الليلة الأولى من الإشتباكات، "كانت حقاً، ليلة من ليالى العمر".
هكذا وصفت في مذكرتي تلك الليله التي لا تنسى.
قبل حلول الظلام كانت الراجمات الأربع العاملة بالمشروع قد تم تحميلها بالذخائر وأبقيت أجهزة اللاسلكى مفتوحة تمهيداً للإشتباك فى أى وقت.
فى نقطة الترصد كنت مع إبراهيم وإثنين من الشباب العرب كانت مهمتهما مراقبة المدرج لمدة ساعتين لكل منهما ـ وذلك فى أول الليل ـ علي أن أخلفهما أنا وإبراهيم فى النصف الثانى من الليل ـ الذى يتوقع دوماً أن يكون وقتاً حرجاً بالنسبة لنا، فالعدو يفضل ذلك الوقت فى إستخدام المطار لكون المجاهدين ، أو معظمهم ، لا يشتبك مع طائراته فى ذلك الوقت.
أجرى إبراهيم إتصالات لاسلكية تجريبية مع شبكة المتعاونين معه، وعلي رأسهم عبد العزيز ثم ترصد تورغار، ومحمد أفضل "راجمة"، ثم مجبور"راجمة"، وكان الإتفاق معهم سابقاً علي موجة لاسلكى عامة للإتصال، ثم موجة إحتياطية للطوارئ.
وقد أفادنا ذلك الإجراء كثيراً، وكانت راجمتانا تعملان على نفس الموجات اللاسلكية ، ماعدا أبوتميم فى هذا الليلة فلم يكن لديه جهاز مخابرة.
تمددت قريباً من نقطة الترصد وإلى جانبى حاجى إبراهيم، بينما يتناوب الشابان العربيان حديثاً خافتاً حتى لا يزعجانا، فلاهما قادران على الصمت ولا نحن قادران على النوم. ولكن قريباً من العاشرة ليلاً ايقظنى أحدهما بلهفة قائلاً: إن العدو قد أضاء مدرج المطار.
فقمت وألقيت نظرة على الخّطان الأحمران من الأضواء الكهربائية الصغيرة على طول ثلاثة كيلومترات هى طول المدرج وقد أضيئت. فأيقظت حاجى إبراهيم حتى يبدأ إتصالاته اللاسلكية

مع مجموعته الافغانية فى الترصد وخاف الراجمات. فبدأ يحادثهم بصوت غلبت علي نبراته سنه من النوم، وقد أجابوه بنفس الفتور، ولكن صوت عبد العزيز أطار كل أثر للنوم من الجفون حين إلتقط الأحاديث اللاسلكية للعدو، والتى أفادت أن أحدى طائرات النقل العسكري على وشك الهبوط في المطار، كان صوتها واضحاً. لكن توقعناها قاذفة مروحية من تلك التى نطلق عليه لقب "الجاموسة"، فمن النادر أن ينزل العدو طائراته بدون تمهيد نيران من الجو، شديد ومركز، لكنها أحدى خدعة يمارسه علينا الآن.

صاح عبد العزيز مرة أخرى بأن الطائرة خفضت إرتفاعها وفى طريقها إلى بداية المدرج، فقلت لإبراهيم أن يطالب راجمات "دزجات ستان" أن تبدأ بإطلاق الصواريخ بكامل الحمولة ثم المعاودة حتى نطلب منها التوقف. فأوصل أمر إليهم وبدأوا العمل على الفور، ثم إستلمت منه المخابرة وطلبت عثمان منادياً عليه بلفظ "رقم تسعة" وهو رقمه الكودى، وقد كان رقمنا فى الترصد "سبعة" ورقم أبو العباس "ثلاثة" فطلبت منه يبدأ الرماية بنفس الإسلوب فبدأ على الفور.

أبو تميم في مركز أبو العباس فهم على الفور أننا دخلنا المعركة ولكننا لم نستطيع إبلاغه لعدم وجود مخابرة فإتخذ قراراً صائباً تماماً بأن أطل بنفسه من فوق ظهر الهضبه التي يشغل مركز أبو العباس قلبها وساحتها الخلفية ورأى إنهمار الصواريخ المتتابع مع مراكز "دزجات ستان" ومن مركز عثمان فى دروازجى فدخل المعركة فى وقت مناسب، فإهتزت كامل المنطقة الممتدة من تودة شنى ،حيث راجمة أبو تميم، إلى دروازجى ،حيث راجمة عثمان،وما بينهما منطقة ""دزجات ستان" فى رمايات عنيفة متتابعة لم يحدث لها مثيل من قبل، حتي ضجت مراكز المجاهدين بالتكبير والتهليل علي أجهزة المخابرة.

أفرغت كل راجمة عدة حمولات كاملة،وكانت الإنفجارات على أرض المطارتغطى معظم مساحة المدرج وتظهر أضواؤها الحمراء والصفراء في تتابع رائع رفع معنوياتنا، ومعنويات جميع المراكز بلا إستثناء، ومالبث أن جاء صوت عبد العزيز يخبرنا أن الطائرة أقلعت فوراً بدون أن تفرغ حمولتها، وأن التوجيه الأرضى في خوست طلب من الطيار اللجؤ الى الطرف الشرقى لتفريغ الحمولة هناك لكنه أجاب بأن القصف هناك قد أحال المنطقة إلى جحيم وأنه سوف يعود إلى كابل.

فأرسلت التهانى إلى عثمان، فقد كانت راجمته هى الأولي التي إشتكي منها العدو. وقد تكرر ذلك طول العملية . وهو عكس ما توقعناه وشكونا منه بأن رماية تلك الراجمة تائهة بلا هدف معلوم.

لقد فرت الطائرة بعد أن رأت مدرج المطار وقد تحول إلي بحيرة من النيران المنهمرة، وإجتاحت حالة من الفرح مراكز المجاهدين وتبادلوا التهاني والتبريكات، وشرعوا فى تنظيم رماياتهم على المدرج وتخصيص منطقه لكل منهم ، كما نفعل نحن فى مشروعنا ، فأسعدني ذلك كثيراً فمن ضمن أهداف مشروعنا هو إقناع المجاهدين ـ عملياً ـ بضرورة وفائدة تنظيم عمل المدفعية.

ـ ساد الهدؤ وعم الفرح لأقل من ساعتين حين بدأ طيران العدو في قصف مواقعنا بشدة، تناوب مع المدفعية فى ذلك الضغط، وكان نصيبنا منه في نقطة الترصد أكثر من المعتاد حتى أن الهاونات الثقيلة للخط الأول للعدو شاركت في ضربنا.

وراجمة صواريخ العدو من طراز BM13 ضربت مراكزنا حتي قرب منطقة الترصد. لكن على عكس ما يتوقع العدو إرتفعت المعنويات ودارت الإتصالات اللاإسلكية بيننا لتكرار

الإشتباك بنفس الطريقة إذا حاولت طائرات العدو الهبوط.
مرة ثانية حذرنا عبد العزيز من محاولة هبوط .وكررنا نفس المشهد الرائع والمخيف بأن حرقنا مدرج المطار بموجات متلاحقة من الصواريخ. ولكن هذه المرة، عكس المرة الأولى ـ كان الطيران المعادى فوق الراجمات ويمطرها أيضاً بوابل من القنابل والصواريخ، ولكنه فشل فى تحقيق أى إصابه بها ـ فى حين تمكنا من إصابة طائرة النقل التى فوق المدرج وقد نقل إلينا عبد العزيز النبأ بأنها مصابه وعاجزة عن الطيران، فكبر الجميع وتبادلوا التهاني بينهما قنابل العدو تحاول كبح جماح راجماتنا ـ بلا فائدة ـ حتى أوقفنا نحن الرماية. وبقينا متربصين، وراجماتنا بكامل حمولاتها تنتظر أى محاولة هبوط مفاجأة من جانب العدو.
هدأ كل شيء فجأة، ولم يحاول أحد أن ينام، الجميع حول أجهزة المخابرة يتبادلون التهاني والأحاديث المرحة. لقد أصبح العدو عاجزاً عن فعل أى شئ أو وأحس الجميع بأن المطار أصبح قبضتنا وتحت سيطرة تامة من راجماتنا.
نجح العدو في شل الموجة اللاسلكية التي ندير عبرها العمل. لكن وجود قناة إحتياطية أفشل محاولته ،وكان ذلك فى ذروة الإشتباك ، لقد نجحنا أيضاً في الحرب الالكترونية رغم جهلنا بفنونها.
كان نجم الليله هو حاجى إبراهيم، الذى إحتفي به الأفغان كبطل ظهر فجأة فى ظلمات الليل وهو يقهر العدو بصواعق حارقه من النيران. كانت ليله تتويج حاجى إبراهيم بطلاً لمشروع إغلاق المطار، وإعتراف المجاهدين بذلك، وأيضاً قيادة العدو فى خوست كما ظهر في محادثاتهم طوال أيام المشروع ، أو المعركه. وعلي غير إنتظار منا أصبح فى أيدينا سلاحاً معنوياً فعالاً إسمه "حاجى إبراهيم" كما نعرفه ويعرفه المجاهدين ، أو "الرئيسى" كما يطلق عليه العدو. كان يكفى ظهور صوته على المخابرة حتى يبث أجواء من الثقة والمرح والإخاء بين جميع مراكز المجاهدين العاملين معنا أو المتعاونين بشكل أو آخر في المشروع.
بقينا متيقظين على هذه الحالة حتى الثالثه صباحاً، وبقي على الفجر أقل من ساعة. وأدركت أن العدو لن يحاول تكرار الهبوط مرة أخري خوفاً من أضواء الفجر التى سوف تجعل عملنا سهلاً وفعالاً، ولكنه أرسل لنا بدلاً عن ذلك قاذفة قنابل ثقيلة "جاموسة"، ضربتنا في الترصد ضربة خطيرة جداً لقربها الشديد من نقطة تواجدنا. ثم دارت دورة واسعة وقصفت جزء من تورغار والطريق إلي مركز أبو العباس وحول مناطق راجمات "دزجات ستان" ولكن بلا أى إصابة مباشرة. الأحاديث وتبادل أخبار الغارة كان مفعما بالحيوية والمعنويات المرتفعة حتي إبيضت السماء فقمنا إلى الصلاة ونحن نحمد ا وقد إنشرحت صدورنا كما لما يحدث من قبل، إلا نادراً، لقد كانت حقاً ليلة من ليالى العمر.

□ □ □ □ □

الليله الثانية.. التي لاتنسي

الجمعة 17 أغسطس 1990°

(الملخص)

ـ ـ ليلة الإغلاق□ الثانية.

ـ ـ ليلة الاشتباك□ الثانية.

ـ ـ عدد محاولات الهبوط□ إثنتان.

ـ ـ نتائج عمليات الهبوط لم تتمكن الطائرات من تفريغ حمولتها.
ـ ـ الإصابات عند العدو أصيبت الطائرة الثانية، أما الطائرة الأولى التي حاولت الهبوط فقد طارت بدون تفريغ.
ـ ـ الإصابات عندنا لا يوجد.
ـ ـ الملاحظات راجمتانا العربيتان عملتا بشكل كامل مع بعض المشاكل في الإتصالات اللاسلكية، وفى كهرباء الراجمتين.

أيقظتنا أشعة الشمس وأسراب الذباب. كنا جميعاً نائمون كيفما إتفق قريباً من منظارى الترصد القائمين على قواعد ثلاثية الأرجل.، الجميع في أوضاع غير مريحه بالمرة ويصعب أن تصدق أن كائنا بشرياً يمكن أن ينام هكذا وقد إلتوت أطرافه ورقبته فوق صخور وأشواك يصعب تحملها لغير شهيد فارقته روحه إلي جنة الخلد ،وبقى جسده فوق الأرض لامبالياً بالدنيا وما فيها.

إنتقل حاجي إبراهيم ومعه الشابان العربيان إلي خيمتنا الواقعة علي بعد مئتي متر علي السفح الجنوبى للجبل وتحت الكتل السوداء من صخور القمة. لم أفعل نفس الشئ فقد أغرتني بقعة واسعة من الظل تحت الشجرة الشوكية القريبة كي إستأنف نومي غير المريح حتي العاشرة والنصف ضحى.

نظرت إلي مدرج المطار في المنظار المقرب فكان كل شئ هادئاً والمدرج الأبيض اللامع لايحمل أى أثر لمعركةالأمس. والمنطقة كلها والوادى يحمل وداعة السلام الكاذب الذى يملأ النفس حزناً وأسي ، مثل سراب يزيد من مأساة العطشى.

هبطت إلي الخيمة لأرى ماذا يحدث فى معسكرنا، وأنا أفكر فيما يمكن أن يقوم به العدو نهار اليوم رداً على ما قمنا به الليلة الماضية، كنت أتوقع أن يقوم بغارات جوية عنيفة أثناء النهار على مراكز الراجمات التى عملت أمس، هذا إذا كان قد تمكن من تحديد مواقعها بدقة ليلة أمس وقد كان يحلق فوقها ويقصفها لوقت طويل. وكان ينتابني الشك فى إمكان تحديده الدقيق لمواقعها أثناء الليل ولم أكن على معرفة كاملة بالقدرة التكنولوجية فى طائرات العدو والتي تتيح لها ذلك، فقط كنت أخمن أنه لن يستطيع. علي أية حال سيظهر اليوم إذا كان قد تمكن من ذلك أم لا.

إتصلت بمركزينا (رقم 3) و(رقم 9)وحذرتهما من إحتمال هجوم جوى مفاجئ عليهما أثناء النهار، وطلبت منهما إفراغ الراجمة من الذخائر وعدم ترك أى قذائف خارج المغارات وأن تكون صلاة الجماعة وتناول الطعام داخل المغارات، وعدم التكدس في الساحات أمام المغارات لأى سبب، وأن يتم السير فيها بشكل إنفرادى. . وهكذا.

فى الثانية عشر ظهراً وصل أبو تميم إلى خيمة مركز الترصد وأخبرني أن خمسة من الشباب الجدد قد وصلوا إلى مركز أبو العباس، وتم توزيعهم بين الراجمة أبو تميم وإداريات المعسكر "أبو النور".

ثم ناقشنى بإلحاح حول الإستخدام المكثف للذخائر بهذا الشكل الذى تم بالأمس وخطورة أن يؤدى ذلك الي إفلاسنا بسرعة.

فكررت على أسماعة ما قلته كثيراً قبل ذلك من أننا نسعي إلى إستخدام الراجمات بأسلوب جديد قائم على ثلاثة مبادئ هي/1ـ كثافه الرامايه. 2ـ دقه الرمايه. 3ـ التوقيت الصحيح للرمايه.

وأن كثافه الرماية هي عمل إقتصادي لأنها تزيد من نسبة الإصابة فى طائرات العدو وتقلل من المدة اللازمة لإقناعه بالتوقف عن إستخدام المطار نتيجه إرتفاع خسائرة وهبوط معنوياته خاصة معنويات الطيارين.
والنتيجة التي لم نتوقعها هو ما شهدناه بالأمس من إرتفاع معنويات المجاهدين ومشاركة الكثيرين من خارج إتفاق مشروع المطار .وهذا قد يمكنا من الإقتصاد في ذخائرنا بشكل ما فيما بعد.
سكت أبو تميم لكنه لم يقتنع تماماً. وقد فتح معى نفس الموضوع مرات أخري فيما بعد.
فى الثانية ظهراً صعدت إلي نقطة الترصد، وقمت بترتيب المكان وجلست أكتب ملاحظاتى فى دفتر اليوميات.
أبوزيد وأبو الشهيد ذهبا للمساعدة في تضبيط رماية راجمة عثمان في دروازجى (رقم 9) وشاركت معهم من فى نقطة الترصد في توجيه القذائف. قابلتنا نفس الصعوبات ولكن تحسنت النتائج عن يوم أمس.
غربت الشمس ولم يقم العدو بما كنت أتوقعه من غارات جوية فوق راجماتنا، ولكنني لم أستبعد تماماً أنه سيقوم بذلك فى الأيام القادمة. بقي أن نراقب بدقة تصرفاته هذه الليلة، فقد تعودت منذ عملياتنا القديمة على نفس المطار منذ خمسة أعوام أن العدو بغير تكتيكاته بسرعة وذكاء، وكنا وقتها نجد متعه فى "ملاعبته تكتيكيا" رغم كوننا يومها نعمل بطاقه صاروخ واحد أو إثنين فى اليوم الواحد.
ـ رتبنا عملنا بنفس طريقة الأمس في نقطة الترصد. بدأت الليل مع حاجى إبراهيم بالنوم الإجبارى لتوفير طاقتنا للنصف الثانى منه.
وبقى ثلاثة من الشباب يتناوبون على مراقبة مدرج المطار. أيقظونا فى الثانية عشر ليلاً، فقد أضيئت جنبات المدرج بالإضواء الحمراء الصغيرة. وكان قد تكرر ذلك عدة مرات من باب إرهاق المجاهدين. وجعل تلك الإشارة تفقد جديتها لديهم، بحيث لايعيرون أهمية لتلك الأضواء ، وفجأة تهبط طائرة نقل عسكرية بلا مقدمات، وذلك ما حدث تماماً هذه الليلة، لقد إتصل عبد العزيز قائلاً، إن الطائرة الآن في طريقها إلى المدرج. هكذا مرة واحدة، وإحتفالاً بالمناسبة السعيدة أطلقت راجمه صواريخ من طراز BM13عدة قاذائف حول مراكزنا كأنهاتقول لنا: موتوا بغيظكم .
بدأت الإتصالات اللاسلكية بين المراكز. إتصل إبراهيم مع عبد العزيز ثم ترصد تورغار، ثم راجمتى مجبور ومحمد أفضل، وتلا ذلك إتصالي مع رقم 9، ورقم 3 طالباً منهم الشروع في الرماية، لم يستغرق ذلك كله سوى أقل من دقيقه، وفجأة إرتجت الأرض ومرقت من فوق رؤوسنا قذائف أبو تميم (رقم 3)، ثم قذائف جارة القريب محمد أفضل، ثم إرتجت ميمنتنا بزئير صواريخ مجبور، ثم ومضت راجمة عثمان (رقم9) وإنبعثت الخطوط الحمراء لصواريخها متجهه نحو قطاعها المحدد فى الغرب.
مرة أخرى تحول المدرج إلى ومضات ولهيب من جراء إنفجارات الصواريخ، ولم تكن الطائرة قد شرعت في تفريغ حمولتها حين أقلعت لاتلاوى على شئ وإرتفع ضجيجها وهى تهرب عائدة نحو كابل.
أخبرنا عبد العزيز أن الطائرة قد غادرت المطار بدون أن تبدأ عملية التفريغ فأوقفنا الرماية، و كانت أجواء الحماس والفرح فى أوجها، وكأن ليله أمس قد أمتدت إلى ليلتنا هذه، وتبادل الجمع

التبريكات بأن العدو بات عاجزاً عن إستخدام المطار أو إيقاف قوة نيراننا الساحقة والمنهمرة بدون إنقطاع فوق مدرج المطار.
الإتصلات اللاسلكية مع رقم9 كانت ممتازة وهناك يعمل مع عثمان كل من أبو زيد وأبو الشهيد وهم من أفضل عناصرنا.
ـ أدت راجمة أبو تميم دورها بجدارة رغم تلميحات أبو تميم على المخابرة بأن إستهلاك الذخائر كبير فكنت أجيبه: (إنفق بلالاً ولا تخش من ذى العرش إقلالا).
ثم إتبع ذلك باللهجه الريفيه المصرية:
(يلا يا تلاته، إرمى يا تلاته، كمان مرة يا تلاته، إبعت لهم كمان حموله يا تلاته).
فكان يضحك ويرسل صواريخه متتابعه تئز من فوق رؤوسنا فأجيبه قائلاً:
(زنده باد يا تلاته، كمان مره يا تلاته)
وهكذا كان عثمان تصله تعليمات مشابهة بنفس الطريقة، فكان الجميع يضحكون ويتحمسون فى الرماية المتتابعة.
كان أبو تميم قد إستعار نهاراً جهاز لاسلكى من أحد المراكز فكان إتصاله معنا مستمراً طوال الليل رغم إضطراره إلى الصعود إلي مكان قريب مرتفع لكون مركزه منخفض أكثر من اللازوم وتحجزه عنا سلسة مرتفعة من الجبال.
فشلت محاولة العدو فى مفاجئتنا بعملية إنزال مباغتة فى منتصف الليل، فكان لابد أن يلقننا درساً فأرسل قاذفاته المروحية ورمت أطناناً من قنابلها الثقيلة، لكنها كانت غير مركزة وأبعد عن مركزنا من ذى قبل، أى عكس ما كنت أتوقعه منذ صباح اليوم.
ـ فى ستار من ضجيج القذائف المتفجرة ومحركات القاذفات الثقيلة هبطت الطائرة الثانية علي مدرج المطار، فاتخذنا الإجراءات المعتادة بعد أن إستلمنا تحذيرات عبد العزيز فأنصبت النيران الهائلة من الراجمات الأربع، بدون إعتبار لزئير القاذفات والإنفجارات التى تصم الآذان لقذائف الألف رطل التي تنهمر قرب المواقع. كل ذلك وسط تكبيرات الجميع علي أجهزة المخابرة بحيث لايستطيع أحد أن يمنع دموع التأثر من أن تنهمر، خاصة وأن الظلام يستر مثل هذا "الضعف البشرى".
□أصيبت الطائرة إصابة جسيمة وهي غير قادرة على التحليق مرة أخرى. نقل إلينا عبد العزيز هذه الرسالة التى إلتقطها من بين مراسلات العدو اللاسلكية. فتوقفنا عن الرماية ونحن نتبادل التهانى. طلبنا من الراجمات تحميل قواذفها بالصواريخ، والبقاء معنا علي أجهزة المخابرة تحسباً أن تكون رسالة العدو مضللة أو أن يحاول إنزال طائرة ثالثة.
إرتفاع المعنويات كان يمنعنا من النوم، وكذلك كل الراجمات والمراكز التى شاركت معنا فجلسوا يتسامرون بمرح ويهنئون أنفسهم وأبراهيم بهذه النتائج الباهرة.
لاحظنا أضواء شاحنة تتحرك من الطرف الشرقى للمطار فطلبنا من عثمان الرماية، فعاجلها بعدة صواريخ فضاعت الأضواء فلم نشاهدها مرة أخرى ولاندرى هل أصيبت الشاحنة أم لا.
حدث فى رمايات عثمان أن نتج عنها تدمير خط الكهرباء الذي يشعل الأضواء الحمراء فأظلم المطار باقى الليلة، فأرسل الجميع تهانيه وتبركاته للراجمه(رقم 9)وللحاج عثمان كما أسميناه، وراجمته العجيبة ذات الكرامات.
ـ بقينا نراقب المدرج بكل تركيز حتي ظهرت تباشير الصباح ولم يظهر أثر لأى شئ على المدرج، وبدا كأن العدو قد غادره نهائياً. فى السماء ظهر الهلال نحيفاً رشيقاً بجانب نجمة

لامعه، كان منظراً بديعاً ذكرني بالعلم العثمانى القديم ، آخر دولة جامعة للمسلمين.
كتبت فى مذكرتى معلقاً عن هذه الليله عبارة تقول:(وكانت الليلة الرائعة رقم إثنين فى مشروع المطار)
:::::::::::   :::::::::::   :::::::::::

الليلة الثالثة التى لا تنسى

السبت 18أغسطس1990
(الملخص):
- ليله الإغلاق: الثالثة.
- ليله الإشتباك:الثالثة.
- عدد محاولا الهبوط: ثلاث.

نتائج محاولات الهبوط: الطائره الأولى تمكنت من تفريغ حمولتها وقد شجع ذلك العدو فأرسل طائراتين بعدها وكلاهما أصيبت.
الإصابات عند العدو: تم تدمير طائراتين كانتا تحملان جنود لتعزيز قوات العدو المشتبكه هذه الليله فى "دير ملك"وقد قتل عدد كبير من الجنود داخل الطائرتين.
الإصابات عندنا: لاتوجد.
ملاحظات: ظهرت لدينا مشاكل مؤقتة فى الإتصالات اللاسلكى فى المركزين رقم 9، رقم3
لم نتمكن من النوم فى الليلة الماضية، وكان على أن أذهب الى مركز أبو العباس فى الصباح الباكر للقاء أبو عبد الرحمن الذى ينتظرنى هناك ليتحدث معى قبل أن يغادرنا إلى بشاور .
وكان قد شارك فى الليليتين الماضيتين فى العمل على الراجمتين بصفته "الأب الروحى" لذاك السلاح بين العرب توجهت الى هناك برفقه حاجي إبراهيم.
في الطريق مررنا بمركز محمد أفضل، وهناك تلقفونا بالعناق والضحكات والتبريكات، وأعادوا مع حاجى إبراهيم ذكريات الليلتين الماضيتن متبادلين المزيد من التفصيلات، مثل القنابل التى سقطت قريباً منهم. كما شرح لهم إبراهيم فوائد الرماية الجماعية وتقسيم مدرج المطار بين الراجمات وتبادل المعلومات بين نقاط الترصد. كانت المجموعة في غاية التجاوب والحماس، وإزال ذلك عن أعيننا آثار السهر والرغبة فى النوم.
دخلنا إلى ساحة معسكر العباس بعد أن حيانا رجال معسكر "شاه خان" الذين باركوا لنا بحماس وأعلنوا عن عزمهم الإنضمام سريعاً إلى البرنامج، ثم سألوا إبراهيم عن المزيد من التفاصيل فزودهم بها.
أما أبو النور وكان أول من قابلناه فى ساحة معسكرنا فقد إستقلنا هو الآخر بالأحضان وإبتسامة وتبريكات .دخلنا "مغاره المعيشة" فوجدنا أبو عبد الرحمن الذى إستقبلنا هو الآخر بالعناق والتهنئة ثم جلسنا مع أفراد المعسكر على مائدة الإفطار التى أعدها أبو النور تحت إشرافه الدقيق، وكانت بالطبع مكونة من البطاطس المسلوقة والشاى الأحمر. حدثتهم على الإفطار عما حدث فى الليلتين الماضيتين، وتكتيكات العدو فى العمل، وتكتيكاتنا نحن فى مواجهته، وأننا قد ربحنا المعركة تماماً فى الليلتين الماضيتين فمنعنا العدو من تفريغ أى طائرة وإعطبنا له طائرتين مازالتا على أرض الطار عاجزتين تماماً عن الإقلاع مرة أخرى. سر أبوعبد الرحمن كثيراً بما رأى من تحمس الشباب الجدد والقدماء.

ولم أر أفضل من النجاح وسيلة لرفع المعنويات وشحذ الهمم، فالنجاح يولد النجاح والفشل يولد الفشل .ولكنها قاعده ليست صحيحة دائماً لذا لابد من الحذر الشديد فأحيانا يكون العكس.
□□□□□
وصلت سيارة العرب من "مركز البتالون" بعد سماع أخبار الليلتين الماضتين ولعلمهم أننا نفتقرإلى وجود سيارة. كان وصولهم لفته شهامة تستحق التقدير، وإن كانت لوقت محدود جداً . فكان لابد من الإستفادة منهه فى نقل كمية من الذخائرللمراكز الثلاثة. كان مركز عثمان ، رقم 9، قد هبط رصيد الذخائر لديه من مئة إلى عشرين قذيفة فقط.
لم تكن سيارة العرب تستطيع أن تحمل أكثر من خمسين قذيفة. أرسلنا معها 30 قذيفة إلى عثمان،20 إلى مجبور،أما محمد أفضل فسوف نحاول أن نجد سيارة من جيراننا كى ننقل إليه كمية مناسبة، فهو قريب الى مخازننا فى أبو العباس.. الأهم من ذلك هو تلك الأخبار التى حملها إلينا العرب ومفادها أن الليلة هو موعد هجوم كبير للمجاهدن على منطقة دير ملك غرب الوادى. جلسنا نناقش الموقف، حسب ما تعودنا عليه فى تلك العملية،وقد حضرذلك معظم شباب الموقع وطرحت أمامهم تقييمي للموقف ثم الإجراءات الواجب إتخاذها بالنسبة لمشروعنا الذى دارت عجلته منذ يومين "أو ليلتين"، وكان ما قلته كالتالى:
نتيجة للعمليات القادمة فى دير ملك فسوف تشتد حاجة العدو للمطار لتعويض النقص فى الذخائر وباقى الإحتياجات العسكرية وبالتالى سوف يضغط علينا كثيراً بواسطة القصف الجوى أساساً،حتى تتوقف رماياتنا على المطار فيستخدمه بحرية كيفما شاء.
ثم أضفت إلى ذلك القول بأننا سنتخذ خلال هذا النهارثلاثة خطوات هى:
1ـ إعاده تموين الراجمات بالذخائر، مع إهتمام خاص بمركز رقم 9 "عثمان"الذى فاجأنا بفاعلية غير منتظرة.
2ـ محاولة ضرب ما إعتقدنا أنه "مركز رادار" للمطار. وهو يقع فى مبنى ضخم "قلعة" على بعد حوالى 2 كيلومتر من حافة المدرج الغربية وسوف يقوم بذلك أبو الشهيد و أبو زيد مستخدمين راجمة مجبور.
3ـ إستعجال شحنات الصواريخ من ميرانشاه، فالكمية التى وصلتنا حتى الآن هى ثلث الكمية المحددة للمشروع.
أيقظ الحماس والنجاح همم شباب المشروع، ودارت عجلتنا بأقصى ما تملكه من إمكانات.
لكن إفتقارنا إلى سيارة متفرغة معنا لم يجعلنا نتمكن من تموين مراكزنا بالعدد الذى كنا نريده من الصواريخ.
أما ضرب القلعة التى كنا نظنها مركز الرادار فلم يتم، فقد طاشت القذائف رغم المجهود الكبير الذى بذله أبو زيد وأبو الشهيد مع أبوجندل وراجمته، وقد شعر أفراد الموقع بالامتعاض لكون العرب هم الذين سيضربون الرادار ، وكانوا يروا فى أنفسهم القدرة على فعل ذلك وأن مانفعله هو أنتقاص من قيمتهم. طلبت من حاجى إبراهيم التدخل لإفهامهم أن هدفنا ليس التعالى عليهم ولكن تعليماتنا بتصحيح الرماية سوف تكون بالعربية وبالتالى فإن الرامى على الراجمة يجب أن يكون من العرب، إقتنع مجبور ورجاله بصعوبة ولكن الرمايات فشلت وداهمنا الغروب. وكان علينا أن نستعد بسرعة لمفاجآت الليل.
نتيجه حماس الشباب فقد طلبوا جميعاً التواجد فى جبل الترصد لمشاهدة تفاصيل معارك الليل فى المطار. وقد إشتكى بعضهم أنه قضى قرابة الشهرين ولم يصعد إلى ذلك الجبل. فنظمنا

عمليه زيارتهم للموقع على دفعات فى كل ليلة حتى يكون لديهم تصور كامل عما نقوم به من عمل، وقد سرهم ذلك كثيراً. ونتيجه لذلك كان لدينا أربعه منهم عند نقطة الترصد هذه الليله.
وقد أصروا جميعاً على أن يتواجدوا فى نقطة المراقبة والاتصالات اللاسلكيه رغم ضيقها بما يعنيه ذلك من صعوبة النوم وإحتمال زيادة الإصابة إذا تساقطت قنابل الطائرات قرب الموقع، وهو مايحدث من وقت إلى آخر.
لضيق المكان إضطر حاجى إبراهيم إلى ترك نقطة الترصد والمبيت فى الخيمة. ولم ألاحظ ذلك فى حينه، بل إنتبهت بعد فوات الأوان فأرتبك عملنا فى لحظات حرجة أضاعت منا فرصة العمل فى الوقت المناسب.
بعد المغرب بحوالى ساعة إتصل بنا أبو الشهيد لاسلكياً وكان قادماً نحونا من مركز مجبور وأخبرنا أنه ضل طريقه، وأنه فى الجبال القريبة لكنه غير قادرعلى تمييز الطريق، والمنطقه كما نعلم ملغومة. توترت الأعصاب، فعلينا أن نعطيه إشارة تعريف بالموقع، كان من السهل أن يرصدها العدو أيضاً، فتكون ليلتنا جميعاً سوداء للغاية.
كان لابد من فعل شئ نزل أحد الشباب حوالى عشرين متراً إلى الأسفل على السفح الجنوبى وأطلق عده عيارات على فواصل زمنية، وأضأنا كشافاً ضعيف الضوء فى إتجاه أسفل الوادى وهى الإشارات التى لا يمكن أن نتعداها مراعاه لظروف الحرب الليلية.
مرت الدقائق ثقيلة وبطيئة، وأخيراً ظهر أبو الشهيد من الطرف الشرقى لنقطه الترصد، وهو الجانب الأكثر خطورة في الجبل لكثرة الألغام فيه، أصابنا الوجوم ونحن نشاهده يصعد، وفى كل خطوه نتوقع الإنفجار أن يأتى من تحت قدمه قاذفاً إياه فى الوادى العميق. وما أن وصل إلينا لاهثاً ونحن ننظر إليه مذهولين ومترقبين، حتى إنفجر ، ليس لغماً ، ولكن ما هو أشد ، إنفجر أبو حامد الليبى غاضباً وقد أنهارت أعصابه تحت وطأة التوتر وصب حمماً من الغضب الملتهب فوق رأس أبو الشهيد الذى وقف لاهثاً مبهوتاً.
إحتويت الموقف بسرعة، وساعدنى أبو الشهيد بدماثة خلقه وطابعه الخجول، كما ساعدنى أيضاً تصاعد المعارك فى دير ملك فقد وصلت إلينا أصوات المعارك البعيدة وتصاعدت أعمدة الدخان ولمعت ومضات الإنفجارات، وبدأت الطائرات النفاثة تشارك فى المعمعة.
أجرى حاجى إبراهيم عدة إتصالات لاسلكية لمعرفة أخبار ما يجرى هناك فأفاده عبد العزيز أن المجاهدين تقدموا (بعض الشئ) وأحرقوا دبابة للعدو الذى تقهقر إلى خط دفاع خلفى، أما المجاهدين فقد إستشهد منهم أربعة وتعطلت لهم دبابتان.
لم أجد فائدة من السهر والمتابعة، أبقيت إثنان من الشباب لمراقبة المدرج، وطلبت من الباقين التوزع بين الصخور الضخمة ومحاولة تهيئة مواضع للنوم متفرقين، خوفاً من خسارة جماعية فى الأرواح إذا أصيب موقعنا بشكل مباشر.
ولم أنتبه إلي أن حاجى إيراهيم تنازل عن مكانه التقليدى الذى ينام فيه قريباً منى إلى جوار مجموعة المراقبة.
بدأ الطيران يقصف حولنا ولكننا تجاهلناه وحاولنا التزود ببعض النوم يكون عوناً لنا فى ليلة توقعت أنها ستكون طويلة.
لم أكن نائماً رغم أن عيناى مغمضتان حين نادانى أحد الشباب قائلاً أن أضواء المدرج الحمراء قد أشعلت، وكانت الساعة العاشرة .
وقفت سريعاً وناديت على حاجى إبراهيم ، فأخبرونى أنه قد هبط إلى الخيمة للنوم هناك،

صحت عليه بأعلى صوتى بغضب، ولم يكن ذلك نافعاً، فأرسلت إليه أحد الشباب وأنا أصيح بعصبية نادراً ما تنتابني. ثم تناولت المخابرة وناديت على مركزتميم ثم مركزعثمان ولكن لاحياه فيما تنادى. وأظن أن العدو أتلف موجتنا اللاسلكية، كما فعل معنا بالأمس.
من فوق تورغار إنطلقت صاروخان صوب المدرج بما يفيد بشكل مؤكد أن طائرة قد هبطت فى المدرج. وقفت ذاهلاً غاضباً وفى يدى مخابرة لا تصلنى بأحد، بينما طائرة للعدو قد هبطت فى مدرج المطار بدون أى إعتراض من جانبنا، سوى قذيفتن تائهتين أرسلهما تورغار ربما لتحذيرنا أكثر منه لتهديد طائرات العدو.
أخيراً واصل حاجى إبراهيم مهرولاً. وبدأ بأنفاسه المتقطعة يحاول الإتصال مع عبد العزيز وتورغار لكن الإتصال بهما كان مقطوعاً. مرة أخرى العدو خرب لنا هذه الموجة.
لقد غادرت الطائرة المدرج وسمعنا صوتها وهى تقلع، ثم عاد الإتصال مع مراكزنا جميعها، ولكن بعد فوات الأوان. لقد نجح العدو لأول مرة منذ بداية مشروعنا فى تفريغ أحدى طائراته.
شعرت بألم بالفشل، لكن طلبت من جميع المراكز الإستعداد ورتبنا موجة لاسلكيه جديدة للإتصال، وكان لدينا موجات إحتياطية مرقمة ومتفق عليها.
لم يكن بيننا ممازحات فالجميع يشعر بالصفعة التى كالها لنا العدو فجأه وبلا مقدمات.
لاشك أن عدونا لا تنقصه الشجاعة ولا الذكاء. . ولكن الليله مازالت طويلة.
كان حاجى إبراهيم يشعر بالذنب وإنتابه الوجوم. ولم أشأ أن أوجه له أى لوم، فليس ذلك من طبعى، فكتمت غضبى الشديد .وكان يشعرتماماً بما أفكر فيه وأشعر به فظل صامتاً والوقت يمر بطيئاً.
أثار ذلك النجاح شهية العدو لتكرار المحاولات ظاناً أن جدار النيران الذى كان يغلق المطار قد تفكك وإنتهى. فلم يمضى وقت طويل حتى هبطت طائرة ثانية بدون تمهيد نيران كما حدث فى المرة السابقة. إستلمنا تحذير من تورغار، بينما لم نتمكن من الإتصال مع عبدالعزيز الذى كان منشغلاً للغاية مع عمليات دير ماك، وتقديم خدماته اللاسلكية للمجاهدين هناك.
إنهالت صواريخ راجماتنا الأربع فوق مدرج المطار وكان العدو شرع فى تغطية طائراته التى فوق المدرج بواسطة قصف مواقعنا جواً وأرضاً، ولكن بأقل من الكثافة المعهودة.
راجمة محمد أفضل فرغت ذخائرها لأننا لم نتمكن من تزويده بأكثر من عشرة صواريخ فقط لإفتقادنا إلى وسلية نقل.
وكان عند مجبور ضعف هذا العدد. أوقفنا الرمايات حتى نتأكد مما يحدث فوق مدرج المطار ، لكن لم نتمكن من ذلك.
واصلنا قصفنا متقطعاً قذيفة قذيفة على فاصل ثوان أو دقائق، حتى توقفنا نهائياً.
سألنى عثمان عبر المخابرة عن نتائج القصف، فقلت له إننا لاندرى ما حدث والنتائج غير واضحة، وسادت فترة صمت توقف فيها القصف، ولم نتمكن من الإتصال مع عبد العزيز، الذي كان مشغولاً مع معارك دير ماك التي مازالت دائرة ويساهم فيها الطيران.
مازالت تفصلنا ساعة عن منتصف الليل، ومع ذلك أجرى العدو محاولتى إنزال نجح فى أحداها ومازالت نتائج المحاولة الثانية غامضة ثم تعرضنا فجأه لغارات طيران وقصف راجمات صواريخ BM13 التى تخصصت فيما يبدو للعمل ضدنا.
فجأه ظهر صديقنا المختفى، عبد العزيز، بمعلومة خطيرة مفادها أن طائرة تحركت الآن إلى

الطرف الغربى من المطار. كانت حقاً معاومة قاتلة، فقد طلبت على الفور من أبو تميم وأبو زيد وكانا يتعاونان في العمل على راجمة أبو العباس ، بأن يقذفا بحمولات متتابعة على قطاع رماية الراجمة حيث تتواجد الطائرة الآن وطلبنا من مجبور أن يشغل قطاعه برماية فردية متقطعة، ثم طلبنا من عثمان التوقف لعدم الحاجة لرمايته.
عملت راجمة أبو العباس بعنف زائد، فما تكاد تنفذ حمولة حتى تبدأ الرماية بحمولة جديدة بفاصل زمنى ضيق وقياسي. وكانت الراجمة لاتمتلك سوى ثمانية قوازف فقط، ولكن سرعة الرماية ومهارة طاقم الراجمة أحالا غرب المدرج إلى جحيم. وبالفعل أضاء وميض أصفر فاقع وكأنه حريق فى منطقة القصف فصحنا مكبرين وتساءلت أطقم الراجمات عن السبب فى التكبير فقلنا لهم أن وميض حريق قد إنبعث من الطرف الغربى، وربما أن الطائرة قد إحترقت، فكبروا هم أيضاً.
ـ ظهر صوت عبد العزيز وهو يهتف بنا بحماس وفرح بأن العدو يتحدث عن إحتراق الطائرة بمن فيها من جنود، وأن الطائرة الثانية قد أصيبت أيضاً. إجتاح الفرح جميع المركز وضجت أجهزة اللاسلكي بالتكبير والتهانى، وبكي كثيرون تأثراً وسجدوا شكراً .
أما ترصد تورغار فقد أضاف بعض التفاصيل، إذ قال بأن الطائرة الثالثة تحركت إلى الطرف الغربى تمهيداً للإقلاع وكانت محملة بالجنود وأنها كانت قد إرتفعت عن المدرج فعلاً عندما أصابتها شظايا صاروخ منفجر فسقطت على الأرض وإشتعلت بها النيران.
إذا كان ذلك صحيحاً فالأغلب أن هؤلاء الجنود والضباط كانوا من جرحى المعارك .
فلا يمكن فى ظل المعارك المحتدمة أن يكونوا فى إجازات، وبالتالى فإن الطائرة عند قدومها كانت محملة بالذخائر وهذا هو الأغلب، أو الجنود لتعزيز القوات المدافعة.
معنى ذلك أيضاً أن العدو ربح حمولة طائرتين هذه الليلة، وهما الطائراتان الأولى والثانية، والمؤكد أيضاً أن نجاحه السهل فى الطائرة الأولى أغراه بإرسال الطائرتين الثانية والثالثة فى وقت متقارب لإنتهاز فرصة ما تصور أنه غياب قوة النيران الجديدة العاملة ضد المطار فأوقعه سؤ تقديره فى كارثة خسارة الطائرتين. وربما تصور أننا قد خدعناه بتمرير الطائرة الأولى كي نصطاد ما يليها والتى قد تكون بحمولة أكثر قيمة، ولكننا لم نكن نفكر بهذه الطريقة بل كنا على تصميم أكيد بعدم التهاون فى مرور أى طائرة وبهذا نكون قد فشلنا هذه الليلة مرتين حين نجح العدو فى تفريغ طائرتيين متتابعتين ،الأولى والثانية، ثم نجحنا مرتين حين دمرنا طائرتين ،الثانيه والثالثة.
على كل حال كان ما لقيناه من نجاح أكبر مماوقع بنا من فشل خاصة وأنه فى اليوم التالى علمنا أن من بين القتلى عدد لا بأس به من الضباط، كان من بينهم الجنرال عبد الرحمن، القومسيير "المفوض" السياسي للقوات الشيوعية فى خوست، وهو منصب خطير ذو صلاحيات واسعة على القيادات العسكرية والإدارية فى المنطقة. إتصلت مع أبو تميم على المخابرة وكان يقود العمل على الراجمة وهنأته على ما قام به من عمل، فحمد ا وكان صوته يغلب عليه التأثير والبكاء، وقال بأنه سجد شكراً وكذلك جميع الإخوة فى المركز. حاولت أنا أيضاً ألا يظهر تأثير البكاء على صوتى، فقد فعلنا نفس الشئ فى نقطه الترصد.
وكان الشباب الجدد غاية التأثر والإنفعال، وبادلونى العناق والتهانى، وكذلك إتصل عثمان ومجموعته كى]يرسلوا تهانيهم وهم يهتفون ويكبرون.
لقد وصل الخبر السار إلى المجاهدين المشتبكين فى دير ملك، ثم إلى ميرانشاه، وعلمت فيما

بعد أن الذى حدث فى مراكز حقانى هناك، قد حدث أيضاً على نطاق عائلات المهاجرين، ولم يكن يختلف كثيراً عما حدث عندنا . وعلم الجميع من وقتها أن "مشروع المطار" يقف خلف هذا التطور فى الموقف. وتلقت زوجتى التى كانت قد وصلت هذا اليوم إلى ميرانشاة، تلقت تهانى العائلات الأفغانية. وقال لها الاطفال المهاجرين فى صباح اليوم التالى أن "مصطفى" يعمل جيداً فى الجبهة وأنه يقصف المطار بشدة. وهكذا أصبحت أسرار عمليتنا على كل لسان، وقد ترتب على ذلك العديد من المشاكل لى وللعائلة وأصبح أمننا مهدداً من جهات عربية وأفغانية.

خدمه أخرى قدمناها للمجاهدين المشتبكين فى قتال ليلي فى منطقة دير ماك، تلك الخدمة هى تحول طيران العدو نحونا بكل ما يمتلك من وحشية، وإستمرذلك حتى لاحت تباشير الفجر.

كان ذلك مبعثاً لسرورنا لأنه عبر عن مدى الألم الذى شعر به العدو من جراء عملنا ضد المطار.

فى الثالثة صباحاً حامت طائرة نقل عسكرية فوق الوادى وظننا أنها تحاول الهبوط لأنها كررت الدوران مرات كثير. وكنا نتمني لو أنها هبطت لأننا سوف نراها بالعين المجردة وهى فوق المدرج فقد أوشك الفجر على الإنبلاج.

وللأسف فإنها عادت أدراجها وقد كانت وجبة سهله ضاعت منا.

ظهرت نجمة الصباح لامعة، وهبت نسمات الفجر المنعشة وإبيض الأفق الشرقى.

كان حاجى إبراهيم متكوماً إلي جوار صخرة ضخمة واضعاً رأسه فوق ركبتيه وقد راح يغط فى النوم. أيقظته لصلاة الصبح ، فصلينا سوياً ،ثم تمددنا فوق الصخور و رحنا في نوم عميق.

قي الصباح كتبت فى أوراقى واصفاً تلك الليله بأنها (كانت الليلة الثالثة.. التى لا تنسى).

:::::::   ::::::::   :

غابت الطائرات . . فوقعنا فى حيرة

ـ خلال الأيام الثلاثة التالية، مع لياليها، لم يحاول العدو إستخدام المطار رغم أن الظروف الجوية كانت ملائمة. ليس هذا فقط بل والأهم هو أن المعارك كانت دائرة بشدة فى غرب الوادى فى منطقة ديرماك والتى إستمرت من ليلة السبت إلى ليلة الثلاثاء.

وفى مثل تلك الظروف لا يسمح العدو لأى قوة أن تمنعه من إستخدام المطار.

لقد تكبد العدو خسائر خلال الأيام الثلاث الماضية، كان عبارة عن تدمير أربع طائرات نقل عسكرية .كما قتل عدد من الضباط والجنود داخل إحدى هذه الطائرات، ولكننى لم أكن أتصور أن حجم تلك الخسائر كاف، لأن يمنع العدو من إستخدام المطار بما يعنييه ذلك سقوط المدينة وهزيمة قواته هناك.

كان معدل الخسائر عالياً بلاشك. في مقابل نجاحه فى تفريغ طائرة أو إثنين على الأكثر، يضطرإلى خسارة أربع طائرات. أظن أن ذلك يدق لديهم أجراس الإنذار،ولكن ليس التخلى تماما عن المحاولة.

توقعت أن هناك سبباً إضافياً غير مفهوم لدينا فربما أثناء تضبيط الرمايه أصبنا رادار المطار. كان ذلك الإحتمالاً وردياً أكثر من اللازم فاسبعدته على الفور لأن معناه أن العدو قد يعجز عن إستخدام المطار مرة خرى لعدم إمكان حصوله على رادار آخر.

إستبعدت جميع الأمانى الوردية طالما ليس لدينا دليل قاطع على سبب توقف العدو عن إستخدام المطار خلال تلك الايام الثلاثة ـ ولكننا قدمنا بلا شك خدمة كبيرة للمجاهدين المنهمكين فى معارك دير ماك ـ ولاشك أيضاً أن العدو يدبر ويخطط لأسلوب جديد لقهرنا والتخلص منا. ربما إستخدام أسلحة جديدة أو أساليب عمل جديدة، وعلينا أن نجهز أنفسنا لجولة جديدة أصعب من سابقتها لأن تأثير المفاجأه قد زال عن العدو الآن، وسوف يجابهنا وهو الآن على دارية أكثر بأساوبنا وإمكاناتنا.

أكبر مشاكلنا الآن هو الإستهلاك السريع للصواريخ، مع توقف عملية الإمدادات بها منذ مدة طويلة "شهرين تقريباً". لقد أنفقنا خلال الليالى الثلاث الماضية ثلث ما لدينا من مخزون أى مئتي صاروخ، وتبقي لدينا أربعمئه صاروخ فقط وهو مايكفى ست ليالى على نفس المنوال السابق.

معنى آخر لهذا الإستهلاك العالي من الذخائر هو أننا سوف نكون في حاجة إلى ألف صاروخ إذا أردنا إغلاق المطار لمدة شهر إذا كانت الإشتباكات كل ليلة بلا توقف. لهذا كنت أتمني أن يتوقف العدو عن إستخدام المطار لأى سبب كان، وخاصة الأسباب الجوية. فالأمطار الغزيرة عادية في هذا الموسم، لذا كنت دائم المراقبة للسحب في السماء. وهى عادة قديمة إكتسبتها منذ دخلت أفغانستان أول مرة، وعلمت أن السحب هى خط دفاعنا الأول ضد طيران العدو، والأرض هي خط دفاعنا الأخير.

وكلما مرت ليلة بدون أن يحاول العدو إستخدام المطار شعرت بسعادة لم أجد مثلها منذ أيام الطفولة، عندما كنا نذهب إلى المدرسة فنجدها مغلقة بسبب الإضراب، أو نجدها مفتوحة ولكن مدرس الحساب قد تغيب عن الحضور أو أصيب فى حادث.

الأيام الثلاثة التى سنتكلم عنها الآن هي أيام سعيدة لأن مدرس الحساب لم يحضر إلى المدرسة، أقصد أن الطائرات لم تهبط فى المطار.فوفرت علينا الذخائر، وأطالت أمد الحصار بدون زيادة تكلفته علينا.

:::::::::   :::::::::   ::::::::
:::::::::   :::::::::   ::::::::

الأحد 19 أغسطس 1990

فوق جبل الترصد سادتنا حالة من الخمول حتي وقت صلاة الظهر. فبعد شاي الصباح نام أكثرنا داخل الخيمة حتي وقت صلاة الظهر،كى ينجو من حرارة الشمس ولسع الذباب. كما غادرنا "ضيوفنا" من شباب المراكز الخلفية حتي يحل مكانهم عدد آخر هذه الليلة، طبقاً لبرنامج إطلاع الشباب علي أسلوب العمل في المشروع وهو مالا يتضح علي حقيقته إلا من هذا المكان.

حاجي إبراهيم مازال يلح في الذهاب إلي ميرانشاه من أجل أوضاع أسرته التى تستدعى عدم غيابه لأوقات طويلة. منعته من ذلك حتي نجد بديلاً له، وهو مالم يحدث حتي الآن.

فكرت فى أن يتول كل من أبو الشهيد وأبو زيد إدارة العملية من نقطه الترصد، وهو ما أقوم به الآن ،حتى لا تتوقف العمليه إذا تغيبت عنها لأى سبب .

كانت هذه طريقتي دوماً وهي ألا أجعل العمل متوقفاً على تواجدى فيه.

فهناك حولى دوماً من يعرف ما يجب عمله منذ البداية إلى النهاية. وقد جاب لى ذلك الأسلوب أنتقادات فيما بعد ،على إعتبار أننى أتنازل عن صلاحياتي لعدد ممن حولى.

وقت الظهيرة والحرارة مكتومة ومنقوشة بطنين الذباب، كل شئ هادئ هدوء المقبرة.

كنت في حالة مزاجية سيئة وقد داهمتنى الأفكار المحبطة. وهي عادة تتعلق بوضع الأسرة والمستقبل المجهول الذى ينتظرنا ـ إذا إنتهت هذه الحرب بدون أن ألاقى حتفى فيها ـ أين سأعمل؟ وأين سأقيم؟ كيف سيتعلم الأولاد والبنات؟ كيف ستتصرف معنا الحكومات والدول والعالم؟.

علقت على تلك الافكار قائلاً فى مذكرتى:

(هل هى نزغات الشياطين؟ أم مشكلة مستعصية عمرها سنوات؟).

لكنني بعد سنوات قليلة واجهت كل تلك التساؤلات بجدية، ولاقيت مع أسرتى كل ما كنت أخشاه من إحتمالات. فضاع منا الإستقرار والأمن، وحتى العلاقات العائلية في أرض الوطن وضاع التعليم من الأولاد والبنات، ودفعنا جميعاً ضريبة النظام الدولى الجديد، الذى كان فى بداية الولادة ونحن بالتحديد مشغولين فى "مشروع المطار" الذى إنغمسنا فيه بشكل عائلى بينما جزيرة العرب تتهيأ لاستقبال الإحتلال الأمريكي لبلاد الحرمين الشريفين.

ـ من مركز أبو العباس إتصل بى أبو النور كى يبلغنى أن مخزون الذخائر عنده بلغ 400 قذيفه بعد أن كان من 600 قبل بدء العمليله منذ ثلاث أيام.

تحرك أبو الشهيد ليضبط رماية راجمتى مجبور ومحمد أفضل.

قبل المغرب كانت مفاجأة إذ إتصل بى من مركزأبو العباس "مبشر" الذى جاء برفقه أبو مصعب السورى ومجموعته سيراً على الأقدام قادمين من معسكر جهاد وال.

وقد طلبوا الحضورإلى جبل الترصد فطلبت منهم البقاء إلى الصباح حتى أحضر لديهم، فالمكان قد يصبح عندنا مكدساً وخطيراً إذا حضروا جميعاً.

بعد المغرب إشتعلت مرة أخرى منطقة دير ملك فدخلت المعارك هناك ليلتها الثانية بدون ظهور أخبار مؤكدة عن مسيرتها مما جعلنى أظن أنها غير موفقه.

طلبت من جميع المراكز الإستعداد لأن إشتداد المعارك فى الوادى يعنى إشتدادها لدينا عند المطار.

جلست مع أبوزيد التونسى وحاجى إبراهيم الأفغانى وأبو حامد الليبى قريباً من مناظير الترصد وقد تجمع الغيم فوقنا لفترة ثم بدأ ينقشع تدريجياً وأنا أراقب حركته بقلق وأعربت عن أملى أن تتزايد الغيوم، فسألني أبو زيد:

هل تتوقع أن تحاول الطائرات النزول هذه الليله؟. فأجبته قائلاً: (وتودون لو أن غير ذات الشوكة تكون لكم) ـ وهى جزء من آية فى سورة الأنفال ـ فضحك أبو زيد.

صفا الجو وأشرقت السماء، وجعلنى ذلك متكدراً. ولكن الطائرات لم تحاول الهبوط رغم شدة المعارك فى الوادى فكنت مندهشاً، وأطلت التفكير، وشاركت معى أبو زيد ثم الأخرين حول سؤال حول سؤال هو: لماذا؟.

لم نتمكن من تحديد سبب قاطع لما حدث، وإن كان "مشروعنا" له دخل مؤكد فيما حدث، ولكن ربما كان سبباً غير وحيد.

:::::::::: :::::::::: ::::::::::

الأثنين 20 أغسطس 1990

فى الصباح الباكر غادرت جبل الترصد متوجهاً الى مركز "أبو العباس" حيث كانت مجموعة أبو مصعب ، وعددهم حوالى عشرة أفراد ، يعملون بهمة عالية فى إصلاح الطريق إلى المركز وفى تدعيم زكائب الرمال التى تحمى مداخل المغارات وحول الراجمة التي تربض

مثل الأسد المتحفز خاف سور من الزكائب على هيئة دائرة مفتوحة الطرف من جهة باب المغارة.
تبادلنا التحيات والتهانى والأخبار بشكل سريع. ثم توجهت فى الحال لإنجاز مشروع الإستحمام ثم غسل الملابس وهو مالم أفعله منذ أسبوعين. وبعدها صرت جاهزاً للجلسات والمناقشات الموسعة.
فجأه وصلت السيارة من ميرانشاه بعد إصلاحها فإستقبلناها بالتكبير والهتاف، وساد بيننا جو من المرح و الإستبشار.
فتموين المراكز بالذخائر والطعام لم يعد مشكلة ـ وقد تركت مركز الترصد بدون طعام.
والآن معنا "مبشر" المسئول الأول عن تموين العملية بالذخائر،أى المسئول الأول عن عرقلة العملية ، وسوف نتحدث معه حول تلك المشكلة التى تمثل العقبة الأولى التى تواجهنا حتى قبل قصف الطائرات وراجمات الصواريخ التى ترمينا من الوادى.
بعد صلاة العصر تم إجتماع عام داخل" مغارة المعيشه"حضره الجميع تقريباً ، وطرح أبو مصعب موضوع أحداث الخليج وإستقدام القوات الأمريكية وحلفائها إلى السعودية والكويت.
ثم أبدى إعتراضه على إستدعاء أبو عبد ا للشباب من أجل القتال فى السعودية إلى جانب القوات الأمريكية.
وتمني ألا يتم ذلك. ثم هاجم علماء السعودية هجوماً مريراً حتى أخرجهم من دائرة الإسلام ، وهو إجراء عادى فى الأوساط العربيه هنا ـ حتى عند خلافات أقل من ذلك بكثير.
لاحظت أن الحديث كله من طرف واحد وأن جماعه القاعدة بيننا وعلى رأسهم مبشر إمتنعوا عن التعليق.
لذا جعلت كلمتى قصيرة جداً وقلت أن مايحدث الآن فى الخليج سوف يكون علامة فارقه فى تاريخ المسلمين، وفى مسيرة الحركة الإسلامية، وأن المؤسسة الدينية الرسمية لدى الأنظمة هى الأكثر أهمية فى الدفاع عن النظام، خاصة إذا حاول النظام صبغ نفسة بصبغة دينية، وهى فى ذلك الصدد أكثر أهمية من الجيش والشرطة وجهاز الإستخبارات والإعلام مجتمعة.
ـ فى الخامسة والنصف مساء قطعنا الجلسة كى نتوجه الى جبل الترصد فقد كنت أتوقع إنزالاً فى المطار، صحبنى مبشر وأحد الأفغان العاملين معه، وبقى أبو مصعب وجماعته فى المعسكر منعاً للإزدحام فوق الجبل، على أن يحضروا فى الغد.
تجمعنا بعد المغرب عند نقطة الترصد، ونحن نتوقع ليله حافلة. فالمعارك عادت على أشدها فى دير ملك، توقعت أن المعارك فى دير ملك سوف تستمر حتى يصل المجاهدون إلى مركز المدينة. لو تقدموا عشرة كيلومترات أكثر فسوف يحسمون المعركة من هناك. وفرصتهم الآن جيدة فالمطار الآن مغلق تماماً، وهذا ما كانوا يضعونه كشرط أساسى لإسقاط المدينة، أو فتحها.
فى التاسعه ليلاً تمكن المجاهدون من الإستيلاء على سته مواقع عسكرية فى دير ملك وينوون متابعة الهجوم، حتى الإستيلاء على موقع عسكرى تحتله ميليشيات "جام جم" الأوزبكية التابعة لعبد الرشيد دوستم، أبرز مقاولى الميلشيات الشيوعية فى أفغانستان.
فى الثالثة صباحاً أعلنا الإستنفار إذا سمعنا صوت "جاموسة" فظنناها عملية إنزال مفاجئ لكن شئ من ذلك لم يحدث. جلست مع أبو زيد نناقش الأسباب المحتملة وراء إحجام العدو عن إستخدام المطار رغم ظروف المعارك .كنا مستعدين لمعركة طويلة فالعدو لن يتخلى عن

المطار ويستسلم لنا هكذا بسهولة. ولكنه ماذا يخطط لنا الآن؟؟ كان ذلك يقلقنى كثيراً.
....

الثلاثاء 21 أغسطس 1990 الأول من صفر 1411هـ

من أخبار دير ملك أن المجاهدين أحرزوا المزيد من التقدم على الأرض أثناء الليل، وقاموا ببث الألغام ـ قبل الفجر ـ لمنع العدو من شن هجوم نهارى مضاد لإسترجاع ماضاع منه. وكون المنطقة ريفية منبسطة فإنها لاتوفر حماية كافية للمجاهدين أثناء النهار، لذا فهم يفضلون العمليات الليلية الهجومية، ويلجأون إلى الدفاع نهاراً. كان إبراهيم يتابع أخبارهم عن طريق عبد العزيز، وكانت اخباراً سعيدة بالنسبة لنا لدرجة أننا تناولنا شاى الصباح فى مواقعنا فى الترصد وليس في الخيمة كما تقتضى "بروتوكالات" المعسكر.

مع أول ضوء حلقت فوقنا الطائرات النفاثة ولكن الضباب منعها من القصف، فأعلنا الإستنفار خوفاً من عملية إنزال مفاجئة فى المطار.

من السابعة والنصف صباحاً عمل الطيران بعنف ضد المجاهدين فى دير الملك، بينما تجاهلنا العدو تماماً.

وقت الضحى توجه أبو مصعب وجماعته نحو جبل الترصد.

أسفل الجبل إعترضهم "خليل" الأفغانى ـ وهو واحد من ثلاثة تبقوا معنا فى الترصد من جماعة كريم ـ وأمرهم خليل بالعودة وعدم الصعود إلى الجبل لكنهم ، لعدم فهمهم اللغة ، تجاهلوه وإستمرروا فى الصعود . فسحب خليل أجزاء الرشاش مهدداً إياهم بالرماية، لكنهم تجاهلوه أيضاً. فمضى خليل إلى حال سبيله . فطلبت من أبراهيم أن يذهب إلى كريم ويشكره نيابة عنا لتنازله عن الجبل وأن يسحب الثلاثة الباقين، مع قائدهم "شيراز الحق" الذى تعاركنا معه بالأمس فقط لإعتزامه تجربة "الدوشكا"بعد إصلاحها، فمنعناه بصعوبة، فأذعن لنا نتيجة تفوقنا العددي على مجموعته.

ألقت جماعة أبو مصعب نظرة سريعة على موقعنا وعلى المطار مع شرح موجز للعملية التى نقوم بها ، وما يقوم به المجاهدون فى دير ملك، والترابط الواضح بين العمليتين حيث تقوم راجماتنا بحرمان العدو من الإمدادات القادمة إليه جوا عن طريق المطار.

جلست مع المجموعة أسفل القمة السوداء للجبل وتحت شجرتين كبيرتين ذواتا أشواك حادة، وفوق أرضية مليئة بالصخور والشوك وشديدة الإنحدار نحو قاع الجبل العميق. لم تكن الجلسة مريحة من الناحية الطوبوغرافية، ولا ملائمة مناخياً فى ذلك الجو الحار، كما أنها أسالت الدموع نتيجة الوخزات الحادة من الأشواك التى تحيط بنا من كل جانب .

تناولوا الحديث عن الأوضاع في المنطقة العربية وبلاد الشام وكان عليّ أن أتحدث عن الأوضاع الأفغانية، فتكلمت بدون حماس كبير، لأن الحديث مكرر، ولأن المجموعه تبحث عمن هو "أقرب إلى الحق" ـ على حد قولهم ـ من بين شخصين فى الزعماء الأصوليين سياف أم حكمتيار . وكانوا أقرب إلى مشايعة الثانى، بينما كان موقفى هو إدانة الرجلين بشدة بل وإتهامهما بأنهما صنائع لعبة دولية.

كنت أعلم أن كلامي مرفوض من جانب المستمعين، لذا لم أكن متحمساً فى عرضه، وربما زاد ذلك من إعقادهم بصحة موقفهم، ولم يكن ذلك يشغلنى كثيراً.

بعد العصر صار الجو أقل حرارة والهواء أكثر أنعاشاً. كررنا جلستنا تحت الصخور وبعيداً

عن الأشجار الشوكية، وحتى صلاة المغرب فصلينا جماعة، ولكنها جماعة تعكس واقع الحال ، فالصخور والأشواك جعلت كل شخص يقف وحيداً بينما الإمام معزولاً يرفع صوته حتى يسمع الشباب المتناثرون من خلفه.
وقبل أن نكمل التسليمة الأخيرة للخروج من الصلاة، أخرجتنا منها قنبله ثقيلة قذفتها طائرة نفاثة مرت فوق رؤوسنا بسرعة البرق. بينما إنفجرت القنبلة على بعد عشرة أمتار من تجمعنا المبارك، ولولا لطف ا وأنها سقطت إلى الجانب الآخر من الصخور السوداء التى نجلس خلفها لتحولنا جميعاً إلى أشلاء ممزقة.
لقد بدأ العدو أخيراً إعارتنا جزءاً من إنتباهه، فربما ينوى إنزال طائراته هذه الليله ـ وربما يواصل قصفه الجوى لموقع الترصد، خاصه إذا كان متأكداً من وظيفه هذا الموقع. توزع الشباب فى أرجاء الجبل، وناموا بين الصخور متباعدين تحسباً لضربات جوية أخرى.
أبقينا الإتصالات اللاسلكيه طوال الليل مع باقى المراكز وكان نومنا متقطعاً والرقابه مستمرة لمدرج المطار.
الطائرات قصفت منطقتنا بشكل شبه متصل طوال الليل ولكن لم تصبنا ضربة أخرى مثل تلك التى ضربتنا عند المغرب.
وللمرة ثالثة على التوالى مرت هذه الليلة بدون محاولات إنزال فى المطار.
وقت الفجر لم يكن لدينا ماء يكفى للشرب فتيممنا، وأدينا الصلاة، ومع أضواء الصباح الباكر نزلت مع جماعة أبو مصعب متوجهيين نحو مركز أبو العباس لتناول شاى الصباح واللإفطار.
:::::::::::: ::::::::::: ::::::::::::
:::::::::::: ::::::::::: ::::::::::::

ليلة . . . فاقت ما سواها

الأربعاء22 أغسطس 1990 ـ الثانى من صفر 1411هـ
ليلة الإغلاق السابعة.
ليلة الإشتباك الرابعة.
عدد محاولات الهبوط إثنتان.
نتائج عمليات الهبوط تمكنت الطائرة الأولى من الهبوط نتيجة لتأخير إتصالاتنا اللاسلكيه مع تورغار.
الإصابات عند العدو أصيبت الطائرة الأولى أثناء محاولتها الإقلاع والطائرة الثانية إحترقت أثناء الهبوط.
الإصابات عندنا لا توجـد.
ملاحظات تمكن العدو من تفريغ حمولة طائرة واحدة، لكن نسبة الإصابة فى طائراتة هذه لليله مئة فى المئة، فقد خسر كلا الطائرتين اللتين قدمتا إلى المطار.
ـ توقفت معارك دير ماك، ولم تحدث هناك إشتباكات هذه الليلة.
إجمالى خسائر العدو حتى الآن: سـ ـت طائرات.

ـ فى المعسكر أعدت بعض الترتيبات الإدارية لمعالجة القلق الإدارى المزمن الناتج من الإحتكاكات المستمرة بين أبو النور وأبو تميم. أقترح أبو زيد أن يكون أبو تميم هو أمير المعسكر إلى جانب إمارة الراجمة، لأن أبو النورـ الأمير الحالى للمعسكر ـ يعامل الباقين

بطريقة " ناشفة" وأساليب بيروقراطية معقدة تضايقهم. تقبل أبو النور الأمر بروح رياضية، مع كونى أعتقد أن هذا التعديل لن يحل المشاكل التى تعود إلى تنافر الطباع وأساليب العمل.
خبر سار وصلنا وهو أن شاه خان ـ جارنا القريب ـ جاهز للمشاركة معنا في الرماية على المطار، فذهب إليه عدد من الشباب لمساعدته فى تجهيز الراجمة وتحصينها بأكياس الرمل، على غرار ماهو حادث عندنا، وتحصين مغاراته الرديئه بما يمكن عمله لتقويتها وحمايتها.
كان شاه خان على مسافة قريبة منا، على الطرف الآخر من نفس الجرف الذى تقع أمامه راجمتنا، ويفصل بيننا وبينهم منعطف حاد للوادى والهضبة، ونشترك معهم فى جدول ماء واحد، وتدهمنا نفس السيول التى تعقب أمطار هذا الموسم، وإن كان موقعنا أفضل من موقعهم كثيراً من ناحية المناعة والتحصينات الترابية.
سيزيد "شاه خان" قوه نيران "المشروع" ولكنه سيزيد أيضاً أزمة الزخائر لدينا والتى لايبدو لها إنفراجاً قريباً ، فلم نفز من مبشر بغير الوعود ، رغم أنه أبدى "شئ" من الحماس لمشروعنا عندما لاحظ نجاحه فى الأيام الثلاثه الماضية، وهو ما شهد به الجميع من أفغان وعرب.
شكوت لأبى مصعب ما ألاقيه من القاعدة من بيروقراطية وضعف تلبية لإحتياجات المشروع.
على أيه حال إنتعشت أمالى فى أن يغير مبشر موقفه، فقد قضى معنا فى الترصد ليله الأمس و سوف يقضى هذه الليله أيضاً، وعسى أن يبعث ذلك فى نفسه حماس يغير من موقفه اللامبالى.
ـ أثناء النهار أسقط العدو على المدينة ثمانية مظلات محملة بالمؤونة والعتاد، فحملت الرياح ست منها إلى مواقع المجاهدين وقد أدى ذلك إلى حالة من الفرح والتفاؤل.
على أيه حال فإن إسقاط المظلات ما كان ليتم لو أن العدو فى حالة إستطاعة على إستخدام المطار.
ـ كان علينا إجراء تجارب رماية على الراجمات للتأكد من أن كل راجمة مازالت مضبوطة على القطاع المخصص لها، ولأجل إعطاء راجمة جارنا القريب "شاه خان" قطاعاً على المدرج ـ وقد خصصنا له منطقه المنتصف تماماً.
كالعادة فى كل مرة، راجمة عثمان ترفض طاعة الأوامرة.
أما مجبور وجماعته فهم فى حالة حساسية دائمة من عملية تضبيط الراجمة بواسطة العرب، ولكن العملية مرت بسلام بعد مجادلات وبعد أن أفشلت شدة الريح عملية التضبيط، فرضخنا لما يراه مجبور أنه الوضع الصحيح لراجمته.
بدأ العدو محاولة الهبوط فى المطار فى الساعة التاسعة والنصف ليلاً وهو وقت مبكر جداً، وكان قد تخلى فى السابق عن محاولة الهبوط فى نصف الليل الأول.
بدأ العدو بتمهيد نيران قوى للغاية بواسطة الطائرات النفاثة. وكنا فى نقطه الترصد ـ وعددنا كبير نسبياً لوجود الضيوف ـ فضربت النفاثات خيمتنا السفلي بأكثر من قنبلة، ولحسن الحظ أنها كانت خالية لأن الجميع كانوا قد إنتشروا فوق الجبل، وعند نقطة الترصد لمتابعة المعارك الوشيكة بيننا وبين العدو فوق مدرج المطار.
تصاعد الدخان الأسود الكثيف وتساقطت كتل الأحجار فوقنا وحولنا بينما صاح أحد الشباب: (أدركوا علب التونه. . علب التونه). فضج الجميع بالضحك، فبعد أن أوشك مركزنا على المجاعة وصلتنا اليوم كمية من علب التونه ـ منتهية الصلاحية ـ فوضعناها فى الخيمة بعناية فائقة وتحت حراسة مشددة.
ويبدو الآن أن العدو حرمنا منها . مضى عدد من الشباب عدوا نحو الخيمة لإنقاذ التونه ،

فوجدوا هناك حريقاً صغيراً ممسكاً بالخيمة، فتغلبوا عليه، وكانت التونه بخير فأثلج صدورنا نجاتها وتفاءلنا خيراً فى ليلتنا تلك وبالفعل كانت من أفضل الليالى.
توالت الغارات حول جبلنا وحول الراجمات العاملة معنا وكذلك أرسلت راجمات الصواريخ المعادية عدداً من صواريخها إلى منطقتنا.
تعثرت الإتصالات اللاسلكية مع عبد العزيز وترصد تورغار وفجأة وصلنا صوت ترصد تورغار وهو يصبح بلهفة:
(لقد وصلت الطائرة. . وهى الآن فوق مدرج المطار. . أرموا عليها بسرعة).
وهذا ما فعلنا فقد صببنا حمماً هائلة وبسرعة فوق المدرج، ولأول مرة نعمل بطاقه خمس راجمات مرة واحدة. فكانت نيراننا رائعة أثارت إنتباه جميع المجاهدين، فراحوا يكبرون لرشقاتها المتتابعة. وكنت أواصل الصياح على المخابرة، حتى لا تلجأ جماعتنا إلى(نزعتها الإقتصادية) فتقلل من معدل الرماية.
غطانا العدو بمظلة جوية كاملة من الطائرات النفاثة التى ترمينا بالصواريخ، والطائرات القاذفة الثقيلة ذات المراوح وهى ترمينا بالقنابل العنقودية والقنابل من فئه خمسمئة رطل وألف رطل.
إختلطت صوات الطائرات وظننت أن الطائرة التى فوق المدرج ربما أقلعت، فطلبت إيقاف الرماية حتى ينجلى الموقف.
إتصل إبراهيم مع عبد العزيز، ولم يكن ذلك ممكناً هذه الليلة إلا عن طريق تورغار.
وألقى علينا عبد العزيز مفاجآته قائلاً: إن الطائرة الثانية قد وصلت فعلاً فوق المدرج، بينما الأولى لم تقلع بعد.
كانت فرصة لا تعوض بينما الوقت ضيق جداً، هناك طائرات فوق المدرج. خطفت المخابرة من إبراهيم، وصحت فيها بصوت مرتفع وعبارات حاده مندفعة:
ثلاثة ثلاثة. . تسعة تسعة. . الطائرات فوق المدرج أرمى بسرعة بكامل الحمولة. .
لاتتوقف عن الرماية. . تابع بسرعة. .
وبعد أن أبلغ إبراهيم نفس التوجيهات إلى الراجمات الثلاث العاملة معنا فى "دزجات ستان" بما فيها الراجمة الجديدة لدى "شاه خان"، إستلمت منه المخابرة للمتابعة مع مراكزنا العربية، خاصة وأن قصف الطائرات لموقع الراجمات كان عنيفاً، لأن وميض الصواريخ المنطلقة يكشف تماماً مواقع الراجمات، بما يجعلها هدفاً سهلاً للطائرات، المقاتلات قاذفة الصواريخ التى قد يكون بعضها موجهاً.
كانت المعركة فى ذروتها المحتدمة، كانت قذائف طائراتهم تنهمر فوق راجماتنا، ونيران راجماتنا تنهمر فوق مدرج المطار. . كل ذلك فى نفس اللحظة. أما نحن فى الترصد، فكنا نتطاير بين الصخور كلما سقطت علنا إحدى "القطع" من طراز الألف رطل، والخندق الوحيد الذى كان قريباً منى لم أعد أستطيع أستخدامه بغير تواجد ثلاثه آخرين معى رغم أنه سعة فرد واحد فقط لذا توقفت عن إستخدامة.
إكتفيت بالإحتماء بأحد الصخور والصياح على المخابرة، مستخدماً لهجة الريف المصرى فى حض مراكزنا على متابعة الرماية فكنت أنادى: إضرب يا تلاته. . بسم ا   ا   أكبر. . أكمل الحمولة يا تسعه. . شايفك يا تسعه. . أكمل الحمولة يا تسعه. .
كنت أرقب الخطوط الحمراء للصواريخ المنبعثة من مراكزنا وإذا توقفت كنت أصيح بهم للمتابعة، فكانوا يضحكون ويتابعون معى. كان أبو الشهيد يعمل على راجمة أبو العباس

لكون أبو تميم مريضاً بنزلة برد أو ملاريا خفيفة ، وقام من مرقده فى شدة إحتدام المعركة والإنفجارات الرهيبة حول المركز مع تتابع رماية الراجمة، فقام لمساعدة أبو الشهيد ، بينما إنهمك جميع أفراد المعسكر فى تجهيز صواريخ جديدة للرماية ، فقد كانت الكمية التى تم تجهيزها بالنهار غير كافية . وكانت تلك الراجمة هى الأثقل عبئاً هذه الليلة كما سنرى .

فكانت المغارات وخنادقها الإرتباطية عبارة عن "خليه نمل" تحمل الصواريخ وتنظفها وتركب لها الصواعق كل ذلك كان عملاً كثيفاً وحماسياً وقليل الخطورة إلى حدٍ ما، أما العملية الأخطر فهى الإتصالات اللاسلكية ، الذى كان يستلزم الخروج من المغارات ، بل أيضاً الوقوف فوق مكان مرتفع.

وهكذا فعل أبو تميم وهو يتصل بى طالباً تخفيض معدل الرماية لأن الإستهلاك فى الذخائر عال جداً . كان صوته متعباً من أثر المرض . فرددت عليه قائلاً : (إنفق بلالا . . ولا تخشى من ذى العرش إقلالاً) . . فضحك أبو تميم وذهب يستأنف عمله خلف الراجمة.

ـ شاهدنا كرة من النيران على إرتفاع عدة أمتار من المدرج ثم إنفجاراً فوقه، ثم نيران كبيرة أضاءت المنطقة لقد إنفجرت الطائرة واشتعلت بها النيران .

دوت التكبيرات فى أجهزة اللاسلكى . وأبلغت مراكزنا بالنبأ السار فكبروا وسجدوا شكراً .

كانت الطائرة واقعة فى قطاع راجمة أبو العباس (رقم 3) التى طلبنا منها التوقف. لكن ترصد تورغار كان له رأى آخر ، فقد طلب أن نرمى عده قذائف على الطائرة لأن عدداً من السيارات قد تجمع حولها.

فطلبنا من(رقم 3) أن يرمى قذائف متقطعة، فرمى صاروخه الأول فتسبب فى إطفاء النران ، أو معظمها ، ثم رمى صاوخاً آخر فعادت النيران إلى حجمهاالأول ، فطلبت منه التوقف حتى لا يطفئها مره أخرى.

ـ مرة أخرى ونيابة عن عبد العزيز صاح بنا ترصد تورغار بأن الطائرة الأخرى تتأهب للإقلاع بسرعة وأن علينا ملاحقتها قبل أن تضيع منا.

عاودنا الصراخ على سلاح الصواريخ فى "دزجات ستان" الذى كان متأهباً تماماً .

وهدرت الراجمات الخمس، وراحت تقصف حممها بلا هوادة . وكنت أتابعهم بالتكبير واستحسان رمايتهم ، حتى أمرتهم بالتوقف عندما أخبرنا عبد العزيز بأن الطائرة أصيبت وعجزت عن الطيران، وهى الآن فى منتصف المدرج تماماً، أى قطاع راجمة "شاه خان" الذى يشاركنا لأول مرة هذه الليلة ، فتحولنا إليه بالتهنئة والتبريك، وكان يرد علينا مبتهجاً خجولاً مثل شاب فى ليلة زفافه الأولى.

توقفت إتصالاتي الحماسية فى المخابرة، والتى كانت مرحة فى نفس الوقت، فأكسبت الإشتباكات طعماً خاصاً.

وطلبت من الراجمات إتباع أسلوب الرماية المتقطعة على فترات ثم توقفنا وبقينا على تأهيب كامل، وإتصال دائم بالمخابرة حتى الثالثة صباحاً تحسباً لعملية إنزل فى المطار.

وكنا نعتبر إى عمليه إنزال بعد ذلك الوقت عملاً إنتحارياً بالنسبة للعدو، لسهولة القضاء عليه نتجة لتحسن الرؤية نسبياً بحيث نستطيع أن نميز ـ وإن بصعوبة ـ ما يجرى فوق المدرج.

عند صلاة الفجر تيممنا وصلينا فى مواضعنا . وقد إبتسمت السماء بأضواء ونوارانية وكأنها قادمة من الفردوس الأعلى . لقد ودعنا لتونا الليلة الرابعة التى لاتنسى . والتى فاقت كل ما

سبقها.
....
....

الخميس 23 أغسطس 1990 ـ الثالث من صفر 1411 هـ
(ملخص)
ليله الإغلاق الثامنة.
ملاحظات لم يحاول العدو إستخدام المطار، رغم الأحوال الجوية المناسبة، لم أكن متواجداً هذه الليلة، وحلّ أبوزيد محلى فى قيادة العملية من نقطة الترصد.

بعد صلاة الفجر إتصل بى أبومصعب من مركز أبو العباس مهنئاً بنتائج الليلة ثم وصلت رسالة لاسلكية من عبد العزيز تقول بأن الشيخ حقانى يطلب منى الذهاب إلى ميرانشاه، فتأكدت أن أسرتى قد عادت من إسلام آباد .
نمت حوالى ساعة قبل أن أهبط الجبل متوجهاً نحو معسكر أبو العباس، أصطحبنى إبراهيم الذى سيرافقنى إلى ميرانشاه أيضاً لقضاء أجازة مع عائلته.
ـ ولابد من توفير بديل له أثناء غيابه ـ وهناك مرشحان لذلك العمل كلاهما موجود الآن فى المنطقة.
مررنا أولاً بمركز محمد أفضل الذى إستقبلنا وجماعته بالعناق والتبريك كما هى العادة فى صباح تلك الليالى الحافلة.
ثم إنتقلنا إلى "شاه خان" وجماعته على مدخل الوادى الذى يتواجد فيه مركز"أبو العباس"، وهذه المرة نحن الذين باركنا له هذا التوفيق الكبير الذى حالفه فى ليلته الأولى معنا فى"مشروع المطار" وقد وجدنا عنده أحد أفراد فريقه ويدعى "جول محمد" وقد تطوع ليعمل بديلاً عن إبراهيم أثناء غيابه، وهو يتكلم العربية الخليجية، فرحبنا بذلك .في مركز ابو العباس تفوح أجواء العيد بعد إنتصارات الليلة الماضية.
وأخذنا نصيبنا من التهنئة والعناق. كان أبو تميم مصاباً بالملاريا ويعانى من إرتفاع درجة الحرارة، أبو النور سيغادر هو أيضاً إلى ميرانشاة لشراء بعض إحتاجات المعسكرات، سيبقى أبو الشهيد لإدارة المعسكر والراجمة.
ـ وجدت عائلتي جميعها، قد عادوا من إسلام آباد، فتعجبت لعدم إلتحاقهم بالمدرسة، فأخبرتنى زوجتى أنها سحبتهم جميعاً من المدرسة السعودية بعد "معركة" كبيرة مع إدارة المدرسة، نتيجة لتحقيقات تجريها الإدارة مع الأطفال عن أبيهم فتسألهم: أين أبوكم ؟، ماذا يفعل فى أفغانستان؟ ماذا تفعلون فى ميرانشاه؟ من يزور أبيكم في البيت؟ . . إلخ
فذهبت إليهم زوجتى غاضبة لخضوع الأطفال لإستجوابات بوليسية وجعلهم مصدراً لمعلومات لاتهم المدرسه فى شئ.
وإنتهى النقاش بأزمه كبيرة، وتهديدات من إدارة المدرسة ومن القنصلية السعودية لزوجتى، وكونها سوف تتعرض لعواقب وخيمة نتيجة "تطاولها"على الإدارة ولم تقصر "أم وليد" فى تشغيل "راجماتها الكلامية،ضد الإدارة والقنصلية ، وربما الدولة السعوديه ثم نقلت المعركة إلى الشارع المقابل للمدرسة مما أوقع كبار رجال الإستجوابات فى المدرسة والقنصلية فى أزمة لم تحل إلا بتدخل المدرسين وسكان الحى. وعادت أم وليد وهى

تسحب خلفها ـ أو داخل السيارة ـ أولادها الأربعة المسجلين فى المدرسة ليعودوا جميعاً مشردين إلى ميرانشاه.
وقد يكون مصادفة ـ أو لاتكون ـ أن تبدأ مشاكلنا الأمنية الجدية بعد ذلك التاريخ.
بعد العصر زارنى أبو حفص فى منزلى القريب من مضافة القاعدة وأخبرنى أنه سيبقى فترة فى الجبهة، فأسعدنى ذلك كثيراً وظننتها فرصة لاقناع القاعدة فى بالمشاركة بقوة فى معارك خوست، وقبل ذلك مساندتنا فى مشروع المطار بشكل أكثر جدية على الأقل فى بند شراء الصواريخ. وقد شجعه النجاح الذى لاقيناه فى مشروعنا ، حيث دمرنا ست طائرات حتى الآن فتعهد بشراء ألف صاروخ لحساب المشروع وأنه سيأمر مبشر والآخرون بسرعة الشراء.
فضحكت وأسميتها (ألفية أبو حفص) وهكذا صار الإسم الشفرى لعملية شراء الصواريخ.
كنا مرهقون للغايه فقررنا البقاء فى ميرانشاه على أن نصطحب معنا فى الغد إحتياجات المعسكرات.
عانيت من أرق ليلى لإحتمال أن يشتبك إخواننا هذه الليلة مع العدو بدون أن أكون معهم، لكن العدو لم يحاول إستخدام المطار هذه الليلة وإعتبرت ذلك من حسن حظى.
:::::::: :::::::: :::::::: :::::::

<u>الجمعه 90/8/24 ـ ـ الخامس من صفر 1411هـ</u>
<u>(ملخص)</u>
ليلة الإغلاق: التاسـعة.
ملاحظات: كان الجو ملائم جداً لإستخدام المطار لكن العدو لم يحاول.
□□□
مرة أخرى أعدت أبو النور إلى ميرانشاه، كى يتفرغ تماماً لتلبية إحتياجات "مشروع المطار" سواء فى الطعام والمهام الأخرى أو مهمة شراء الذخائر حيث أن مبشر ومن معه مستغرقون تماماً فى إداريات المعسكرات التى يتجاوز عدد من فيها أحياناً الأربعمئه شاب، بينما مشروعنا "تحت الأربعين" من حيث العدد.
وحيث الأهميه تقاس عند العرب بالكم، فإن المعسكرات الترفيهية التى يطلق عليها مجازاً معسكرات تدريب، هى أهم كثيراً من مشروع المطار، بفارق حجم الأفراد فى المكانين.
مع أبو النور سيعمل "وليد" مساعداً له، وسيكون المكتب الثقافى لجماعة حقانى، مركزاً لهذه الإدارة، أهم عمل لأبو النور هو المساهمة فى مشروع" ألفية أبو حفص"، إقترحت عليه الحصول على تكليف كتابى من حقانى لأحد مساعديه كى يعمل معنا فى شراء الصواريخ المطلوبة.
لأجل هذا ركب معنا ابو النور مع وليد ثم أبو حفص أيضاً للبحث عن حقانى فى داخل الحدود الأفغانية، وتحركنا فى الثالثة عصراً كى نقابل موكب حقانى فى مركز"ميش" القريب من المنفذ مع مجموعة من الحرس، ثم سيارة حقانى وخلفها عدة سيارات للمجاهدين، توقف الموكب لرؤيتنا ونزل حقانى بنفسه، حيا حقانى سيارتنا ثم إنتحى بى جانباً كى ينبأنى بعدد من الأخبار الهامة، وكانت كما يلى:
1 ـ أن الأهالى فى خوست على إتصال به ، وباقى القيادات، لترتيب ثورة داخلية، وعلى ذلك فإن إستسلام المدينة قد يكون قريباً.

2 ـ أن الملاحة الجوية فى المطار قد توقفت تماماً.
3 ـ ستصل ذخائر من الحكومة الباكستانية، وسيعطينا منها كمية من الصواريخ، ومن بين الذخائر الجديدة صواريخ عنقودية يقال أنها فعالة ضد المطارات، وهى صناعة أمريكية.
كان بادى التفاؤل والمرح، وقال أنه علم أننى كنت فى مضافة منزله بالأمس ولكنه بحث عنى فلم يجدنى، فأجبت بأننى كنت مرهقاً من السهر طوال الليل إلى جانب المطار، فضحك ثم ودعنى عائداً إلى ميرانشاه وإصطحب معه وليد وأبو النور كى يساعدهم فى موضوع الذخائر.
ـ سألنى أبوحفص عن الأخبار لدى حقانى، فذكرت له ما قاله الرجل، فطلب منى التعليق على ما سمعت. فقلت له أننى لا أشعر بالتفاؤل الذى يشعر به حقانى، خاصة بما يتعلق بثورة فى المدينه تنتهى بالتسليم. فالمدنيون هناك قليلون، وكلهم من الموالين للحكومة، وعلى فرض أنهم ينوون القفز من السفينه قبل الغرق، فلا يمكن التغلب على قوة عسكرية قوامها إثنا عشر ألف جندى مسلحون حتى الأذقان ـ حتى ولو كانت معنوياتهم سيئة ـ ـ إلا إذا كان فى "الثورة" عدد من الضباط النافذين، وهو أمر مستبعد لأن "شاه نواز تاناى" فشل فى إقناع ضباط الحامية بالإستسلام.
ـ أما بالنسبة لذخائر باكستان وما فيها من صواريخ إنشطارية أمريكية فأشعر فيها بمؤامرة دنيئة من الطرفين ، باكستان و أمريكا معاً فحتى إذا كانت " الثورة" مستبعدة داخل خوست فإن الواضح أن المدينة تترنح تحت ضربات حقانى والمتحالفين معه .وباكستان وأمريكا ومن معها من العرب أو قفوا جميع المساعدات للمجاهدين، ولكن من مصلحتهم ألا يتم فتح المدينه بينما هم فى خندق معادى، فذلك يجعل الفتح قاعدة لمناوئة نفوذهم فى أفغانستان، أما إذا دخلت باكستان إلى خوست فى صفوف الفاتحين فذلك يتيح لها فرصة توجيه الأحداث التالية لغير صالح المسلمين.
أما الصواريخ الإنشطارية، فهى وصواريخ ستنجر، إنما دخلت بعد فوات الأوان لسرقة النصر من أصحابه ولتعليق النياشين على صدور لصوص الثورات وأعداء المسلمين. فصاروخ ستنجر دخل المعركة بعدما صار معلوماً لدى أمريكا أن السوفييت قرروا الرحيل من أفغانستان فأدخلوا صاروخهم حتى يكون النصر" للتكنولوجيا الأمريكية" وليس للمجاهدين الأفغان وحلفائهم العرب والمسلمين.
والآن بعد أن صار محكوماً بالموت على مطار خوست بفعل "مشروع المطار" وضربات المجاهدين قبل ذلك ومعه أيضاً، فلابد من أن تدخل" التكنولوجيا الأمريكية" ليكون لها الفضل فى نصر أحرزه غيرها، فلا يكون للمسلمين فضل فى أى إنتصار فى أفغانستان.
إستخدم الأمريكان حرب أفغانستان لتجربة عدد من أسلحتهم التى كادت تتلف داخل مخازنهم بدون أن تأخذ فرصة لتجربة حية، ويريدون تحويل نصر الشعب الأفغانى إلى دعاية للسلاح الأمريكي، فى إطار المنافسة مع السوفييت فى سوق السلاح الدولية التى تعتبر أكبر عائد فى التجارة الدولية بعد النفط.
فمن الأفضل للمصالح الأمريكية السياسية والتجارية معا ـ تصوير الإنتصار فى أفغانستان على أنه إنتصار للسلاح الأمريكى المتطور على السلاح السوفيتى المختلف وليس كما هو فى الواقع إنتصاراً للإسلام كعقيدة على الشيوعيه كمبدأ إلحادى ،وذلك كما صوروا إنتصار إسرائيل على العرب فى حرب67 على أنه إنتصار للسلاح الأمريكى على السلاح

السوفيتى وليس كما هى فى الواقع، إنتصار للأنظمة العربية المنحرفة على شعوبها المسحوقة. وهو ما أدى لأن يكون العرب مهزومون على طول خط سواء وقعت الحرب مع إسرائيل أو لم تقع، فنحن مهزومون إذا وقعت حرب ومهزومون إذا وقع السلام.

ـ أما عن توقف الملاحة الجوية فى المطار فلا يعنى أبداً أن العدو قد سلم لنا وإعترف بهزيمته، لأن ذلك يعنى ضياع المدينة من بين يديه، ولكنه مازال يقاتل على الأرض وهو مجهود اليائس، لقد أمسكنا برقبته وضغطنا عليها بشدة ولكنه لم يلفظ أنفاسه بعد. ويجب أن يستمر عملنا على المطار حتي يدخل المجاهدون إلي المدينة وتتوقف مقاومة العدوعلى الأرض.

□□□□

عند مدخل الوادى وقبل أن تنحرف السيارة يساراً فى الشعب الضيق نحو مركز "شاه خان" ثم أبو العباس نزلت مع أبو حفص، وواصلنا سيرنا على الأقدام مسرعين، حتى نصل إلى مركز الترصد قبل الغروب، فقد كنت أخشى أن يحاول العدو إستخدام المطار هذه الليلة وصلنا إلى نقطة الترصد مع إذان المغرب وبعد قليل لحق بنا مبشر وأبو الشهيد.

ـ كان الجو صحواً وينذر بليلة صعبة مع الطيران ومحاولات إنزال فى المطار. لكن مرت الليلة بسلام ،وكانت غنية بالمناقشات التى مازلت أذكر أحداها كما دارت حرفياً بينى وبين أبو الشهيد.

كان الموضوع هو إحتياج ساحة المجاهدين العرب فى أفغانستان الى شخصية "العالم المجاهد"" الذى يملأ الفراغ الذى تركه الشيخ عبد ا عزام، ثم إقترح أبوالشهيد أن يتم الإتصال بأحد العلماء المقيمين فى منطقة الخليج، كان قد تعرض للطرد من السعودية، لأنه تكلم بالحق فى أحد المناسبات.

وقال أبو الشهيد لو تم الإتصال بهذا العالم وإقناعه بالمجئ إلى أفغانستان، لكان مكسباً كبيراً.

فقلت له:

بعد كل هذه السنوات من النيران المشتعلة والدماء التى تسيل فى أفغانستان،فإن الذى لم يحضر من العلماء، فلا فائدة فيه، وإذا ذهبت أنا، مثلاً،لإقناع أحد العلماء أن يأتى إلى الجهاد لكنت أنا العالم وليس هو.ثم ضحكنا لهذه الملاحظة.

ـ وعن "الصحوة الإسلامية" قلت له:

أننى متشكك فى هذا الإصطلاح وأخشى أن يكون غطاءاً لخدعة ما. وأن علينا أن نتأكد أنها ليست" كبوة جديدة"أو "صحوة الموت" مثلاً. وأننى لا أشعر بالإطمئنان لهذه التنظيمات والجماعات الجديدة التى أفرزتها تلك "الصحوة" خاصة الجانب الجهادى منها .

فهناك غياب شبه كامل للعلماء ، أو تواجد ظاهرى لهم.

بينما القدرة والتوجيه فى أيدى غيرهم وأن ذلك صحيح حتى فى المنظمات الأفغانية، أما عند العرب فهناك مبالغة عند "الجهاديين" فى دور التنظيم وما يمكنه عمله. وهناك إعتقاد بأن "التنظيم" أصبح بديلاً عن" الأمة" وهذا قد يقود تلك الجماعات إلى الدمار إن هى جابهت الأنظمه فى بلادها إعتماداً على "التنظيم" بينما هم فى "خصومة" أو جفاء مع شعوبها.

وقلت إن "السلفية" هى الراية العقائدية التى تتم تحتها حالة "الخصومة" وحتى العداوة بين التيار الجهادى وباقى فصائل العمل الإسلامى والشعوب الإسلامية.

وأن هذه التجمعات تعيش فى حالة "جهالة" بالنسبة لظروف العالم الذى تعيش فيه، وتورط

نفسها فى معارك تجهل قوانينها. فحالة الجهل السياسي التى تعصف بتلك التجمعات غنية عن الإشارة .والمعرفة العسكرية لاتقل ضحالة عن ذلك. وإقتصادياً مازال الجميع يعتمدون على السعودية ودول الخليج من خلال متعاطفين من "علماء الملوك" أو "الشباب الملتزم. وجميعها أوهام لا تغطى حقيقة أن تمويلهم يمر عبر بوابة الأنظمة هناك، خاصه النظام السعودى وأن هذه التنظيمات الجهادية تعيش الآن في ورطة، وهي أن رموز مذهبية تقف الآن تحت راية القوات الأمريكيه فى بلاد الحرمين ، تحت نفس الراية"السلفيه" التى هم أكابر شوخها وعلمائها. مرت المناقشه بسلام. كما مرت الليلة بسلام"بلا إنفجارات"

□ □ □

السبت 25 أغسطس 1990 ـ 6صفر 1411هـ

(ملخص)

ليله الإغلاق □ العاشـ ـ رة

ملاحظات□ كان الجو ملائماً لهبوط الطائرات.

....

ـ فى الصباح تحركنا إلى مركز أبو العباس للحديث مع أبو مصعب، ودار الحديث حول ضروره إصدار مجلة تعالج أفكار هامة وجديدة بالنسبة للمجاهدين العرب فى أفغانستان، كنت موافقاً من حيث المبدأ، ولكن لم أكن راغباً فى العمل مع العرب ـ خارج أطار الجبهة ـ تفادياً لمشاكلهم التى لاتنتهى، والتى لا يمكننى التعود عليها.

ثم إنتقلنا الى الدور العسكرى للعرب فى أفغانستان.

وكانت إنتقاداتى لهم شديدة فى هذا المجال أيضاً، وقلت أن العرب لم يظهروا إلى الآن نموذجاً طيباً للعمل العسكرى، ولم يقدموا جديداً للأفغان.

فليس لديهم سوى الشجاعة، وهى بضاعة أفغانية متوفرة، أما الفن العسكرى فالأفغان ـ فى بعض قطاعاتهم ـ يتفوقون علينا كثيراً، وأن المدفعية كانت أحد المجالات التى يمكن للعرب أن يقدوموا فيها الكثير لحاجتها إلى مستوى تعليمى مناسب، ولكن العرب أحجموا عنها وتزاحموا على "الإقتحام" بحثاً عن الشهادة التى مازالت فى أذهانهم مفهوماً سلبياً يتلخص فى الموت بأسرع الطرق وصولاً إلى الجنة، ولم يوظفوها عسكرياً بشكل مناسب. أما سياسياً فقد إستفاد منها الإنتهازيون والسفلة فى جمع مزيد من أموال التبرعات التي تتحول فى أيديهم إلى وسيلة ضغط على المجاهدين للوصول بالجهاد إلى غايات غيرإسلامية أو أهداف حزبية ضيقة، وربما شخصية أنانية مريضة.

مركز شاه خان طالبنا بمئه وخمسين قذيفة ديون علينا إستلمناها من قائدهم مالى خان، بعد البحث ظهر أننا إستلمنا منه ورقة بالقذائف ولكنها لم تصلنا فعلاً. إقتنع قائد الموقع وكان إخواننا على وشك تصعيد المشكلة إلى درجة القطعية، لكن ا سلم.

إنتقلت العدوى إلى محمد أفضل الذى أرسل لى رسالة مع "جول محمد" مترجمنا المؤقت والمعار من طرف شاه خان . تقول فى الرسالة أن "أبو وليد" وعد بإعطائنا مئه وخمسين صاروخ وعوضاً عن تلك التى رميناها على المطار فى السابق.

أزعجتنى تلك المطالبه بالوفاء بوعد لم يقع، فقررت أن أجرب أسلوب التجاهل.

وقد أفاد فى هذه الحالة وإنتهى الموضوع.

بوسطات العدو فى الخط الأول متوترة جداً هذه الليلة، وقد أطلقت الكثير من قذائف الهاونات

الثقيلة صوب مركز "مجبور" الذى حافظ على هدوئه ولم يرد عليهم، وقد أعجبنى منه ذلك.
بعد أمطار خفيفة أصبح الجو صحواً ومناسباً لهبوط الطائرات لكن العدو أحجم عن ذلك.
قضى أبو حفص معنا ليله أخرى وقد تمددنا إلى جانب نقطة الترصد، أما أبو زيد فقد هبط قليلاً فى إتجاه موضع "الدوشكا" البائدة واتخذ له موضعاً للنوم هناك.
إستيقظت فى الرابعه صباحاً بينما أبوحامد الليبى يصرخ على المخابره طالباً من "رقم 9" ضرب "مركز الشاحنتين" توجهت إليه سائلاً عما حدث، فقال بأن هناك شاحنتان تقتربان من الحافة الشرقية من للمطار قادمة من الطريق الرئيسى الواصل إلى المدينة.
فى المنظار المقرب رأيت أن الشاحنتين خارج مدى الراجمة فأوقفت عملية الرماية قبل أن تبدأ ، ثم أخبرت أبو حامد أن لدينا أزمة فى الذخائر بحيث لايمكن أن نضرب أى هدف آخر غير الطائرات فوق المدرج.

□ □ □

الأحد 26 أغسطس 1990/ صفر 1411هـ

(ملخص)

ليلة الإغلاق□ الحـاديه عشر.

ليلة الإشتباك□ الخـامس.

عدد محاولات الهبوط□ ثلاث محاولات.

نتائج عمليات الهبوط□ الأولى غادرت فوراً قبل التفريغ ـ الثانيه أفرغت حمولتها ثم أصيبت و الثالثة أحترقت.

الإصابات عند العدو□ إصابة طائرة ـ وإحتراق أخرى.

الإصابات عندنا□ لا توجد.

ملاحظات□ الرصد سيئ جداً. عبد العزيز لم يقم بواجبه كما ينبغى وأغلق مخابرته معنا بعد منتصف الليل، تورغار غير طاقم ترصده القديم ووضع أشخاصاً لإخبره لديهم بالعمل . رمينا حوالى مئه صاروخ، ومشاركة "دزجات ستان" لابأس بها. لم نعلم بنتائج الإشتباك الليلى إلا نهاراً من عبد العزيز.

□□□□

تيممنا وصلينا الفجر، ثم غادرنا "جول محمد" واعداً بالمجئ إذا لم يعد إبراهيم هذا اليوم.
ومالبث أن جاءنا كومندان راجمة "شاه خان" ومعه أثنان من مساعديه. راحوا يراقبون المطار بالمنظار المقرب، ثم تناولوا معنا طعام الإفطار الذى أعده أبو زيد بمزاج رائق. فقد قلى بعض قطع الخبز فى الزيت إلى جانب بعض المربى والقشدة مع الشاى بالحليب، إنعكست تلك الرفاهية على جلستنا فكانت مرحة وطيبة. كنا نتناول طعام الإفطار الفاخر هذا إلى جانب نقطة الترصد، حيث جاءنا صوت أبو الحارث وهو يصيح فرحاً ويطلبنا على المخابرة كى يقول أن طائرات العدو التى تقصف مواقع المجاهدين فى دير ملك قد أخطأت وأصابت مواقع جنود وميليشيات العدو فأوقعت بهم خسائر كبيرة، فكبرنا وطلبنا منه زيارتنا فوعد بأن يفعل.
وما هى إلا برهة حتى مالت علينا طائرات العدو قادمة من دير ملك وقصفتنا أحداها بصاروخ إنفجر قريباً جداً من موضعنا، ولم يكن عندى شك فى أننا كنا المعنيين، إصطدمت إحدى الشظايا المعدنية الملتهبة بالصخور التى نجلس فى ظلها.
كنت أفكر، ماذا جذب أنظار هذا الطيار إلينا؟ . لم أجد شيئاً يستحق الذكر سوى ذلك العلم

الأبيض الذى يرفرف على مقربة منا وإلى الأسفل قليلاً جوار طريق صعودنا إلى نقطتنا هذه وفوق كومة من الأحجار المتجمعة فوق صخرة سوداء صلدة. كانت مفاجأه لى حين علمت أنه قبر الشهيد "غياث الدين" من جماعة كريم، أصابته قذيفه هاون"غرناى" بشكل مباشر فتناثرقطعاً، فجمعها زملاؤه ودفنوها فى مكان ما فى الوادى أسفل الجبل ولكن جزءاً من لحم الشهيد قد إلتحم بالصخور بحيث لايمكن فصله، فجمعوا حوله تلك الأحجار ورفعوا فوقها علماً أبيض كدليل على وجود قبر شهيد.

كان منظر القبر فوق تلك القمم الموحشة، يبعث الحزن فى النفس. ولا أنكر أننى تمنيت، ومازلت، قبراً على مثل تلك القمم . ويااليته كان فى جبال خوست أيضاً، ولكن بعض الأحلام عسير المنال حتى لو كان يتعلق بالموت .

بعد الظهر وصل إلينا فى جبل الترصد أبو الحارث وثلاثة من جماعته عبر جبل تورغار، وقد أزعجتنى المفاجأه لعلمى أن المنطقة بها ألغام، خاصه السرج الواصل بين الجبلين، وعاتبت أبو الحارث على ماقام به لكنه أجابنى ضاحكاً، وبالطريقة الأفغانية "توكل بخداى".

أى توكل على ا . ثم هنأنى على نتائج مشروع المطار، وأبدى إعجابه "بطريقة هندسته" التى أشرف عليها، كان حديثه مشجعاً وحيوياً. ثم إنتقل إلى أخبار القتال على الأرض فقال أن هناك مشروعاً يجرى تجهيزه للإستيلاء على خط الجبال فى مواجهتنا، وهو خط الدفاع الأول عن المدينة وآخر سلسله جبلية، يبدأ من بعدها الوادى، وأن جماعه جولاب الكوتشى سوف تتولى ذلك العمل.

فقلت أن ذلك إذا تم فسوف يكون خطوة كبيرة نحو فتح المدينة وأن المطار سوف يستحيل على العدو إستخدامه لأن الرشاشات المتوسطة سوف تطال أكثر أجزاء المدرج، وهذه أرخص طريقة لإغلاق المطار بدلاً عن طريقة الراجمات التى نتبعها حالياً وهى أكثر كلفة، كما أن الذخائر غير متوفرة بالقدر المطلوب. ثم طالبت أبو حفص أن يهتم أكثر بما يجرى فى خوست وأن تكون لهم مساهمة أكثر فاعلية ، وإن مشروع جولاب الجديد يصلح لأن يكون مدخلاً لذلك ، فجولاب هو أخو منان صديقنا القديم منذ عملياتنا على نفس المطار عام 1985 ومازالت مجموعته على علاقة طيبة معنا.

ثم شرحت له أن أخر هجوم للمجاهدين على المواقع المواجهة لنا قد فشل لثلاثة أسباب:

الأول والأهم وجود دبابة قديمة من طراز "تى 34" إستطاعت إغلاق طريق التقدم الضيق الذى يسلكه المجاهدون عبر وادى متعرج يصل إلى وادى خوست .

والثاني هو وجود مربض لرشاش" زيكوياك" عيار 14.5 مليمتر وهو مسلط على نفس الوادى وقد أدى دوراً كبيراً فى عرقلة عمل المجاهدين فى نفس الممر.

والثالث هو حقل ألغام فى الجزء الأخير من الممر.

وقلت له أننا يمكن أن نؤدى لجولاب خدمة كبيرة أن نحن دمرنا هذه الدبابة الشمطاء، وهو أمرأعتقد أنه سهل من فوق القمة التى تفصلها عن موقع مجبور، مستخدمين مدافع 82 مليمتر عديمه الإرتداد. وبنفس المدفع والذى يمكن تدعيمه بهاون ثقيل يمكن تدمير مربض الرشاش الثقيل، وهكذا تكون العملية ميسورة جداً، ويتبقى حقل الألغام ويمكن لجولاب التعامل معه بحكم خبرات مجموعته الكبيرة فى هذا المجال،ويمكن مساعدتهم فيه إن أمكن بإستخدام المتفجرات لفتح ثغرة فى حقل الألغام بإستخدام طوربيد البنجالور أو الأفعى المتفجرة إن وجدت، أو بالتعامل اليدوى إن كان لدينا من عنده التجربة الكافية فى ذلك.

أظهر أبو حفص قناعة بالمشروع، وأبدى شيئاً من الحماس وقال أنه سوف يرسل رامى على الهاون الثقيل، مع جهاز تحديد المسافات. وأنه سيعمل على شراء راجمة صواريخ، وحشد الأفراد اللازمين للمعاونه فى"عملية جولاب".
أما أبو الشهيد فقال أنه مستعد لضرب" الدبابة الشمطاء" بمدفع 82 عديم الإرتداد، والتعامل مع أى دبابة أخرى فى المواقع القريبة، أما أبو الحارث فقال أنه سوف يعجل بإفتتاح المركز الجديد "رقم 5" ـ أو أبوالأهوال كما أسماه أبو الشهيد ـ وأن أفراده سوف يصلون سريعاً ومعهم قاذف فردى للصواريخ 107 مليمتر وهو كل ما يستطيع توفيره.
وفى إطار حماسته الجديده إتصل أبو حفص مع مكتبه فى ميرانشاه وسأل مبشر عن تطور عملية شراء الذخيرة ولم يكن قد حدث جديد.
ولكنه قال بأن حاجى إبراهيم ومعه أبو عبد الرحمن "بى إم" فى طريقهم إلينا. بالطبع أسعدنى الخبر لحاجة العمل الشديدة إلى حاجى إبراهيم الذى أعتبره روح الراجمات أو"الرئيسى" كما أسماه العدو.
وقد وصل حاجى إبراهيم إإلى نقطة الترصد وبرفقته أحد أصدقائه ،جاء معه من ميرانشاه حتى يشاهد العمل الذى يقوم به.
كان تصرفاً خاطئاً جداً من جانبه، لأن ذلك سوف يجعل أسرار عمليتنا مشاعاً فى ميرانشاه، ولكن حساسية الضيافة عند الأفغان تجعل من المستحيل الإعتراض على تلك الضيافة بدون حدوث مشكلة تجعل حاجى إبراهيم خارج المشروع، وفى نفس الوقت لن تكون أسرار العملية مصانة بعد ذلك، ففضلت الصمت وتجاهل الموضوع.
وصل "وليد" مع دفعة إمدادات لمركزنا فى الترصد، بعد أن قام بتوصيل إمدادات أخرى إلى أبو العباس ومجموعه عثمان. أخذ يطالع مدرج المطار بالمنظار المقرب، وهناك كان الأمريكيان أبو بكر وعبد الملك فعقد صداقة معهما، وطلب أن يقضي الليلة معنا، فسمحت له.
فى التاسعة ليلاً بدأ القصف الجوى يتركز على جبل الترصد، وكأن مكاننا صار معلوماً لدى العدو. هذه أكثر ليلة تتساقط فيها القنابل والصواريخ حولنا، فلا نكاد نقف على أرجلنا حتى نسرع برمى أنفسنا كيفما إتفق بين الصخور، أما خندقنا اليتيم فلم يعد يمكن إستخدامه من كثرة المتراكمين فيه، بحيث أن أول من يقفز داخله يكون الأكثر صياحاً وشكوى من كثرة يقفزون فوقه متتابعين. ولم يكن فى وسعهم فعل شئ آخر حيث أن الشظايا الحديدية الملتهبة كانت ترتطم بشدة بالصخور والأشجار الشوكية التى حولنا، فلا تترك لأحد فرصة لأن يفكر بغير غريزة المحافظة على النفس.
أما حاجى إبراهيم فقد دخل فى شق كبير بن الصخور السوداء واضعاً هوائى جهاز المخابرة خارج الشق ليبقى على إتصال مع مراكز الترصد الأخرى، ومع ذلك فكثيراً ما كان يضغط نفسه الى أقل حيز ممكن داخل "الشق" تفادياً لشظايا تئز وتصطدم على جانبيه، وكأن هذا كله لايكفى فألقت راجمات الصواريخ فى الوادى حولنا عده بصقات صاروخية.
لقد بدأ "البرنامج" وهو الأول من نوعه الذى يحضره معنا أبو حفص. ولكن للأسف كان برنامجاً مضطرباً هذه الليلة وقد علقت على ذلك كما دونت فى أوراقى عن تلك الليلة:
(كان الترصد غاية السؤ فى هذه الليلة، فلم يتصنتوا على لاسلكى العدو أو الطائرات. يبدو أن عدد الأفراد فى الترصد الرئيسى كان قليلاً، كذلك ترصد تورغار تغير وجاء أشخاص جدد

ليس لديهم خبرة فلم يفيدونا بشئ)
وكانت الحقيقة هى أننا أعتمدنا لأول مرة على أنفسنا فى عملية الترصد، وإتخذت قرارات كانت أحياناً مترددة كما سنرى وأخرى حازمة ـ وإن كنت على غير ثقة كاملة بصحتها ـ وفى كلتا الحالتين لم يكن لدينا وسيلة لمعرفة نتائج رمايتنا مالم يصدر ضؤ فوق المدرج ناجم عن إحتراق أو إنفجار الطائرة ـ وهو ما حدث مرة واحدة فى هذه الليلة.
فى اليوم التالى تحركنا صوب عبد العزيز ، القلب النابض لعمليه الترصد اللاسلكية، وتأكدنا منه من إصابات الليلة الماضية عند العدو، وكانت مفاجأة لنا.وقد إعتذر عبدالعزيز لإنقطاع الإتصال، وقال أن السبب هو تغيير المواجات وهو مالم نحط به علماً لتعذرالإتصال معنا أثناء النهار.
المهم أننا عملنا أكثر الوقت معصوبى العينين غير متأكدين من صحه قراراتنا بالرمايه أو بالتوقف أو بالنتائج على أرض المطار.
الليلة هى ليلة الثامنة من شهر صفر، والقمر غير المكتمل يلقى بعض أشعته فوق المدرج، وكنا نبحلق بأعيننا المجردة ومن خلال المنظار ونرهف السمع وسط ضجيج الإنفجارات والمحركات النفاثة والمروحية، محاولين معرفة إذا كانت هناك طائرة هبطت أم لا.
إبراهيم أكد أن هناك طائرة تهبط فعلاً، وكذلك أحد شبابنا خاف المنظار،بينما بعض الراصدين من مجموعتنا يؤكذ العكس و تورغار يدعم موقفهم ويطلب منا التريث وعدم الرماية.
قررت الأخذ بالأحوط فطلبت من الراجمات الشروع فى الرماية المتواصلة وبعد فترة قصيرة طالبت برمايات متقطعة، ثم جاء إجماع فى الترصد بتأييد من تورغار أن الطائره قد أقلعت.
كنت غاضباً لهذا التيه الذى نحن فيه، وأننا نضيع ذخائرنا على غير هدى. ولو أننى علمت مالدى عبد العزيز من معلومات ما وصل بى الغضب إلى هذا الحد. فالطائرة أقلعت قبل أن تتمكن تفريغ حمولتها. وليس ذلك بالنتيجة السيئة تماماً.
ـ قريباً من منتصف الليل، أعاد العدو هجماته الجوية على جميع مواقعنا، بنفس العنف السابق، فأخذنا أهبتنا للتصدى لعملية هبوط مؤكدة كانت جميع حواسنا وأعصابنا معلقه بالمدرج وأصوات الطائرات.
كان حاجى إبراهيم حاد البصر، ولا يستخدم المنظار المقرب، وهناك شابان خاف منظاران مقربان، وكنت أعتمد كثيراً على أذنى التى من طول التجارب المريرة مع الطائرات. كنت أظن أننى قادر على وصف ما تقوم به الطائرة ،سواء نفاثه أو مروحية، من مجرد سماع صوتها، ذلك مع درجه من التنبؤ ـ شبه المؤكد ـ إذا كانت سوف تقصف أم لا، وكذلك نوع القذيفة، إذا كانت صاروخاً أم قنبلة ثقيلة، أم قنابل صغيرة، أما العنقودية فهو غنية عن التعريف لأن إنفجاراتها الكثيرة فى الجو والأذيال الحمراء ذات الدخان الأبيض التى تسحبها القنابل خلفها تجعلها معروفة من الجميع ليلاً أو نهاراً.
أعلن أكثر الراصدون أن الطائرات تهبط فعلاً ـ وأيدهم تورغار ـ فطلبت من الراجمات الخمس أن تعمل بكامل طاقتها، مواصلاً النداءات المعتاده لمركزى ثلاثه وتسعه، وكان إبراهيم يتابع مع الراجمات الثلاث الأفغانية. كان تصدينا عنيفاً للطائرة الهابطة، وكذلك كان طيران العدو عنيفاً فى قصف الراجمات التى أضاء لهيب الصواريخ المنطلقة منها قمم الجبال، أما الساحات المتواجده بها تلك الراجمات فقد إستحالت إلى مسابح من نور.
ومازلت متعجباً كيف لم تستطع طائرات العدو تدمير تلك الراجمات!! لقد كانت مساندة ا

تفوق التصور.
لما رأيت قصفنا قد غطى كل المساحات المقررة فوق المدرج بحيث أنه لاحاجه للمزيد
- طلبت من الراجمات التوقف رغم عدم تيقنى مما حدث للطائرة وفى غياب المعلومات دارت التكهنات التى جعلتنى ممتعضاً لإحتمال كوننا نهدر كل تلك الذخيرة الغالية.
ولو أن عبد العزيز قد أخبرنى وقتها بأن الطائرة قد أعطبت ولم تعد صالحة للإقلاع لكانت معنوياتى، ومعنويات الفريق فى حالة أفضل بكثير، بدلاً من ذلك الوجوم المحلق فوق الرؤس..
- فى الثالثه وعشر دقائق داهمتنا جميع أنواع الطائرات مرة أخرى، النفاثات والقاذفات المروحية الثقيلة، بكل قوة وعنف، ولأكثر من مرة أطلقت المدفعية والهاونات الثقيلة فى الخط الأول للعدو طلقات إضاءة، ولكنها لم تكن ذات فائدة تذكر لكونها أما كانت متقدمة كثيراً أو متأخرة كثيراً عن وقت تحليق الطائرات وبالتالى لم تفدها فى إستكشاف مواقعنا.
ظلت راجماتنا صامتة، حتى أكد الترصد أن طائرة هبطت فوق المدرج، فنطقت راجماتنا حمماً منهمرة فوق المطار غير عابئة بحمم الطائرات التى تعوى بهستيرية أشعلت الحرائق والدخان فى كل مكان. هذه هى لحظة القمة فى الصدام التى لابد أن تسفر عن ضحية فى مكان ما.
وبتوفيق ا كانت الضحية عند العدو هذه المرة أيضاً إذ أضاء لهب جهة المشرق من المدرج، إن الطائرة تحترق، كبرنا وكبرت أطقم الراجمات وترصد تورغار.
لم تلبث النيران أن خمدت. ساورتنى الشكوك فى أن الحريق إشتعل فى شئ آخر غير الطائرة لاجدوى فى نداءاتنا لعبد العزيز حتى نتأكد منه، ولم أكن فى حالة تسمح بالتفاؤل، فافترضت أننا لم نصب الطائرة، ولكننى كنت مخطئاً.
فى اليوم التالى أكد التصنت اللاسلكى أن نتائج عملنا فى الليلة الماضية كانت إرعاب الطائرة الأولى بحيث غادرت بدون تفريغ حمولتها - وإعطاب الطائرة الثانية - ثم إحراق الطائرة الثالثة.
رغم حالة عدم الإنسجام التى كنت أكابدها، فقد كانت نتائج العمل طيبة للغاية.

□□□

5 أيام.. تصعيد بلا حـرب

مرت خمسة أيام بعد إشتباكنا الأخير لم يحاول العدو فيها إستخدام المطار، وكنا فى أشد الحاجة إلى تلك الهدنة، فلم يتبقى لدينا من الذخائر سوى 148 صاروخاً ، وهو يكفى إشتباكاً واحداً فقط أو(ليلة إغلاق بالقوة) ولم يكن لدينا أى وسيلة سريعة للحصول على تلك الذخائر.
لقد كان المعدل الشهرى لدى المجاهدين ، فى قصف المطار بالصواريخ هو خمسين صاورخاً طبقاً لبرنامج باكستان ، بهدف إزعاج العدو بخسائر محدودة، وهو ما يتماشى مع برنامجهم الذى يحقق إستراتيجية أمريكية.
أذن فقد كنا نستهلك يومياً أو ليلياً - ضعف الإستهلاك العادى للمجاهدين فى شهر كامل، وليس غريباً أن نتلف للعدو ثمان طائرات نقل عسكرية خلال خمس ليال إشتباك.وهو ما يعادل تقريباً خسائره فى شهرين أو ثلاثه أشهر.
لم يعد العدو بقادر على إستمرار ذلك المعدل المرتفع من الخسائر فى الطائرات ، على الرغم من دعم السوفييت الفورى له بطائرات جديدة، طبقاً لإتفاق أخبرنا به جنرال طيار تم أسره بعد فتح خوست.
مشروع المطار الجديد خرج من الإدراج وشرع العمل فى تنفيذه كما سيمر معنا بعد قليل.

وبدأ وضعى الأمنى ووضع عائلتى يصبح حرجاً فى ميرانشاه وهو ما إتضح بعد أيام قليلة.
ـ التصعيد من جانبنا تمثل فى حماس أبو حفص، كمحرك رئيس للقاعدة ومسئولها العسكرى آنذاك، ثم وعوده الكبيرة لنا بدءاً "بالألفية الصاروخية" وإنتهاء بالموافقة على المشاركة فى "مشروع جولاب" الهادف إلى إحتلال الخط الأول للعدو والواقع بيننا وبين المطار بما يعنيه ذلك من نتائج كبيرة جداً على الوضع العسكرى، أهمها بالنسبة لنا إنتهاء قصة المطار الذى سيصبح فى متناول أسلحة المجاهدين العادية.
لقد أصدر أبوحفص أوامره وبدأ شخصياً فى التحرك خلفها. لكن سريعاً ما توقف كل شئ، وتبخرت كل الوعود وما ظنناه فى البداية تصعيداً وتقوية لمساهماتنا العربية فى معارك خوست، وتحديد مصير القضية الأفغانيه عسكرياً.
ـ تصعيد آخر حقيقى على الأرض هو إفتتاح مركز أبوالأهوال الذى أعطيناه (رقم 5) وقدم أبوالحارث أفراد المركز كاملين من جماعته، ثم قدم دعماً بشرياً آخر كان سخياً للغاية بحيث سد جميع الثغرات الموجوده لدينا.
وكانت مجموعة القاذف الفردى فى "أبوالأهوال" مجموعة جديرة بالثقة، من ناحية الكفاءة، والجدية وحسن الخلق.
ـ التصعيد الآخير جاء من جانب حقانى حين عرض علينا مساعدة غير محدودة لبرنامجنا الخاص بتكثيف العمل العربى فى خوست على محور عملية جولاب، التى تستهدف السلسلة الجبلية المقابلة لمركز الترصد، وكان مستعداً لأعطائنا أى أسلحة نحتاجها حتى عرض علينا إستخدام دباباته كلها بأطقم عربية، وكان عرضاً غاية الجرأة والذكاء.
ولننظر الآن كيف سارت أمورنا فى تلك الأيام الخمسة.

□□□

<u>الإثنين 27 أغسطس 1990(ليلة الإغلاق رقم 12).</u>

مع أضواء النهار الأولى كنا نراقب مدرج المطار لملاحظة أى تغيرات طرأت نتيجة إشتبكات الليلة الماضية شاهدنا جسماً كبيراً مغطى بحيث لا تظهر ملامحة، كان هناك ضباب قريب من سطح الأرض منعنا من التحقيق من ذلك "الشئ" إنتظرنا حتى الضحى، ولكن ذلك لم يفيدنا فى تفسير مانراه وأخيراً أهتديت للحل، فقلت للشباب الذين حولى أن ما نشاهده الآن ليس سوى سفينة فضاء، لكنهم أغرقوا فى الضحك فعرفت أن التفسير الذى قدمته لم يقنعهم، فتركت الموقع وهبطت مع أبوحفص وأبراهيم متوجهين نحو مركز أبوالعباس لمقابلة زوار جدد وصلوا أمس وكنت أعتقد أن ما رأيناه فى المدرج هو طائرة إصيبت بالأمس ليلاً قد أحاطها العدو بشباك تمويه حتى يتمكن من سحبها خارج المدرج فى فرصة مناسبة قد تكون أول الليلة القادمة، ويبدو أن رماياتنا لم تترك له فرصة لفعل ذلك بالأمس.
أثناء مسيرنا فى الطريق نحو الخيمة شاهدنا حفر جديدة فى الطريق، وقذيفة منفجرة قريباً من الخيمة.
فى الطريق إلى المعسكر قابلنا كومندان راجمة مجبور وأخبرنا أن طائرة بالأمس قد أصيبت فيما بين نطاق رمايته، ونطاق رمايه عثمان.
لم أشأ أن أقول له أن الخبر لم يتأكد بعد عن طريق عبد العزيز وفى نفس الوقت أعجبنى إهتمامه بتقسيم نطاقات الرماية.
فأردت تشجيعة ورفع معنوياته، فقلت له أن الطائرة ربما أصيبت براجمته هو، وأن تنظيم

الرماية وتقسيم مجالات القصف هام جداً فى إحراز النتائج. سره الكلام وأيدنى فيه.
كان معسكر أبو العباس فزدحماً على غير العادة. ضيوف الشرف كانوا الأطباء د. جمال، د. إبوبكر، وكلاهما جاء لإنشاء خدمة طبية في مركزنا، فالمنطقه أصبحت خطيرة جداً، ووجود خدمة إسعاف جيدة وقريبة قد يكون فيصلا بين الحياة والموت لعديد من المصابين المحتملين.
وصل إلى مركزنا أيضاً ثمانية من شباب "أبو الحارث" ومعهم راجمة صواريخ فردية، كى يشغلوا مركزهم الجديد "أبو الأهوال " أو "رقم 5" بعد أن جرى تجهيزه وتنظيف مغارته نصف الدائريه ذات المنفذين.
كان ينبغى ترتيب الأوليات فى هذا العمل المزدحم، وكانت كالتالى:
1 ـ إعاد تنظيم شبكة الترصد مرة أخرى، خاصة عبد العزيز وتورغار فالترصد أصبح بائساً وإذا استمر كذلك فسوف يحطم عملنا ويهدر ذخائرنا.
2 ـ إعادة تموين مخزننا الرئيسى بذخائر جديدة، وبأسرع طريقة ممكنة بعد أن هبط المخزون تحت الخط الأحمر بكثير.
والنقاط الأقل أهمية كانت كالتالى:
1 ـ إفتتاح المركز الجديد "رقم 5" وتزويده بالذخائر والمهمات. وتحديد طريقة إمداده إما عن طريق السيارة وذلك يستدعى تمهيد الطريق بواسطة تراكتور، أو عن طريق البغال ـ وهو ما أحبذه ـ حتى لا يقود الطريق الممهد الطائرات المعادية نحو المركز الجديد.
2 ـ وضع خطة تشغيل للقوة العربية القادمة إلينا ،حسب وعود أبو حفص، للمساهمة فى مشروع جولاب.
بدأ تأسيس مركز "رقم 5"، وكان الوصول إليه ممكناً من الخاف إنطلاقاً من مركز عثمان "رقم 9" وكانت السيارة تقف على بعد مئة متر ويتم نقل المهمات بواسطة الأفراد.
أضحت سيارتنا المتهالكة غير كافية لخدمة المشروع، ورغم وجود ثلاثه حمير لدعمها فيما أسميناه "سلاح النهقيات". ومازلنا نسعى لتعزيز ذلك السلاح بمحاولة الحصول على بغلين.
كان إمداد مركز الترصد مشكلة بالنسبة للعرب، لعدم تمرسهم على إستخدام الدواب، فقد "تلاعبت بهم الحمير"و"بهدلتهم البغال" .وكثيراً ما أضطر الشباب أن يحملوا المتاع على أكتافهم لأن تلك الدواب العنيدة قد رفضت الخدمة، حتى أن بعضها كان يرفض أن يصعد ولو متراً واحداً فوق الجبل.
اليوم على سبيل المثال قابلت أبو عبيدة ـ أحد الشباب الأساسيين فى الترصد ـ يحمل بعض الأمتعة ويصعد بها إلى نقطة الترصد بعد أن توقف الحمار فى منتصف الجبل رافضاً أن يتزحزح، وقد حاولت أقناع، صديقنا الحمار أن يغير موقفه، ولكنه أصر وأبى، فأضطررت أنا أيضاً أن أحمل بعض الأمتعة وأصعد الجبل خاف أبوعبيده، بينما الحمار ينظر إلينا بهدؤ وتشفى .
ـ كان ذلك قرب المغرب وصعدت فور الوصول إلى نقطتنا العزيزة للإتصال لاسلكياً مع عبدالعزيز وترصد تورغار. حدثنا عبد العزيز عن نتائج قصف الأمس وكان سعيداً بها لكون العدو فقد طائرتين فوق المدرج.
بدأت الغارات الجوية وقصف الراجمات خاف جبل الترصد وقريباً من مركز أبوالعباس حتى

ظننا أنها محاولة هبوط فقد كان الطقس مناسباً لذلك. لكن العدو لم يحاول ذلك هذه الليلة، رغم أننا إستنفرنا الراجمات عدة مرات عند سماع أصوات "الجواميس" وهى الطائرات المروحية الثقيلة، ولكننا كسبنا ليلة إغلاق مجانية للمطار، فحمدنا ا على ذلك.

....

الثلاثاء 28 أغسطس 1990 ـ 9صفر 1411هـ

{ملاحظة: ليلة الإغلاق رقم 13 ـ وكان الطقس مناسباً لهبوط الطائرات].

فيما يبدو أنه محاولة للمباغتة قام طيران العدو فى الصباح الباكر بقصف مواقعنا بشدة ولكنها كانت (حوالينا ولا علينا).

كان ذلك يجعلنى أعتقد أن العدو غير متأكد من مواضعنا بالتحديد.

ـ أبو حفص غادر إلى ميرانشاه بواسطة سيارتنا كى يتعجل تنفيذ ما إتفقنا عليه. أما حاجى إبراهيم فقد أرسلناه إلى مركز خليل حتى يحضر فريق الحفريات من المقاولين المنتشرين الآن فى المنطقة، كى نبدأ برنامج حفريات تمهيداً للعمليات القادمة ومشاركتنا الموسعة بها. والأهم من ذلك هو إحضار مئتى صاروخ ـ قرضاً ـ من جماعة جولاب وإحضارها فوراً إلى مركز "أبو العباس" بواسطة أى سيارة يستأجرها. وقد زودناه بألف روبية باكستانية مصروفات نقل.

ـ إما أبو الشهيد فقد تحرك عصراً لوضع عدداً من "المصابيح السحرية" وهى مصابيح تعمل بالكيروسن يوزعها فوق الجبال بين الأشجار وقد جذبت إنتباه الطائرات ليلة أمس فضربتها بالقنابل. وفى هذه الليلة أيضاً نجحت التجربة فقد ضربتها الطائرات ليلاً وحتى الراجمات والهاونات الثقيلة، ومع ذلك لم تصب ! ! .

ـ الشاب أبوزينب السورى جاء لتصوير مدينة خوست والمطار من فوق جبل الترصد، وكان معه "خطاب توصية" من أبو مصعب السورى. قد قضى أبوزينب ليلته معنا ولكنها كانت ليلة هادئة.

ـ أبوالنور ذهب إلى حقانى وأخذ منه خطاب يسمح لنا بإستلام كمية من الصواريخ، ثم حصل على تصريح آخر من حقانى للحصول على بغل من قاعدة جاور حتى نستخدمه فى إيصال الإمدادات إلى نقطة الترصد فوق الجبل، وهنا مربط الفرس فقد ذهب أبو نور لإستلام البغل، وهذا ما ذكره فى رسالته عن مأساته فى ذلك اليوم:

{.. ولم أجد بصورة أو أخرى وسيلة للحصول عل البغل سوى الذهاب إلى جاور، وهناك حصلت على البغل وإثنين أفغان لتوصيلى إلى أبوجندل "**يقصد المجموعه التى إلى جوارنا قرب مركز أبو العباس**" لتبديل البغل بآخر يعرف طريق الترصد أى بغل كريم .

" **يقصد بغل مجموعة كريم الذى كانوا يستخدمونه لتموين مركزهم فوق الجبل، وهو بغل مطيع ويعرف الطريق الى أعلى الجبل حتى ولو لم يصحبه أحد**"، وتخلى عنى الأفغان فى الطريق، وفى مركز خليل لم يعطونى أفغانى للطريق، فذهبت إلى مركز أبو الحارث فأعطونى أخ جزائرى أخذنى فى طريق خطأ، وأستقر الأمر بنا بعد رحلة عذاب إلى مركز أبو الحارث "تورغار الصغير" وأرسل معى إخوه إلى أبو العباس وسيرسل البغل غداً.

هذا بإختصار، وللعلم البغل هذا ضربنى ورفسنى وملخ ذراعى وهرب منى، وظللت أجرى وراءه وجرجرنى على الأرض وتسلخت رجلى ومن الأفضل تبديله مع أبوجندل حيث أن

الآخر هادئ.
وأنا الآن في المركز لحين إشعار منك بالتحرك فى أى إتجاه، والسلام عليكم ورحمه ا وبركاته
أخوك ـ أبو نور.
معذره لسؤ خطى فأنا من أمس الفجر أسير على قدمى ومرهق إرهاق شديد.
###

الأربعـاء 29 أغسطس 1990 ـ 10 صفر 1411هـ .

(**ملاحظة**: ليلة الإغلاق الرابعة عشر ـ الطقس كان مناسباً للهبوط)

كان يجب أن أتحرك للحصول على ذخائر بأسرع ما يمكن فلا يمكن المراهنة على أن العدو سوف يستمر بدون إستخدام المطار لفترة طويلة بينما لا نمتلك ذخائر تكفى لغير ليلة واحدة.فقررت القيام برحلة إلى ميرانشاه لمتابعة موضوع الذخائر إما بالشراء أو بالقرض أو هبة من حقانى.

كانت سيارتنا قد عادت ليلاً من هناك فأخذناها فى رحلة عودة مرة أخرى صحبنى فيها أبو عبدالرحمن الذى داهمه المرض وأبوالنور وعدد من الشباب المجازين.

فى الطريق أثار أبو النور وجهه نظر متشائمه جداً ومفادها أن العدو فى الأيام الماضية لم يتوقف عن إستخدام المطار إلا لأنه بدأ فعلاً فى إستخدام مطار جديد كانت الأخبار القادمة من خوست قد بدأت تذيع أن العدو قد شرع العمل فيه.

عارضت بشدة ذلك التعليل لسبب بسيط هو أن ذلك المطار الجديد ليس سوى مشروعاً فوق الورق منذ عده سنوات، ولكنه لم يرى النور أبداً، فكيف يستخدم العدو مطاراً غير موجود؟ كما أن إنشاء مدرج جديد ليس بالعمل الصغير الذى يمكن إخفاؤه.

كانت فكرة ظهور مطار جديد تزعجنى ليس لأنها تعنى إنتهاء دورنا ومشروعنا القائم حالياً، بل لأنها تعنى أن العدو قد إستطاع الهروب من الحصار النهائى وتمديد أجل المعركه لفترة أخرى يصعب تحديدها بدقة.

وصلنا الى مضافة حقانى وكانت مزدحمة بعدد كبير من قادة المجموعات والقادة والمجاهدين، وكان فى الساحة عدد كبير من الأطفال طلبة العلوم الشرعية يقرأون القرآن بصوت مرتفع وقد أرتدوا عمائمتهم البيضاء. علمنا أن والده الشيخ حقانى تحتضر، وأنه يجهز برنامج العمليات الجديد فى نفس الوقت الذى يجهز للمأتم الوشيك، فأرسلنا له نطلب موعداً فى الخامسة مساء، فأرسل يطلب منا أن نجعل الموعد فى التاسعة.

ولكننا لم نستطيع الوصول فى الموعد لأن سيولاً شديدة عزلت منطقتنا فأجلنا اللقاء إلى الغد.

□ □ □

الخميس 30 أغسطس 1990 ـ 11صفر 1411هـ

(ملاحظة)

{ ليلة الإغلاق الخامسة عشر ـ والطقس كان مناسباً للهبوط وترصدنا يشاهد الإعداد للمطار الجديد }.

قضيت ليلة فى ميرانشاه وسط الأسرة ولكننى كنت قلقاً من إحتمال أن يحاول العدو إستخدام المطار هذه اللية. فكانت أذناى معلقة فى الجو طوال الوقت لإلتقاط صوت الطائرات ـ وكان صوت الطائرات فى خوست يسمع فى ميرانشاه ليلاً.

ـ وفي الصباح الباكر توجهت إلى جهاز اللاسلكى فى بيت العرب الذى كان على إرتباط مع مركز "أبو العباس" حتى نسألهم عن أخبار ليلة الأمس لكن لم نستطيع تحقيق إتصال فأجلنا المحاولة الى الثامنة صباحاً .
ولكن قبل ذلك الموعد وصلت إلى باب منزلنا سيارة حقانى وبها إثنان من أطفاله كى يخبرانى بأن جدتهم قد توفيت، ويطلبون "أم وليد" كى تساعد نساء الأسرة من تحضير الجنازة.
وعدتهم بإحضارها بعد قليل.وقد أوصلتها إلى هناك ثم توجهت بسيارة المعسكرإلى أفغانستان، وشاركنا فى الرحلة عدد من العرب معهم طفلان فى حوالى الحادية عشر من العمر كانا يتحدثان بصوت مرتفع حول إهتمامات المجاهدين العرب مثل "بابى" والأستاذ سياف ومعسكر صدى وتورغار وجلال آباد. . إلخ. نزل العرب فى مركز خليل .
وصلنا إلى "أبوالعباس" قبل المغرب بقليل فأخبرونى هناك أن الشباب فى الترصد قد شاهدوا معدات العدو وهى تجهز مدرج المطار الجديد، كان الخبر عبارة عن مفاجأه متوقعة، وتستدعى إعاده تقييم الموقف. أصطحبنى إلى جبل الترصد الشاب الجديد "ولى محمد" الذى سيعمل مساعداً لحاجى إبراهيم ـ وبديلاً عنه فى حال غيابه ، وهو من مواليد خوست وقضى سنوات طويلة فى دبى.
فى الطريق وجدنا أبوزيد وزملائه من جماعة الترصد واقعين فى مشكلة مع البغل الجديد الذى أسقط حمولته فى وسط الطريق عدة مرات، ثم أضرب فى الأخير عن المسير. أضطررت لتركهم والتحرك بسرعة نحو نقطه الترصد ـ التى كانت شبه خاليه ـ تحسباً لعملية هبوط مفاجئة فى المطار.
أخبروني فى الترصد عن الآلات التى فى الطرف الشمالى الشرقى من الوادى وتعمل مدرجا للمطار الجديد . لم أستطع مشاهدة شئ لهبوط الظلام،ولكن معنويات الشباب كانت منخفضة وبعضهم يشعر بالهزيمة .
قضينا فى الترصد ليلة هادئة مقمرة وسماء تغشاها سحب خفيفه أحياناً ـ الطائرات قصفت فى الوادى ـ ولكننا كسبنا ليلة إغلاق مجانية.
□ □ □

الجمعة 31 أغسطس 1990 ـ12 صفر 1411 هـ

(**ملاحظة:** ليلة الإغلاق السادسة عشر ـ لم يحاول العدو إستخدام المطار رغم الطقس المناسب)

....

بعد صلاة الفجر تجمعنا قرب نقطة الترصد لمناقشة الوضع المترتب على ظهور"المطار الجديد" فوق مسرح الأحداث، فعرضت على الشباب وجهه نظر متفائلة نقلتها فيما بعد إلى أفراد معسكر أبوالعباس وهى مكونة من ثلاث نقاط، وهى:
أولاً ـ شروع العدو فى بناء المطار الجديد هى شهادة بنجاح عمليتنا لكون "المطار الجديد" كان مشروعاً قديماً فى أدراج العدو ولكنه لم يضطر إلى تنفيذه لكون المطار القائم حالياً كان يتعرض للخطر بشكل موسمى ما يلبث أن يزول بسرعة، ولكن بعد بدء عمليتنا أصبح الضغط على المطار دائم طول اليوم وعلى مدى الأيام المتعاقبة.
ثانياً ـ العدو بخطوته تلك قد لفت أنظار المجاهدين إلى الجبهة الشرقية وسوف يجبرهم على تنشيطها، وهى منطقة هامة وحساسة ولن يستطيع العدو أن يدافع عن المطار الجديد

وسيخسر المزيد من الأرض، بل أن تلك الخطوة ستؤدى إلى الإسراع بحسم المعركة لصالح المجاهدين.
ثالثاً ـ زادت أهمية العملية الهادفة إلى الإستيلاء على مواقع العدو المواجهة لنا، فهى ستضع حد نهائى للمطارين القديم والجديد.
وقد كانت النقطتين الثانية والثالثه تلخص إلى حد كبير جوهر العمليات العسكرية لفتح المدينة و التى بدأت بعد حوالى سته أشهر، والتى عملنا خلالها فى الجبهة الشرقية ضد المطار الجديد، وكان الإستيلاء على خط الجبال المذكور إيذانا بسقوط المدينة.
□ □ □
فى الصباح كان أبو الشهيد مشغولاً بنقل معدات معسكر أبو الأهوال بالسيارة عبر مركز عثمان فى دروازجى الجنوبية.تحركت برفقة حاجى إبراهيم سيراً على الأقدام صوب مراكز المجاهدين فى "توده شنى"، حيث توجد أسفل القرية عدة مراكز لصواريخ "صقر" المصرية، و كان هدفنا هو أيجاد قوة صاروخية أو مدفعيه تعمل معنا أو منفردة ـ حسب ظروفهم أو رغبتهم ـ فى ضرب معدات العدو التي تعمل بكل نشاط خلال فترة النهار فى تمهيد مدرج المطار الجديد، فلم يكن عندى شك فى أن أفضل وسيلة هى أجهاض ذلك المشروع فى بدايته، فهناك عدد محدود من الآليات الثقيلة تعمل فى تمهيد المدرج.
وفى حال أصابتها لن يتمكن العدو أن يعوضها بأية حال.
وصلنا إلى المركز الأول فإذا به خالٍ مهجور، والمغارة المعلقه للمركز خالية.
على بعد عشرين متراً مركز آخر جرى تجهيزه حديثا بعناية، وقد حفرت مغارتان معلقتان فوق مستوى سطح الأرض ولهما طريق صاعد إليهما، ثم ساحة مقابلة لهما قد غطتها آثار الحفريات، وزرعت أكثرها بالورود الحمراء الكبيرة وبعض الخضروات، أما الراجمة الفردية لصواريخ صقر، فقد انتصبت وسط الساحة وقد أحيطت بأحجار بيضاء وكأنها وردة فولاذية جرى زراعها وسط حديقا غناء . الطبيعية الإستعراضية للمركز واضحة، فهو مركز للزيارات الخاصة لزوار كبار وليس فيه لمسة عسكرية . الغريب هو أن إسم المركز هو "مركز الشهيد محمد أمين" (وهو صديق قديم لنا ، ورفيق حميم للطالب "عبد الرحمن" الذى إستشهد معه بواسطة صاروخ سكود دمر راجمتهما فى بورى خيل منذ فترة قريبة، وكنا ندعو عبدالرحمن بلقب عبدالرحمن جربز ، وقد سبق ذكره كثيراً فى أجزاء مضت)
مسئول المركز أخبرنا أنه قد أنهى صواريخة وسوف يغادر المنطقة هذا اليوم كما غادره جيرانه من جماعه جيلانى . وكان هو من جماعة محمدى، وقال بكل بساطة أنه بناء على ترتيب أعده مجلس الشورى فإن النوبة الآن على جماعتى سياف وجلب الدين كى يشغلا هذين المركزين.
ثم أضاف إلى معلوماتنا جديداً حين قال أنه حاول أن يقصف تلك المعدات بالأمس ولكنها خارج مدى صواريخه من طراز "**صقر** 20" ـ لذا فلابد من إستخدام صواريخ "**صقر** 30".
واصلت السير مع حاجى إبراهيم عبر الشعب الضيق المؤدى إلى منطقة بارى بعد عدة كيلومترات، حتى وصلت إلى مركز الشهيد "عبد الرحمن المصرى" حيث أدركنا أبو الشهيد بسيارة المركز، وكان برفقته "أبو زينب" الذى فرغ من التصوير، وأيضاً عبدالعليم المصرى الذى يولينا بزيارات مكوكية سريعة ، غير مبررة بغير طبيعته المرحة، وتلقائيته الحميمة فى التعامل .

لم نجد شخصاً يمكننا الحديث معه فى مركز خليل ،سألنا عن"د. نصرت ا " فلم نجده. ثم فى مركز منان سألنا عن جولاب فلم نجده. الجميع فى ميرانشاه لتقديم التعازى إلى حقانى فى وفاة والدته.

كانت فرصة أن نستغل لذاك التجمع فى العثور عى حل ناجع لمشكلة المطار الجديد فجميع المسؤلين هناك.

بعد العصر ذهبنا لتقديم التعازى إلى الشيخ حقانى فى مسجد المهاجرين فى منطقة سكنه المقابلة للقلعة "مقر حكومة ميرانشاه"، كان برفقته صديقنا الشيخ نصر ا منصور الذى إستقبلنى بحرارة .أخبرت حقانى أننا نريده فى حديث هام، فواعدنا بلقاء بعد العشاء.

صلينا المغرب فى مضافة حقانى التى غصت بالمعزين، ثم بدأ تقديم طعام العشاء للجميع، وكانت مأدبة كريمة بما يتناسب مع مكانة صاحب البيت ومكانة ضيوفه.

جلست إلى جانب مولوى نصر ا منصور وإلى جانبى أبو الحارث وأبو الشهيد أمام السفرة الممتدة على طول الغرفة المتسعة وقد تراص الرجال على جانبيها.

ولم نكد نبدأ حتى جاء "على جان" يستدعينى لمقابلة حقانى، فذهبت إليه مع زملائى فى غرفته الخاصة بإستقبال الضيوف الخاصين، وقابلنا مبتسماً ممازحاً وقال: هل أتيتم للأكل أم للحديث؟، فقلت له إننا قد تركنا الأكل رغم أنه شهى.

وجلسنا على الأرض وبدأت الحديث مباشرة عن موضوع المطارالجديد وضرورة التصدى له بسرعة وتدمير المعدات بالمدفعية أو الدبابات، ثم إنتقلت إلى الحديث عن "مشروع جولاب" على أساس أنه الحل النهائى لمشكلة المطارات،وعرضت عليه مشاركة العرب مع جولاب وأنهم سيتكفلون بضرب دبابة العدو المقابلة لنا على خط التحصينات، وفتح ثغرات فى حقل الألغام. ورد حقانى بالتالى:

- إن له إرتباط قوى بالداخل "أى عيون داخل المدينة" أفاد بأن معدات دك المدرج غير موجوده فى خوست لذا لن يصلح المطار لطائرات النقل، فقط الطائرات الشراعية يمكنها إستخدامه.
- إن هناك إتصالات سرية قائمة لتسليم خط الدفاع المواجه لنا وكذلك المطار، وقد تم دفع خمسة عشر مليون روبية باكستانية لمسئولين عسكريين فى خوست لإتمام الصفقه.

والمدفوع إليهم محل ثقه وقد تم تجربتهم سابقاً.

- بالنسبه لمشاركة العرب فى مشروع جولاب، فهو موافق عليها ، فى حال الحاجة إلى المشروع ،أى فشل الإتفاق المشار إليه.

ولكنه لا يوافق على مشاركتهم فى إزاله الألغام خوفاً على سلامتهم.

أما تزويدهم بالدبابات ، دبابة أو أكثر حسب طلبهم ، فقد وافق حتى على إعطائهم الدبابات الخمسة التى لديه وقال بأن السائقين عنده إما أنهم قتلوا أو جرحوا أو يهربون من المعارك.

وأنه يسعى لإحضار المزيد من الدبابات، فعنده إثنتان فى "سرانا" وقد أرسل بلدوزر إلى هناك كى يفتح لهما طريق.

ويحاول شراء دبابات جديدة فهناك عدد من الدبابات فى قندهار، لايدرى كم عددها، معروضة بسعر يتراوح بين خمسمئه إلى ثمانمئه ألف روبية باكستانية.

وعندما سألته إن كان يوافق على أن يبيع دبابة أو أثنين من عنده للعرب، ضحك وقال:

(أنا لا أبيع بل أشترى) .
عن المنطقة الشرقية قال أنه سيرسل مجاهدين ومدافع إلى هناك وكذلك دبابة لضرب موقع المطار الجديد.

كانت تلك ردود حقانى وهى تحتاج الآن الى تعليق:

بالنسبه للمطار الجديد أعتقد أن حقانى قد وقع ضحية خدعة من عميل مزدوج.
فمعلومة أن المعدات اللازمة لدك المدرج غير موجودة فى المدينة كانت كذباً متعمداً، أفاد كثيرا القوات الحكومية، فقد تراخى حقانى والمجاهدين فى إبداء رده الفعل والتصدى فوراً لعمليات تجهيز المدرج. وقد كسب العدو عدة أيام غاية الحساسية أضاعها المجاهدون فى تراخى مطمئن، وقضاها العدو فى عمل نشط دؤوب لأكثر من خمسة عشر ساعة يومياً تكدح فيها آلياته ذات اللون الأصفر التى كنا نراها بمناظير المراقبة وهى تروح وتجئ فوق المدرج الجديد وقد لفتها سحب من الأتربة الكثيفة.
ولم يتصدى لها أحد على أمل أن المدرج لن يصلح إلا للطائرات الشراعية !!!.
ولقد كلفت تلك الغلطة حقانى والمجاهدين أكثر من ستة أشهر من القتال الإضافى حتى أقتحموا المدينة. وكان من المتوقع حسب تقديرات حقانى أنها سوف تستسلم إذا أغلق المطار لمدة شهر. وهذا هو السبب فى قيامنا بمشروع المطار، وقد كان تقدير حقانى صحيحاً ولكن العدو نجح فى خداعه فأطال أمد القتال نصف عام آخر.
ـ أما عمليه شراء خط الدفاع الأول للعدو، فقد كانت جدية ولكن أخبارها تسربت إلى العدو، فأحبطها بتدخل عسكرى عنيف إستخدمت فيه المدفعية والطائرات، وحدثت معركة قتل فيها عدد من الجنود والضباط. حدث ذلك بعد إنتهاء مشروعنا وتفكيك مراكزنا.
ـ أما عن مشاركة العرب، فإن مشروع جولاب قد أُلغّى بحكم التطورات المذكورة، وحتى لو أنه إستمر فإن تصرفات العرب أوضحت أنهم لم يكونوا جادين فى عروض المشاركة، وحتى تاريخ إنتهاء مشروعنا فى الحادى عشر من سبتمبر لم يتخذ العرب أى خطوة عملية أو حتى قرار نهائى بالنسبة لمشاركتهم فى معارك خوست . أقصد بالعرب تنظيم القاعدة والجماعات الأخرى، سوى جماعة أبو الحارث.

□ □ □

السبت أول سبتمبر 1990 ـ 13 صفر 1411هـ

(ملخص):
- □ ليلة الإغلاق: السابعة عشر.
- □ عدد محاولات الهبوط:2
- □ ليله الإشتباك: السادس.
- □ نتائج محاولات الهبوط: لم يتمكن العدو من تفريغ الطائرات.
- □ الإصابات عند العدو: لا يوجد.
- □ الإصابات عندنا: لا يوجد.

ملاحظة: (لم أكن متواجداً هذه الليلة، وقاد أبو زيد العملية ولم يتمكن من الإتصال مع تورغار، أو عبد العزيز. وعمل بقوة ثلاث راجمات فقط.)

□□□□

فى الصباح الباكر ذهبت مع أبو الحارث إلى مضافة حقانى حتى نتصل من هناك لاسلكياً،

بالجبهة لمعرفة ماجرى فى المطار ليله أمس.
ذهب على جان للإستفسار علي المخابرة، وإنضم إلينا"على جول" ومالبث"على جان" أن عاد بالخبر.إن الطائرات لم تهبط أمس فى المطار. فرحت كثيراً لكوننا حصلنا على"ليلة إغلاق مجانية" وإحتضنت على جان من شده الفرح، وكان الخبر صحيحاً.
فى وقت متأخر من اليوم واجهتنا مشكلة نقل خمسين صاروخاً عثرنا عليها عن تاجر سلاح قرب "غلام خان".
لم نتمكن من الحصول على تصريح حكومى لنقلها وإقترح أبو النور أن نتفق مع مهرب بدلاً من التصريح الرسمي فرفضت الفكره خوفاً من ضبطها مما قد يؤدى الى تأخير وصولها إلينا أياماً طويلة بينما نحن فى أشد الحاجة إليها فوراً.
فطلبت أن ننتظر يوماً آخر طالما أن العدو قد منحنا فرصاً ثمينة بتوقفهعن إستخدام المطار خلال الأيام الماضية.
كان مبشر يعتزم السفر إلى بشاور فجلست أناقش معه التطورات الجديدة فى موضوع المطار وأننا لابد أن نتحرك لمواجهة المطار الجديد، وإستخدام قطع مدفعية ودبابات وبالتالى فنحن فى حاجة إلى المزيد من الأفراد.
كما أن هناك إحتمال المساهمة فى عمليات أرضية ومساندتها مدفعياً، وقد سبق أن وافق أبوحفص على رفع مستوى مشاركة القاعدة فى عمليات خوست. فكرر مبشر على أسماعى نظرية عدم تكرار ما يفعله الأفغان بشكل جيد وأن علينا ملء الثغرات فى عملهم (وهى نظرية أدعمها تماماً) وقد أبدى شيئاً من الحماس ووعد بتوفير 20 أو 30 عنصراً للعمليات.
ـ فضلت أن أقضى هذه الليله أيضاً فى ميرانشاه متذرعاً بحجة الإطمئنان على نقل الصواريخ فى الغد. وفى الواقع فقد كان شيء من ضعف العزيمة قد إنتابنى لشعورى بأن هناك أشياء هامة لاتسير كما ينبغى. كما كانت زوجتى مريضة للغاية نتيجة الإعياء البدنى والنفسى بعد مشاركتها فى عزاء والدة حقانى التى كانت تربطها بها علاقة مودة شديدة.
أصابنى الأرق ليلاً فكنت نائماً وأذناى معلقتان فى السماء أتصنت على أصوات الطائرات،وفى الواحده ليلاً كنت نصف نائم عندما صحوت وأنا أصيح (طائرات، طائرات) حتى ظن أهلى أننى أهزى، ولكننى كنت فى وعيى تماماً ، لقد سمعت أصوات الطائرات"الجاموسة" وكانت مجموعاتنا مشتبكة معها فى نفس الوقت تماماً.
وعلمت فى اليوم التالى أن العدو حاول الهبوط فى المطار مرتين ولكن أبو زيد إستطاع منعهم من التفريغ، فقد أصلاهم نيراناً عنيفة للغاية فى وقت قصير . و كان تحت تصرفه ثلاث راجمات. بينما بقت راجمتان خارج العملية لنفاذ ذخائرهما.
:::::::::::: ::::::::::: ::::::::::
:::::::::::: ::::::::::: ::::::::::

الأحد 2 سبتمر 1990 ـ 14 صفر 1411هـ .

ملخص:

- ليلة الإغلاق: الثامنة عشر.
- ليلة الإشتباك: السابعة.
- عدد محاولات الهبوط:محاولتان.
- نتائج عمليات الهبوط: لم يتمكن العدو من تفريغ الطائرات.
- الإصابات عند العدو: طائرة واحدة.

 الإصابات عندنا: أصيبت راجمة أبو تميم بشظايا، أوقفتها عن العمل لفترةمحدودة، وكانت قنبلة ضخمة قد سقطت قريباً منها.لم يصب أحد من الأفراد، ولكن فأر الراجمة قتل، وديك المعسكر أصابه الصمم فتوقف عن الصياح، كما جرح أحد الحمير.

{**ملاحظات:** المترصدين فوق تورغار بائسين تماماً،وليس لديهم أدنى فكرة عن العمل.
رمى تورغار ثلاث قذائف فقط طوال المعركة.ترصد عبد العزيز كان خارج المعركة، ولم نتصل به . راجمة "جول محمد" من جماعة شاه خان معطلة ، وراجمة مجبور إنتهت ذخائرها عند منتصف الليل . القمر كان ساطعاً وساعدنا كثيراً فى الإعتماد عل أنفسنا فى رصد الحركة فوق مدرج المطار. بلغت إصابات العدو حتى الآن تسع طائرات خلال سبع إشتباكات منذ بدأنا العمل}.

تحركت بنا السيارة من ميرانشاة إلى منطقة بارى حيث مركز خليل.
توقفنا هناك قليلاً لمعرفة الأخبار، خاصة إذا كان قد تم أى تحرك لضرب معدات العدو التى تعمل فى تهيئة المدرج الجديد، وللأسف لم نجد أى تحرك أو حتى إهتمام. إستأنفنا المسير إلى مركز أبو العباس فى إطراف منطقة "توده شنى"، سرنى أن أجد هناك الدكتور جمال، وقد كان نائماً ولم أشأ أن أزعجه.
علمت من أبو النور أن أشتباك الأمس ـ قد وضعنا فى نقطة الخطر بالنسبة لمخزون الذخائر رغم أن الإستهلاك أمس لم يكن كثيراً، فأخبرته أن قذائف غلام خان قد تصل اليوم أو غدا، ولكنها ليست كثيرة على أيه حال .
الطريف أن إشاعة قوية قد سرت فى ميرانشاه، نقلاً عن مصادر فى خوست "المدينة"تقول بأن العرب قد إشتروا ثلاثين ألف صاروخ كاتيوشا لضرب مطار خوست.
كانت الإشاعة تعمل لمصلحتنا ولاندرى من أطلقها هل هو عدو أم صديق؟. ولكننا على أية حال مهددون بالتوقف فى أى ليلة بسبب قلة القذائف .
فى معسكر أبو العباس وأيضاً فى مركز عثمان الذى توجهنا إليه حاولت معالجة حالة الإحباط التى ظهرت بين الشباب بعد إنتشار شائعة تقول بأن العدو يستخدم المطار الجديد فعلاً وأن عمليتنا لم تؤد إلى ما كنا نطمح إليه من كونها الحلقة الأخيرة والنهائية فى حصار العدو.
فى مركز عثمان مكثنا إلى بعد صلاة العصر، وأخذنا منه عدداً من الصواريخ نقلناها إلى مركز مجبور لتعزيز مشاركته معنا هذه الليلة.
توجهت إلى جبل الترصد منفرداً وكان وقت الغروب قريب.
فى الطريق شاهدت نفس المنظر المكرر، جماعتنا فى الترصد واقعون فى مشكلة مع بغل التحميل وقد سقطت أوعية الماء البلاستيكية بينما وقف البغل بينهم شامخاً متعالياً. أبوحامد أمير المجموعة أعطيته "غترتى" كى يربط بها الأوعية، وطالبته بالإسراع لأن "البرنامج" قد يبدأ بعد قليل، وتركته صاعداً إلى نقطة الترصد فى أعلى الجبل. بعد ساعة لحق بى أبوحامد وسلمنى "الغترة" التى أصبحت أثمالاً ممزقة،فأعتبرتها خسائر حرب.
جهزنا أنفسنا بسرعة للإشتباك فالليلة مقمرة وصافية ولا أظن العدو سيتركها تمر هكذا.
وبالفعل بدأ العدو مبكراً، وبدأ الإشتباك فى التاسعة والنصف.
كان القصف الجوى علينا غاية فى العنف، ومع ذلك فقد أدت الراجمات الأربع دورها كاملاً . وكانت راجمة واحدة معطلة عن العمل لإسباب فنية وهى راجمة "شاه خان" التى يديرها "جول

محمد" منذ أيام.
تمكنت الراجمات من إحباط عدة محاولات هبوط إلى المدرج، وكانت حسب ترصدنا أربع محاولات، بينما قال تورغار أنهما إثنتان فقط. كان الجميع متفقون على أن أية طائرة لم تتمكن من تفريغ حمولتها هذه الليلة.
كان عبد العزيز خارج المعركة هذه الليلة، فيما عدا إتصال واحد أو إثنين ، ولكنه أعطانا تقريراً فى اليوم التالى عن إتصالات العدواللاسلكية وما بها من معلومات.
أما تورغار فكان ترصده سيئاً للغاية وأفراده من الجدد.
ورماية الجبل كانت تافهة ولم تزد عن ثلاث قذائف حتى أننى قلت عنه حانقاً: (أنه لم يعد يستحق إسم تورغار، والأفضل أن نسميه "المقطم")، على إسم هضبة فى شرق القاهرة.
وبالتالى فإن المعلومات التى كنا نتلقاها من الآخرين كانت عديمة القيمة، ولحسن الحظ فإن إكتمال القمر وصفاء الجو أتاح لنا درجة جيدة من مراقبة المدرج فكانت معلوماتنا كافية لنا.
- الساعةالثالثة صباحاً كانت حافلة بالعنف والإثارة، فبينما هاجمتنا الطائرات النفاثة بالقنابل والصواريخ بحيث غطت كل مواقعنا دفعة واحدة، حاولت طائرة نقل الهبوط فى المدرج، فطلبت من جميع الراجمات العاملة أن تضرب بكامل طاقتها، وقد فعلت ذلك . وكان قد تبقى منها ثلاث فقط بعد أن خرجت راجمة مجبور من المعركة بعد نفاذ ذخائرها.
ثم شاهدنا وميضاً جهه المشرق حيث القطاع الذى تغطيه راجمة عثمان "رقم 9".
كان وميضاً أبيض بما يدل على إشتعال مادة الألمنيوم التى يتكون منها جسم الطائرة، لكن الحريق لم يندلع، فأخبرت المراكز بإحتمال حدوث إصابة لدى العدو، ولكننا لسنا متأكدين إلى الآن.لكن ترصد تورغار أكد حدوث الإصابة .
وكذلك فعل عبد العزيز فى اليوم التالى.
طلبت من مركز "رقم 3" أن يرمى ولكنه تباطأ، ثم قال أن لديه مشكلة صغيرة.
وبعد أن ألححت عليه ، وكان أبو تميم هوأمير الراجمه وقتها ، وكنت أعلم أنه يتعمد توفير الذخائر وإبطاء الرماية. فضرب قذيفة ثم الثانية ولكننى لاحظت أنها بعيده تماماً عن المطار، فطلبت منه تعديل رمايته لأنها خارج النطاق المتفق عليه ، فقال إن الموازين قد إختلت نتيجة عطل طارئ وأنه سوف يتوقف.
فهمت من صوته أن شيئاً ما قد حدث وأنهم ربما قد أصيبوا بقذيفة من طائرة .
فسألته عن أحوال الناس عنده، فرد أنهم بخير. ولكننى ظللت فى قلق مكتوم حتى زرت المركز فى الصباح فرأيت حفرة كبيرة على بعد ثلاثة أمتار من الراجمة.
وأكثر الشظايا قد إحتجزتها أكياس الرمل، ولكن إثنتان من المواسير الثمانية التى تعمل فى الراجمة قد إخترقتها شظايا صغيرة، والراجمة كلها قد إنتقلت من موضعها عده سنتيمترات فأختلت جميع الموازين فيها.
ورغم وجود عدد من الشباب فى الساحة بعضهم يحمل الذخائر وآخر يحمل جهاز المخابرة ويقف فوق أكياس الرمل على بعد أمتار من الراجمة كى يتصل بنا فى الترصد، من كل هؤلاء لم يصب أحد، وكانت أحد الكرامات بلاشك.
القتيل الوحيد كان(فأر الراجمة)، وهوفأر صغير الحجم ولكنه نشط للغاية، ويشارك الشباب فى كل أعمالهم فى الراجمة حتى تعودروا عليه ولم يحاولوا طرده، حتى سقطت تلك القذيفة

فأردته قتيلاً ،إذ أصابته شظية صغيرة فى قفاه .
كما أصيب أحد الحمير فى سلاح "النهيقيات" بشظية فى فخده شفى منها بعد عدة أيام.
الإصابه الثالثة كانت فى (ديك المعسكر)، وقد كان شخصية محبوبة لكثرة صياحة ليلاً ونهاراً، ولكنه بعد القذيفة توقف تماماً. شخص أبو النور حالته قائلاً (إنه قد أصيب بالصمم).
ولا أدرى العلاقة بين صمم الديك وعدم صياحه ، ولكنه توقف أيضاً عن الطعام والحركة، فإضطر أبو النور أن يذبحه ثم طبخه (مع البطاطس بالطبع).
نسيت أن أذكر أن القنبلة التى أصابت الموقع قد سقطت على أرض رخوه نسبياً، عبارة عن الأتربة التى نتبحت عن حفر المغارات. كما أن منسوب الأرض التى سقطت عليها منخفض بمقدار نصف متر عن منسوب الأرض التي تقف عليها الراجمة. وهى عوامل أدت إلى تخفيف أثر إنفجارها ومع ذلك فقد خلفت حفر' قطرها حوالى عشره أمتار وعمق مترين.

الإثنين 3 سبتمر 1990 ـ 15 صفر 1411هـ

ملخص:

ليلة الإغلاق التاسعة عشر.
ليلة الإشتباك الثامنة.
عدد محاولات الهبوط محاولة واحدة.
نتائج محاولات الهبوط غير محددة.
الإصابات عند العدو لاشئ.
الإصابات عندنا لاشئ.

{**ملاحظات:** ترصد تورغار نشط على غير العادة أما الترصد الرئيسى عند عبد العزيز مازال خارج المعركة، رماية تورغار نادرة ـ راجماتنا فى حالة جيدة.
ـ حسب ترصدنا الخاص هناك إصابة لدى العدو ـ ولكن الترصد اللاسلكى"عبد العزيز"، نفى ذلك فى اليوم التالى، فحذفنا تلك الإصابة من جداولنا، ومازالت خسائر العدو تسع إصابات فقط خلال ثمان إشتباكات}.

كنا متعبين من سهرة الأمس، ولكن كان ينبغى مواصلة الحركة لتلافى سلبيات يمكن أن تهدد العمل. نزلت فى الصباح بعد الشروق إلى مركز أبو العباس ، وبرفقتى "ولى مرجان" الذى يعمل معنا بديلاً عن إبراهيم الذى مازال فى ميرانشاه. في المركز الرئيسى.
شاهدت أثار إنفجار قنبلة الأمس" السابق وصفها". طلبت من أبو النور الإتصال مع ميرانشاه والسؤال عن قذائف "غلام خان" والتعجيل بإرسالها.
وبسيارة المركز توجهنا إلى موقع الترصد الرئيسى "اللاسلكى" عند عبد العزيز وهناك قابلنا فضل الذى يتولى قيادة العمل فى غياب عبد العزيز، وقد بادرته بعتاب شديد على إهماله وإنقطاعه عن التعاون معنا، فبادر هو بتلطيف الأجواء فبارك لى على إصابة طائره الأمس.
وأكد لى أنهم يتابعون عملنا طوال الليل، ويرصدون جميع إتصالات العدو على الأرض وفى الطائرات، وأنه حاول الإتصال بنا بلانتيجة وأخذ جهاز المخابرة من "ولى مرجان" حتى يراجع الرقم الذى يستخدمه، فوجد أن به خطأ فأعاد تضبيطه قائلاً أن الخطأ في الجهاز الذى

لدينا، ثم أخذ يشرح لنا أسلوب العدو فى العمل ومن ضمن ما قاله أن العدو إذا أصيب له طائرة فإنه لاينقل الخبر باللغة المعروفة عند الأفغان بل ينقله باللغة الإنجليزية أو الأوردية.
صلينا الظهر فى مركز عبد العزيز وتناولنا طعام الغداء المكون من عدس عالى النوعية بدرجة جعلتنا نتعمد عدة مرات زيارته وقت الغداء (بدعوى تنظيم العمل).
عدنا بعد ذلك إلى مركز أبو العباس ومنه تحركت مباشرة إلى جبل الترصد. وباللاسلكى أخبرنا جميع مراكزنا بتأكد إصابة طائرة الأمس فإرتفعت المعنويات كثيراً. وأكدت لهم أن المطار الجديد لم يعمل بعد. وإلا فلا داعى أن يتكبد العدو تلك الخسائر بينما لديه مطار آمن .
ومازلنا نرى المعدات تعمل هناك فى طرف الوادى الشمالى الشرقى.
إرتفعت معنويات جميع المراكز وكان الجميع فى غايه التحفز لاشتباك جديد.
كنا فى حالة من السعادة والإنشراح ونحن فى نقطة الترصد نتناول طعام العشاء، تحت أضواء القمر المكتمل، وإكتملت سعادتنا بوصول وعاء صغير ملئ بالقهوة والحليب من صنع أبو حامد الليبى.
تنقل بنا الحديث فى مجالات متعددة. وكانت لحظات ممتعة تسربت سريعاً كما هى سنة الحياة وعلينا أن نواجه الآن حقيقة المعركة الوشيكة.
كنت مهتماً على الدوام بالحصول على قسط من الراحه مقدماً، فأويت إلى فراشى فوق الصخوروالشوك حتى "أرتاح" قبل بدء البرنامج.
أنقذتنى قنابل الطائرات من تلك الراحة المزعجة، فبدأت القنابل تتساقط علينا بغزارة منذ الثامنة والنصف، وحتى الثانية عشر ليلاً، وكانت مراكزنا جميعاً تعيش نفس الظروف، ونتبادل معهم الإطمئنان على السلامة ـ التى أدامها ا علينا بمعجزة متكررة، حتى ألفناها كما ألفنا حمد ا عليها، فعجزنا كان واضح دوماً عن دفع هذه المصائب الثقيلة أو العنقودية.
كنا نكرر الأدعية التى نحفظها ، ولا نتوقف عن ذكر ا والتعلق به. لذا فإن أوقات الإشتباكات تكون دوماً ذات متعة خاصة للغاية. هى متعة الأقتراب الشديد من ا ، حتى نشعر كأننا نعيش فى السماء، وأن أجسادنا فقط هى التى تعانى معاناة عذبةفوق تلك الصخور الصماء. إن عبادة الجهاد فى سبيل ا هى أكثر العبادات متعة رغم مظهرها الخشن.
ـ بدأت محاولات العدو للهبوط إلى مدرج المطار، وشعرت أنهم فاشلون لامحالة ،كعادتهم كلما حاولوا إستغلال النصف الثانى من الليل، ظنا منهم أن المجاهدين قد أصبحوا مرهقين ومستهلكين خاصة بعد موجات القصف الجوى العنيف. إتصلنا بمركز عبد العزيز لكنه لم يجبنا، فإتصلنا بترصد تورغار، الذى يتمتع هذه الليلة بالحيوية بعد عودة عناصره القديمة، فأفاد بأنه أيضاً فقد الإتصال مع عبد العزيز.
فقلت محنقاً: (لقد خدعنا فضل)، لأن فضل قد ضبط موجة اللاسلكى فى جهازنا نهار اليوم.
لكن فضل ا كان أوسع لنا فالقمر المضئ جعل رصد المدرج ممكناً، ولكننا لم نرصد هبوط طائرة، قال ترصد تورغار أنها قد نزلت بالفعل، ترددنا برهه ثم قررت أن نقصف المدرج .
وفعلاً عملت الراجمات الخمس فى تناغم، مدهش وقوى، هز مشاعر المجاهدين فكبروا على أجهزة المخابرة، ثم أمرت بالتوقف حتى نتأكد من النتائج فلم يتضح لنا شئ ، فأخذنا نقصف بقذائف فردية على فترات بحيث نغطى كل المدرج، ثم توقفنا وساد المنطقة صمت رهيب وإختفى صوت الطائرات جميعاً.
ولكن تورغار فاجأنا بتقريره الذى يقول أن طائرتين قد هبطتا إلى المطار وليس واحده فقط.

لكن ترصدنا أصر أنه لم يشاهد ولا طائرة رغم إمكانية الرؤية .
فسألنا ترصد تورغار إذا كان قد رصد أي إقلاع لتلك الطائرات فأجاب بالنفى، فتمنيت وقتها أن يكون تقريره صحيحاً لأن ذلك يعنى أننا قد حاصرنا للعدو طائرتين، وأن الصباح الذى يقبل مسرعاً سوف يفضح تواجدهما أو على الأقل سوف يمنع إقلاعهما إلى ليلة الغد.
أثناء رماياتنا المنقطعة لاحظنا وميضاً لامعاً جهه شرق المدرج "قطاع راجمه عثمان" فأخبرنا المراكز بإحتمال ـ غير مؤكد ـ بوجود أصابة لدى العدو.
لكن الترصد الرئيسى أفاد فى النهار التالى أنه لم يلتقط أى محادثه لدى العدو تفيد وجود أصابة ، فالغينا تلك الإصابة من سجلات العملية.
فى الثالثة صباحاً جاءت طائرة مروحية ثقيلة ودارت حول المطار عده دورات ، ربما عشرة، ولكنها لم تهبط ولم تقصف فإعتبرناها دليل عجز وضعف حيله لدى العدو، فإنشرحت صدورنا بتلك النهاية السعيدة لتلك الليلة المقمرة. قبل الفجر طلبت من أبوالشهيد ـ وكان فى مركز أبو العباس ـ أن يتوجه فى أقرب وقت نحو ميرانشاه ولايعود إلا مع قذائف غلام خان التى كان ينبغى أن تصلنا قبل هذا الإشتباك الأخير، وظننت أنه لم يعد لدينا ما يكفى لإشتباك قادم.
ولكن أبوتميم وعثمان طمأنانى على وجود ما يكفى لهما فى جولة قادمة ، لكن لا يمكنهما تزويد المراكز الثلاث الباقية بأى شئ، أى أننا سوف نشتبك براجمتين فقط إذا لم تصل القذائف الجديدة.
ـ الطريف فى الأمر أننا كنا بعد نهاية كل إشتباك وعند إنبلاج نور الفجر كنا نتبادل أرقام القذائف المتبقية عند كل مركز، وكان الإتفاق بيننا ـ تلافياً لترصد العدو لمكالماتنا ومن أجل تضليله أيضاً ـ نضيف رقماً زائفاً فى خانة الآحاد ورقماً آخر فى خانة الآلاف ثم نضع الرقم الحقيقى فيما بينهما ، وهى طريقة بسيطة للغاية وأظنها كانت السبب فى إيهام العدو أن لدينا آلاف القذائف.
فإنطلقت شائعة الثلاثين ألف صاروخ سالفة الذكر وكانت رماياتنا الكثيفه توحى بأن لدنا عدد لا نهائى من الصواريخ، لقد كنا نرمي رماية من لايخشي الفقر.
□ □ □
<u>**الثلاثاء 4 ستمبر ـ16 صفر 1411هـ**</u>
<u>ملخص</u>: ليلة الإغلاق العشرون.
<u>ملاحظات</u>: لم يحدث إشتباك لأن العدو لم يحاول إستخدام المطار بسبب سؤ الأحول الجوية.
وصلت الذخائر "غلام خان" وكانت حوالى سبعين صاروخاً فقط، وصلت ليلاً فى الأمطار الشديدة ولم أعلم بوصولها إلا فى اليوم التالى.
□ □ □
كان صباحاً منعشاً متفائلاً قضيناه على قمه الجبل قرب موضع الترصد، أبو الحارث وضيوفه الثلاثه كانوا معنا ليله الأمس فأثارت فيهم الحماس والحيويه، وكثيراً ما كان أبو الحارث يرفع صوته الجهورى بالتكبير والتهليل. وقد أشاد أبو الحارث وضيوفه بالعمل المنظم الذى شاهدوه بالأمس. تناولنا الإفطار فى موضعنا وكان أفطاراً فاخراً مكوناً من قهوة بالحليب، مع مربى وقشدة وبسكوت، وتناولنا فى حديثنا أو ضاعنا الراهنة وشيئاً من التاريخ القريب.
الطيران قصف بشدة منطقه ماليزى الواقعة إلى الشرق منا والمواجهه تقريباً لمدرج المطار

الجديد . ولم أنتبه وقتها أن العدو يحمى بذلك القصف آلياته العاملة هناك.
طالبت مركزى أبو العباس وعثمان مقاسمة مالديهم من ذخائر مع الراجمات الثلاثة الأخرى العاملة معنا بحيث يكون لدى كل منهم خمسة عشر قذيفة، وهكذا أصبحنا جميعاً نتملك قذائف ولكن لايمكننا الإستمرار فى إشتباك طويل.
بقيت فى جبل الترصد حتى المساء، وقد صعد الدكتور جمال كى يقضى الليلة معنا، كانت القوة الروحية لدى الدكتور جمال لا تقل عن مهارتة الطبية ذائعة الصيت.
فطلبت منه أن يصلى بنا المغرب وأن يقنت بالدعاء إلى ا حتى لا يأتى العدو إلى المطار هذه الليله، وطلبنا من كل المراكز أن يفعلوا نفس الشئ.
وكانت الإستجابة أسرع مما نتوقعنا فقد تلبدت الساء فوق خوست بسحاب أسود كثيف، ثم أخذ المطر يهطل هناك بشدة. بينما نحن فوق الجبل مهللين مكبرين ساجدين شكراً وقد كبرت معنا مراكز العرب، ثم أخذنا نتناول طعام العشاء ونحن فى نقطة الترصد وقد أضاء علينا القمر بينما خوست يعمها الظلام والمطر مع البرق والرعد الذى يماثل إنفجار الصواريخ الضخمة.
بعد فترة زحفت السحب نحونا أيضاً وبدأ المطر يهطل فوق قمة جبلنا، فلم يعد يمكننا البقاء فهبطنا إلى أسفل نحو الخيمة، لقد أحتجب القمر تماماً وأظلمت الدنيا من حولنا حتى أصبح مستحيلاً أن نرى الطريق وقد أنهمر المطر بكل شدة. بعد سقطات عديدة، وقد تشابكت يدى مع يد الدكتور جمال الذى هو أقوى منى بنية وأثقل وزناً، وصلنا إلى الخيمة وقد تبللت ملابسنا، وقد تسرب بعض الماء إلى الخيمة فبال الأغطية.
كان أبو زيد، وأبو أسامه فى الطريق إلينا فى جبل الترصد وقد داهمهما المطر فى الطريق، و فى البداية إتصلت بهما لاسلكياً وطلبت منهما العودة ولايصعدان الجبل فى هذا الظلام والمطر الشديد لكنهما أصرا على إكمال الطريق، بالطبع كانت رحلة شاقة وضاع منهما الطريق عدة مرات، وكنا نطلق طلقات مضيئة حتى يهتديا إلى الجبل وأخيراً وصلا فى حالة مذرية من الإعياء والبلل. ما أن توقف المطر حتى عدت إلى نقطة الترصد خشية أن يفاجئنا العدو بهبوط فى المطار. بقيت هناك إلى قرب الفجر، لكن ا سلم.

الأربعاء 5 سبتمبر 1990ـ 17صفر 1411هـ

ملخص : ليلة الإغلاق الحادية والعشرين.
ملاحظات : الأحوال الجوية حالت دون إستخدام المطار.

- - - - - - - - - - - - - -

وصلت سيارة الذخيرة فى الليلة الماضية وحمدت ا أن السيول لم تجرفها فقد وصلت فى ذروه الإنقلاب الجوى، بدأنا توزيع الذخائر الجديدة على المراكز، وكانت حوالى سبعين صاروخاً .
لم يكن ذلك كافياً لحل المشكلة بل يكفى لتأجيلها فترة قصيرة.
غادرت جبل الترصد صوب مركز أبو العباس لمعاينة الأوضاع هناك. كذلك كان فى زيارتنا هناك، أبو حفص وأبو أسامة المصري، الذى كان مسروراً مما رآه فى أبو العباس، وعن مسيرة عملينا، بشكل عام. وهو رأى أسعدنى كثراً لأن أبو أسامة لم يرضه شئ أبداً حسب علمي من نشاطات العرب فى جبهات أفغانستان.
وقد أعجبه نظام المعسكر، والتحصينات المقامة حول المغارات والراجمة وأسعده فعالية تلك

التحصينات فى الحفاظ على أرواح والشباب والسلاح فى حادث القصف الجوى الذى كاد أن يدمر الراجمة وطاقمها. ولكنه قال إن كل تلك الإجراءات من البديهيات ولكنها تبدو الآن مدهشة لكثرة ما تجاهلها العرب بفوضويتهم المعهودة (وكانت تعبيراته أقسى من ذلك).

ثم تطرقنا إلى موضوع طرقناه كثيراً وهو كيفية الإستفادة من الظرف الأفغانى لخدمة الجانب العربى والإسلامى.

وهنا كنت أقف وحدى جانباً والآخرون فى جانب آخر، فقد كنت دوماً أدعو الى الإنخراط بعمق فى العمل العسكرى وبشكل واعى حتى نصل إلى حسم عسكرى.

مع متابعة للمجريات السياسية للقضية، وهكذا تكون تجربتنا متكاملة واستفادتنا منها تامة.

أما أبو أسامة ومعه أبو حفص ومعظم قيادات العرب وكوادرهم، فترى أن القضية "خسرانة"، و أن الأفغان لايصلحون لإقامة دولة إسلامية وأن الجهاد بالنسبة لهم هو فرصة للسرقة والإثراء غير المشروع وبالتالى لاداعى لتعريض أرواح الشباب للخطر، بل ندربهم فى المعسكرات، مع مشاركات خفيفة فى الجبهات ثم يغادرون بعدها لحال سبيلهم وبرامجهم فى بلادهم إن وجدت.

وكان ردى عليهم فى ذلك قاسياً، فكنت أصف موقفهم بالإنتهازية والتخلى عن قضية الإسلام فى أفغانستان، وأننا يجب أن نقف بجدية إلى جانب المسلمين هنا حتى نهاية الشوط، فقد جئنا منذ البدايه لدفع الشيوعية بعيداً عن أفغانستان، وكان الغزو السوفيتى طارئاً وقد زال وعادت القضية إلى بدايتها، ويجب علينا أن نكمل بقوة حتى يتم إزالتهم لأنهم أصل المشكلة.

أما إقامة الدولة الإسلامية هنا فسوف تكون نتيجة منطقية لإزالة الشيوعية، ولكننا لم نأت لهذا الهدف منذ البداية.

أما إتهام الأفغان بشكل عام وشامل بأنهم لصوص وكاذبون فذلك ظلم فادح لأن تلك الأوصاف تنطبق أساساً على قادة المنظمات "الجهادية" فى بشاور والذين إصطفتهم مخابرات باكستان، ودعمتهم أموال السعودية، ودعاية الإخوان المسلمين ومباركة الولايات المتحدة، وقد دفعنا نحن أيضاً فى نفس الإتجاه ومازلنا، وأفضلنا وأذكانا لم يفعل سوى أن تحول من معسكر سياف إلى معسكر حكمتيار ـ رغم أن كل منهما أسوأ من الآخر.

وسألنى أبو أسامة عن شكل المساهمة العسكرية العربية كما أراها. فقلت له إن ما نقوم به الآن يصلح لأن يكون منطلقاً لهذه المساهمة وبداية جديدة وجادة لها، والأمر ببساطة هو أن نتولى تنظيم عمل المدفعية طبقاً لأبسط الأسس المنطقية لإستخدام هذا السلاح، ثم ننتقل بعدهاإلى إنشاء نواة سلاح دبابات نقوم فيه بنفس العمل ، ثم ننتقل أخيراً الى مساهمتنا فى مجال المشاة على أن تكون هى الأخرى ذات صفة وتميز نوعى بأن نتبنى أسلوب قوات الكوماندوز وليس المشاة العاديين، وأن نبتعد عن معارك المواقع الثابتة أو الدفاعية، فإن تجمع لدينا هذه العناصر الثلاث يمكن عندها أن نقدم للمجاهدين الأفغان مساهمات فعالة ومؤثرة للغاية، وليس لها نظير لديهم، وبهذا لانساهم فقط فى دعم العمل العسكرى بل نؤثر أيضاً فى المصير السياسى للقضية، فأمريكا تريد تجميد الوضع العسكرى حتى ترغمنا على قبول مشاركة سياسية، مع الشيوعيين فى حكم البلاد، وأن الوسيلة الوحيدة لإفشال خطة أمريكا هى أن نساهم مع المجاهدين فى دحر القوات الشيوعية فى الميدان.

قال لى أبو أسامه أن لديهم إجتماعاً فى بشاور مع القيادات العربية لبحث هذا الموضوع، ثم دعانى للسفر معهم إلى هناك لعرض وجهة نظرى فى الإجتماع، فإعتذرت بسبب البرنامج

الذى نقوم به فطلب منى أن أكتب رأيى حتى يعرضه عليهم، فوافقت.
قضينا الليلة فى مغارات أبو العباس. وكانت الأمطار كفيلة بمنع العدو من إستخدام المطار هذه الليلة.

الخميس 6 سبتمر 1990 ـ 18 صفر 1411 هـ .
ملخص:
ليلة الإغلاق الثانيه والعشرون.
ليلة الإشتباك التاسعة.
عدد محاولات الهبوط سبعة.
نتائج عمليات الهبوط تفريغ ست طائرات.
إصابات العدو إحتراق طائرة، وإصابة أخرى إصابة خفيفة لم تمنعها من العودة الى كابل.
إصابات عندنا لاتوجد.
{ **ملاحظات:** لم أحضر تلك المعركة بل قادها أبو زيد، وهى أسوأ نتيجة حصلنا عليها في كل الإشتباكات، بل إعتبرناها هزيمتنا الأولى أمام العدو.
فى تقريره عن المعركة. قال أبو زيد أن قلة عدد الذخائر كانت سبباً رئيسياً فيما حدث فقد خرجت الراجمات بسرعة من المعركة، والسبب الآخر هو نجاح العدو فى التشويش على الإتصالات خاصة مع الترصد اللاسلكى}.
::::::::: ::::::::: :::::::::
فى الثامنة والنصف صباحاً تحركنا بسيارة المعسكر إلى ميرانشاه. كان أبو حفص يقود السيارة ، وإلى جانبه أبو أسامة المصرى وفى المقعد الخلفى عدد من الشباب المجازين بسبب المرض. وفى الصندوق الخلفى للسيارة ركبت مع أبو حامد الليبى وعثمان الصعيدى الذى سيغادرنا نهائياً كى يحضر دورة فى جلال آباد على الطوبوغرافيا، كان فى إنتظارها منذ فترة، وسوف يحل محله " المقداد" الأردنى.
كان ما فعله عثمان صورة طبق الأصل من غرائب التصرفات العربية فى أفغانستان، فتلقى الدورات بلا حساب ولاضرورة أصح هدفاً فى حد ذاته، أما المعركة مهما كانت أهميتها فتأتى فى مرتبة متدنية وهذا ما أعنيه بالحديث عن الانتهازية الجهادية لدى التنظيمات العربية التى عملت فى أفغانستان، فهى تسعى إلى "الإستفادة" من الساحة الأفغانية، بأضيق مفهوم لتلك الإستفادة وبدون إهتمام بنتائج الحرب، بل تسليم تام بفشلها.
ـ فى ميرانشاه حاولنا مقابلة حقانى ظهراً، ولكنه طلب أن يكون اللقاء بعد المغرب، عزمت على العودة إلى أفغانستان لكن أبوحفص كان يريد وساطتى مع حقانى حتى يسمح لهيئة الإغاثة الإسلامية، بتولى مسؤلية المستشفى الكبير التابع لحقانى،وهى مشكلة مزمنة.
كذلك أبو أسامه المصرى الذى طالبنى بكتابة تقرير بوجهة نظرى التى أوضحتها له فى مركز ابو العباس. وهكذا كان لابد لى من قضاء الليلة فى ميرانشاه، ولما كانت مرهقاً من السهر المتواصل فقد نمت فى البيت إلى قرب المغرب.
فى إجتماعنا ليلاً مع حقانى تحدثنا طويلاً حول الوضع فى الجبهة وإجتماع الكومندانات الذى سيعقد فى الغد. ثم البرنامج العسكرى القريب الذى قال حقانى أنه سيكون فى المناطق

الجنوبية والشرقية من خوست، وأنه سيطالب جولاب بالتحرك شرقاً مع مجموعته لضرب المطارالجديد، أما خط دفاع العدو المواجه لنا فلم يذكره على إعتبار ما أخبرنى به سابقاً من أنه سوف يستسلم.فقلت له إننا قد نضرب دبابتين للعدو فى ذلك الخط، فوافق، وطالب أن نضرب منطقه" فارم باغ"و توجد خلف الخط الجبلى المواجه لنا وعلى طرفه الشرقى، وقال إن بها أحد عشر دبابة جديدة.

وعن كابل قال حقانى أن هناك أقاويل متداوله بأن هناك إنقلاباً جديداً يجرى تدبيره فى كابل وبإشراف دولى ويشارك فيه حكمتيار بقوات يحشدها حول العاصمة، تكون نتيجته حكومة مشتركة بين قادة جهاديين وجنرالات شيوعيين.

عن قرارات مؤتمر القادة الميدانين قال أنها تأخذ مجرى التنفيذ، وأن هناك تطبيقاً جيداً لها فى مجال الأمن أما التنسيق فى العمليات فما زال بطيئاً.

وأن لجنة لمتابعة تطبيق القرارات تجتمع من إماكن مختلفة فى الداخل، ومن أعضائها مولوى أرسلان رحمانى وأختر محمد.

لم أعلم بما حدث فى إشتباكات هذه الليلة إلا فى اليوم التالى ، بعضها وصل عن طريق المخابرة والآخر علمته مشافهة من أبو زيد والآخرين.

لقد نزلت بنا أول هزيمة منذ بدأنا" مشروع المطار" فقد هبطت ست طائرات إلى المطار وأفرغت حمولتها.

ولكن إحداها أصيبت وإحترقت ،حسب قول الترصد اللاسلكى، وأخرى أصيبت إصابة خفيفة وتمكنت من الإقلاع فى الثامنة صباحا.

وهى خدعة ممتازة من جانب العدو لأن أحداً لايتوقع أن تقلع طائرة من هناك فى وضح النهار وقد إستسلمنا جميعاً لهذا الوهم . وسوف نرى أن العدو قد حاول إستخدام نفس الخدعه معنا فى معارك فتح خوست وكانت آخر طائرة له هبطت فى المدينة حتى سقوط النظام لكننا منعناه من الإقلاع وتم أسر قائدها وهو جنرال طيار.

قال فضل أيضاً ،وهو نائب عبد العزيز، إن رمايات الراجمات كانت ضعيفة وغير منسقة.

- على كل حال فقد إعتبرت نفسى مسئولاً تماماً عما حدث من هزيمة فى تلك الليلة.

فتركى الموقع والذهاب إلى ميرانشاه لم يكن له مبرر قوى، وقد راهنت أكثر مما يجب على إستمرار المطر والأحوال الجوية السيئة.

لم يكن ذلك أكبر أخطائى ففى العام التالى كان لى خطأ أشد جسامة."**عدم الإشتراك فى معركة جرديزعند بدئهاعام 1991فى أعقاب فتح خوست - سنذكر ذلك فى موضعه**"

....
....

يوم . . وليلة.. من الكرامات.

الجمعه 7 سبتمبر - 19 صفر 1411هـ

ملخص: ليله الإغلاق الثالثه والعشرون
ليله الإشتباك لم يحدث إشتباك هذه الليلة
خسائر العدو طائرة واحدة تم تدميرها عصراً وكانت تتهيأ للإقلاع خلسه من المطار، دمرتها قذيفه غامضة.
فى أول الليل إنفجر مخزن ضخم للذخيرة عند العدو.

- - - - - - - - - - - - - - - - -
صباحاً وعلى مكتب أبو النور الذى إتخذه فى بيت اللجنة الثقافية لجماعة حقانى جلست أكتب التقرير الذى طلبه أبو أسامة فبدأت بتوصيف الوضع الراهن للقضية الأفغانية، ثم نبذة عن "مشروع المطار" وإرتباطه بالوضع العام الذى تم توصيفه، ثم مقترحات لتعديل مسار العمل العسكرى العربى فى أفغانستان.وقد إطلع أبو أسامة على ملف العملية الذى نحتفظ به فى ميرانشاه وكان سعيداً وموافقاً على المشروع ومساره . تحفظه الوحيد كان فى ضروره توفير الذخائر مقدماً قبل بدء العمل وقد كان محقاً تماماً فيما قال ـ وقد علم بالطبع ما نعانيه من مشاكل فى الحصول على الذخيرة وإحتمال توقف العملية وفشلها من جراء نفاذ الذخائر قبل الوصول إلى الهدف المنشود . وهو ما كاد يحدث الليلة الماضية ولم تكن قد وصلتنا أخبارها فى ميرانشاه حتى الآن.

ولكنى شرحت له أننا لم نكن نستطيع الإنتظار أكثر مما فعلنا، فعمليات المجاهدين تسير بوتيرة سريعة، وكان ضروريا أن ندعمها بإغلاق المطار، وكنا قد أمضينا وقتا طويلاً فى الإعداد، وإذا إنتظرنا أكثر لفقدت العملية جديتها ولانصرف الناس عنها.

غادر أبو حفص وأبو أسامه إلى بشاور قبل الظهر، ثم وصلتنى رسالة لاسكلية من أبو الشهيد يقول فيها:

"إن ست طائرات قد هبطت ليلاً فى المطار ، وأن الإخوة جميعاً بخير".

شعرت بالصدمة، جاءنى حاجى إبراهيم ـ وكان يقضى إجازه فى ميرانشاه ـ فأرسلته إلى المخابرة كى يتصل مع عبد العزيز ويأتى لنا بتفاصيل ما حدث ليلاً.

ناشدت أبو النور التركيز على إكمال مشروع "ألفية أبو حفص" خلال الأسبوع القادم ووعدته بمكافأة عبارة عن قضاء يومين فى الترصد ـ وهو المكان الأكثر جاذبية الآن لجميع أفراد المشروع ، بل لجميع من يتابع المشروع من المجاهدين الأفغان والعرب.

ـ وصلنا مركز أبو العباس فى الخامسة والنصف مساء، علمت أن أبو تميم إستخدم مئة قذيفة فى تلك الليلة، وقد إنسحبت باقى الراجمات لنفاذ الذخائر، كان التفريغ يتم فى المنطقة الرئيسية قرب وسط المطار، وهى منطقه عمل راجمة أبو تميم.

طلبت جمع الشباب فى باقى المراكز لإجتماع عام. وقد وصلوا بشئ من التباطؤ عاتبتهم عليه، ثم تكلمت فيهم فشرحت الموقف الراهن، وما حدث فى ليلة الأمس، وذكرت لهم أن موقفنا مازال حرجاً للغاية بالنسبة للذخائر، وأن هذه الليلة قد لانستطيع الصمود فى معركة طويلة، وأننا فى حاجة إلى تصحيح النيات والقنوت فى الصلاة والدعاء إلى ا .

ـ توجهت إلى جبل الترصد وبرفقتى أبو زيد التونسى وحاجى إبراهيم الأفغانى، وكنت أناقش أثناء المسير خطة لإشتباك الليلة فى ظل نقص الذخائر الشديد.

علمنا من مراكز الراجمات الأفغانية فى "دزجات ستان" أن العدو قد عزى إرتباكنا ليله أمس وضعف الرمايات إلى غياب إبراهيم "الرئيسى"، فطالب بإرسال كل الطائرات الجاهزة إلى خوست. فخطر لى أن نخفى حاجى إبراهيم فى بداية الليل وقد نترك أول طائرة تمر، على إعتبار أنها طائرة إختبار ولا تحمل ذخيرة عسكرية ـ بل ربما أطعمة أو أشياء أخرى ـ ثم نفاجئ الطائرة الثانيةبكل القوة التى لدينا، فإذا صاحبنا التوفيق فقد تنفجر بذخيرتها فيكون ذلك رادعاً للعدو فيتوقف عن إرسال طائرات باقى هذه الليلة.

ذلك رغم أن إنفجار إحدى الطائرات ، فى مرة سابقة،لم يردع العدو عن إرسال طائرات

بعدها فى نفس الليلة.
كان لابد من اللجؤ إلى سلاح الدعاء. الشمس على وشك الغروب ونحن قريبون من قمة جبل الترصد نتهيأ للصلاة.
وكنت أنظر إلى السماء فأجد سحباً قليلة، فإقترحت أن نقنت فى صلاتنا ثم إتصلنا مع مركزأبو العباس، وطلبنا منهم أن يفعلوا نفس الشئ، وكان الدكتور جمال هو إمام الصلاة عندهم وقد وعدنى أن يفعل وكان صوته متهدجاً من التأثر ثم إتصلت مع باقى المراكز بأن يقنت الجميع فى صلاة المغرب.
إنتهينا من الصلاه والقنوت وجلسنا فى مواضعنا فى إنتظار تناول طعام العشاء.
وكان ظهرى فى إتجاه الوادى، فرأيت أحد الشباب فى مواجهتى ينظر بدهشة إلى السماء المزدحمة بخطوط حمراء وصفراء على غير نظام. لم أشاهد قبلاً رمايات بهذا الشكل، ذهبنا بسرعة إلى نقطة الترصد ونحن نخمن تفسيرا لما نراه: وفجأه تناثرت خطوط صفراء كثيفة وفى كل إتجاه لم يبق لدينا مجالاً للشك فى أن ما نراه هومخزون ذخائر يتفجر، فصحنا مكبرين بينما الإنفجارات تزداد فى الكثافة وفى إتساع رقعه أنبعاثها، فأمسكت بالمخابرة أبلغ أخواننا بالخبر، فكبر الجميع وخروا ساجدين وإستمرت الإنفجارات حوالى نصف ساعة، وقد جاوبها المجاهدون، بإطلاق رشاشاتهم من فوق الجبال إبتهاجاً وإظهاراً للشماته، فظهرت الجبال والوادى فى حلة بهيجة من الأضواء والخطوط الملونة وكأنه مهرجان ليلى.
كانت إنفجارات الذخيرة عند العدو تنبعث من منطقة المطار الجديد، وكان واضحاً أنها مخازن ضخمه تحوى ذخائر ثقيلة ومتوسطة وخفيفة.
حاول العدو إخفاء هزيمته فدخل على أجهزة لاسلكى المجاهدين وقال لهم :
(لا تفرحوا فليس لدينا إنفجار بل نحن فى فرح ونطلق النيران إبتهاجاً لأن رئيس باكستان "غلام إسحق خان" قد مات؟).
ـ مركز أبو العباس أخبرنا أنهم كانوا مازالوا فى دعاء القنوت خاف الدكتور جمال عندما إتصلنا بهم نخبرهم بإنفجار مخازن ذخيرة العدو.
قلت لهم أن إنفجار اليوم قد عوض وزيادة عن فرار الطائرات الست ليلة أمس، وأن هذا يثبت أن سلاح الدعاء أقوى من أى سلاح آخر،و وكان ذلك درساً عظيماً لنا.وتكرر معنا مثل ذلك عدة مرات حينما إنقطعت بنا كل الوسائل ووقفنا عاجزين أمام عدو لا قبل لنا به.
فنلجأ إلى الدعاء فنجد من النتائج ما لايمكن تصور حدوثه حتى مع إمتلاك الوسائل.
فى اليوم التالى علمنا أن طائرة للعدو قد دمرت فى المطار عصر اليوم "الجمعة" وقت العصر وهى تتهيأ للإقلاع، وسوف تأتى قصتها فى سياق أحداث اليوم التالى. المهم أن العدو لم يحاول إستخدام المطار هذه الليلة بسبب تلك الإنفجارات، وقد شاهدنا مواضع تلك الإنفجارات بعد فتح المدينة وكانت عبارة عن خنادق ضخمة مكشوفة على الحافة الشمالية الغربية للمطار الجديد.
□ □ □

السبت 8 سبتمبر 1990 ـ 20 صفر 1411هـ

ملخص:

ليلة الإغلاق□ الرابعه والعشرين.

ملاحظات□ الأحوال الجوية لاتسمح بإستخدام المطار.

تم اليوم حل مشكلة الذخائر لدينا بشكل نهائى، فقد وصلتنا ليلاً شاحنات بهما 700 صاروخ.

□ □ □

فى الصباح الباكر تناولنا طعام الإفطار فى نقطة الترصد وكان عبارة عن شاى وبسكويت، ثم نزلت الجبل بصحبه حاجى إبراهيم وأبوزيد متجهين إلى مركز أبو العباس وفى خطتنا زيارة مركز ترصد اللاسلكى لمعرفة ماذا حدث فى نكسة ليلة الخمس الحزين حيث نزلت ست طائرات ليلاً الى المطار.

فى "أبوالعباس" وجدنا إزدحاماً من رجال البدو فقد كان أحدهم قد دخل الى أحدى المغارات، تحت العلاج من جانب الدكتور جمال على إثر إنفجار لغم أطاح بقدمه، قريباً من جبلنا فى الترصد.

وكانت تلك المجموعات قد تكاثرت فى المنطقة مع إشتداد هجمات الطائرات علينا والتى وفرت عشرات الأطنان من المواد المعدنية، وهو ما يدر ثروات تعتبر مغرية لدى فقراء البدو بحيث يمكن أن يضحى أحدهم بحياته من أجلها، ويخوض غمار حقول الألغام المعروفة والمجهولة. كانت المجموعات تتكون غالباً على أساس أسرى، فتشمل الرجل وأبنائه حتى الأطفال منهم، و كنا نسمع أصواتهم فجراً وهم يتصايحون عند إكتشاف أماكن سقوط القنابل كى يتعاونوا على حمل شظاياها والتى قد تحتاج إحدى قطعها إلى تعاون رجلين معاً، وفى الأيام الأخيرة أصبحوا يتواجدون خلف جبلنا فى الترصد من الواحدة ليلاً، فى إنتظار "الرزق" الذى تقصفنا به الطائرات.

إصطحبنا الجريح فى سيارتنا صوب مركز خليل وكان إلى جانبه الدكتور أبوبكر، ثم تركناههم يواصلون إلى مرانشاه فى سيارتنا ، بينما ترجلنا نحن إلى مركز ترصد عبدالعزيز.

وجدنا هناك صديقنا فضل الذى إستقبلنا بإبتسامته المرحة، وقال:

إنه حاول الإتصال بنا بعد العصر لأن طائرة كانت تتجهز للإقلاع ـ وكانت محتجزة فى المطار بسبب عطل بسيط فى أحد الإطارات من جراء رمايات الليلة السابقة ولكنه فشل فى تحقيق الإتصال، ولكن الصاروخ الذى أطلقناه قد أصاب الطائرة فى منتصفها تماماً وشطرها قسمين.

فتبادلت مع حاجى إبراهيم النظرات بإستغراب، وقلت له إننا لم نطلق أى صاروخ أثناء النهار نحن ولا كل المراكز التى تعمل معنا فى "توده شنى"التى لايوجد بها غيرنا.

فرد قائلاً ولكن الصاروخ قد إنطلق من عندكم وقد شاهدته بنفسي ورأيت الإصابه وتابعت أنباءها على اللاسلكى.

على أيه حال إحتسبناها إصابه لصالح المشروع طالما أن القذيفه إنطلقت من "دزجات ستان" وإن كانت بدون رام معلوم،في يوم جمعة مبارك.

ـ ثم أخبرنا فضل: أن طائره قد إنطلقت فى التاسعة صباح اليوم"السبت" وحاول أيضاً الإتصال بنا بلا طائل، وكانت هى الاخرى محتجزةعلى إثر إشتباكات سابقه عن ليلة الخميس.

(أظنها الإصابة التي حدثت في إشتباك يوم الإثنين وكانت موضع خلاف مع تورغار).

□ وأضاف أيضاً أن محادثات الطيارين تؤكد خطورة إستخدام الطرف الشرقى للمطار "منطقة راجمة عثمان"، ويتجنبونها لشدة الرماية فيها.

وقال عن إشتباك ليل الخميس "ليلة النكسة" أن راجمة صواريخ "صقر30" قد شاركت إضافة إلى مدفعDC أو أكثر من مدفع، ولكنهم لم يستطيعوا منع الطائرات من الهبوط.

(فإعتبرت ذلك دليلاً على أن قوه نيران دزجات ستان هى الأساس فى إغلاق المطار).
 فى إشتباك ليلة الخميس نزلت سبع طائرات إلى المطار "وليس ستة فقط" وأن أحداها قد دمرت والثانية كان العطب بها بسيطاً وهى التى إنطلقت"ودمرت" فى صباح الجمعة.
وأن سيارة شحن عسكرية قد دمرت وقتل من فيها من الجنود، وكانوا فى المطار لنقل الذخائر من الطائرات.
عادت سيارتنا من ميرانشاه فى الخامسة مساء فنقلتنا إلى مركز أبو العباس، ثم سيراً على الأقدام وصلنا إلى ترصدنا حيث وجدنا المركز مزدحماً ونظراً لأقتراب الغروب لم أستطع إعادة أحد إلى المركز الخلفى. كان الضباب يلف الوادى والرؤية غير واضحة مع سحاب خفيف.كالعاده نمت قريباً من نقطة الترصد، وعلى غير العادة نمت بعمق نسبياً، مع إستيقاظ مرات عديدة فأنظر كل مره نحو السماء فأجد السحب، فأحمد ا وأدعوه أن يكمل علينا الليلة على هذا الحال. الطائرات قصفت فى أماكن متعددة، ولم أكلف نفس سؤال الشباب الساهرين عن موضع القصف، تجاهلت كل شئ ورحت فى غيبوبه لذيذة.
ولو علمت بالنبأ السار فى مركز أبو العباس لطار النوم من عينى باقى الليلة، فقد وصلت شاحنتان بهما سبعمئة صاروخ، أنهت تماماً مشكلة ندرة الذخيرة.
كان مجهوداً ممتازاً من أبوإسلام ـ أحد الكوادر التدريبية البارزة فى تنظيم القاعدة ـ الذى أخذ الأمر على عاتقه منذ يومين تقريباً، وكان إنجازه هائلاً فأنقذنامن فشل محقق ومازلت أشعر نحوه بالإمتنان حتى هذه اللحظة، أما أبو النور فقد بذل هو الآخر جهوداً كبيراً مع الشاحنات حتى تصلنا فى أقرب وقت.

<u>الأحد 9 سبتمبر 1990 ـ 21 صفر 1411هـ</u>

<u>ملخص</u>: ليلة الإغلاق الخامسة والعشرين.
ليلة الإشتباك العاشر.
عدد محاولات الهبوط محاولتان.
نتيجه عمليات الهبوط لم تستطيع الطائرات تفريغ حمولتها.
الإصابات عند العدو طائره واحدة.
الإصابات عندنا لاتوجد.

<u>ملاحظة</u>: الطائرة الأولى هبطت فى الواحدة والنصف وأجبرتها رمايتنا على مغادرة المطار بدون تفريغ حمولتها، المحاولة الثانية فى الرابعة صباحاً هبطت طائرة ثانية عجزت عن الإقلاع بسبب إصابتها.
إجمالى خسائر العدو حتى الآن أثنى عشر طائرة نقل.

قبل السادسة صباحاً هبطت مع إبراهيم جبل الترصد متوجهين إلى مركز أبو العباس.
ومن هناك إستقلينا السيارة نحو مركز دروازجى "رقم 9" كى نعقد جلسة مع أفراد المركز، شرحت لهم فيها تطورات الوضع العسكرى فى خوست، وتطورات عمليتنا.
ثم واجهتنى هناك مشكله إدارية، فبعد ذهاب عثمان تولى "القعقاع" الأردنى إدارة الراجمة، فطلبت منه أن يكون قائداً للموقع لكنه رفض بشدة، وقد وجدت صعوبة فى إقناعه، ورغم

كفاءته فإن القعقاع كان من ذلك الطراز من الشباب "الناسكين" الذين يبتعدون بإصرار عن أى موقع قيادى خوفاً من المسئولية فى الدار الآخرة، ولا أدرى هل إقتنع أم أحرج منى عندما حاججته بأن كل من معه من الشباب هم من الجدد، ولايستطيع أحدهم تولى هذه المسئوليه، وترك المعسكر بلا أمير هو أمر يتحمل مسؤليته هو شخصياً.

{القعقاع أستشهد عام 2001 فى غارة أمريكية جوية،وكان متزوجا من إبنة الدكتورأيمن الظواهرى}

غادرنا إلى مركزنا الجديد "رقم 5" الذى يشغله جماعة أبو الحارث مع قاذفهم الفردى، وقد إكتشفنا له طريقاً مختصراً من فوق القمم والشعاب المنسية على سطح الأرض.

كررت عندهم ماذكرته فى المركز "رقم 9" وأخبرونى بمشاكلهم وعلى رأسها إنهيارات رملية كثيرة من سقف المغارة والراجمة الفردية لم تكن محصنة بأكياس الرمال بشكل مناسب. وقد أصابتهمم عدة قنابل قريبة جداً منهم.وكان عجيباً أن أرى آثارا كثيرة لقنابل حديثة الإنفجار، مع أن المعسكر كان حديث الإنشاء، ويستخدم راجمة فردية بطيئة الرماية.

ثم شكوا لى صعوبة التعامل مع إدارة معسكر أبو العباس وشكوا بأن مطالبهم مهملة وأفرادهم لايعاملون هناك بشكل غير جيد، وأن هناك تفرقه فى التعامل بين أفراد "القاعده" وأفراد جماعة أبو الحارث. نفيت أن يكون ذلك موجوداً، وأن ذلك أمر غير مسموح به.

ووعدتهم أن أشرف بنفسى على تلبية كافة مطالبهم من "أبو العباس".

كان يتعاون فى تشغيل الراجمة كل من "أبو أنس" الأردنى، و"محب ا " المغربى، وهما ثنائى يستحيل نسيانه، فقد كانت تربطهما صداقة قوية ربما نبعت من مزاج متشابه وأخلاقيات رفيعة متماثلة، وقليلاً ما شاهدت أحدهما بمعزل عن زميله. وقد شاركا معى فى عمليات "المطار الجديد" أثناء فتح المدينة، ولا أظن أننى رأيت من يتفوق عليهما فى ثبات الأعصاب والشجاعة، مع الهدؤ والتواضع الجم.

عدت إلى أبو العباس سيراً على الأقدام، وحاول الشابان المسير معى حتى المعسكر لكن فى جزء من الطريق طالبتهما بالعودة، وأكملت المسير منفرداً. وكانا منزعجان قليلاً لكونى أسير منفرداً فى منطقة وحشية مقفرة، و ولم يكن معى سلاح، كان ذلك خطأ منى بلا شك، لكن نظراً لقلة الأسلحة معنا، فقد كان بعض الشباب يستعيرون رشاشى أثناء تكليفهم بمهام فى المنطقه.

على أيه حال كنت أحمل دوماً مدية من طراز "قرن غزال" المشهورة لدى الخارجين على القانون فى مصر. وكان حملها تقليداً ثابتاً فى مجموعتنا الثنائية المكونة منى ومن عبدالرحمن ومازلت محافظاً على ذلك التقليد حتى الآن، وإعتبر ذلك سلاحاً دفاعياً كافياً ضد جميع أخطار الجبهة ماعدا الطيران وصواريخ سكود وأيضاً الألغام.

ـ فى مركز أبو العباس جلست مع أبوالنور وأبو إسلام فتحدثنا عن شحنة الصواريخ الجديدة، وأعربت عن إمتنانى الشديد لأبوإسلام. مرة أخرى أعدنا ترتيب النظام الإدارى للمعسكر على أساس فصل مركز الراجمة ـ كوحده مستقلة ـ عن باقى إجزاء المعسكر.

ثم أوصيت أبو النور أن يهتم بالمركز "رقم 5" وأن يتجنب الخشونه فى معاملتهم، فقدم تبريرات وإعتذارات لم يكن لها ضرورة.

ـ كانت الثالثة عصراً عندما تركت "أبو العباس" متوجهاً إلى الترصد كى نبدأ برنامج تصحيح رمايه الراجمات، حسب الروتين اليومى قبل بدء الإشتباكات الليلية ، حتى نتأكد من أن كل راجمة مازالت فى قطاعها المحدد ، والذى قد نقوم بتعديله، أو حتى إستبداله حسب نتائج

الإشتباك الأخير . وبالفعل فقد إهتممنا هذا اليوم بالتركيز على منطقة التفريغ الوسطى.كان أبو الشهيد يتولى ضبط الرماية على راجمات "دزجات ستان" بينما يقوم بالتصحيح من الترصد كل من أبو عبيده الجزائرى وأبو الورد الليبى. الراجمة الفردية فى "مركز 5" صححت هى الأخرى رمايتها بقذيفتين حتى وصلت إلى أول منطقه تفريغ إلى الغرب من المدرج.
- بدأت الليلة هادئة صافية، منذرة بكافة الشرور المحتملة. ورغم إرهاق النهار لم أستطع النوم لشدة الهدوء. قرب العشاء إنقلب الهدؤ إلى عناقيد من الجحيم الهابط من سماء مسودة.
لم أشهد بالمرة قبل ذلك هذا الكم الهائل من القنابل العنقوية الهابطة من السماء فى ضجيج من الإنفجارات التى تبدأ من السماء وتتواصل على الأرض، هابطة فى خيوط ملتهبة من النيران الحمراء مع ضجيج يصم الآذان مفترشاً مساحات هائله وتغطى كيلومترات عديدة من قمم الجبال والوديان.
إلتقطت العديد من الصور لهذا الحميم المنصب فوق رؤوس الجبال، ولم يكن لدينا أيه وسيلة للوقاية منه لعدم وجود خنادق مسقوفة لدينا، ولكن ا لطف بنا فلم يصيبنا شئ من تلك القنابل المتناثرة. هبطت طائرة تحت ستار ذلك القصف العنيف، وحاولت التوقف فى منطقة منتصف المطار، حيث كنا فى إنتظارها وقد توقعنا منهم ذلك التصرف، فواجهناها بحميم صادر من "دزجات ستان" ومركزى 9 ،5 ولكن الطائرة التى لم تكن قد توقفت بعد إستأنفت مسيرها وأقلعت بلا توقف.
القاذفات المروحية واصلت دورنها فوقنا وقصف مواقعنا مع تركيز مدهش على مركزنا الجديد "رقم 5".
فى الرابعة صباحاً وبعد تمهيد جوى عنيف هبطت الطائرة الثانية فواجهناها بنفس العنف . ولكنها عجزت عن الفرار مثل الطائرة الأولى ولم يلبث ضوء الفجر أن إنبلج، وبقينا متابعيين المدرج وقتاً طويلاً من النهار تحسباً لإقلاعها بشكل مفاجئ، ولكن النهار إنقضى بدون أن تقلع ، وقد أجمعت نقاط الترصد أنها أصيبت وعجزت تماماً عن الإقلاع والحركة.
□ □ □

أفضل الليالى.. ليلة الإشتباك الأخير

الأثنين 10 سبتمر 1990 - 22 صفر 1411هـ

ملخص: ليلة الإغلاق□ السادسة والعشرين.
ليلة الإشتباك□ الحادى عشر ..والأخير.
عدد محاولات الهبوط□ ثلاثة محاولات.
نتائج عمليات الهبوط□ تفريغ طائرة واحدة.
الإصابات عند العدو□ أصابة طائرة وإنفجارها - وعطب طائرة ثانية بعد إصابتها.
الإصابات عندنا□ لاتوجد.

ملاحظات: بدأت محاولات الإنزال فى الواحدة صباحاً، أفلتت منا الطائرة الأولى بسبب ضعف الإتصال اللاسلكى مع عبدالعزيز، الثانية أصيبت إصابة مباشرة فإنفجرت فى منطقة الراجمة رقم3، الطائرة الثالثة أصيبت وإشتعلت بها نيران صغيرة ولم تغادر المطار- إنتهى الإشتباك فى الرابعة والربع صباحاً، أى قبل حوالى نصف ساعة من أذان الفجر.
:::::::: ::::::: :::::::: ::::::::
بقينا فى نقطة الترصد طوال اليوم تحسباً لأية مفاجأة نهارية ثم أعدنا تضبيط رماية راجماتنا

جميعاً.
جماعه أبو الحارث أخذوا سيارة المركز لإحضار قاعدة جديدة للراجمة الفردية تتيح لها الدوران الكامل وبالتالى إستخدامها ضد عدة أهداف حسب الحاجة. حتى تورغار أصابته عدوى الحماس التى عندنا ولم ينقطع عن الإتصال بنا، وقام هو الآخر بتضبيط رمايته على مدرج المطار، كما نفعل نحن أيضاً.
أمطرت السماء قبل العصر ثم صفا الجو تماماً، وبعد صلاه المغرب تناولنا عشاء جماعياً مكونا من شاى بالحليب ـ مشروبنا القومى ـ مع بعض الخبز.
الطائرات بدأت تقصف أماكن متفرقة وحول مراكزنا، حاولت النوم قليلاً، قبل بدء الأشتباكات المتوقعة ،كل شئ لدينا جاهز وفى أعلى درجات الإكتمال المادى والنفسى.
شدد العدو غاراته الجوية علينا ـ وكرر نفس تكتيكات الأمس تماماً ـ وبدأ عملية الهبوط فى نفس توقيت الأمس، كان واضحاً هذه الليلة أنه عصبي بأكثر مما ينبغي فإرتكب أخطاء قاتلة وأعطانا ليلة من أروع ليالي عمليات "مشروع المطار" التى هى أفضل ليالينا القتالة فى تلك الحرب.
بدأ العدو ليلته بتسجيل إنتصار علينا، فقد نجح فى خداعنا.
فأرسل طائرة نقل عسكرية، ضمن مجموعة قاذفات مروحية، وفى وسط الضوضاء والهدير المتماثل لمحركات الطائرات، هبطت طائرة النقل بسرعة، وكانت أضواء مدرج المطار مضاءه ثم أغلقت بسرعة، ثم أضيئت مرة أخرى ونحن مانزال تحت القصف العنيف، للقاذفات المروحية "الجواميس".
وأقلعت الطائرة، ولم ننتبه لكل ذلك لولا أن صوت فضل الذى إنبعث من باطن المخابرة، كى يخبرنا النبأ المحزن أنه حاول الإتصال بنا بلا جدوى، ويظهر أن التشويش الإلكترونى للعدو قد أفادة كثيراً فى عملياته تلك.
حزنت كثيراً لهذا الفشل المبكر، وإسترجعت . ثم دعوت ا أن يعوض علينا خيراً منها، وهو ما حدث بعد ساعتين.
فبعد قصف جوى متواصل أثار البهجة فى نفوس جامعى الشظايا ، الذين كنا نسمع أصواتهم الخشنة والغضة من الرجال والأطفال، وهم يتصايحون بفرح وحبور ويجمعون أطناناً من الشظايا المعدنية طوال الليل، غير عابئين بما حولهم من مخاطر قد تحولهم إلى شظايا من لحم وعظم.
ـ ناور العدو علينا كثيراً بإستخدام أضواء المدرج الحمراء ثم إطفائها حتى نطلق صواريخنا هباءاً منثوراً، ولكننا لم نفعل.
وكان خطؤه الفادح أنه لم يدرك أن القمر فى هذا الوقت من الشهر العربى يظهر فى النصف الثانى من الليل، ويرسل من الضياء ما يكفينا لمراقبة المدرج بشكل كاف.
لهذا إكتشفنا الطائرة فى الثالثة صباحاً وهى تهبط، وبدون الحاجة إلي إنذار ترصدنا الإلكترونى ،عبد العزيز أو فضل.
فأرسلنا حمم جميع الراجمات إلى أرض المطار، وتصاعد وميض خاطف فى منتصف المدرج تقريباً ـ تحفظنا فى إعلان كونه إصابه لطائرة.
ولم يلبث أن شب حريق وتوسع ثم تلته إنفجارات متعاظمة، فتعالت تكبيرتنا فوق ظهر الجبل وفى أجهزة المخابرة، وضجت المراكز بالتكبير وخضعت الجباه بسجدات شكر لخالقها.

وكنا ننقل أخبار الإنفجارات أولاً بأول لمراكز الراجمات واصفين لهم المشهد كما نراه فى نقطة الترصد، فنسمع تكبراتهم.
كانت الإصابة فى قطاع رماية مركز3" ابو تميم "، الذى تسانده فيه الراجمة الفردية للمركز رقم 5" أبو الحارث"، وكان مجبور على حافتها القريبة فقدمنا التهانى لهما تحديداً ولجميع الراجمات عموماً. فقد ركزنا نيراناً شديدة أثناء النهار على منطقة المنتصف تخميناً أن العدو سوف يركز على إستخدامها فى هذه الليلة أيضاً،فقد تأكدنا عن طريق ترصد "فضل" أن الطيارين يرفضون استخدام منطقة شرق المطار، فلم يتبق أمامهم من خيار غير منطقة المنتصف، لذا ركزنا عليها نيراناً أكثر.
ولقد كرر العدو تكتيكاته، وتوقفت آليه الذكاء والإبتكار عنده فإستحق الهزيمة، وقد شجعه إنتصاره السهل علينا فى أول الليل ،الواحدة صباحاً، فكرر تجربة الهبوط فى الثالثة صباحاً وكنا نتوقع أن تكون الأخيرة، فمن الصعب أن نتصور أنه لم يفهم أن أضواء السماء مع إقتراب وقت الفجر تكون كافية لنا للرؤية. كما أن إقتراب أضواء الفجر تجعل الفترة الزمنية أمامه قليلة جداً ويصبح الوقت فى صالحنا وتضيع وتنكشف أستار الليل التى تحميه وتحمى طائراته.
لكنه كرر أخطاءه فأضاف إلى نفسه المزيد من الخسائر. فهبطت إلى مدرج المطار طائرته الثالثة فى الساعة الرابعة والربع ـ وقد تبقى على الفجر حوالى نصف ساعة فقط.
فرحت كثيراً وهللت وأنا أرى العدو يرتكب أمامى هذا الخطأ الذى لم أكن أتصوره، فأخبرت الراجمات أن هذه الطائرة فريسة سهلة وطالبت أن يقصفوا بكل قسوة فى موجات متتابعة.
أشتعلت الحماسة فى نفس الشباب وأصبحت نيرانهم متتابعة رجت الجبال، وأيقظت جميع المراكز ـ حتى تلك التى لا تشارك فى البرنامج.
وأسرعت الطائرة وتركت منطقة المنتصف بعد أن إكتشفت الكمين الذى وقعت فيه وتوجهت إلى الطرف الشرقى البعيد.
وهى منطقة مشهورة لدى الطيارين بخطورتها .رغم أننا كنا نعتبر راجمه مركز عثمان غير دقيقه وإستعصى علينا توجيهها، ولكن نتائج تلك الراجمة خيبت توقعاتنا التى لم تقدرها حق قدرها، فأصابت تلك الطائرة التعيسة التى كانت كالمستجير من الرمضاء بالنار، وإشتعل بها حريق لم يصحبه إنفجارات. تحفظنا على إبلاغ الخبرحتى تأكد لنا أن حريق الطائرة حقيقية وأكده لنا تورغار وفضل ـ فأعلنا الخبر للجميع وشاركناهم فى التكبير والسجود .
وكانت حقاً ليله رائعة مباركة أعادت إلى نفوسنا تلك المشاعرالفياضة لإنتصارات الليالى الأولى من العملية.
وكانت تلك آخر ليلة فى "مشروع المطار" والإشتباك الأخير فيه، وقد بلغت خسائر العدو التى تأكدنا منها بعد رصدها بوسائل متعددة أربعه عشر طائرة نقل عسكرية من طراز (AN32) شاهدنا حطامها مع حطام حوالى خمسين طائرة أخرى أكثرها من نفس الطراز، وهى متناثرة على حواف المطار وبين أشجار قريبة على حافته الشمالية الشرقية، وذلك بعد فتح مدينة خوست فى العام التالى 1991م.

□ □ □

الثلاثاء 11 سبتمبر 1990 (اليوم الأول للمطار الجديد)
كانت معركة الليلة الماضية عنيفة لدرجة جعلتنى واثقاً أن "المطار الجديد" مجرد خدعة، وأنه

غير ممكن التنفيذ، وإلا ماوضع العدو كل هذا المجهود الضخم، وتحمل كل هذه الخسائر الفادحة لمجرد تفريغ عدد محدود من طائرات الإمدادات.
فإن كان "المطار الجديد" غير ممكن الإنشاء فأمام العدو أحد حلين:
الأول: هو أن يقتلعنا بالقوه ويسكت مصادر نيراننا ،أى يدمر راجماتنا وترصدنا.
الثانى: هو أن يستسلم ويوقف القتال.
ولكن العنف والإصرار اللذين أبداها العدو بالأمس تدل أنه سوف يقاوم إلى النهاية، وكان علّينا أن أجهز مجموعاتنا لمواجهة عصيبة هذه الليلة وما يليها، فما كان العدو أن يتحمل خسائر كل هذا العدد من الطائرات ،أربعة عشر طائرة على الأقل فى فترة تقل عن شهر، لو أنه كان ينوي الإستسلام أو كان ينوى الإنتقال إلى مطار آخر.
ـ بدأنا من الصباح الباكر عملية قصف ضد "ورشه إصلاح الطائرات" وهو مشروع أجلناه فى البداية لضيق ذات اليد وقلة الذخائر.
أما الآن وبعد وصول شحنة صواريخ أبو إسلام، فيمكننا تنفيذ الفكرة، حسب إعتقادى فقد تصورت أن هناك ورشة ذات كفاءه لابأس بها تمكنت من إصلاح أعطاب طائرتين على الأقل فتمكنتا من مغادرة المطار نحو كابول.
مكان هذه الورشة بعد ملاحظة طويلة كان غرفة تحت الأرض لاحظنا خروج عدد من الجنود منها قرب الظهر عبروا المدرج نحو بيوت ومنشآت حكومية تابعة للمطار وعلى حافته الشمالية بدأنا بتوجيه نيران مركزنا" رقم 3 / أبو العباس" نحو تلك الغرفة، وبعد رماية عشر قذائف كانت ثلاث منها فقط جيدة أوقفت الرمايه لكون الراجمة سلاح غير دقيق وغير مناسب لمهام كهذه.
بعد الفتح وعند زيارتي للمطار كان ماتصورته ورشة إصلاح لم يكن سوى موقع دفاعى حصين جداً، ولم أجد أثر لأى ورشه إصلاح، فقد كان المجاهدون وسارقى الغنائم قد"كنسوا" كل شئ، ولم يتركوا حتى أخشاب المبانى من أبواب ونوافذ، وأحياناً الأحجار وحديد التسليح □□□
أجلت زياره كنت أزمع القيام بها لحقانى للإتفاق معه على برنامجنا"العربى" فى ثنايا برنامجهم الواسع القادم.
طالبت من أبو زيد وأبو الشهيد الإسراع بتجهيز الراجمات والمواقع لإشتباك كبير هذه الليلة، فعمل أبو زيد فى إصلاح بعض الأعطال الفنية فى الراجمات، بينما أبو الشهيد أعاد تموين المراكز بالذخائر والطعام، وحل أى مشاكل أخرى يجدها عندهم.
ـ صدق العدو ظنى وبدأ من أول الليل بهجوم جوى عنيف إستخدم فيه مره أخرى كميات هائلة من القنابل العنقودية، ثم ظهر فى الجو صوت أكثر من"جاموسة" فأيقنت أنها محاولة هبوط فى المطار.
التصنت اللاسلكى عند عبدالعزيز أبلغنا أن الطيارين يتحدثون عن هبوط إلى المطار. أعلنا حالة الإستعداد ثم بدأنا الرماية من جميع الراجمات دفعة واحدة. ولكن صوت الطائرات إبتعد ثم هبطت. . ولكن فى المطار الجديد !!.
كانت مفاجأه غير سارة. وشعرت للحظة أننا أصبحنا فى أجازة ولاقيمة لنا. معنويات المتواجدين حولى أصبحت سيئة.
طلبنا من الجميع التوقف عن الرماية ، ولكنا لم نجب عن تساؤلاتهم حول الوضع عندنا، فقد

كانوا يسمعون صوت هدير الطائرات المتتابعة، ثم أخبرناهم أن العدو يستخدم الآن المطار الجديد فإسترجعوا بأصوات حزينة.
قضى إبراهيم بقية الليل فى حديث مع ترصد تورغار، فيتلقى منه معلومات لم يعد لها قيمة لنا أما العدو فواصل ضدنا قصفه الجوى العنيف بلا مبرر، فليس لدينا أدنى قدرة على إصابة مدرج مطاره الجديد. ورغم كل ذلك، وربما بسبب كل ذلك، رحت فى نوم عميق كعادتى كلما أصابنى غم شديد.

□□□□

إنتصار فى حلاوة العلقم

الأربعاء 12 سبتمبر 1990

هذا هو اليوم الأول الذى أصبح فيه إسم مطارنا العتيد هو "المطار القديم" ذلك بعد ظهور ما يسمى "المطار الجديد" الذى تحولت إليه الأنظار والأفكار. فنظرت إلى مدرج "مطارنا القديم" وهو يلمع كعادته وقد تناثر حوله الحطام، فشعرت بشئ من الرثاء، من ذلك النوع الذى شعر به محارب صرع قرينه فأصبح ممدداً تحت قدميه، ورغم العداء فإنه يشعر تجاهه بالأسف والاحترام، على الأقل لكونه عدواً صلباً باسلاً.
لقد إنتهت اليوم ست سنوات من العداء بيننا وبين ذلك العملاق اللامع الممدد، والذى نزف حتى الموت حطام طائرات وجثث جنود، وأطنان ذخائر إنفجرت داخل صناديقها.
ـ لم أنس ولو للحظة واحدة عملياتنا الأولى والبدائية ضد ذلك المطار، ولم نكن نطال يومها غير حافته الشرقية، حيث عملت "راجمة عثمان/ رقم 9"، ولم نكن نستطيع أن نرمى أكثر من صاروخين فى اليوم الواحد، ولكننا كنا نتمكن من إغلاقه أما لعدة ساعات أو ليوم كامل.
أيامها كنا نضحك كثيراً كأطفال تلهو. ويشدو عبد الرحمن بنداءات الباعة المتجولين فى حوارى الاسكندرية "حلاوه يابو اسماعين حلاوه" يقولها وهو ينظر إلى المدرج اللامع وقد صار قفراً بعد أن أرعب صاروخنا اليتيم كل من فيه من جنود ومنع الطائرات من إرتياده.
(ماذا لو كان عبد الرحمن معنا الآن؟) رددت نفس السؤال للمره المليون. ماذا لو رأى هذا العملاق وقد أجهزنا عليه بألف ومئتى صاروخ دفعة واحدة. هى مجموع ما إستخدمناه فى عمليتنا هذه "مشروع المطار"؟.
فى ذلك العام البعيد 1985 "رمضان 1405هـ" كنا نعود إلى معسكرنا بعد العصر منهكى الأجساد، لكن أرواحنا تشع قوة وحيوية، ونحن مازلنا نشدو بأغانى "أوبريت الليلة الكبيرة"، وقد حولناها إلى موضوع المطار، وأصداء الأهازيج ترددها معنا الجبال "قبه سيدنا الوالى دول نوروها.. محلا الصواريخ لما يطيروها".
مع عبدالرحمن كانت الحرب لعبة من ألعاب الطفولة، لعبة مليئة بالدهشة والمرح، مع روحانات دينية عالية ومتفائلة.
فى هذا العام تحديداً كانت إنتصارات المجاهدين أشمل وأكبر ولكن الحزن أصبح هو المزاج العام. ننتصر بحزن ونفرح بحزن ونضحك بحزن، نبكى ونقنت، نبكى ونسجد شكراً. . وهكذا. ليس هناك سبب وحيد لهذا التغير، ولكن هناك سبب جوهرى، وهو كثرة الأحبة الذين فقدناهم، وفقدنا معهم القدرة على الإحساس الحقيقى بالفرح وربما أيضاً بالألم.
ليس صعباً فى الحرب أن يكون الرجل شجاعاً، ولكن من الصعب أن يحافظ على حيوية

مشاعره وإنسانيتها، فلا يصبح صلداً مثل لوح من الصلب البارد. وإعتقد أن القرآن هو الدواء الوحيد الذى يحافظ على مادة النفس البشرية من ذلك الإنحراف.
→ جلست خلف المنظار المقرب ذو الحامل المعدنى وأنا أحملق فى المدرج، ثم صحت بمرارة "حلاوه يابو إسماعين حلاوه".
ولم يكن ممكناً أن أضحك مثل الأيام الخوالى، ولكننى رحت أفكر فى إحتمالات أخرى لما أشاهده أمام ناظرى.
هل يمكن أن يعود العدو إلى إستخدام المطار هذه الليله؟ ألا يمكن ان تكون صحيحة المعلومة التى وصلت حقانى من أن المعدات فى المدينة لا تكفى لدك المدرج بحيث يتحمل الطائرات الثقيلة، فإذا كانت الطائرات التى هبطت تلك الليلة قد أتلفت المدرج الهش، فلا شك أن العدو سيهبط فى مطارنا "القديم" فى الليلة القادمة.
كانت الفكرة معقولة، فأخذت الإحتياطات العادية للإشتباكات القوية التى تعودنا عليها.
ـ قال حاجى إبراهيم أنه أحصى أثنى عشر طائرة هبطت ليلة أمس،بينما قالت باقى نقاط الترصد أنها أحصت مابين سبعة إلى ثمانية طائرات فقط .على كل حال فإن متانة المدرج مازالت بالنسبه لى ، موضع تساؤل.
توجهت الى المركزالرئيسى "أبو العباس" وإجتمعت مع الشباب هناك وشرحت لهم أن معيار النجاح والفشل بالنسبة لأى مهمة عسكرية هو مدى تحقيقها للهدف الذى تحركت العملية من أجله. ونحن فى مشروع المطار تحركنا بهدف إغلاق المطار، وهو ماتم تحقيقه حرفياً وبهذا تكون عمليتنا قد نجحت بنسبة مئة بالمئة ـ وأهم من ذلك هوفضل ا علينا بأن خرجت كل مجموعاتنا سالمة من المعركة، وبدون شهيد أو جريح واحد، وهو ما لم نكن نتصوره .
تحسنت معنويات الشباب قليلاً. فحدثتهم عن إحتمال حدوث إشتباك ليلى عنيف، يجب أن نتجهز له. ثم غادرت المركز صوب مركز خليل محاولاً أن أحادث حقانى حول أجراءات مواجهة "المطار الجديد" والعمليات الأرضية الأخرى ودور العرب فيها، كان حقانى فى ميرانشاه، ولكن قابلنا سيارة جماعه منان "الكوتشى" وكان بها إبن أخته "باتشا دينا" الذى نزل من سيارته مسرعاً كى يصافحنى بحرارة، وكذلك فعل باقى أفراد المجموعة، ومعظمهم من الأفراد القدماء الذين عملنا معهم فى عهد عبدالرحمن الشهيد.
كان "باتشا دينا" سعيداً خفيف الحركة، عرفت السبب عندما سحبنى نحو سيارته وأشار إلى صندوقها الخلفى حيث يرقد صاروخ ستنجر فى وعائه الضخم، وقال أنه سيطلقه الليلة على الطائرات الهابطة في المطار الجديد، أسعدنى سماع ذلك وقلت له أننى سوف ألغى سفرى إلى ميرانشاه وأرابط فوق جبل الترصد منتظراً عمله ذاك وسوف نكون على إتصال لاسلكى معه، وكان الإتصال اللاسلكى مع مجموعة منان يسيراً للغاية فقد كان العدو والصديق يعرف أن عليه أن يملأ شاشه الجهاز بالرقم "4" ثم يناوى عليهم فيجدهم فى الإنتظار دوماً.
تم الإتفاق بينه وبين حاجى إبراهيم على مسألة الإتصال.
توجهنا بسيارتنا نحو مركز الترصد اللاسلكى فوجدنا "فضل" و"خليل" شقيق حقانى عائدين من هناك، وقد أزدحمت السيارة بالمجاهدين فسألت خليل عده أسئلة متتابعة مثل:
هل أرسلتم مدفعية أو دبابات لضرب المطار الجديد؟
هل لديك مدفعية أو دبابات لضرب المطار الجديد؟

هل لديك مدفعية أو دبابة جاهزه للعمل؟
هل لديك صواريخ "صقر 30" مع راجمة؟
هل هناك برنامج للعمل ضد المطار هذه الليلة؟
هذه الأسئلة أجاب عنها جميعاً بكلمة "نشته"وتعنى "لا".
ولم يزد عليها حرفاً، كاد ذلك أن يفقدنى صوابى فتركناهم ينصرفون وأخذ حاجى إبراهيم يضحك من غضبى ومن إجابات خليل اللامبالية.
ـ عدنا إلى مركز "أبوالعباس" قرب العصر وصعدت مباشرة مع إبراهيم إلى الترصد.
كان أبوزيد يتولى قيادة نقطة الترصد، وفور وصولى طالب بنقل أبوحامد من الترصد لأنه أغضب باقى الزملاء بتعامله الجاف. كان أبوحامد يطمع فى مساندتى له نظراً لعلاقتنا الطيبة. ولكننى أيدت طلب أبوزيد على الفور بصفته قائده المباشر.
أغضب ذلك أبوحامد ولكنه نفذ الأمر بإنضباط وأدب وتحول إلى مركز(دروزجى/ رقم 9) فذهب إلى هناك سيراً على الأقدام. ذهب أبو زيد إلى مركز أبو العباس وحل مكانه أبو تميم، وجماعة من مركز العباس ، حسب برنامج التبادل على موقع الترصد "السياحى" كما أسميته.
كنت مرهقاً للغاية، فنمت بعد العشاء فى مكانى المعتاد قرب منظار الترصد، بينما الشباب قد تحلقوا خلف المنظار وقد طار منهم النوم، ترقبا لما سيحدث فى هذه الليلة.
قبل التاسعة ليلاً بقليل بدأ "البرنامج". بدأت الطائرات النفاثة تقصف ولكن بعيداً عنا للغاية.
وأكثر القصف كان على أماكن قد تشكل خطورة على المطار الجديد، ولسنا ضمن ذلك المجال بأى حال، كان إهمال العدو لنا مؤلماً للنفس. . بل مهيناً.
ثم بدأ الطائرات تهبط بكثرة فى المطار الجديد، كنا نحملق فى السماء صوب ذلك المطار فى إنتظار صاروخ "بتشادينا"، طلبنا من إبراهيم الإتصال به للإطمئنان عما حدث، فأجابه بأن لديه مشكلة فنية فى الصاروخ وسوف يحاول حلها بعد قليل، طال الإنتظار فأنصرفنا عن المتابعة ماعدا حاجى إبراهيم الذى قال أنه شاهد وميضاً فى السماء جهة المطار الجديد، ومالبث أن أتصل بنا "بتشا دينا" قائلاً أنه قد أسقط طائرة نقل عسكرية، كبر الشباب فرحين.
وصلتنا مخابرة من مركز أبو العباس تفيد بوصول شاحنتين تنقلان صواريخ لعمليتنا، كان خبراً ساخراً فقد أنتهى مشروعنا فعلاً، وفرض الواقع مشاريع جديدة تنتظر التنفيذ.
::::::::: :::::::::::: ::::::::::: :::::::::::

الخميس 13 سبتمر 1990
هبطت الجبل منفرداً متوجهاً صوب "أبو العباس"، وقد تزاحمت فى صدرى أحاسيس متناقضة بعضها مبهم.
ولكن شعرت أننى "خالى شغل"، لقد إنجزت المهمة لكن ليست فى الإطار العام الذى تصورته، إطار فتح المدينة فمازالت خوست صامدة بعناد فى وجوهنا . ثم جاءنا "مطار جديد" نجهله ويجهلنا.
وما كدت أهبط قليلاً حتى صادفنى مجموعه من ثلاثه رجال يقودهم رجل فتى نشيط، بادرنى الحديث باللغة العربية المهجنة ـ والتى موطنها دول الخليج العربية ـ فسألنى هل هنا ترصد العرب؟ . شعرت فوراً أنه جاسوس "ولم أكن مخطئا" ـ فسألته: من أنت؟، فأجاب ضاحكاً وبكل ثقة أنه من جماعة مالى خان، وقد أرسله إلى هذا الجبل لمعاينة موقع المطار الجديد.
يتابع هذه القصة أبوزيد الذى صعد الجبل بعد هبوطى منه بقليل، وقابل نفس المجموعة، وقد

وجد فى نفسه ريبة كبيرة تجاهم، ثم بعد قليل غادروا الموقع. وبعد حوالى ساعة جاءت طائرة نفاثه وضربت (نقطة الترصد) بصاروخ هو الأسوأ من نوعه فى كل العملية، إذا كان قريباً جداً وكاد أن يهلك كامل المجموعة. وربط أبو زيد ـ وكذلك فعلت أيضاً ـ بين تلك الزيارة المشبوهة وبين ذلك الصاروخ القاتل. والطريف أن نفس القصة ـ بحذافيرها تقريباً ـ تكررت معنا فى عملنا ضد المطار الجديد ضمن الهجوم العام الذى تكلل بفتح المدينة.

فى مركز ابو العباس الجميع ـ تقريباً ـ صائمون. والمتيقظ منهم منهمك فى قراءه القرآن، لم يكن مناسباً أن أجمعهم الآن للحديث، فتركتهم إلى مركز "عثمان" فى دروازجى وقد أصطحبنى أبو أمامة فى سيارة المركز وقد تمكنت هناك من الحديث بالآتى:

→ أن " مشروع المطار" قد حقق هدفه كاملاً ، أى أن نجاحه كان تاماً.

→ من السهل ضرب العدو وإغلاق "المطار الجديد" رغم أن المجاهدين يتحملون مسئولية عدم التصدى المبكر لعملية إنشاء المطار كما إقترحنا عليهم فى حينها.

إنشاء المطار فى الزاوية الشمالية الشرقية من الوادى فتح مجالات جديدة وهامة، كان المجاهدون يتغافلون عنها وهى مجالات الجبة الشرقية، وجبال الشمال حيث قبائل منجل.

إن العدو قد يناور بإستخدام المطارين معاً بحيث يشتت مجهود المجاهدين فى التصدى لطائراته. لذا علينا إبقاء قوة نيران كافية على "المطار القديم" تمنعه من إستخدامه إلى أن يتم إغلاق المطار الجديد أيضاً.

وبما أن هذه عملية مكلفة، وإيضاً تستدعى مجهود دائم ليلاً ونهاراً فنحن نفكر فى إستخدام مدفع شلكا المضاد للطائرات لتغطية أرض المطار القديم بالنيران قليله التكلفة والغريزة جداً.

والمشكلة هى حماية الشلكا من قصف الطائرات ورمايات المدفعية. فلابد من تحصين "الشلكا" جيداً والعناية بإختيار مكان مناسب لها.كذلك سوف نسعى لتنفيذ عمليات محدودة ضد "البوسطات" المواجهة لنا بهدف تدمير دبابتين هناك، وجذب قوات العدو إلى تلك المنطقة بما يتيح فرصة أفضل لتقديم المجاهدين فى عملياتهم الوشيكة فى غرب الوادى وجنوبه.

لم تكن إستجابة الشباب كبيرة، ربما بسبب الصوم والرغبة فى النوم ، وربما بسبب حداثة عهدهم بالمنطقة وبالعمل العسكرى عموماً.

طلبت من أبو أمامه أن يرجع بالسيارة إلى أبو العباس، لأننى سوف أتوجه عبر الجبال إلى مركز "أبو الأهوال/ رقم 5"

ـ طلب بعضهم بتكاسل أن يصحبنى فى رحلتي لكننى رفضت وسرت منفرداً .

عاودنى من جديد شعورى القديم بأول يوم من أيام أجازة أخر العام. وفى منطقة مدهشة مثل هذه،مجهولة على سطح الأرض، ورائعه الجمال، يكون السير فى خط مستقيم مستحيلاً، فهناك الكثير الذى يجذب إهتمامي ويستوجب الفحص الدقيق، هناك زهرة ما، أونبتة غريبة أو حفرة وصغيرة لحيوان مجهول، أو جدول ماء صغير أسفل جرف وعر من الصخور الصلبة، ثم هناك حفر كبيرة وصغيرة لقذائف مدفعية وطائرات ضلت طريقها فإكتشفت هذا العام الساحر ، فأبت إلا أن تخربه. ولكن أكثر تلك الحفر قد نبتت فيه أعشاب خضراء وزهور ملونة، وكأنها تسخر من حماقة الإنسان وطيشه.

فى مثل هذه الأجواء السحرية، الخالية من البشر ممكن أن يعود كهلاً مثلى إلى عالم الطفولة. ولكنها تجربة قصيرة على أية حال، ومهما حاولت إطالة وقت الرحلة، فإننى وصلت إلى

مشارف العسكر، فتصنعت الجدية.
وتركت خلفى حلمى القصير الجميل، فيجب أن أحدث هؤلاء الشباب عن عالم الموت والشهادة، فالمعركة مازالت مستمرة.
فى مركز "أبو الأهوال" كان معظم الشباب نائمين، بسبب الصيام أيضاً.
إجتمعت مع المستيقظين منهم وعلى رأسهم محب ا وأبا أنس وكررت على مسامعهم ماذكرته فى " المركز رقم 9"،كانت الإستجابة أفضل من المركز السابق. وبما أن المجموعة كلها مرتبطة مع أبو الحارث فقد عرضت عليهم أن يقرروا بحرية إما البقاء لإستكمال البرامج الجديد أو العودة إلى قاعدة أبو الحارث، وأننى سأبحث الأمرمعه فى أول لقاء ، فوعدونى بإعطائى الرد مساء اليوم.
ـ ودعتهم متوجهاً إلى مركز أبو العباس، ورفضت أن يصاحبنى منهم أحد ،ولم يكن عرضهم جدياً . ولكن أسعدنى الإستمتاع بدقائق إضافية من "إجازة آخر العام"، فواصلت الإستكشافات المدهشة بين أحضان تلك الطبيعية المنسية.
ـ فى معسكر أبو العباس عقدت مؤتمراً للشباب كررت فيه للمرة الثالثة توصيف الوضع الراهن للموقف العسكرى و"مشروع المطار" الذى أصبح" قديماً"، والعوامل التى أدت إلى نجاح المشروع والخطوات المطلوب إتخاذها من الآن فصاعداً. ودور العرب المفترض فى كل ذلك.
أثناء الحديث وصل "باتشا دينا" فى زيارة غير متوقعة. فرحبت به أفضل ترحيب ممكن، وقدمته للشباب على أنه إبن أخت الشهيد منان بطل العالم فى إسقاط الطائرات بصواريخ ستنجر ، وتلك حقيقة حسب متابعاتى الخاصة.
وأن هذا الشاب "باتشا دينا" هو أيضاً صاحب رقم قياسى فى نفس المضمار.
كما أنه أسقط بالأمس طائرة شحن عسكرية فى المطار الجديد وهى أول أصابة فى ذلك المطار ، كان سرور الشباب عظيماً بهذا الضيف الفريد.
بدأ " بتشا دينا" بشرح لنا الموقف عند المطار الجديد وكان مما قاله:
- إن الزيكوياك أو الشلكا سيكوننا مؤثران ضد المطار لأن المسافة قريبة.
- مواضع مدفعية المجاهدين على إستقامة المطار فلا تخطئ الهدف.
- أنهم لايخشون تقدم العدو فى المنطقه لأن لديهم قوة كافية لصده.
- أن لديهم برنامج لحفر مغارات جديدة وبئر ماء، فوعدته أن نساعده فى تكاليفه.
النقاط الأربع الماضية كان لها دخل كبير فى برنامجنا الرئيسى القادم للعمل ضد المطار الجديد فالبند الأول وجدنا نصفه صحيحاً وهو أن الشلكا يمكن أن تكون مؤثرة.وقد إصطحبنا معنا ذلك السلاح إلى هناك بعد عدة أشهر ـ والبند الثانى صحيح ولكن ليس بشكل مطلق وسوف نجد فيما بعد أنها ميزة وعيب ومشكلة فى آن واحد.
أما البند الثالث وهو عدم خشيتة تقدم العدو، فسوف نرى فى كتابنا القادم أن ذلك الإحتمال كان همنا الأكبر وأن التقدم كان ممكنا ولم يكن هناك أن قوة للمجاهدين كافية أو حتى ترغب فى صده عن منطقة الشرق شبه الخالية إلا من المنافقين وقليل من المجاهدين.
البند الرابع عن الحفريات،وقد ساهمنا فيه بقوة وكان نافعاً جداً.
بعد الغداء وصلاة الظهر غادرت مع حاجى إبراهيم إلى ميرانشاه لمقابلة حقانى.
وغادر معنا أبو إبراهيم اليمنى لتجهيز مهام العمليات القادمة من خلال القاعدة والمعسكرات

التابعه لها، وغادر أبوحامد فى أجازة غير محدده ،سببها الغضب من إستبعاده فى الترصد
ـ أبو الشهيد فى إجازة "يومين، ثلاثة" لكتابة رسائل إلى الأهل أظنها كانت رسائله الأخيرة
إليهم، فقد إستشهد بعد عودته ـ وقد ظل فى الطريق يحدثنى عن أهله وزيارته الأخيرة لهم،
وظهر فى حديثه أنه من أسرة مترابطة دافئة العلاقات.
عند نقطةغلام خان الحدودية ضايقنا التفتيش كثيراً، وكان سائقنا أبوأمامه الجزائرى خشنا معهم
فى المقابل. فى الطريق قابلتنا شاحنة تحمل ذخائر جديدة لنا !!!. بادرنا السائق، وكان عربياً،
بالشكوى من أبو النور معلناً أنه لن يعمل معه بعد ذلك.
فى ميرانشاه كان أبو النور وصل إلى مرحلة الإنفجار، فهو يريد تسليم عهدته وأخذ أجازة
لمدة عشر أيام . دبرت مع أبو الشهيد عملية تسليم عهدة أبو النورإلى بيت العرب القريب على
إعتبار أن "مشروع المطار" قد إنتهى فعلاً، ولم يتم الإتفاق مع القاعدة عل الإستمرارية فى
مشروع جديد. وغادرنا أبو النور بعد أن أدى مهمته "الجهادية" الأولى والأخيرة إلى أن عمل
ـ أو تم إكتشاف عمله ـ مع المخابرات المصرية.
حاولت مقابلة حقانى لكنه كان فى إسلام آباد، فشعرت بخيبه أمل، ثم علمت أن هناك رجلان
من السعوديه كانا يسألان عنى فى مضافة حقانى ومعهما صورة لى، ويسألون جماعة حقانى:
هل تعرفون هذا الشخص؟ . . أين هو الآن؟ . . وماذا يفعل؟.. إلخ إلخ
إدهشنى ذلك التصرف فكل جماعه حقانى يعرفوننى شخصياً وباسمى الحقيقى "مصطفى حامد"
ولا إعتبار عندهم لكنية "أبو الوليد" والجميع ، وقتها بشكل خاص، كانوا يعلمون بعملنا
ضد المطار. إكتفيت بالدهشة وقتها، ولكن فى وقت لاحق علمت أنها رسالة تهديد، فكانوا
يعلمون أن عملية التحرى عنى سوف أعلمها وأن ذلك سوف يخيفنى، وهو ما لم يحدث.
ولكن أحداثنا غريبه حدثت فيما بعد أهمها كان فى اليوم السابق حين تهجم على بيتنا شاب
من متعاطى الهيروين، وكان يسكن ضمن بيوت قريبه منا، حاولت بعدها جاهداً البحث عنه،
ولكن حدث تعاون جماعى فى المنطقه لإخفائه.
وقد تورط فى ذلك جماعة المكتب الثقافى "الفرهنجى" التابعون لحقانى، وهو ما أثار غضبى،
ثم أذعنت فى النهاية وتوقفت عن البحث نظراً لظروف حقانى والظروف العامة سواء للعرب
أو العمليات الدائرة فى الجبهة.
ولم أعلم وقتها أن أبوالحارث هو أيضاً تلقى تهديدات مكشوفة وخطرة من المخابرات السعودية
فقد زاره بعض جهابزتها فى قاعدته فى خوست، وهددوه إذا لم يغلق مركزه هذا ويترك
الشباب يعودون إلى بلادهم، وإلا فإنهم "سوف يتصرفون"!!!.
وتعرض أبو الحارث لضغوط شديدة من مكتب الخدمات ، الذى يسيطر عليه الإخوان
المسلمون ، وإشاعات أطلقوها عليه وإتهامات، مع حصار مالى، لإرغامه على الانصراف
عن أفغانسان.
وكانت تلك الضغوط السعودية الأخوانية المشتركة هى خير دليل على أهمية جماعة أبو
الحارث وخطورة العمل العسكرى العربى فى خوست التى توشك أن تغير الموازين العسكرية
والسياسية للصراع فى أفغانستان.
بينما لم تعانى المجموعات العربية فى جلال آباد مثلاً، أو فى أى مكان آخر مثل تلك الضغوط
الشديدة، بل أن كثيراً منها كان يتلقى معونات مباشرة وغير مباشرة، لا لشئ إلا لكونها تعمل

بطريقة خاطئة فى أماكن خاطئة.

....

الجمعة 14 سبتمر 1990

حاجى إبراهيم ، شقيق حقانى، أبلغنى رسالة تلفونية صادرة من حقانى يطالبنى فيها بنقل الراجمات والأفراد إلى منطقة المطار الجديد وأبلغنى إبراهيم أيضاً أن مجبور سينقل راجمته إلى المنطقة الشرقية.

شعرت بالإمتعاض لتفريغ المنطقة من قوة الراجمات المخصصه للمطار ـ أى تفكيك قوة نيران مشروع المطار ـ لأن العدو سرعان مايعاود إستخدام "المطار القديم" كنت أرى تثبيت قوة نيران كافية لحراسة المطار القديم ـ ثم إنشاء قوة جديدة خاصة بالمطار الجديد.

ورغم الصعوبة والتكاليف فإن ذلك كان الحل الوحيد كما أظن حتى لايتلاعب بنا العدو، ونظل نركض يوماً هنا ويوماً هناك.

لم أجد فائدة فى شرح ذلك لغير حقانى شخصياً، وكان جولاب قد أخطرنا بأنه سوف يسحب راجمته من عندنا كى يستخدمها ضد المطار الجديد.

قضيت وقتاً طويلاً هذا اليوم للبحث عن دعائم حديدية مناسبة لبناء "وكر الشلكا" وهو الحصن الذى أسعى لوضع ذلك المدفع بداخله.

كنت أتصور الحصن عبارة عن حفرة ذات ثلاث جوانب من الصخر،وسطح ذو دعائم حديدية مضاعفة وأمتار من الرمال والأحجار من فوقه، مع فوهة رماية محدوده الإتساع ومموهة.

لم يكن الحديد المتوافر فى ميرانشاه مناسباً وكان لابد من اللحام لضم كل عدة قطع سوياً حتى تكتسب قوة ملائمة.

ـ زارنى الدكتور خالد وزميل له من مستشفى ميرانشاه، ومعهما يوسف حمدان مدير هيئة الإغاثة الإسلامية الذى جاء ليشرف على المفاوضات مع حقانى بشأن المستشفى المذكور، وكانوا يطلبون وساطتى فى الموضوع.

ـ أبو شداد المصرى هو الآخر يطلب وساطتى ، وذلك منذ شهرين، بهدف إنشاء مركز تدريب على تصنيع المتفجرات، وتدريب بعض أصدقائه الخاصين عليها. وكان يطمح إلى إقامة مصنع صغير لإنتاج المتفجرات فى قاعدة جاور.

لم يكن إنشاء المصنع ممكناً، كما أنه لم يعمل طويلاً فى مركزه التدريبى .عند عودته إلى مصر ألقى القبض عليه، فأعلن توبته وظل يظهر عى شاشه التلفزيون كى يهاجم قيادات "الجهاد الإسلامى" ويفضح أسرار زملائه.

....

السبت 15 سبتمبر 1990

وصلنا صباحاً مولوى "سيف الرحمن" مسئول المشتريات العسكرية لدى حقانى، كى يبلغنا أن حقانى قد عاد إلى بيته ويقول حقانى أن هناك كميات كبيرة من الذخائر معروضة للبيع فى "جاجى" وبأسعار جيدة وتشمل الصفقه صواريخ كاتيوشا وهاونات وقذائف مدفع82مليمتر عديم الإرتداد. فقلت له أننى سوف أتشاور فى ذلك مع العرب فى بشاور.

ذهبت إلى لقاء حقانى فى بيته حيث طلب تأجيل بحث موضوع المستشفى حتى يتشاور فيه مع نائبه مولوى نظام الدين فى مساء هذا اليوم.

وكان نظام الدين فى زيارة للسعودية ضمن وفد أفغانى ضخم حيث حضروا مؤتمراً إسلامياً

برعاية حكومة "المملكه" هدفه أعطاء موافقة إسلامية عامة على إحتلال إمريكا لجزيرة العرب لحمايتها من تهديدات صدام حسين الذى إحتل الكويت الشهر الماضى.
 وافق حقانى على إعطائنا مدفع الشلكا، وطلب منا أن نرتب نيران المجاهدين ضد "المطار الجديد" وقال: (إننا لانفرح بأخذنا المطار القديم ثم نترك العدو فى المطار الجديد).
ثم طلب أن تكون راجمات جولاب وغيرها تحت تصرفنا وأنه ، أى حقانى سوف يمدنا بالذخائر اللازمة، وطلب أن نذهب إلى بارى لنجتمع مع" د. نصرت ا " وباقى الكومندانات لبحث الموضوع والترتيبات اللازمة لتنفيذ تلك التوجيهات.
بالفعل توجهنا على الفور إلى مركز خليل فى بارى كى نعلم أن الإجتماع لم يعقد لأنه من بين 18 كومونداان حضر خمسة فقط.
قررنا العودة فى سيارة بالأجرة، لأن سيارتنا سوف تبقى فى مركز "أبو العباس" وكان ترصدنا مازال يعمل، والعدو متوقف عن إستخدام المطار القديم، ويستخدم يومياً "مطاره الجديد".
فى سياره الأجره ، من نوع البيك آب طبعاً ، جلس حاجى إبراهيم إلى جوار السائق، كى "يتسلى" معه بالحديث أثناء الطريق، وكان الحديث عبارة عن تفاصيل مافعلناه فى مشروع المطار!!! كدت أنفجر غيظاً لولا علمى أن العملية قد مضت وأنتهت، وأن ما يقوم به حاجى إبراهيم هو عادة شعبية أصيلة لاغنى عنها لأولاد البلد.
....

الأحد 16 سبتمر 1990

كان الجفاء مكتوماً بيننا ، جماعة المجلة العربية وهي نفسها جماعة مشروع المطار، وبين جماعة المكتب الثقافى "الفرهنجى" الذى مازلنا نشكل أحد أجزائه المنفصلة. شواهد عديدة أكدت أن الشخص الذى تهجم ظهراً على بيتى فى ميرانشاه وكاد أن يخنق أبنى الصغير عبدا الذى تصدى له بشجاعة،هذا الشخص شوهد مرات عديدة فى مكتب "الفرهنجى".
منذ الأمس وضيوف أوروبيون فى الطابق العلوى ، رجالاً ونساء ، يشاهدون أفلام فيديو عن معارك المجاهدين فى المنطقة.
لم يخبرنا أحد عن هؤلاء، ولكن منظرهم أثار إستيائى. على الأقل لكون هذه المخلوقات البيضاء أصبحت معادية لنا بشكل مكشوف، ويعملون بلا هوادة لإجهاض مسيرة الجهاد فى أفغانسان، قبل خطوات قليلة من بلوغها الهدف. كانت المخلوقات البيضاء تتصرف بلا تكلف وكأنهم فى بيوتهم.
وحتى صباح اليوم مازلوا متواجدن بالطابق العلوى، والنساء يتشمسن فى الساحة الضيقة المواجهة لصف الغرف العلوية والمطلة على حديقة البيت السفلية، لم يخبرنا أحد: من هؤلاء؟ أو الهدف فى زيارتهم؟ بل بذلوا جهوداً للتعتيم والتمويه علينا.
← أصطحبت حاجى إبراهيم إلى بيت حقانى وفى الطريق قابلنا "مجبور" جارنا وشريكنا فى عمليات المطار، وقال أنه سينقل مدفعه الهاون عيار 120 مليمتر إلى منطقه "شين كاى" الشرقية لضرب المطار الجديد من هناك. وطلب بعض المساعات فيما يختص بحفريات جديدة هناك مع جهاز لاسلكى صغير وميكروفون يدوى. وعدته بمساعدته فى الحفريات عن طريق العرب أما المطالب الأخرى، فنحن نعانى من نقص فى أجهزةاللاسلكى الصغيرة.
ـ قبل وصولنا إلى بيت حقانى رأينا الزوار يتوافدون لتحيه الشيخ نظام الدين الذى عاد مؤخراً من السعودية، فتوجهت مع حاجى إبراهيم لإلقاء السلام عليه. وكنت شغوفاً بمعرفة

رأيه فيما جرى فى السعودية من إستجلاب القوات الأمريكية لحمايتها من العراق على حد زعم الدعايات الصادرة من هناك وقتها.
كان "نظام الدين" معروفاً بصرامته الفقهية لذا توقعت سماع آراء تسعدنى. قدم لنا الشيخ بعضاً من ماء زمزم وتمر المدينة المنورة.
إمتلأت الغرفة الصغيرة بالزوار، ثم جلست إلى جواره وسألته عن رأيه فيما حدث فى السعودية والخليج، فكانت أجابته صدمة غير متوقعة بالنسبه لى. فقد قال: إن قدوم الأمريكان والأوروبيين إلى السعودية جائز بشروط ـ لم تتوفر ـ ولكن بما أن صدام يعمل مع روسيا فلا بد من وجود أمريكا !!! ولكنها ستخرج !!! ثم أضاف أن كل العلماء من مختلف بلاد المسلمين قد أفتوا بجواز ما حدث من إستعانة بجيوش أمريكا والغرب !!!
حاولت مجادلته بالقول أن أمريكا لم تحضر إلى أفغانستان لمقاومة الإتحاد السوفيتى الذى هو أقوى من صدام حسين فلماذا ذهبت إلى السعوديه؟. ولماذا لم يطالب شعب أفغانستان بحضور قوات أمريكية، بينما طالبت السعودية بذلك؟.
فأجاب أن حكومة السعودية مقصرة، ولكن هذا ما حدث، والأمريكان سوف يخرجون قريباً.
ودعته وخرجت وأنا مصدوم ومتعجب من قدرة حكومة السعودية التى إستطاعت "برمجة" رجل بمثل صلابة "نظام الدين" حتى صار يهذى بهذا الكلام غير المترابط، لاشك أن للنظام السعودى قدرة تخريب غير عادية فى المجالات السياسية والدين.
فى مضافه حقانى تقابلت مع القادة البارزين وفى جعبتهم أخبار سيئة عن المطار الجديد، فقد هبطت به ليلة أمس ثمان طائرات معظمها يحمل جنود . قال حقانى أن المعلومات التى لديه تقول أن الحكومة عززت قواتها بألف جندى جديد خلال الأيام القليلة من إستخدام المطار، بما يعنى إحتمال قيامهم بهجوم. و قامت الحكومة بقصف رؤوس الجبال فى بارى بالمدفعية الثقيلة وهو ما لم يحدث منذ أربعة أشهر.
ومع ذلك كانت ردود الفعل تجاه المطار الجديد متماوته جداً حتى كدت أشعر باليأس.
كانت ظروف حقانى الخاصة ساحقه، فإستشهاد أخيه إسماعيل كانت كارثه على النطاق الشخصى والعملى لكون إسماعيل واحد من ثلاث محركات فعالة يطلقها حقانى فى مختلف جبهات القتال وهم أخوته الثلاثة إبراهيم وخليل وإسماعيل، لقد فقد ثلث قوته الضاربة بموت إسماعيل، ثم هذه أمه التى تضبط جبهة لاتقل خطورة عن جبهة القتال وهى الجبهه الداخلية المكونة من أسر المجاهدين والشهداء، إلى جانب التحريض الفعال على الجهاد وضبط ومعاقبة أى حالة تخاذل أو ضجر أياً كان مصدرها، فعصاها وكلماتها، وثقلها المعنوى أسلحة ردع جاهزة دوماً وتعمل بلا كلل.
هذه المرأه العظيمه ماتت هى الأخرى فى أعقاب موت إسماعيل.ليس هذا فقط، فالآن إبراهيم يتعرض لنكسة صحية خطيرة. فقد خرج من المستشفى قبل إستكمال علاجه كى يحضر جنازة والدته، ثم لم يعد إلى المستشفى بل تحرك صوب الجبهة للإشراف على عمليات إمداد، فداهمته النكسة، وبدأ يسعل دماً فنقلوه جواً الى المستشفى العسكرى فى روالبندى.
كل هذه أسباب لحالة الضياع التى شاهدت حقانى يعيشهااليوم فكان تائهاً يفتقد التركيز والإشعاع القيادى الجذاب الذى تميز به وحمله إلى الصدارة.
سألته عن البرنامج العسكرى القادم فأجاب:

(لا أدرى ! يقولون أنه قريب ! ومفروض أن يكون من جميع الجهات).
إجاباته وحالته الشاردة زادتا حالة الضياع عندى. شعرت بالحاجة إلى أخذ قسط من الراحة والبقاء مع أسرتى لبعض الوقت. تمنيت أن أجد شخصاً آخر أسلمه تلك التركة التى أزهد فيها. وزاد الطين بله أن "جماعتنا" فى بشاور من قيادات القاعدة مازال قرارهم ضائعاً ومواقفتهم غير محددة.
فى المساء فشلت وساطتى فى موضوع المستشفى، وأمر مولوى نظام الدين أن تكون لهم كامل السلطات الإدارية علية.
أرسلت رساله إلى أبو حفص فى بشاور أقول له فيها:(تم إنجاز المهمة ، أعنى إغلاق المطار القديم ، أرجو إرسال أمير جديد لمركز أبو العباس من طرفكم. سأكون فى بشاور خلال هذا الأسبوع لمناقشة تطورات الوضع معكم).. ثم نمت مبكراً من شدة الغم!.
:::::::::: :::::::::::: ::::::::::::

خيوط مقطوعة

الإثنين 17 سبتمر 1990

أنقل الفقرات التالية بالنص من مذكرتى التى دونت فيها أهم أحداث تلك الأيام، وتحت هذا التاريخ كتبت الآتى:
لا إتصال بيننا وبين "زعماء القاعدة"، هذا الفصل القاتل بين القيادة ومجموعة العمليات، دليل على عدم إهتمام القيادة بالعملية العسكرية، وعدم وصولها إلى قرار حاسم بشأنها، فلا هى تدعمها للتتصاعد بقوة، ولاهى تلغيها بوضوح. فى هذه الحالة فإن أى نجاح لن يثير حماس أحد، والفشل سيتبرأ منه الجميع ويلقى على عاتقى.
كذلك التوسع بدون أمر واضح منهم سيكون تفسيره أنه توريط لهم وبسؤ نيه. لذلك قررت اليوم تقليص تواجدنا فى الجبهة إلى الحد الأدنى. فقط مجموعة ترصد، ومجموعة راجمة، وعدد قليل من أفراد الإحتياط.
ذلك إلى أن أرى قراراً واضحاً يمكن الإعتماد عليه يعقبه حشد حقيقى للإمكانيات المتاحة، أن هذا الحال المائع فلن يفيد كثيراً فى الوضع الراهن.

والمطلوب الآن عسكرياً هو:

1 ـ إغلاق المطار الجديد. وذلك يستدعى:
أ ـ تقوية دفاعات منطقة "شين كاى" و"خرمتو".
أى المنطقة الشرقية التى سوف تتركز فيها مدافعنا.
ب ـ تنسيق نيران المجاهدين ضد المطار الجديد.
مع العلم أن التعزيزات الجديدة للعدو سوف تستهدف توسيع نطاق دفاعات المطار الجديد بالهجوم على المناطق المجاهدين فى المنطقه الشرقية.
2 ـ إبقاء السد النارى فوق المطار القديم . وذلك يتطلب؛
أ ـ وجود راجمة واحدة على الأقل للعرب.
ب ـ إبقاء راجمتين على الأقل للأفغان.
ج ـ تركيب مدفع شلكا فى مكان محصن.
إن إهمال التصدى السريع لمحاولات العدو إفتتاح المطار الجديد قد وضعنا فى موقف صعب ولكنه ليس يائساً، ونحتاج الآن إلى عدة أشهر لوضع العدو من جديد على شفا الهزيمة.

وهذا يحتاج إلى تنفيذ البندين 2 ، 1 إضافة إلى:
3 ـ السيطرةعلى قوة معقولة من الأسلحة الثقيلة تشمل:
مدافع 122 مليمتر، 85 مليمتر، M.C، هاونات مختلفة (120 مليمتر، 82 مليمتر) ومن الممكن الحصول على تلك الأسلحة تدريجياً بعد نجاحنا فى مهمة إغلاق المطار القديم وثقة المجاهدين فى قدرتنا على تنسيق النيران.وقد وافق الشيخ جلال الدين على تسليحنا بالدبابات وطلب أن نتولى إدارة الراجمات ضد المطار الجديد.
4 ـ فتح جبهة فى الجبال شمال المطار الجديد.
□ □ □
إنتهى ذلك التقرير المختصر الذى كتبته فى ضحى ذلك اليوم وهو يحتاج إلى تعليق، لكن ذلك سوف يأتى ـ بإذن ا ـ فى ثنايا الحديث عن عمليتنا التالية ضد المطار الجديد أما أحداث باقى اليوم كما جاءت فى نفس المذكرة فتقول:
فى حوالى العاشرة صباحاً جاءنى "على جان" يطلبنى لمقابلة الشيخ فى بيته، وهناك جدد الشيخ طلبه أن نضع راجمة جولاب تحت إدارتنا وأن ننسق مع الباقين.
وكنت قد عزمت على أخذ أجازة بعد زيارة قصيرة للجبهة وإستطلاع سريع لمنطقة "شين كاى" كما قررت عدم إستخدام طاقمنا العربي فى مهمة أخرى قبل موافقه "زعماء" القاعدة" والحصول على القدرات اللازمة.
وصرحت للشيخ أن هؤلاء الشباب لاسيطرة لى عليهم خارج عملية المطار القديم، وأننى فى إنتظار الزعماء لأخذ القرار.
قال:لاعليك أعمل معنا وكل القدرات تحت تصرفك.
ولا أدرى أمجامله كانت أم إقتناع كنتيجة للعمل فى المطار القديم.
ثم أضاف إن "على جول" و"صابر جان" سيكونان معك.
تركت الشيخ حقانى فى جلسة خاصة مع مولوى نظام الدين، وقال لى قبل أن أغادر إن "على جول" سوف يكون لدينا فى المعسكر غداً صباحاً.
ـ قرب الظهر كنت واقفاً أمام ساحة المستشفى، بينما باص صغير يحمل مجموعة من العرب فى طريقهم إلى بشاور، ومن ضمنهم الدكتور جمال والدكتور أبوبكر. وقف الباص على مسافة ليست بعيدة منى ونزل منه الطبيبان جمال أبو بكر اللاذان صافحانى بحرارة، وطالبانى بإستدعائهما عند بدء العلميات التى يقال أنها يوم الجمعة. فشرحت لهما أننى لن أستطيع تحريك الشباب إلى مهمة أخرى بغير تفويض من قيادة القاعدة فى بشاور. وطلبت منهما التوسط فى إستعجال القرار، فرحبا بذلك، وقلت لهما أن موعد العمليات الجديدة فى خوست ليس معلوما بدقة، ولا أظن أنها قريبة.
ـ حصلت لأبى شداد على خطاب من حقانى يتضمن موافقته على تدرب أبو شداد وسته من زملائه فى معسكر سلمان الفارسى "دورة تصنيع متفجرات". طلب شداد موافقة على إنشاء معمل كبير، فقلت له أن الظروف لاتسمح، وضغوط الجبهة تمنع الناس من التفكير في مشروع كهذه الآن.
ـ فى الرابعة والنصف عصراً زارنى الدكتور خالد ومعه يوسف حمدان أو "أبوعبدالرحمن" كما قدمه لى، فأخبرتهما بفشل الوساطة، فقال خالد أنه كان يشعر بذلك منذ البداية لأن حقانى

قال له: أنتم تصرفون الأموال كثيراً، فسلمونا إياها ونحن نتصرف.
لم أكن أشاطره الرأى لأننى أرى أن سبب الخلاف كان مذهبياً فكل طرف يحتقر معتقدات الآخر، وترتب على ذلك سوء تصرف متبادل بين إدارة المستشفى وجماعة حقانى.
سبب آخر هو وجود عصابة من الأفغان تستثمر المستشفى كمشروع خاص بسرقة الدواء وتجارة الطب فى السوق السوداء.
□:::::::::::: ::::::::::::: ::::::::::::

من مراسلات مشروع المطار

رسائلنا كانت كثيرة أثناء العملية، وقد إحتفظت بما إستطعت الحصول عليه منها، وأقدم هنا رساله وصلتنى تاريخ 90/9/10 من "سيف العدل" وهو أحد الكوادر العسكرية فى القاعدة، وكان قد قرأ لتوه المذكرة التي إعددتها تمهيداً" لمشروع المطار" ـ وكنت قد وضعت نسخة منها فى ميرانشاه فى مكتب أبو النور لإطلاع المشاركين الجدد عليها. عندما وصلتنى الرسالة كان المشروع قد إنتهى تقريباً، ولكن الرسالة لها أهميتها لكون سيف ضابط مظلات سابق ـ وأحد العقليات المتفتحة فى تنظيم القاعدة، ثم أنه زوج أبنتى حالياً. لذلك أضع رسالته فى كتابى السرى هذا.

# # # #

بسم ا الرحمن الرحيم
الاخ الفاضل/أبو وليد
السلام عليكم ورحمه ا وبركاته
وبعد..
أسأل ا العظيم أن تكونوا بخير حال وعافية إن شاءا . وأدعوا لكم بمزيد من التوفيق لإحراز نصراً مباركاً يعود على المسلمين بالنفع، ويرد جند الشرك.
سلامى لجميع الأخوه لديكم خصوصاً أبو تميم المصرى وأبو عبيدة اللبنانى وأبو أمامة الليبى.
لقد من ا علي بالإطلاع على التقرير الذى كتبته ولأول مره أجد عمل منظم الخطوات فى هذا البلد فلعله يكون بادرة خير إن شاء ا تعالى.
ولقد خرجت من البحث ببعض الإستفسارات أحب أن أسألك فيها حتى نتعلم منك الصورة الكاملة للعمل وهذه الإستفسارات هى:
1ـ رد فعل العدو إزاء غلق المطار وإيضاً محاولة إسقاط خوست.
2ـ رد الفعل العالمى أيضاً لعملية غلق المطار أو فى حالة سقوط خوست.
3ـ مدى الإمكانية الفعلية لبند العمليات العسكريه المذكور فى الفصل الثانى.
4ـ دور المخابرات الباكستانية إزاء العمليات على خوست أو المطار.
5ـ حقيقة المواقف الأفغانية على الساحة ،بدون عواطف.
أسأل ا لكم مزيداً من التوفيق وإلى لقاء إن شاء ا
أخوك
سيف العدل
□□□□□

"الوثيقة" التالية هى آخر ما كتبته من توجيهات للكوادر والأفراد العاملين معنا فى مشروع المطار .وتاريخ كتاباتها هو 90/9/15.
أى بعد إنتهاء المشروع واقعياً، ولكن كتبتها تحسباً لإستمرارنا فى العمل بلا توقف بهدف إغلاق المطار الجديد، مع أبقاء المطار القديم مغلقاً مع عدم تمكين العدو من المناورة بإستخدام المطارين معاً.
لم نتمكن بالطبع من الإستمرار لأن "تنظيم القاعدة" ظل صامتا مثل "أبو الهول"، وشباب التنظيم الذين معى لن يتحركوا بغير أوامر صريحة من قيادتهم. ولم أكن أحمقاً إلى درجة تحريك الشباب بدون أوامر واضحة من قيادات القاعدة حتى لا أدمر الجسور الواهية بينى وبينهم رغم العلاقات الشخصية الطيبة مع "الزعماء" منهم، والعديد من كوادرهم البارزة،وجميعهم شخصيات ممتازه وأمكانات كبيرة.

::::::::: :::::::::: ::::::::::::: ::::::::::::

بسم ا الرحمن الرحيم

الحمد والصلاة والسلام على رسول ا

الإخوه الأعزاء أبو تميم، أبو زيد، وجميع الأخوة

نسأل ا سبحانه وتعالى أن تكونوا بخير وعافية وتوفيق وتأييد من ا سبحانه وتعالى. . وبعد آخر تطورات الموقف هنا:

ستحدث عملية تغيير كبيرة فى مواضع المدفعية والراجمات لدى المجاهدين لمواجهة الموقف الناشئ من إستخدام العدو للمطار الجديد.

هذه التغيرات ستشمل بعض الراجمات فى منطقتنا "دزجات ستان" وسأحاول هنا ألا نجعل هذه التغيرات تؤثر على كفاءه العمل لدينا على المطار القديم، بل نرجو من ا أن تتدعم هذه القدرة.

وافق الشيخ جلال الدين على إعطائنا "الشلكا" الموجودة فى الترصد الرئيسى لإستخدامها فى مخططنا الجديد، وسنحضرها فى أقرب فرصة.

طلب منا الشيخ جلال الدين أن نشرف على الراجمات التى ستعمل بإذن ا على المطار الجديد وننظم عملية الترصد والرماية، على أن يمدنا مباشرة بالذخائر بدلاً من توزيعها على أصحاب الراجمات.

من أجل وضع نظام للعمل على المطارين الجديد والقديم وحتى لا يضعف نظام الرماية هنا أو هناك سنجتمع اليوم بإذن ا مع" د. نصرت ا "وباقى الكومندانات لترتيب العمل وتوزيع النيران والترصد، (الإجتماع فى بارى) .

لابد من عمل إستكشاف موسع للمنطقة الجديدة سأقوم به مع أخونا أبو تميم، وهذا يستلزم أن يقوم أخونا أبوزيد بتولى العمل على المطار القديم وإبقاء نظام الرماية وقوتها فى أعلى درجة ممكنة للإشتباك فى أى وقت. لأن أى تصرف من جهة العدو يجب أن يكون متوقعاً لدينا ولا نفاجأ به، فعلى أخونا أبو زيد تولى (قيادة كل المجموعات الموجودة بدءاً من اليوم).

إذا كانت مجموعة دروازجى قد سلمت الراجمة إلى جولاب فعلى تلك المجموعة العودة إلى المركز الرئيسى، أما مركز(رقم 5) فهو مخير فى إتخاذ قراره بالبقاء أو العودة.

أهم بنود العمل على المطار القديم هو تجهيز "الشلكا" للإشتباك مع العدو، فأرجو عدم أضاعة

أي وقت فى هذا السبيل، المبادرة معكم فى إختيار المكان، طريقة تحصينه وبدء الحفر.
أرجوا ترشيح ثلاثة أطقم (BM12) للعمل فى مجال المطار الجديد، كل طاقم من شخصين أو ثلاثة فقط يكونوا قادرين على إدارة الراجمات ، بالتعاون مع الإخوة المجاهدين بنفس النظام التى تدار به الراجمات عندنا حالياً.
أرجو فرز الإخوه القادرين على إستخدام "الزيكوياك"إستخداماً جيداً، وإعداد قائمة بهم فربما إحتجنا إليهم بشدة للمطار الجديد ـ ولكن القرار النهائى سيكون بعد إتمام عمليه الإستطلاع.
أرجو تكليف أحد الإخوة للإشراف على الإستعدادات الضرورية للإشتباك مع الدبابتين وباقى البرنامج المتفق عليه ـ وأن يختار معه مجموعة ويكمل عملية الإستطلاع وتجهيز الأسلحة والافراد اللازمين للعملية.
إذا كان هناك أى زيادات فى الأفراد فأرجو إعداد قائمة بذلك لتحريكهم مؤقتاً إلى بارى لحين الإحتياج إليهم، وكذلك إعطاء الأجازات للإخوة المحتاجين إلى فترة من الراحة.
على فريق الترصد الحالى إعداد تقرير يومى عن حالة المطارين ومحاولات الإنزال بهما، ورمايات العدو الجوية الليلية والنهارية، وذلك بدءاً من يوم الخميس 90/9/13.
يخبركم أخونا أبو أمامه عن "الحاج محمد" الكوتشى، فنرجوا إستخدامه دليلاً فى عمليات الإستطلاع والتعرف على مناطق الألغام فنرجوا إكرامه وإعتباره واحداً من أفراد المجموعة، وجزاكم ا خيراً.
رجاء إرسال أحد الإخوة للعمل فى إداره مركزنا فى ميرانشاه مع مساعد له فى أقرب وقت.
هذا ونسأل ا لنا ولكم ولسائر المجاهدين التوفيق والسداد والنصر على أعداء ا .
والسلام عليكم ورحمة ا وبركاته.
أخوكم
أبو الوليد
□ □ □
غادرت إلى بشاور وتركت إدارة المشروع لكوادر القاعدة أبو تميم وأبو الشهيد، حتى أحاول تحريك جبال بشاور وإتخاذ قرار بتصعيد مشاركتهم لمطاردة المطار الجديد، والعميات البرية الأخرى إن إمكن.
بالطبع فشلت فى مسعاى ذاك، وإنسحبت القاعده تدريجياً من "دزجات ستان"، خاصه بعد إستشهاد أبو الشهيد القطرى.
وأورد هنا تقرير صادر من نقطة الترصد وموجه إلى أبو تميم الذى كان يتولى إداره المشروع وقتها، وهو مؤرخ بتاريخ 90/9/23 وإورده هنا ملخصاً..
{تقرير من الترصد}
ليله السبت كان التالى:
نزلت حوالى 8 طائرات وكانت الأولتين فى المطار القديم، ونجحوا في النزول وتنزيل الحمولة ، والصعود كذلك، أما باقى الطائرات فنزلت فى المطار الجديد، وكانت الطائرة الثالثة هى التى أصيبت بل قسمت قسمين، ورأينا الدبابة تسحبها فى إتجاه مبنى قرب المدرج.
□الأمر الأول هو أن المهمة صعبت قليلاً.
أ ـ نصف القوة الليلة الماضية لم تشتغل معنا :شاه خان، ومركز رقم 9، ومجبور لم يرمى

بسبب وجود حوالى 5 سيارات فى مركز.
ب ـ أصبح للعدو مطارين فهو ينتهز الفرص ويغير التكتيك من حين لآخر، مما يصعب المهمه، كذلك إنسحاب مركزين مهمين من العمل على المطار القديم (شاه خان و رقم9)
2ـ الأمر الثانى: لا حظنا وبكل تأكيد أن الإنزال يتم بسرعة رهيبة جداً جداً لاتتجاوز8 دقائق على الأكثر بحيث أن الطائرة تنزل وتلف فى المطار ثم تفتح الباب السفلى (الخلفى)وترمى بكل حمولتها على مدرج المطار وهى تمشى على المدرج بدون توقف وعند الإنتهاء، على طول تطير. والذى يؤكد هذا الكلام هو أننا رأينا فى نقطة تنزيل المطار الجديد التى على اليمين منذ حوالى 5 أيام البضائع متناثرة فى نقطة التنزيل مما يؤكد أن الطائرة تسير وعملية التفريغ تتم بدون إعاقة، فلو كانت الطائرة تنزل فى مكان واحد لرأينا أنها مكدسة فى مكان واحد، لكن الملاحظة خلاف ذلك، كذلك الحمولة فى المطار القديم تنزل بسرعة أسرع من المطار الجديد.
3ـ الأمر الثالث: عمليات التموين من العدو وعمليات الإرهاق بالنسبة للمجاهدين، وذلك بتحليق أكثر من طائرة من نوع "جاموسة"، تغطيه الأصوات بالجت (يقصد الطائرات النفاثه)، وإنارة المطارين القديم والجديد فى نفس الوقت والتظاهر بالإنزال فى أحد المطارات.
أما الإرهاق فحدث عنه ولاحرج ،نرى المجاهدين فى بداية الليل يشتغلون بكل نشاط ولكن بعد الساعة الواحدة يكون بعض قطع المدفعية قد توقف عن العمل .
ثم فى آخر التقرير يقدم كاتبه (وهو غير معروف) فكره لتوزيع النيران المتوفرة على مدرج المطارالقديم، يتضح منه وجود ثلاث راجمات BM12وراجمة واحدة فردية لجماعة أبو الحارث وهى قوه جيدة على أيه حال، ولكن مناورات العدو جعلت المعلومات مشوشة، حتى التصنت اللاسلكى لم يكن يستطيع تحديد المطار الذى سوف يستخدمه العدو.
على أية حال لم يستمر العدو طويلاً فى تلك المناورات بل توقف عنها سريعاً وأقتصر على إستخدام المطار الجديد.
حتى أن الكثير من المجاهدين أكدوا أن العدو لم يستخدم إطلاقاً المطار القديم منذ أن توقف عن إستخدامه فى آخر ليلة عمليات لنا فى العاشر من سبتمبر.
وأميل إلى تصديق ذلك، وبذلك يكون ترصدنا قد وقع فريسة تمويهات العدو، الذى لم يستخدم سوى مطار واحد فقط هو المطار الجديد منذ يوم الثلاثاء 90/9/11

.. رأى من القاعدة

كابل، يوم الخميس 18 مارس 1999.

بعد الفراغ من هذا الكتاب وإطلاع أحد الكوادر العسكرية لتنظيم القاعدة عليه ، تكرم بإرسال تلك الملحوظات . ..والكاتب هو سيف العدل وقد سبق التعرف به :

.... الحمد رب العالمين

فيما يتعلق بكوادر القاعد' فى هذه الفترة:

فقد كانت مرحله إنفصال بين القاعد' وجماعة الجهاد بشكل رسمى .. وبدء القاعدة فى تدريب كوادرها .. والتى كان مستواها الى ذلك الوقت بسيطا .. وقد كانت المعسكرات أيضا تعانى من نفس الشئ، قلة عدد المدربين ورغبة الموجود منهم فى التحرك إلى الجبهات .. لقد كان الجميع يشتكى من نفس الأمر .. وأتذكر جيدا أننى قد تقدمت فى هذه الفترة من بعد زيارتكم لمركز خلاد ثم إصابتى .. ببرنامج عمل للإخوة المسئولين الهدف منه حشد عدد كبير من

الطاقات (وصل فعليا الى 29 أخ) لإعادة إعدادهم بالشكل المناسب. ولم نستطيع أن نبدأ في هذا البرنامج على الرغم من أهميته لضعف مستوى الكوادر العسكرية، سواء فى القتال أو الإعداد، إلا قبل فتح مدينة خوست بشهرين ونصف ..ومشروع المطار بذلك يكون قد حظى بأهم كوادر القاعدة بخلاف وجودى وأبو اسلام الذى إنضم للمشروع على فترات من أجل الذخائر . كما قمت أيضا خلال فترة إغلاق المطار الثانى مجموعة من المدربين فى مهمة ضرب الدبابة على طلبكم ..

الإداريين فى ذلك الوقت ، أثناء مشروع المطار :

الأخ عبد الحميد "حمزة القطرى".الأخ أبو ذر السودانى. وعلى رئس المجموعة الأخ مبشر.

كوادر مشروع المطار من القاعدة:

أبو زيد التونسى ، أبو غنيم ، أبو الشهيد القطرى ، أبو حامد الليبى ، أبو أسامه الليبى، القعقاع الأردنى ، زكريا التونسى ، أبو الفضل المصرى .

دراسة مقارنة :

ياحبذا لو تم عمل جدول يمثل أيام الإشتباك موضحا فيه عدد من الأفراد والراجمات وكمية الصواريخ التى تم إطلاقاها وحجم خسائر المجاهدين، مقارنة بالمطلوب فى العملية وهى خسائر العدو فى الأفراد والمعدات . .

فلا شك أن مقارنه (1200) صاروخ بعدد14 طائرة يعتبر إنجاز عسكرى ضخم بفكرة تكتيكية رائعة ..

وكانت تكلفة إعاشة الفرد لدينا لا تتجاوز 25 دولار شهريا فإذا قورنت بتكلفة الطيار وهى لاشك تعادل رقم فلكى بالنسبه لرقمنا هذا . .

أعتقد أن النجاح كان حليف هذا المشروع على كافة المستويات

رسالة أخيرة

شيخى الحبيب / أبو وليد السلام عليـكم

لماذا أجد نفسى مضطرا إلى كتابة هذا التعليق وهو ملخص بسيط لما يجيش فى عواطفى وجنبات صدري من أحداث العمليات .. فبعيدا عن العواطف ودموع الفرح بالنجاح أجد نفسى مضطرا .. أن ألوم كل من بقى حيا من مشروع المطار بسبب تقصيره عن كتابة التجربة فى وقتها والتى كانت ستعالج عدد كبير من مشاكل العمل الجبهوى .. وأهمها هى إختيار الهدف وأسلوب العمل .. والذي للأسف لازلنا نعانى كثيرا من المناقشات فى محاولة إقناع المجاهدين بذلك .. وللأسف أكثر أن هذه التجربة وحتى كتابة هذه الأسطر لم تنشر ولوبشكل منفصل عن (الثرثرة) وعن كل شئ تحت باب من عملياتنا العسكرية وتكتب بشكل عسكرى، يوضح فيها : الفكرة - المبادرة الفردية وأهميتها .. الإتصالات ودورها فى المعركة .. الروح المعنوية.. المبادىء العسكرية التى إستخدمت فيها.. أسلوب عمل المجموعات.. الجزئية الإارية والهامة جدا فى نجاح المشروع.. التكتيكات المضادة من العدو على المستوى السياسى والإجتماعى لأطراف الصراع .. إلخ مما أنتم به أدرى خاصة فى وضع كافة أفراد العمل فى الصورة ، وذلك كله فى كتيب أنيق يكون ضابطا لأعمال المجاهدين من خلال تجربة حية وواقعية بعيدا عن الواقع الذى يحياه المجاهدون الآن فعلا .. وسابقا ..

سيف

ملحق المقالات والصور

نورد هنا مقالتين نشرتا فى العدد الأول من مجلة"منبع الجهاد".حاولت فيهما تحليل أو"تفسير" أهم المعارك التى دارت فى منطقة خوست آنذاك، وأدت إلى فتح المدينة، الذى كان إنجازا وحيدا وفريدا فى الحرب الأفغانية، وخارج السياق "المفترض" والذىحاول فرضه هؤلاء الذين أرادوها حربا بالوكالة.

****

المقال الأول:

التفاعل المشترك بين معارك خوست ومعركة تورغار

إكتسبت معركة (تورغار) نفس الطابع العام لمعارك خوست ومن أهم تلك السمات:

- الإعتماد علي الحصار لتفتيت قوة العدو المادية وإرهاقه نفسياً.
- مزج أساليب حروب العصابات مع أساليب الحرب النظامية (التقليدية) بما يتناسب وظروف المجاهدين التسليحية والاجتماعية والسياسية.
- إعتماد (استراتيجيه الإقتراب غير المباشر) في العمل بشكل عام.

فإذا كانت خوست تقع تحت طائل الحصار منذ أشهر طويلة ، بل سنوات، وأن حلقات الحصار قد إستحكمت بشده منذ الثلث الاخير للعام الماضى (1989) والشهور التى مضت من عامنا الحالى (1990) .

فإن جبل تورغار قد تعرض هو الآخر لحصار خاص داخل نطاق الحصار العام وذلك منذ أوائل ديسمبر الماضى وحتى تاريخ سقوطه فى يد المجاهدين فى (16ـ2ـ90) .

من المعروف أن المواقع المرتفعة تتيح للمدافعين مزايا تكتيكية تفوق ماهو متاح للمهاجمين، الذين يجابهون صعوبة الوصول إلي الخط الدفاعي الأول للإستيلاء عليه.وجبل تورغار وعر بشكل خاص من جهته الجنوبية المواجهة للمجاهدين. وزاد من وعورتها حقول الألغام العميقة والكثيفة والتى زرعتها القوات الشيوعية على مدى أكثر من خمسة أعوام من تواجدها على الجبل.

وفى حملاتها المضادة التى إنطلقت فيها من الجبل لمهاجمة المناطق المحيطة بثت كميات كبيرة من الألغام فى الوديان والطرق المؤدية إليه حتى أصبح مجرد الإقتراب من المنطقة أمراً فى غاية الخطورة.

ومن مزايا المناطق الجبلية المرتفعة أنها تتيح للمدافع رؤية أشمل لمسرح العمليات، وهى ميزة جوهرية لذلك الجبل الذى يكشف مناطق واسعة جداً من الجبال المحيطة، وأجزاء من طرق تحركات المجاهدين.

فتمكنت القوات الشيوعية فوقه من إيقاع خسائر كبيرة على مدى أعوام بمراكز المجاهدين فى الجبال المحيطة على مدى عميق، إما بواسطة الأسلحة الموجودة فوق الجبل،وبعضها أسلحة ثقيلة مثل الدبابات، مدافع جبلية، هاونات ثقيلة، ورشاشات ثقيلة. . إلخ.

أو بواسطة توجيه نيران مدافع الميدان الموجودة فى المدينة والوادى، وأيضاً توجيه الطائرات القاذفة للقنابل.

وتلك الميزة ، كشف مسرح العمليات بصورة أفضل، كانت أفضل مزايا الجبل بالنسبة للقوات

الشيوعية طوال السنوات الماضية. والميزة الثانية دفاعية وهى تتمثل في حماية "البطن الرخو فى الجنوب" حيث تتكدس الأهداف الحيوية للمدينة، فعلى أعتاب تورغار يمتد مطار المدينة بنفس إمتداد الجبل تقريباً وعلي بعد سته كيلومترات فقط.
ثم المركز الإدارى والسكانى الرئيسى للمدينة، على بعد أقل من تسعة كيلومترات من الجبل.
فكانت النظرة إلي الجبل من الجانبين ،الحكومة الشيوعية والمجاهدين، أنه المفتاح الحقيقى للمدينة من سيطر عليه إمتلك المدينة.
من جانبهم قام المجاهدون بعدة حملات قوية خلال أكثر من خمسة سنوات بهدف إستعادة السيطرة علي الجبل، جميعها باءت بالفشل بعد أن فقدوا عدداً من المقاتلين ذوى الخبرة.
وفى كل الحالات كانت صعوبة الوصول إلي الخط الدفاعى الأول للعدو هى السبب المباشر فى فشل الحملة، ولعبت الألغام دوراً محورياً في ذلك الفشل، وراح ضحيتها معظم القتلى والمصابين فى صفوف المجاهدين.
أما القوات الشيوعية فلم تتوانى هى الأخرى عن تدعيم حقول الألغام حول الجبل ، فى الجبهة الجنوبية بشكل خاص، وعلي شكل حزام دائرى بشكل عام.
إلى الجانب تقوية الحصون الدفاعية فوق الجبل وربطه بخنادق إتصال بين جميع أجزائه، وزيادة تسليح القوة المدافعة بالأسلحة الثقيلة والدبابات، لم يقل عدد الدبابات على سطح الجبل عن دبابة واحدة، وعندما سقط كان على ظهره ثلاث دبابات، منها إثنتان مدمرتان.
وفى السفح الشمالى للجبل ، المواجه للمدينة، بنيت ملاجئ للأطعمة والذخائر بحيث تكفى عدة أيام من المعارك العنيفة أو عدة أسابيع من الإستهلاك العادى.
كما مهد طريق يصل المدينة بقمة الجبل مساعدا بذلك على سرعة تموين الجبل وتحريك الأسلحة الثقيلة والدبابات والأفراد إليه وتسهيل إخلاء الجرحي والقتلى أثناء المعارك، فأصبح الجبل جزءاً عضوياً من المدينة مرتبط بها دفاعياً ومصيرياً.
 كلما تعددت المحاولات الفاشلة من جانب المجاهدين للإستيلاء على تلك القلعه الجبليه كلما زاد"الرادع النفسى" الذى يرهق نفوس المجاهدين ويوهم الكثيرين منهم بإستحالة تحقيق ذلك الحلم.
وعلى الجانب الآخر تنتعش معنويات القوات الشيوعية حتى صار جبل تورغار هو أسطورة البطولة والفداء التى تترنم بها إذاعة خوست ليل نهار، فالإنتصار الثابت والواضح الذى يمكن للسلطات الشيوعية فى خوست أن تفخر به، وأن تتذرع به القيادة العسكرية هناك بأنه مبرر لإدعاء" شرف" عسكري وإنجاز خارق للعادة كان هو بقاء تورغار تحت سيطرتهم ودحر محاولات المجاهدين للإستيلاء عليه. فاكتسب جبل تورغار قيمة عالية لدى الطرفين فى مجال الحرب النفسية والمحافظة على معنويات المقاتلين إلى جانب قيمته الإستراتيجية التى لاخلاف عليها.
بدأ التقرب غير المباشر من جانب المجاهدين للإستيلاء على تورغار منذ أوائل عام (1989) ، وكانت على خطوات:
1ـ الإستيلاء على سلسله الحصون الممتدة على مسافة تزيد عن 15 كيلومتر إلي الشرق من تورغار بعضها كانت حصون قوية وبعضها مراكز مراقبة وحماية وجميعها تهدف الى تدعيم الجانب الشرقى للجبل، وتدعيم الحزام الأمنى لجنوب المدينة، ثم إبعاد نيران المجاهدين عن مطار المدينة وإبقاء مدرج المطار بعيداً عن المدى المؤثر لتلك الأسلحة.

2ـ تكرار نفس العمل على الحصون والنقاط الدفاعية غرب تورغار والسيطرة على السلاسل الجبلية.
ويلاحظ أن تلك السلاسل غرباً وشرقاً كانت أقل إرتفاعاً من تورغار نفسه وأقل تأثيراً على سلامة المدينة.
ولكنها كشفت جناحى الجبل إلى جانب تهديد مطار المدينة وتعرض الملاحة الجوية فيه لمخاطر جسيمة.
3 ــ مع تطهير السلاسل الغربية أصبح متاحاً التسلل نحو وادى خوست عبر ممر منطقه بارى القادم من الجبال فاتحاً في الوادى.
واصطدم ذلك التسلل بنقاط دفاعية على طرف الوادى وخاصه مركزى (جنداد) ، (مالانج)
وبعد عده محاولات تبادل فيها الطرفان السيطرة على المركزين إستقر الوضع للمجاهدين
وأحكموا قبضتهما علي المركزين فاتحين بذلك الطريق للتسلل من ممر بارى إلى أجزاء من
وادى خوست متخطين جبل تورغار كاشفين جزء من السفح الشمالى وطرفه الغربى كاملاً.
4 ـ من ممر ليجاه الجبلى هاجم المجاهدون مركز "سبين كاى" على طرف وادى خوست المواجه لهم وسيطروا عليه. فكون الممران: بارى و ليجاه ،أخطر محورى هجوم من الجبال إلى الوادى. و بعد الإستيلاء على النقاط الدفاعية للشيوعيين والمواجهة لهما فى (جنداد) ،
ملانج، سبين كاى، سيطروا على شريط فى الوادي يبلغ طوله حوالى 20 كيلومتر وبعمق
يتراوح بين ثلاثه وخمسة كيلومترات.
وكان ذلك أول تسرب كبير للمجاهدين من جبالهم الحصينة إلى وادى خوست، وكان ذلك كافيا لإنعاش آمالهم بالضرب عميقاً فى دراجى.
والأهم هو التفكير فى الإلتفاف على الجبل الأسطورى تورغار.
5 ـ من شريطهم الضيق نسبياً والذى سيطروا عليه، فكر المجاهدون إنطلاقاً من ممر بارى مهاجمة الطريق الخلفى الذى يربط تورغار بالمدينة ويمثل شريان الحياة للجبل والمدافعين عنه،
وتدريجياً أصبحت مراكزهم المتقدمة تسمح لهم بالتقدم ليلاً وبث الألغام على ذلك الطريق
وعدد من أسلحتهم المتقدمة أصبح الطريق الحيوى في مداها المؤثر. وهكذا أغلق الطريق فى وجه إمداد القلعة الجبلية وكانت أول خطوة كبيرة نحو حصار الجبل.
لقد إستعاضت القوات الشيوعية عن الطريق الرئيسى المغلق بطريق آخر فرعى يمر من وسط الجبل وتحمل عبره الإمدادات علي ظهور الجنود والبغال.
ولكن ذلك أصبح مرهقاً وبطيئاً وغير كاف، بالضبط كما هو طريق تهريب الطعام والوقود
إلى خوست المحاصرة بواسطة عصابات التهريب عبر الحدود الصديقه ، أى باكستان.
وفى ظل هذه الظروف وهذه الدرجة من الحصار غير التام ، ولكنه مزعج ومربك
نفسياً للمدافعيين، خاض المجاهدون محاولة إقتحام إقرب إلى الإكتمال الفنى ولكنها لم تكلل بالنجاح فى (90/1/15). وكما حدث فى المحاولات السابقة لم يتمكن المجاهدون من الوصول إلى خط الدفاع الأول للعدو.
فقرر المجاهدون عندها عمل تسلل وإلتفاف مماثل على الجناح الشرقى للجبل، وقد كان ذلك
أمراً صعباً للغاية لوجود مراكز خلفيه للعدو على تلال صغيرة تجعل العملية غير ممكنه تقريباً
فلجأوا إلى حيله جريئة بأن حفروا خندقاً مغطى عملوا فيه بدأب ومثابرة ليال طويلة عن حواف
تورغار الغربية ثم مالوا به ناحية الشمال، وفى النهاية أصبح فى إمكانهم ، بشئ غير قليل من

المجازفة، البقاء فى الخندق نهاراً بين حصون العدو وفى متناول نيرانه، ومهاجمة طرق إمداد تورغار ليلاً إما ببث الألغام فيها، أو إطلاق النيران عليها. وسبب ذلك ذعراً للقوات المدافعة وأحبط معنوياتها، فقد تأكدت بأن جناحيها والمؤخرة فى خطر داهم، وأن خطر الهجوم لم يعد مقصوراً علي الإتجاه الجنوبى فقط بل أصبح دائرياً، وأن خطوط إمدادهم وإنسحابهم عند الضرورة ، لم تعد مأمونة.

وإنعكس ذلك بوضوح فى قتالهم عند الهجوم الأخير الذى إستولى فيه المجاهدين على الجبل إذ كان أقل بكثير مستواه السابق، ولم يظهر فيه العناد والتصميم الذى ميز قتالهم دفاعاً عن الجبل لعدة سنوات.

تعديل التكتيك

تميز المجاهدون في معارك خوست بالقدرة على تعديل أساليبهم التكتيكية بسرعة والإستفادة من نتائج كل إشتباك بما يخدم الإشتباك التالى.

ومحاولة الإستيلاء على تورغار فى 15 يناير كانت مقدمة حقيقية لمحاولتهم الأخيرة الناجحة. وكان أبرز أخطاء المجاهدين فى تلك المحاولة هو تركيزهم الهجوم من محور وحيد هو الطرف الغربى للجبل، بعد أن فتحوا ثغرة فى طوق الألغام والتسلل ليلاً إلى منطقة قريبة من خط دفاع العدو وإنتظروا فى مكانهم حتى ظهر اليوم التالى .

وكان اليوم غائماً وممطراً مما حرم العدو من مساندة الطيران، ثم هاجموا بعد أن أفرغ المجاهدون تمهيدهم المدفعى، والذى شاركت فيه دبابة واحدة من منطقة التسلل فى الوادى، وقصفت بشدة إستحكامات العدو على الطرف الغربى للجبل.

ومع ذلك فقد إكتشف العدو المجموعة المهاجمة وركز نيرانه عليها وعلى الثغرة الضيقة فى حقل الألغام والتى عليها أن تجتازها من منطقه مكشوفة لرماية كثيفة متقاطعة لرشاشات العدو، تبين للمجاهدين عندها عدم جدوى المحاولة وعادوا أدراجهم.

وبينما كانت هناك مجموعة أخرى تقدمت من الطرف الشرقى للجبل إلا إنها إكتفت بالرماية على التحصين الشرقي للجبل ولم تحاول التقدم لعدم إكتمال ثغرة فى حقل الألغام من ذلك الطرف.

<u>وجاء التعديل النهائى للخطة كالتالى:</u>

الهجوم علي الجبل من ثلاثه محاور: الطرف الشرقى للجبل، الطرف الغربى للجبل، السفح الجنوبى.

وذلك يستدعى إزالةالألغام قبل موعد الهجوم وقد نجحت عملية نزع الألغام فى الطرفين بينما فشلت على السفح الجنوبى الأكثر كثافة بالألغام والمزود بعدد كبير من الشراك الخداعية المتفجرة مما جعل نزع الألغام مجازفة خطيرة، وفى السفح الجنوبى أستشهد مجاهد وبترت قدم آخر في عملية إزاله الألغام والمرجح أن العدو إكتشف المحاولة وأستنتج أن هجوماً سيحدث من السفوح الجنوبى فركز إنتباهه عليه وقد أفاد ذلك كثيراً، فعند المعركة الأخيرة فإن معظم المدافعين بقوا فى إنتباه وتركيز على السفح الجنوبى المنبسط الواسع خوفاً من أن يكون إتجاه الهجوم الرئيسى من هذا الجانب، وبناءاً عليه لم يقدموا مساعدة تذكر للطرفين الشرقى والغربى حيث كان الهجوم الفعلى، بينما لم يهاجم المجاهدون من السفح الجنوبى لأن عمليه نزع الالغام توقفت بعد ذلك الحادث المؤسف.

لقد أهدر العدو طاقته الدفاعية فى انتظار هجوم لم يحدث وضاعت فرصته الثمينه تاركاً

الأطراف ليفتك بها المجاهدون ثم ينهار الخط الدفاعى بأكمله فى دقائق معدودة عندما نجح المجاهدون في وضع أقدامهم علي خط دفاع الأول الذى تبخر كالحلم بدون مقاومة تذكر.
وأثبت ذلك هشاشه التركيب المعنوى لجنود العدو وسرعة إنهيارهم وأن بطل الدفاع عن تورغار ،بل عن المدينه والوادى، كانت خطوط الألغام الكثيفه وليس الجنود.
 لتعزيز الهجوم على المحاور الثلاث قرر المجاهدون إستخدام ثلاث دبابات، واحده لتعزيز نيران المجاهدين فى كل محور للهجوم، وحتى عندما قرروا إلغاء خط الهجوم فى الوسط "السفح الجنوبى" لم يسحبوا الدبابة المساندة فى ذلك القطاع بل أبقوها نظراً لإتساع مساحة الرمى المواجهة لها،وقدرتها على تقديم الدعم . ولقد إتضح انهم أصابوا فى ذلك القرار بأكثر مما كانوا يتوقعون.
فالحصون الطرفية لتورغار وجدت نفسها تحت نيران متقاطعه للدبابات وكانت الرماية مؤثرة للغاية بحيث تهدمت أسطح مرابض الرشاشات الثقيلة على الأطراف وقتلت من بداخلها، وأى رماية من خنادق الإرتباط الممتدة لأكثر من 1500 متر علي قمة السفح الجنوبى قوبلت بطلقات رادعة من الدبابات الجنوبية فلم يجرؤ أحد على إظهار نيران مدفعه للدبابة المتربصة.
فكانت رمايات العدو فى ذلك اليوم متخاذلة لدرجة عجيبة إذا ما قورنت بما كانت عليه منذ شهر مضى.

<u>التفوق الموضعى</u>

يتفوق المجاهدين على العدو نوعياً فى ناحيتين هما: القيادة والفرد المقاتل. سواء ذلك فى مجال المعنويات ، التى هى أساس العمل القتالى ، أو فى المجال الحرفى "التقني" للحرب.
أما فى مجال العدد والعتاد فيتفوق العدو كمياً فى العدد وكمياً ونوعياً فى العتاد.
ومع ذلك تتجلى براعة قيادة المجاهدين في حرصها ، وقدرتها، علي توفير تفوق موضعى فى العدد والعتاد فى كل إشتباك موضعي مع القوات الشيوعية.
وتجلى ذلك فى معركه تورغار كما فى غيرها من معارك خوست.
<u>ولننظر كيف يتطبق ذلك علي معركه تورغار:</u>
1ـ كانت القوة الشيوعية المدافعة عن الجبل تتراوح ما بين 300 ـ 350 مقاتل.
أهم أسلحتهم الثقيله فوق الجبل: دبابة واحدة صالحه للعمل، 2 رشاش ثقيل مضاد للطائرات يستخدم ضد مراكز المجاهدين في الجبال والوادى عيار 23 مليمتر.
13 قاذف صاروخى ضد الدبابات ـ (آربى جى7)، 3 رشاشات عيار 14.5 مليمتر، 14 هاون، مدفع جبلى واحد عيار 76 مليمتر، مدفع عديم الإرتداد، 3 قاذف للقنابل اليدوية هذا إلي جانب عدد كبير من الرشاشات الخفيفة، والقنابل اليدوية، والتسليح الفردى المكون من بنادق كلاشنكوف ورشاشات قصيرة وغيرها .
والجدير بالذكر أن جميع الأسلحة الثقيلة سقطت فى أيدى المجاهدين وكذلك معظم الأسلحة الخفيفة والفردية.
<u>ولننظر الآن إلى تركيز القوة البشرية والنارية للمجاهدين:</u>
قبل بداية العمليه النهائية بيومين دمر المجاهدون دبابة العدو المتواجدة فوق الجبل، وكانت من أكثر الخطوات توفيقاً لكونها قوة النيران الوحيدة القادرة علي التصدى لدبابات المجاهدين من موقع رماية ممتاز.
فالدبابتان فى الشمال والغرب قد تحصنتا في مواقع يصعب علي دبابات العدو فى الوادى أن

تصيبهما، أما الجنوبية "الثالثة" فلا تظهر من جهة الوادى.
 إستخدم المجاهدون 150 مهاجماً من كل طرف بمجموع 300 مقاتل. وعلى مسافة قريبة من ثغرات الألغام يقف عدد مماثل للدعم عند الضرورة وخلال وقت قصير. وبذلك يكون للمجاهدين حوالى600مهاجم من مقابل(250 ـ 300) مدافع أي ينسبه إثنين إلى واحد تقريباً.
 لن نتحدث عن قوة النيران الإجمالية التى صبها المجاهدون على دفاعات الشيوعيين فوق الجبل، فبعض الأسلحة التى على ظهره لم يكن تحت تصرف المهاجمين ما يماثلها نوعاً مثل رشاشات 23 مليمتر، كذلك هاونات العدو فوق الجبل(14 هاون عيارات، 82 مليمتر، 120 مليمتر) لم يكن لدى المهاجمين مساندة بهذه الكثافة من الهاونات.
ولكن سنتحدث عن نقطتى الأطراف اللتين إقتحمهما المجاهدون. وكانت كل نقطة عبارة عن حصن يحوى مدفع رشاش 23 مليمتر، ومدفع رشاش آخر عيار5.14، عدد من الرشاشات الخفيفة والمتوسطة، قاذف قنابل يدوية، عدد من قواذف آر بى جى.
كل هذه القوة النيرانية الكبيرة مركزة داخل حصن محفور فى الجبل ومسقوف بفروع أشجار غليظة عليها كتل صخرية كبيرة.
لم يكن لدى المجاهدين أى سلاح من المدفعية يمكنه أن يؤثرفى تلك الدشم الحصينة، رغم أن المجاهدين قد إستخدموا عدداً من مدافع الهاون ومدافع جبليه 76 مليمتر ومدافع ميدان عيار 122 مليمتر، إلا أنها بسبب العيار الصغير تارة وبسبب زاوية الرماية غير المناسبة تارة أخرى لم تكن لتؤثر فى الدشم المنيعة مثل دشمتى الأطراف رغم أنها أثرت فى خنادق الإرتباط ومرابض الرشاشات الخفيفة فوق الجبل.
ولكن نيران الدبابات كانت هى العامل الحاسم فى تدمير تلك الدشم الطرفية وتحويلها إلى مقابر جماعية لأطقم الرشاشات الثقيلة وباقى الأسلحة الاخرى.
وتقدم دبابتى الأطراف مكنهما من الرماية من زاوية ممتازة تكشف الطرف الجانبى والخلفى من الدشم فحطمتها.
والدبابة الجنوبية تمكنت من الإطاحة برؤوس الدشم شرقاً وغرباً، وردع أي محاولة رماية من خنادق الإرتباط والدشم الأصغر على الحافة الجنوبية.
وبواسطة الدبابات فقط كان التفوق النيرانى الكاسح الذى حسم المعركة لصالح المجاهدين.
وربما كانت تلك المعركة من المعارك القليلة التي تبرهن على أن الدبابة مع كونها سلاح حسم فى المعارك البرية للمناطق المفتوحة إلا أنها يمكن أن تكون سلاحاً حاسماً فى المعركة الجبلية ضد المواقع الدفاعية المنيعة.
ويمكن أن نشير إلى أن هاونات المجاهدين، معظمها عيار82 مليمتر، كانت فعالة فى مطاردة الفارين خارج التحصينات والتى أصبحت بمثابة مصائد للموت، فأوقعت بهم الهاونات خسائر جسيمة، وتولت رشاشات المهاجمين الإجهاز وعلى من تبقى منهم.
 وليس لنا أن نغفل الجانب المعنوى الذى تأجج بين المجاهدين بسبب أن حالةالطقس قد مالت إلي جانبهم فى اللحظات الأخيرة قبل الشروع فى الرماية التمهيدية، فبعد جو مشمس وسماء صافية تلبد الجو أظلمت المنطقه كأن الشمس قد غربت.
فعمت البشرى في صفوف المجاهدين لأن سلاح طيران العدو لن يمكنه العمل ضدهم، كذلك إنحسار مدي الرؤية سيمكنهم من التحرك قرب مسرح العمليات بحرية والتقرب من الخط الدفاعي الأول للعدو، لقد أحرزوا خطوات نحو النصر بالتحول المفاجئ فى حاله الطقس

وعدوا ذلك تأييداً من ا وبشرى بالنصر.

دبابة فيروز

خليل الرحمن ،الشقيق الأصغر لحقاني هو أحد ملوك معارك الدبابات، هو وشقيقه إبراهيم.
قال خليل إنه صاحب الفكرة ومنفذ مشروع، وضع دبابة في الوادي لضرب تورغار من الخلف (الشمال الغربي من الجبل)، تطور المشروع حتى إستخدمت ثلاث دبابات يوم فتح تورغار.

يقول خليل ملخصاً التجربه كلها:

لقد إخترت المكان الأول لثلاثة أهداف هي:

1ـ إضعاف معنويات الشيوعيين.
2ـ ضرب تورغار من الخلاف.
3ـ يكون الضرب محكم من مسافه قريبة.

الحكومه خصصت قوه من الميليشيات قوامها 50 شخصاً مدعمين بالمدفعية والطيران بهدف تدمير الدبابة.
ولكننا وضعنا في المقابل50مجاهداً مسلحين بقوازفRBG، ومدافع عديمة الإرتداد والهاونات ، كل ذلك لحماية الدبابة، وحفرنا لهم شبكة قوية من الخنادق والمغارات قرب الموقع، وكنا نبدلهم بإستمرار ونمونهم ليلاً.
وشن العدو علي الدبابة ثلاثة حملات فشلت جميعاً.
لكن نتيجة القصف المتواصل علينا براً وجواً مع التصدى للحملات الأرضيه فقدنا 15 شهيداً، 30 جريحاً ودمرت لنا من 7 الي 8 سيارات، وأصابات كثيرة في الأسلحة الأخرى.
وطوال العمليه خرب لنا العدو دبابتين نتيجة القصف الجوي والصاروخي سحبناها إلي الخاف، وقد استشهد عدداً من أطقم الدبابات.

وعن دبابات يوم الفتح قال خليل:

إنهم غيروا مواقع الدبابات الثلاث لكونها أصبحت معلومة لدى العدو. وقال إنهم دمروا دبابة العدو فوق تورغار مستخدمين صاروخ ميلان، فتحررت بذلك الدبابة الجنوبية من خطر جسيم فتقدمت أكثر إلي الأمام وضربت الإستحكامات بحرية، وقد كان خليل هو الذى يستخدم الدبابة الجنوبية هذه المرة، وكانت هي الأقرب إلي الجبل، وكانت تضرب من علي مسافه 1400 متر فقط، أما دبابة الشمال الغربي، فكانت تضرب من علي مسافه 2000 متر، الدبابة الثالثه من جهه الغرب من موقع في بوري خيل فكانت تضرب حافه الجبل الغربيه من مسافه2500 متر.
وكان الإسم الشفري لخليل ، وفي معظم المعارك ، هو فيروز.. لقد كان دوماً جوهرة المعارك

تأثير فتح تورغار:

وكما تأثر فتح تورغار بالحالة الذهنية والتكتيكية التى سادت عمل المجاهدين فى خوست، فقد أثر هو ، بعد فتحه، فى العمليات وتحديد مسارها النهائى. بل يكاد أن يكون فتح تورغار قد حدد بدقه المكان الجغرافى الذى سوف تنحصر فيه المعركة النهائية فى مصير خوست .
ومن آثار ذلك الفتح:

- حرمت القوات الشيوعية من كافة المزيا الإستراتيجية والتكتيكية التى كان يتيحها الموقع الفريد للجبل.
- أحكم المجاهدون قبضتهم على مطار المدينة (6 كم عن الجبل)، تحت تأثير نيران

الرشاشات الثقيلة (23 ملم)، والتى غنموها فوق الجبل وإستخدموها مباشرة ضد المطار والمواقع الدفاعية المحيطة به.

 المسافة المحصورة بين تورغار ومدرج المطار تعتبر من أرض المدينة نفسها، و يعتبر المطار أهم منشآتها، وهى ثلثى المسافة التى يلزم قطعها للوصول إلى مركز المدينة.

وبإستخدام المزايا التكتيكية للجبل أصبح ميسوراً أن يسيطر المجاهدون عسكرياًعلى ذلك القطاع و التغلب علي المراكز الدفاعية للقوات الشيوعية، وهو أمر أقل صعوبة بكثير من عملية الإستيلاء على الجبل التى كانت تمثل عقدة التحدى التكتيكى فى وجه المجاهدين.

ويمكن أن نتوقع أن القوات الحكومية سوف تدافع هى الاخرى وحتى آخر جندى عن القطاع المذكور، لأن فقدانه يعني فقدان أكثر من ثلث مساحة المدينة. كما أن صد المجاهدين خلف هذا القطاع تكون مستحيلة لأن يرتبط بمناطق كثيرة الأشجار والبيوت.

إذا سقط القطاع جنوب المطار ستكون عملية إمداد القوات الشيوعية المحاصرة هى عملية إمداد للمجاهدين بشكل أكبر، لإنكماش المساحة التي تسيطر عليها الحكومة وإسقاط الإمدادات بالمظلات سيكون جزء كبير منه لصالح المجاهدين، الذين يحصلون فى الوضع الحالى على كمية صغيرة من تلك الامدادات الجوية.

 الطرق التى تتبعها عصابات التهريب ستكون مغلقه تماماً وستفقد خوست المدينة، طريقها المؤدى إلي "جاجى ميدان" الحدودية والمصدر الرئيس للتهريب.

من ذلك يمكن القول أن فتح تورغار قد حدد بدقة ساحة المعركة الرئيسية التى ستفصل فى مصير خوست، وهى الساحة المحصورة فيما بين جبل تورغار والحد الجنوبى لمدرج المطار ومع ذلك تبقى إمكانات كبيرة يتيحها مسرح العمليات لكى تظهر الكثير من المفاجئات " غير المتوقعة".

>>>>>>>>><<<<<<<<

<u>المقال الثانى:</u>

التطور العسكرى لعمل المجاهدين فى خوست

من يوليو 1989 وحتى مارس 1990م

من ذو الحجة 1409 هـ حتى شعبان 1410هـ

{{من معركة (نادر شاه كوت/ دوامندو) وحتى فتح قلعة (تورغار) ـ مروراً بفتح دراجى وما حولها، تطور العمل العسكرى للمجاهدين بشكل إنقلابى، بما يشكل علامة بارزة فى تاريخ العمل العسكرى للمجاهدين الأفغان. وتحاول هذه الدراسة رصد بعض معالم هذا التحول}}

****

العناصر الستة الرئيسية لهذا التطور ودور كل منها فى إحراز الإنتصارات بالمنطقة.

القيادة والهياكل التنظيمية كيف تم بناؤها فى مناطق قبلية ترفض الخضوع لأى سلطة ؟.

كيف أدار المجاهدون حربهم النفسية الخاصة في مواجهة تحالف الدول العظمي ضدهم؟.

سياسة :القضمة قضمةـ لماذا كانت هى المخرج المتاح من الأزمة الراهنة ؟.

كيف حقق المجاهدون مرونة الحركة والسيطرة علي القوات مع تفادى الضربات الإجهاضية من الجو ؟.

حرب الدبابات التى خاضها المجاهدون ومعالمها.

كيف حول المجاهدون الدبابة إلى سلاح حسم فى حرب الجبال ؟

إمكانية الإنذار المبكر من الضربات الجوية كيف حصل المجاهدون عليها ؟
شبكةالإتصال اللاسلكى بناها المجاهدون بلا عمد فأصبحت من أسلحة الحسم.

:::::::::::::::::::::::::::::::::::

من الضرورى بالنسبة للمسلمين بشكل عام، والمجاهدين بشكل خاص أن يوجهوا عناية أعمق لدراسة المعارك التي تدور رحاها فى منطقة خوست منذ صيف العام الماضى (يوليو 1989) منذ معركة(نادر شاه كوت ـ دوامندو) الرائعة والتى كانت نقطه تحول بارزة فى مجرى الأحداث فى هذا الوادى الإستراتيجى. ثم معركه دراجى التى تلتها بعد أكثر من شهر لتقلب موازين القوى تماماً لصالح المجاهدين وتؤكد مسيرتهم نحو السيطرة الشاملةعلي وادى خوست الإستراتيجى ومدينته الهامة سياسياً وجغرافياً بشكل فريد.
لقد أعقب هذين النصرين البارزين عملية إجتياح كبيرة قام المجاهدون على أثرها بتطهير مناطق واسعة فى وادى خوست فى طرفيه الشرقي والغربى مقتربين إلي حد خطير من حدود المدينة التي تتوسط الوادى من أوسع نقاطه، حيث يبلغ عرضها من الشمال إلى الجنوب أقل قليلاً من عشرين كيلومتراً في مسافة شبه دائرية.
ويمتد الوادى شرقاً وغرباً على شكل جناحين لدائرة المدينة بطول يزيد عن 30 كيلومتراً من الشرق وأكبر قليلاً من 25 كيلومتراً إلى الغرب.
وبعد العمليات الظافرة المذكورة وما تلاها من فتوحات تقلص هذه الأجنحة كثيراً حتى صارت زوائد دودية ضيقة العرض كما فقدت الكثير من إمتدادها بما يجعلها فى عرضة دائمة لعمليات التقطيع والبتر.
مع بقاء ميزة للقوات الشيوعية المدافعة عن خوست وهى قدرتها علي إختراق الجناح الشرقى بواسطة قوة مركزة ودعم جوى كبير للوصول إلى الحدود عند بلده جاجى ميدان الأفغانية حيث تجد هناك أكداساً من المواد التموينية والمحروقات التى تم تهريبها عبر الجانب الآخر من الحدود فتحملها وتقفل عائدة إلي المدينة المحاصرة وبنفس طريقة الذهاب.
وأحياناً تستغنى عن هذه المخاطر وتعتمد على المهربين أنفسهم ليقطعوا المخاطر عبر طرق ملتوية وخطيرة وصولاً إلى خوست لكى يبيعوا بضاعتهم هناك بأسعار خيالية محققين أرباحاً مالية طائلة فى تجارة خائنة بكل منطق دينى أو عقلى.
وقد خاض المجاهدون حرباً خاصة ضد التهريب ليس هنا مجال سرد تفصيلها . ونتيجه لتلك الحرب ضاق نطاق الحصار كثيراً على المدينة وأصبحت الحامية العسكرية تفتقر إلى الطعام والمحروقات بشدة، وإنخفضت نسبه التهريب إلى 20% من نسبته السابقة.
وأخيراً جاء فتح تورغار الذى تمكن المجاهدون من إستعادته ثم تأمينه كما سنذكر لاحقاً ، ليضع حامية المدينة فى أحرج موقف واجهته منذ بدء القتال منذ ما يزيد عن عقد من الزمان.
ومازالت حكومة كابل تخفى نبأ سقوط القلعة الجبلية وتعلن أنها مازالت تسيطر عليها وتقاوم محاولات المجاهدين، ولم تعلن إذاعة خوست النبأ حتى الآن .
الضباط الذين هربوا مع جنودهم بعد المعركة قالوا أن الجيش المدافع عن المدينة يعلم أنها ستسقط لامحالة. فقد أفهمتهم القيادة كما رددت إذاعة خوست نفسها ولسنوات أن تورغار هو مفتاح المدينة ورددت شعارات الحماسية مثل : (كلنا فداء تورغار) ، (شعب أفغانستان يحى الأبطال الفدائيين المدافعين عن قلعة تورغار) . والآن وبعد سقوط تورغار إرتدت هذه الشعارات بمفعول مدمر على معنويات الجيش فى المدينة، وإرتفعت معدلات الهروب الجماعى

وتكررت عمليات رفض تنفيذ الأوامر العسكرية من قطاعات بأكملها.
والنتيجة التى نخلص إليها أن هناك تطوراً جذرياً فى إداء المجاهدين العسكرى فى تلك المنطقة بات يشكل علامة بارزة فى تطور العمل القتالي فى تلك الولاية الحدودية الفائقة الأهمية بشكل خاص، وبالنسبه لعمل المجاهدين عسكرياً فى كل أفغانستان بشكل عام.
وتشر فيما يلى لأهم ملامح هذا التطور.

أولاً القيادة:

وهى العنصر الأخطر فى أى معركة وعلى كفاءتها ومقدرتها يتوقف مصير المعركة إلي حد كبير.
و باكتيا بوجه خاص تنفرد القبائل بعشق جامح للحرية مما يجعل إنتظامهم العسكرى أو حتى السياسى مسألة شاقة، وهذا ثابت فى تاريخهم الطويل المستقل عن أى سلطه خارجة عن نطاق القبيلة. وشجاعتهم الفائقة مضرب الأمثال، ومهارتهم فى حروب الجبال مسألة لاشك فيها وهم بذلك من أفضل مقاتلين فى حروب العصابات، لذلك تحررت معظم مناطقهم منذ وقت مبكر من إندلاع الجهاد. والمدن أو الحصون التى تبقت بعد ذلك حافظت علي تواجدها بصعوبه بالغة.
تلك الروح الوثابة لمقاتلى باكتيا كانت نفسها عقبة فى وجه تحولهم من نمط حرب العصابات إلى نمط الحرب النظامية أو شبه النظامية.
ولما كان ذلك التحول ضرورياً لتطوير العمليات العسكرية للمجاهدين من مجرد عمليات من الكر والفر، أو الإستيلاء على مواقع فى الأطراف الجبلية والدفاع عنها، إلي نمط من الهجمات أكثر إتساعاً وأعقد من الوجهة التكتيكية، وبالتالى يحتاج الي درجه أعلى من السيطرة علي القوات والإنضباط العسكرى بدرجة لم يألفها مجاهدو المنطقه قبلاً، لقد بذلت عدة محاولات فى السنوات السابقة لعبور تلك العقبة. وجاءت معركة عيد الأضحى الماضى(1409 هـ) فى الإستيلاء على قلعة نادر شاه كوت الرئيسية وحصون دوامندو المنيعة فى معركة كبيرة شارك فيها أكثر من ستمئة مجاهد بمساعدة الدبابات وعدد كبير من قطع المدفعية، نفذوا فيها تحت قيادة الشهيد مطيع ا ، عدة مناورات بارعة وناجحة تضمنت التسلل بأعداد كبيرة خلف خطوط العدو بصحبة الأسلحة الثقيلة، ومهاجمة نادر شاه كوت فى مفاجأة مكانية وزمانية كاملة وفتح القلعة فى زمن قياسى "أقل من ساعة واحدة" ثم التقدم من الجهة الخلفية نحو حصون" دوامندو"والإستيلاء عليها في نصف ساعة فقط بدون قتال بعد أن إستسلمت الحامية من هول المفاجأة وليأس موقفها حيث هوجمت من ناحية الطريق الوحيد الذى يربطها بالمدينة والذى تأتى منه الإمدادات إليها.
واتخذت المناورات العسكرية شكلا أكثر تعقيداً فى معركة الإستيلاء علي دراجى الذى يشكل القيادة الرئيسية لقوات العدو خارج المدينة وللطرف الغربى بشكل خاص.
فقد شارك في المعركة عدد أكبر من قوات المجاهدين بإشراك عدد أكبر من الدبابات (ستة دبابات دفعة واحدة)، وكذلك عدد أكبر من المدفعية الثقيلة، وكانت الأهداف متعددة شملت كل المراكز المساندة للموقع الرئيسى فى دراجى وقاد جلال الدين حقانى العملية بنفسه والتى حققت نجاحاً كاملاً.إستطاع المجاهدون بعدها تطوير الهجوم وكنس العدو تماماً من عدد كبير من المراكزالفرعية المنتشرة على هيئة قوس كبير مركزه دراجى، مهمته إغلاق منافذ الممرات الجبلية الواصلة إلى الوادى بشبكة من الحصون "البوسطات" القوية تساندهاعدة شبكات فى عمق الوادى لتقديم المساندة النارية والإمداد البشرى والمادى.

ولأول مرة في تاريخ هذه الحرب إحتفظ المجاهدون بمواقعهم التى سيطروا عليها ودافعوا عنها ،كأى جيش نظامى، فى وجه عدة هجمات معاكسة للعدو المؤيد بحماية جوية وقوة نيران ثقيلة أضخم كثيراً من القوة التى لدى المجاهدين، كل ذلك على أرض مكشوفة تماماً.
وأثبتت العملية ليس فقط القوة المعنوية الكبيرة للمجاهدين بل أيضاً قدرة القيادة فى السيطرة على قواتها في ظل ظروف قتالية غاية فى الصعوبة.
كما أثبتت أيضاً النقلة النوعية لقوات المجاهدين نحو التصرف والقتال بدرجةعالية من الإنضباط والإقتراب أكثر نحو التصرف كقوة من جيش نظامى.
ولكن ماذا تبقى من خطوات حتى يتحول المجاهدون إلى نمط القوة النظامية؟. فمن ناحية التدريب لاشك أن المجاهدين عموماً أفضل كثيراً من ناحية الخبرة القتالية من جنود حكومة كابل أو ميليشياتها، بل أن تلك الخبرة بلا مبالغة، ليست متوفرة لدي ضباط وجنود كثيرمن الدول ذات الشهرة العسكرية العريقة.
كما أنها ليست مشكلة تسليح لأن العبرة ليست بكثافة التسليح، فقد إستطاع المجاهدون هزيمة قوات أفضل منهم تسليحاً وأكثر كثافة عددية مع سيطرة عدوهم تماماً علي أجواء المعركة بسلاح طيران قوى وفعال.
وإن كانت قلة الذخائر تؤثر بوضوح على كثافة العمليات وإستمراريتها فإنها لم تؤثر بحال على جودة الأداء ودقة التخطيط التى برهنوا عليها مؤخراً ومنذ أكثر من عام.
لا شك أن وحدة القيادة هى العمل الحاسم من أجل وصول المجاهدين إلي مستوى من القوة الفاعلة التى يمكن لها حسم الموقف عسكرياً فى خوست علي الأقل، مع إحتمال تطويره فيما بعد ، إذا سمحت التطورات العامة للقضية، ليباشر الحسم فى جارديز عاصمة الولاية.
ولا يمكن القول أن المجاهدين قد وصلوا الى تلك المرحلة بشكل كامل ولكنهم قطعوا شوطاً ملموساً نحوها وتوصلوا إلي تكوين هيكل قيادى متماسك يتكون من:
1 ـ أربعه مجالس شورى فرعية، للجهات الأربع من خوست، تختص ببحث المشاكل المحلية المتعلقة بكل منطقة، من قبل مجلس الشورى العالى.
2ـ مجلس الشورى العالى "العمومى " ويبحث فى الأمور المتعلقة بمنطقة خوست كلها من النواحى العسكرية والإدارية.
3 ـ قياده مجلس الشورى والتى يمثلها مولوى جلال الدين حقانى.
ومجالس الشورى المذكورة تتجاوب بعمق مع طبيعة وتاريخ المنطقة فهى تلبى الشروط المقبولة من أفراد هذا المجتمع، ذو الطبيعة الخاصة، من حيث:
أـ صدارة العلماء لتلك المجالس، وهم طائفة العلماء الذين إنخرطوا فى الجهاد منذ أيامه الأولى، وبذلك توفرت لهم الخبرة العميقة بإدارة الشئون المتعلقة بالعمل الجهادى، والتعامل مع قبائل المنطقة التى هم من أبنائها.
شمل ذلك المجالس الفرعية والمجلس العمومى، وحتى القيادة العامة الممثلة فى"مولوى جلال الدين" تعطى نفس التأكيد للمعنى ذاته، وهو صدارة العلماء المجاهدين لتقرير المسائل ذات الخطر مثل موضوع الحرب وما يتعلق بها من قضايا.
ب ـ تمثيل القبائل: فالمجالس كلها تشمل تمثيلاً مرضياً ومتفق عليه بين قبائل المنطقه، حتى تجد القرارات الجماعية طريقاً للتفيذ والرعاية الجماعية والإحترام.
جـ التمثيل الحزبى: ويتم تلقائياً من داخل التمثيل القبلى فكل قبيلة يتوزع أبناؤها بين

التنظيمات الحزبية المختلفة.
وإذا تم الإتفاق علي إستبعاد التنافس الحزبى ، فإن النتيجة النهائية تعود لمصلحة القبيلة التى تحصل علي مساعدات مستقلة من سبعة أحزاب، وهذا أفضل من ناحيه الكم من إنضمام القبيلة بأكملها إلى تنظيم حزبى واحد.
ونلاحظ هنا أنه في مجتمع باكتيا القبلى لايمكن إتخاذ القرارات ذات الخطر على مسيرة القتال بدون الرجوع إلي مجالس شورى من هذا الطراز.
ومهما كان القائد المفرد له قوة ومقدرة فإنه لايستطيع إملاء أوامره بدون مراعاة الموافقة الإجتماعية، الملزمة من جانب القبائل التى لايمكن الحصول عليها إلا من مجالس الشورى المعتمدة لديهم، وعلى سبيل المثال فإن حصار خوست رغم أنه يظهر كعمل عسكرى بحت إلا أنه فى الحقيقة موضع ذو خطر ويمس مصالح القبائل فى المنطقة بوجه خاص وهو من أمور السيادة الداخلية لدى بعضها ويمس أمور الضرورات المعيشية لدى بعضها الآخر.
ورغم أن حصار خوست موجود منذ سنوات عديدة إلا أنه لم يبلغ مرحلة الخطورة الفعليه إلا منذ أشهر قليلة. إرتبط ذلك ليس فقط بالظروف العامة للقضية، مثل إنسحاب السوفييت وبقاء نظام كابل منفرداً في الساحة العسكرية ، نظرياً على الأقل. ولكن متانة الحصار تنامت مع تنامى صلاحيات مجالس الشورى وحصولها على إجماع السكان "القبائل"، وإحرازها ثقة معنوية كبيرة لديهم نتيجة لنصاعة الإنجازات العسكرية وليس فقط صحة تشكيل المجالس.
فالإنتصارات التى تم إنجازها في عدة أشهر مؤخراً فاقت ماشهدته المنطقه خلال سنوات الجهاد كلها، كل ذلك أضاف إيجابياً لصالح مجالس الشورى وقيادة حقانى.
كما قلنا فإن هذا التشكيل القيادى الذى يتولى القياده العسكرية والإدارية فى المنطقه، لم يرق إلى درجة توحيد القوات على النمط النظامى فى الجيوش التقليدية ، ولكنه يعتبر درجة عليا من تطور أعراف القيادة فى المنطقة الجبلية لقبائل شديدة المراس كما أنه يشكل طفرة كبيرة فى مجال نمو قدراتهم التنظيمية، وهو قابل بلا شك أن يصل الى درجة أعظم من الرقى إذا أتيحت للتجربة فترة زمنية أطول وظروف مواتية.
وتعتبر تلك الهياكل التنظمية حلاً أمثل بالنسبة للقضايا التى تتعلق بالقبائل، ومن أبرزها فى الوقت الراهن قضية التصدى لعميات التهريب التى يقوم بها أفراد من تلك القبائل نفسها.
وبذلك تصبح عملية المنع أو العقاب، من إختصاص القبيلة نفسها، وتكون مسئوله أدبياً أمام مجلس الشورى ، وبالتالى أمام باقي القبائل عن إحترام القرارات الجماعية.
وبذلك تكون مجالس الشورى ذات تأثير فعال وإن كان غير مباشر، على العمل العسكرى لكون عملية الحصار نفسها هى المؤثر الأعظم في تحطيم قوة العدو العسكرية ويليها فى التأثير عمليات الهجوم المباشر.
 أما التأثير المباشر لتلك الأطر التنظيمية فهو أقل فعالية على العمليات المباشرة "الهجمات" فالتنسيق مع كونه فعالاً فى العمل غير المباشر"الحصار" إلا أنه في العمل العسكرى المباشر يكون أقل فعالية لأن هذا النوع من النشاط يلزمه توحيد كامل في القيادة والقوات العاملة.
ولا يعنى ذلك بالطبع أنه عديم الفائدة فكل الهجمات الكبرى الناجحة ، بإستثناء الإستيلاء على تورغار ، قد تمت من خلال عمل تنسيقى مشترك.
ولكن مثل تلك العمليات تبقي عرضة للتأجيل المتتابع، كما أن عملية الحشد والتوقيت يصعب كثيراً السيطرة عليها، من أجل ذلك تستدعي الضرورة اللجوء إلى العمليات المنفردة للتحكم

فى كل العوامل بحزم تحت قياده واحدة. وهذا ما حدث فى عملية الاستيلاءعلى القلعة الجبلية الحصينة فى تورغار. فقد قامت بها مجموعة مولوى جلال الدين ، وأحرزت فيها نجاحاً كاملاً بعد أن تفادت أوجه القصور الناتجة عن العمل التنسيقى فى مجال العمليات.
القيادات ذات الكفاءة هى التى أدت إلى نجاح العمل التنظيمى الراهن، فالإنتصارات الكبيرة كانت مقياساً لا يخطئ على مقدرة قيادية كبيرة فى التخطيط والتنفيذ.
ولولا ذلك لإنهار العمل كله ولان تجديه دقة النسب التمثيلية بين القبائل والأحزاب، ولم تكن الكفاءة محصورة في القيادة العامة فقط بل وصلت حتى قيادة المجموعات، فالمنطقه تذخر بعدد كبير من القادة الشباب الذين تمرسوا لأعوام طويلة فى أشق المهام والظروف القتالية، فاكتسب العمل برمته صفة الجدية لاصفة الوجاهة القبلية أو الحزبية.
والجدير بالملاحظه أنه حتى العمليات المنفردة التى تقوم بها جماعة قتاليه واحدة، لاتقضى على عنصر الشورى. فمن جانب لكون الشورى عملية عميقة في الوجدان القبلى الذى يرفض الإستبداد بكافة أنواعة حتى ولو كان في الإطار العسكرى.
والجانب الآخر أن تكون المجموعة المقاتلة ونعنى جماعة مولوى جلال الدين بشكل خاص ، تجمع بين طابع المجموعة النظامية ومجموعات المتطوعين. فالمجموعة النظامية تعمل علي أساس الإحتراف من حيث التدريب والنظم كما فى الجيوش التقليدية، وهى تتلقى الأوامر على نفس النمط رغم كونها مكونة من مجاهدين سابقين تحولوا الي الإحتراف.
أما المجموعات الأخرى وهى الأكبر عدداً فهى فى تشكيلات أقرب إلى طابع حروب العصابات من ناحية التكوين فكلهم متطوعون ، وإلتزامهم بالقيادة إلتزام أدبى وليس تنظيمى.
لهذا يحمل العمل القيادى فى ثناياه كمية ملموسة من العمل الإستشارى وبشكل خاص فى القضايا التكتيكية الصعبة.
وعلى سبيل المثال فإن عملية الإستيلاء على"تورغار" قد جابهتها مشاكل فنية معقدة:
لمواجهة إستحكامات العدو وحقول الألغام، وصعوبة التقدم تحت نيران العدو الصادرة من فوق الجبل أو المدفعية المساندة له فى المدينة أو المساندة الجوية الكثيفة من سلاح الطيران، ثم صواريخ سكود بعيدة المدى دقيقة الإصابة التى تأتى من كابل الى مواقع المجاهدين.
إلى غير ذلك من المشاكل التكتيكية.
وكلها كانت تبحث بتعمق وتفصيل مستفيض قبل الوصول إلي حلول والشروع فى التنفيذ.
وقد مرت عملية الإستيلاء على تورغار بعدة محاولات فاشلة كان آخرها في يناير الماضى حيث برزت في كل مرة مشاكل تكتيكية تستدعى حلولاً جديدة.
لقد ساهم قادة المجموعات الصغيرة من مهاجمين أو مدفعية أو إستطلاع وغيرهم بمساهمات قيمة فى تقديم الحلول وتطبيقها ببراعة أدت إلى هذا الإنتصار العظيم فى تورغار وبخسائر لم تتعدى شهيداً واحداً، وجريحين، وهى نسبة ضئيلة للغاية بالنسبة لصعوبة المهمة والتحديات العويصة التى جابهت المهاجمين.
ونخلص من ذلك بنتيجة هامة هي أن طريقه القيادة ووسائل التنظيم تكون ناجحة وفعالة بقدر تلبيتها لحاجات الأفراد ومطابقتها لتكوينهم الإجتماعى والفكرى والتاريخي.
وعلى ذلك لايمكن إستيراد تلك الطرق والوسائل بطريقة عمياء من مجتمع آخر لمجرد أنها نجحت هناك، فذلك لايعنى أنها قابلة للنجاح بشكل آلى فى ظروف إجتماعية مغايرة.

<u>ثانياً ــ الروح المعنوي والحرب النفسية :</u>

إستفادت قيادة المجاهدين في خوست إلى حد أقصى من العامل المعنوى والذى حولته ببراعة إلى سلاح فعال بين أيدى المجاهدين رغم الحملة النفسية العنيفة التى يتعرض لها الشعب الأفغانى ككل من جانب القوى العظمى ووسائل إعلامها القوية، والتى تعمل متكاتفة مع نظام نجيب من أجل تقويض مقاومة الشعب وإنهيار الجهاد والتسليم بسلطة الشيوعيين على أفغانستان. تلك الحمله الموجهة ضد معنويات الشعب الأفغانى والمجاهدين بشكل خاص بلغت من الضخامة والتركيز حداً يصعب معه تخيل إمكان فشلها.
وحتى المجاهد البسيط في الخنادق الأمامية تصله تأثيرات تلك الحملة عبر جهاز الراديو الذى يحرص به المجاهدون أينما كانوا على تتبع نشرات الأخبار، فنجد أن محطات البث ، كلها تقريباً ، تعزف على نفس الوتر، الحكم المشترك بين جميع الطوائف في حكومة موسعة.
ويعطى هذا التركيز إنطباعاً بوجود تعادل فى القوى بين المجاهدين وحكومه كابل على أرض المعركة.
ومن حسن الحظ أن هذا الإنطباع الوهمى قد دمر الهدف المنشود من الحمله وهو توهين الروح القتالية لدى المجاهدين ولسبب بسيط هو أن الواقع العملى الذى يشاهده ويعيشه المقاتل يكذب هذا الإنطباع. فالحكومة محاصرة خلف خطوط الألغام والخنادق ولا تكاد تقوى حتي على ممارسة الدفاع المتحرك عن مناطقها التى تنكمش يوماً بعد يوم، فالتوازن والتعادل مفقودان، والحملة النفسية ظالمة وتريد الوصول إلى نتائج مغلوطة، وهكذا أصبح المجاهد يتشكك بل ويعادى تلك المنابع الدعائية التى كان بعضها يحظى بإحترام تقليدى.
لقد فقدت الحمله مصداقيتها وهذا يكفى لإفشال أى حملة دعائية من حملات الحرب النفسية مهما بلغت ضخامتها وقدرتها على الإلحاح المستمر.
 فى خوست بوجه خاص تضاعف فشل الحملة النفسية ضد المجاهدين بسبب النشاط العسكرى للمجاهدين وضعف القوات الحكومية وهزيمتها.
وساهمت إذاعة كابل ثم إذاعة مدينة خوست بشكل أكبر فى مضاعفة هذا الفشل وتأكيد المردود العكسى لدى المجاهدين، عن طريق إخفاء أخبار إنتصارات المجاهدين والإعلان عن تقدم وهمى للقوات الحكومية، والمناشدات اليومية التي يبثها راديو خوست طالبا وقف القتال والتفاهم على "حل مشترك للأزمة"!! .
وترديد الاذاعات التى عرفت سابقاً بالحياد والثقة، لإدعاءات وبيانات إذاعتى كابل وخوست ، وضعها لدى المجاهدين فى قائمة الإتهام والشك بدرجة متزايدة.
<u>أ- خطوات إيجابية فى الحرب النفسية</u>:
وفى المقابل شنت قيادة المجاهدين حربها المعنوية بوسائلها الخاصة. فإلى جانب التعبئة الدينية المستمرة منذ بداية الجهاد إستدعت الظروف الراهنة التى تمر بها القضية الأفغانية والتى تعتبر إجمالاً ظروفياً غير مواتية ، إستدعت إيجاد وسائل جديدة لتزكية الروح الهجومية لدى المجاهدين وأحياء الأمل فى النصر.
لقد أضحى إحراز النصر على أرض المعركة ضرورة معنوية فى تلك الظروف . كذلك تلافى الخسائر البشرية الكبيرة. وقد إنعكس ذلك على الأساليب التكتيكية في المعارك بحيث أصبح سمة مميزة لمعارك خوست.
ويمكننا أن نعزوا السبب فى ذلك إلى الفوائد المكتسبة من نكسة جلال آباد. فالهجمات الواسعة غير المحسوبة، إلى جانب إهدارها للذخائر، تسبب خسائر بشرية عالية وتؤدى الي إنتكاسات

معنوية لدي المجاهدين إضافة للأضرار السياسية التى تلحق العمل الجهادى كله.
من هذا المنطلق كان الحرص الشديد فى التخطيط والدقة القصوى في التنفيذ، لتفادى الكوارث المعنوية الناتجة عن الخسائر البشرية العالية بدون إحراز نصر، كما سيأتى ذكر ذلك عند التعرض بشئ من التفصيل لتكتيكات القتال التي إتبعت مؤخراً من قبل مجاهدى خوست.

ب ـ إستثمار الآثار النفسية للحصار:

ترك الحصار أثراً مدمراً على معنويات الجنود الحكوميين فى خوست. فمن ناحيه قلت كميات الطعام وساءت نوعيته، ومن ناحية أخرى ضاق المجال المتاح للمناورة العسكرية نتيجة لإقتراب المجاهدين كثيراً من حدود المدينة وضياع مساحات واسعة فى الوادى كانت تتيح حرية المناوره للقوات الشيوعية وفى النهاية أصبحت هذه القوات سجينة حفر وملاجئ لا يمكنها التحرك خارجها طوال النهار ومعظم الليل خوفاً من نيران المجاهدين.
مثل تلك الأماكن عندما تمكن المجاهدون من الإستيلاء على بعضها كان من المستحيل دخولها نظراً للروائح الكريهة المنبعثة من داخلها. فقد كانت خنادق القتال هى نفسها أماكن النوم وقضاء الحاجة، جميعها فى مكان واحد ضيق ومزدحم بالأفراد ومحاط بالألغام من جميع الجهات ماعدا ممر واحد ضيق يربطه بالمواقع الاخرى.
هذا الظرف النفسى الذى خلفه الحصار داخل خنادق عفنة يهددها خطر الموت على مدار الوقت لايمكن أن يطاق لفترة طويلة. بينما من المفروض أن يتحمل الجندى ذلك الضغط النفسى لمدة غير محدودة فليس هناك وسيله لقضاء إجازة وزيارة الأهل أو حتى الإنتقال إلى جبهة قتال أخرى،
نتيجه لإغلاق الطرق وندرة الرحلات الجوية من وإلى المدينة.
فكثير من الضباط الجرحى المنقولين للعلاج فى كابل إحترقوا مع الطائرات على مدرج المطار وعشرات الجنود الذين أتوا بالجو لتدعيم قوة الدفاع إحترقوا داخل الطائرات.
لقد جعل هذا المناخ من الجنود قنابل موقوتة، قابله للإنفجار فى وجه الضباط.
فشهدت خوست أوسع عمليات الفرار بين حاميات المدن الأفغانية، وصحب تلك العمليات عمليات إغتيال الضباط والإشتباك مع الميليشيات التى هى أكثر ولاءاً للنظام، والتي لاتعانى من كل تلك الضغوط لسهولة خروجهم من دائرة الحصار والإلتحاق بقبائلهم عند الضرورة.

جـ ـ الاذاعة قريبة المدى:

وهو سلاح قديم لدى المجاهدين، وإن كانت نتائجه حالياً فى تلك المعارك أوسع مدى.
والسبب هو إقتراب خطوط التماس بحيث لم تعد تزيد عن عمق حقل الالغام فى بعض الأوقات وأقل من عشرين متر نهاراً إذا إختفت حقول الألغام عند حالات القتال المتلاحم.
الإذاعة القريبة تعنى مكبر الصوت الذى يستخدمه مجاهد قوى الصوت فصيح البيان يخاطب الجنود بخطاب المسلم للمسلم والأخ لأخيه، شارحاً لهم ضرورة ترك معسكر الكفر والإلتحاق بالمجاهدين.
يقول "علي جول" وهو مجاهد من مجموعات الإقتحام ومذيع مؤثر البيان رغم بساطة ثقافته أنه فى اليوم التالي لفتح تورغار إقترب الى أقل من 50 متر من تحشد العدو وتحدث معهم حوالى ساعة والجنود ينصتون رافضين أوامر قائدهم بإطلاق النار على المذيع الجريء.
نتائج العملية لم تتأخر كثيراً فقد إغتيل الضابط ليلاً وإلتحق جزء من الجنود بالمجاهدين والجزء الباقى تحول إلى أشلاء بفعل حقول الألغام التي تحاصرهم لمنع فرارهم من الخدمة.

د ـ الترحيب بالفارين :

يتبع المجاهدون سياسة المعاملةالطيبه للجنود الفارين ومعاونتهم مالياً للعودة إلى بلادهم البعيدة، فأكثر الجنود فى خوست وباكتيا عموماً هم من مناطق الناطقين بالفارسية طبقاً للسياسة التى وضعها السوفييت لتعميق الكراهية بين طوائف الشعب الأفغاني على أساس اللغة والقبيلة وغيرها. ويعامل الجنود الفارين معاملة كريمة للغاية وتبذل لهم الرعاية الممكنة من علاج وملبس، ويستخدم بعضهم كمذيعيين فى "الإذاعة قريبة المدى".

أما جنود الميليشيا الأكثر خطورة والأكثر عدداً فى خوست فيتلقون عادة مكافأت تشجيعية لقاء التعاون من داخل صفوف العدو، أو الفرار مع أعوانهم والهجرة بأسرهم من المدينة، وتشجيع الباقين للقيام بنفس العمل.

وترك ذلك جواً من عدم الثقة بين الجنود والميليشيات وبين الضباط والجنود وبين الرتب العليا والرتب الدنيا من غير الحزبيين.

وقد تفشت بينهم مؤخراً ترتيب عمليات فرار جماعية مع جنودهم.

هـ ـ الإرهاق المستمر :

الفترات الفاصلة بين العمليات الكبيرة، لاتنقطع فيها عمليات المناوشة بالنيران والتحركات الإستفزازية من جانب المجاهدين خاصة فى الليل، فتبقى قوات العدو فى حاله تأهب مستمر ويفقد الجنود فرصة الراحة أو النوم، فيصلون إلي درجة تفضيل الموت فى حقول الألغام عند الهرب عند الإستمرار على ذلك الحال.

و ـ توظيف الغنائم فى تعميق المشاركة فى المعركة :

سيطر المجاهدون على مساحة كبيرة من الأرض وفتحوا كثيراً من الحصون المنيعة والهامة سواء فى الجبال أو المناطق المنبسطة، وأدى ذلك بالطبع إلى إنتعاش الروح المعنوية وإكتساب الطابع الهجومى فى العمل.

وإستولي المجاهدون أثناء تلك العمليات على كميات ضخمة من الذخائر والأسلحة الثقيلة التى هم فى أمس الحاجة إليها الإستمرار العمليات خاصة في ظروف قطع المعونات عنهم من المصادر الخارجية.

والجديد فى الوضع هنا هو التوظيف الفورى للغنائم فى ميدان المعركة، وقد ساهم المجاهدون بنصيبهم من الغنائم لقاء إثمان أقرب إلى الرمزية من القيادة حتى تستخدم العتاد والذخائر فى نفس الميدان بدون سحب أنصبة المجاهدين كى تعرض للبيع فى الأسواق.

وقد خلق ذلك الموقف نوع جديد من المساهمة المالية من جانب المقاتلين أنفسهم فى تمويل المعركة، ونتج عن ذلك حرص أكبر عند إستهلاك الذخائر أو إستخدام الأسلحة، وإرتباط معنوى أكبر بمسار العملية والحرص علي تطويرها ودفع زخمها إلى أقصاه.

وأصبح إرتباط المجاهد المقاتل بالمعركة وبالقيادة إرتباط المشاركة المعنوية والمالية أيضاً، فتقوت بذلك أوصر العمل الجماعى وتفجرت طاقه إبداع جماعية على أرض المعركه.

ثالثاً ـ المواءمه بين الهدف والوسائل :

أ ـ الهدف :

ليس هناك لبس لدى قيادة المجاهدين فى خوست من أن الهدف الإستراتيجى لحملتهم هو الإستيلاء على المدينة، وكما قال حقانى فإن هدف الحصار المضروب على المدينة منذ سنوات كان يهدف فى البداية إلى وضع القوات الروسية والشيوعية فى موضع دفاعى يشغلهم عن

مهاجمة قواعد المجاهدين فى الجبال المحيطة بالوادى، أما الآن فقد تطور الهدف ليصبح الإستيلاء على المدينة نفسها.
ولعل الأسباب التى دعت المجاهدين إلى ذلك هي:
1 ـ المحور الأساسى الذى تركزت عليه التسوية السياسية لقضية أفغانستان طبقاً لمتطلبات علاقة المصالح المتوازنة بين السوفييت وأمريكا، هو أن يتجمد الموقف العسكرى بين المجاهدين والحكومة.
وأن يدخل الطرفان في مفاوضات تفاهم لإقتسام السلطة معاً بالإضافة لعناصر أخرى لم تتورط فى القتال فى أى مرحلة سابقة مثل الملكيين والعناصر الغربية التى هاجرت إلى هناك وإستوطنت.
ولما كان تجميد الموقف يستدعى ضخ عناصر القوة من سلاح وطعام ومال لنظام كابل المتفسخ ، ومن جانب آخر كبح جماح المجاهدين عن إجتياح المدن التى يتمسك بها نظام كابل بصعوبة إستدعت تلك السياسة توجيه أقسي الضغوط على المجاهدين لمنعهم من الإنتصار العسكرى الكامل، بحجب المعونات بشتى أنواعها عنهم ، إلا ما يكفى لإستمرار معارك غير حاسمة ولا خطورة منها على تغيير التوازن العسكرى القائم مع إستخدام وسائل ضغوط سياسية وتخريب داخلى ضد المجاهدين فى الداخل والخارج.
وليس هناك من وسيلة أمام المجاهدين من أجل إختراق هذا الطوق الشيطانى المفروض عليهم غير إنتزاع نصر عسكرى فى ظل الظروف الصعبة الحالية وبالوسائل المادية القليلة المتاحة لديهم.
والتحدى الحقيقى ليس هو مهاجمة عدو أقوى عدداً وعدة وإنتزاع النصر منه بقدر ما هو مواجهة مجهودات قوى صديقه غيرت موقفها فتحالفت مع المعسكر المعادى ،بدون أن تعلن ذلك، مع إستعدادها للتدخل، وبكل الوسائل ، لكى تمنع مثل هذا الإنتصار.
ب ـ الوسائل المتاحة:
هناك الميزات الجغرافية التى يقدمها الموقع وطبيعة التضاريس المحيطة به.
ثم هناك العنصر البشرى المقاتل.
وأخيراً هناك ميزات "جغرافيه سياسية" وفرها الموقع.
1 ـ الميزات الجغرافية: وهى عنصر حيوى من معطيات المعركة فى ذلك القطاع الأفغانى، وهو من الهبات الإلهية التى تعمل بالكامل لصالح المجاهدين وبشكل مدهش، فمدينة خوست والوادى المسمى بإسمها والواقع إلي الشرق والغرب منها يقعان على بعد حوالى 20 كيلومتر فقط من الحدود الباكستانية.
وقد أتاح ذلك للمجاهدين خطوط إمداد مثالية من ناحية القصر ثم من ناحية الحماية الطبيعية التى توفرها التضاريس الجبلية للمنطقة.
وقد تضاعفت تلك الميزة إلى حد كبير بعد المساحات الكبيرةالتى إستقطعها المجاهدون من الوادى فى الصيف الماضى(1989) ، فأختصروا خطوط إمدادهم الواصله إلي سلسلة الجبال الشمالية إلى أقل من ربع المدة والمجهود السابقين، فصار الطوق الشمالى للحلقة أكثر قوة وزاد ضغطه على المدينة.
والتضاريس الجبلية المذكورة أتاحت حماية طبيعية ليس فقط لخطوط الإمداد بل لمراكز المجاهدين ومناطقهم الإدارية، وأماكن التحشد والإنطلاق إلي القتال. وقد تضاعفت تلك الحماية

بأن توسع المجاهدون إلي درجة كبيرة للغاية فى حفر الكهوف والمغارات والخنادق في الجبال إلي درجة أصبح سلاح الطيران المعادى رغم قوته وإستخدمه تكنولوجيا راقية في التصويب والذخائر، لم يعد معوقاً لمخططات المجاهدين وحركتهم حتى فى مناطق الوادى المسطحة.
وأصبحت خسائر المجاهدين من جراء الغارات الجوية وقصف صواريخ سكود لاتكاد تذكر فى حين أنها كانت فادحة فى مسرح عمليات مثل جلال آباد لم يكن يتمتع بنفس الميزات.
ويمكن القول أن قيادة العمليات فى خوست بل جميع قادة الوحدات و الفصائل أصبحوا يتقنون فن حماية القوات وتأمينها مستفيدين بذلك من الميزات الطبيعية لأرض المعركة.
حتى معدات المجاهدين الثقيلة من دبابات وبلدوزرات وسيارات نقل يجد معظمها مغارات للحماية من القصف المدفعى والجوى .

2 ـ العنصر البشرى المقاتل:

معظم عناصر المجاهدين حول خوست ينتمون إلى قبائل خوست نفسها أو من محافظة باكتيا بشكل رئيسى مع وجود عدد من أبناء المحافظات الأخرى. ويشترك الجميع فى ميزة قضاء سنوات من القتال فى المنطقة.
وأتاح لهم ذلك دراية واسعة بطبيعة الأرض ودفاعات العدو بها ، خاصه حقول الألغام، وأساليب العدو القتالية، مع وجود علاقات وثيقة وحميمة بين المجموعات المجاهدة.
ويلاحظ تفوق نوعية المقاتل لدى المجاهدين من الناحية المعنوية والفنية بحيث لايمكن مقارنته بالجندى الحكومى، فالقوة الحكومية فى معظمها جنود (إعتقلوا) لأداء الخدمة العسكرية ولم يمضوا غير فترة تدريب قصيرة، وأكثرهم تدرب فى خوست نفسها فى معسكر أقيم لذلك الغرض.
كذلك الضباط لم يتلقواغيردورات تأهيل قصيرة مدتها ستة أشهر فقط في دورات أطلق عليها "الدورات العاجله لتخريج الضباط"، كما أن نسبة الحزبين بينهم فى إنخفاض مستمر.
وتميز إستخدام قيادة المجاهدين للعنصر البشرى بالحرص الشديد، وذكرنا فيما سبق السر فى ذلك.
ورغم حساسية المعركة، لم تطلب تلك القيادة أى معونة بشرية من خارج منطقتها، حتى لا تتورط أيضاً فى مسئوليات إدارية وتموينية فوق طاقتها قد تفقدها ميزتها الحالية فى السيطرة المحكمة على القوات. ولعل ذلك أيضاً من ضمن الدروس التى إستفيدت من مأساة جلال آباد التى إندفع عليها آلاف من المسلحين غير المنضبطين فشكلوا أحد عوامل الهزيمة وكانوا لقمة سائغة لنيران العدو .

3 ـ عامل الجغرافيا السياسية:

ولنا أن نضيف ايضاً أن الموقع الجغرافى للمنطقة أتاح للمجاهدين إنشاء علاقات تحالف عميقة مع المناطق القبلية على الجانب الآخر من الحدود. تلك العلاقات التى إستفادت منها قيادة المجاهدين فى المنطقه فى الحصول على دعم هام.
فالمتطوعون من رجال القبائل بتراثهم الجهادى القديم ضد الغزو البريطاني يشاركون بشكل دائم فى المجهود العسكرى لمجاهدى خوست، ويساهمون فى تحييد القوى المعادية للمجاهدين فى المناطق الحدودية ويعاونون فى مقاومة عمليات التهريب التى تتجه إلى القوات الشيوعية والمدينة المحاصرة وهى عمليات لها خطورتها فى التأثير على سير القتال.
كما ساعدت تلك العلاقات المتينة فى تسهيل حصول المجاهدين على ذخائر ثقيلة من تجار

السلاح فى تلك المناطق وبقروض طويلة الأمد وبضمان السمعة الطيبة لقادة المجاهدين وحلفائهم من مجاهدي القبائل.
وهو عمل علي درجه فائقة من الأهمية فى ظروف الحصار الإستراتيجى المضروب، على المقاومة الأفغانية من جانب القوى العظمى وروافدها الاقليمية.

4 ـ المواءمة:

مابين الهدف الإستراتيجى المنشود (فتح خوست) وبين الوسائل المتاحة لابد من إجراء عملية مواءمه لبلوغ الهدف طبقاً للإمكانات المادية والظروف السياسية والملابسات المحيطة بالمكان والأشخاص.
وكان تكتيك الإستيلاء علي المواقع الهامه الواحد تلو الآخر فى ضربات عنيفة صاعقة تفصل بينها فترات كمون ـ يلجأ خلالها المجاهدون إلى (هضم) الموقع الجديد والإستحكام فيه ثم إعادة تعويض العتاد الذى أستهلك بغزاره في أمثال تلك المعارك، وهي عملية تعويض عسيرة فى الظروف الحالية، مع كونها تملي وتيرة بطيئة على القتال، وتشكل ضرورة دافعة لإتباع إسلوب (قضمة ـ قضمة) أى إقتطاع الأرض والإستيلاء على المواقع جزء وراء آخر بالأسلوب السابق ذكره.
وبينما يستخدم العدو أكثر من عشرة آلاف مقاتل للدفاع عن خوست فإن أسباباً عديدة قد يكون من بينها الحرص الزائد على القوة البشرية ـ وبالتالى المعنويات ـ جعل المجاهدين يستخدمون، كقوة فاعلة نشطة فى العمليات، حوالى ثلث هذا العدد.
رغم أن القاعدة العسكرية تستدعى العكس وهو أن يوظف المهاجم ثلاثة أضعاف القوة المدافعة في حالة التعادل فى التسليح. والتعادل فى التسليح غير قائم ، وهو بالقطع فى صالح القوى الشيوعية، ومع ذلك ففى كل العمليات الهجومية يحظى المجاهدون بتفوق عددى فى موضع الهجوم قد يصل إلي خمسة أمثال القوة المدافعة فى بعض الحالات .

رابعاًـ مرونة الحركة:

يسيطر المجاهدون الآن على مساحات شاسعة فى خوست، فالجبال كلها في الجنوب أصبحت الآن تحت سيطرتهم خاصة بعد فتح جبل تورغار . فى الشمال لم تبقى إلا قم"ماشغور" ذات الأهمية فى يد القوات الحكومية. ذلك إضافة على المكتسبات الأخيرة فى الوادى الفسيح والتي يدافع عنها المجاهدون ويعملون دائبين على توسيع رقعتها دافعين القوات الحكومية تدريجياً وببطء نحو مركز المدينة.
السيطرة على تلك المساحات تستدعى من المجاهدين نشر قواتهم لتغطية النقاط الإستراتيجية ومن جانب آخر عندما يرغبون فى شن هجوم كبير على نقطة ما بهدف الإستيلاء عليها يكون عليهم تركيز القوات فى نقط الوثوب تمهيداً للعمل الهجومى.
عملية الحشد تلك تحتاج إلى مرونة فى حركة القوات بحيث تتم بسرعة كافية ووقت قصير لا يتيح للعدو تركيز دفاعاته فى المنطقة المقصودة بالهجوم.
ولأجل الحصول على المرونة المطلوبة في الحركة أعطت القيادة عناية كافية بتمهيد الطرق بين المواقع الجبلية ، وذلك حسب الإمكانات المالية والفنية المتوفرة.
والجدير بالملاحظة أنه منذ صيف 89 وحتى بدايه العام الحالى تضاعفت تقريباً الكيلومترات الممهدة بين الجبال لكى تستخدمها سيارات المجاهدين. وقد سهل ذلك عملية إمداد المراكز بالطعام والذخائر وإخلاء الجرحى والشهداء، وتنقلات القوات والتوسع فى إنتشار المراكز

لتفادىتركيز القصف الجوى والصاروخي على القواعد الإدارية الكبيرة والمعروفة لدى العدو منذ سنوات.
كما أدى ذلك إلى نتيجة أخرى هامة هو أن النسبة الأعلى لتنقلات المجاهدين أصبحت آلية ، بإستخدام السيارات وغيرها، فزادت مرونة حركتهم وسرعتها إلى درجة كبيرة.
وشملت خدمات النقل الآلى مراكز المجاهدين فى وادى خوست المسطح بإستثناء خطوط التماس، والأماكن المكشوفة للعدو التي تتحرك فيها آليات المجاهدين تحت ستار الظلام وهو نفس ما يفعله العدو فى مناطقه المكشوفة.
وتكاد البلدوزرات القليلة والتى فى حوزة المجاهدين أن تحصل منهم على نفس الشعور بالإعزاز والتبجيل الذى تحظى به الدبابات التى يقاتلون بها فى وديان خوست.

خامساً_ تكتيكات الدبابات:

إستخدام الدبابات فى معارك باكتيا من جانب المجاهدين ليس بالشئ الجديد، كما قال حقانى.
ولكن الشيء الجديد حقاً هي التكتيكات التى إتبعها المجاهدون فى إستخدام ذلك السلاح الفعال.
ونستطيع القول أن أسلوبهم في حرب الدبابات أقرب إلى أسالب حرب العصابات من حيث الجرأة الشديدة فى المناورة، والإبتكار في الأسلوب والمراوغة.
إضافه الى ذلك فإن كمية الدبابات التى غنمها المجاهدون وهى قيد الإستعمال حالياً لاتقل بحال عن نصف عدد الدبابات الصالحة للحركة لدى القوى الحكومية المحاصرة، حوالى 20 دبابة فقط قادرة على الحركة ، فمعظم الدبابات الحكومية تعمل كمدافع ثابتة في أوكار دفاعية ففقدت بذلك معظم ميزاتها القتالية المتمثلة فى الحركة مع قوة التدريع.
ويمتلك المجاهدون ميزة تمكنهم من تجميع قوة دباباتهم كلها فى عملية كبيرة واحدة.
والهجوم بالدبابات على هدف واحد مستخدمين أكثر من محور للهجوم ، كما حدث فى معركة دراجى وعمليات التطهير الواسعة للمراكز الحكوميه الأصغر فيما بعد .
ولاتمتلك القوات الحكومية تلك الميزة وإلا تعرضت لكشف دفاعاتهم فى مناطق كثيرة حساسة و قاتله بالنسبه لهم. والغريب في تلك الحالة أن يصبح المجاهدون فى حالة تعادل وربما تفوق من حيث عدد الدبابات فى موقع المعركة، مع فارق الجرأة وحرية المبادرة التى تتمتع بها طواقم الدبابات لدى المجاهدين.
وتعانى دبابات العدو من أزمه المحروقات التى تسببها ظروف الحصار، وكذلك إستحالة تعويض الخسائر التي تلحق بالدبابات أثناء القتال.
وإذا عدنا للمقارنة مرة أخرى مع ما حدث فى جلال آباد فإننا نلاحظ أنه فى بداية المعركة كان للشيوعيين هناك حوالى 150 دبابه عاملة ،حسب بعض التقديرات المعتمدة، غنم المجاهدون منها ما بين 10 الي 15 دبابه صالحة للإستخدام ،حسب نفس المصادر، بإستثناء أعداد أكبر تم تدميرها.
ومع ذلك لم تشارك تلك الدبابات المكتسبة في حرب متحركة بل إستخدم بعضها فقط كمدافع ثابتة، وفى المقابل ونتيجة لعدم إحكام الحصار حول المدينة قبل وأثناء العمليات فقد عوض العدو بسرعة وسهولة خسائره فى المدرعات ولم تتأثر قوة دفاعه عن المدينة التى تعتمد أساساً على ذلك السلاح فى منطقه شاسعة منبسطة مثل جلال آباد.
وتأتى المعضلة الأصعب التى تواجه المجاهدين فى إستخدام سلاحهم الحديث - الدبابات - وهى سيطرة العدو تماماً علي أجواء المعركة، وهو الأمر الذى لم يمنع المجاهدين من إسخدام

دباباتهم فى المنطقةالمنبسطة فى ضوء النهار المشرق تحت سماء مكتظه بالطائرات المقاتلة التي تقذف حممها فوق الدبابات. ونعترف بأن ذلك الموقف يستعصى على التفسير مالم نسلم بوجود معجزة إلهية تساند أصحاب تلك الدبابات.
وتكتيكيا يحاول المجاهدون من جهتهم تقليل حيز المجازفة قدر الإستطاعة بإتخاذ إجراءات مثل شن الهجمات وحسمها في وقت قصير وفى أوقات حرجة بالنسبة للطيران وهى إما عند أول ضوء للفجر أو قبله بقليل ، وعند آخر ضوء للغروب أو قبله بقليل.
مع إجراء عملية إقتراب واسعة من الهدف تحت ستار الظلام مع تمويه كامل للدبابة وإعداد ملاجئ مموهة فى المناطق المنبسطة وكهوف في المناطق الجبلية لوقايتها.
ومع كل ذلك فقد تمت أكثر المعارك أهمية فى ريعان النهار مع وجود الدبابات فى الوادى المسطح مع الإستفادة قدر الإمكان من الأماكن المستورة مثل الشجيرات أو بقايا البيوت الطينية المحطمة والمتناثرة في الوادى، أو الكسرات الحادة فى الأرض التى تعطى ساتراً جيداً، إلي غير ذلك من عوامل الإخفاء.
ومع كل تلك الجرأة والمجازفة لم يفقد المجاهدون غير دبابة واحده منذ أن بدأوا فى حرب الدبابات ضد العدو فى الصيف الماضى (1989)، وكان ذلك نتيجة القصف الجوى.

فاعلية الدبابات:

وليس أدل على مدى فاعلية الدبابات فى أيدى المجاهدين من تفحص العمليات الجوهرية الثلاث والتى جرت فى المنطقة منذ الصيف الماضى وهى:
1- عمليه فتح قلعه نارد شاه كوت ثم حصن دوامندو فى (يوليو1989).
2- عمليه الإستيلاء علي مديرية دراجى القيادية وما حولها من مراكز علي محيط الجبال الغربية والجنوبية وما خلفها فى الوادى(فى سبتمر 89).
3- فتح قلعه تورغار الجبليه (90/2/15).
فى العمليه الأولى تسال المجاهدون مع دبابتين متخطين حصن دوامندو لكى يهاجموا حصن نادر شاه كوت.
ظهرت الدبابتين المتقدمتين نحو الحصن خلع قلوب الجنود المدافعيين ، رغم أن لديهم ثلاث دبابات ضمن تسليح الحصن، بجانب أعداد كبيرة من المدفعية، فلم تستغرق المعركة غير نصف ساعة فقط إستسلمت بعدها الحامية.
وتقدمت دبابتى المجاهدين نحو دوامند لتهاجمه من خاف فإستسلم بلا مقاومة. وهكذا أدت الوحوش الفولاذية بقيادة المجاهدين إلى تحقيق معجزتين باهرتين فى أقل من نصف يوم.
ولعلنا نلاحظ الجرأة والمبادرة والمراوغة وهى سمات حرب العصابات التى مازالت تطبع مجاهدى المنطقة حتي مع إستخدام أثقل الأسلحة كالدبابات. وقاد تلك العملية الشهيد مطيع ا ، الذى قدم بدبابتيه من أورجون ، على بعد حوالى 100 كيلومتر من ميدان المعركه، وقد بدأ معركته الظافرة فى أول ضوء للفجر وأنهاها قبل الظهر.
المعركة الثانية كانت أوسع من حيث الرقعة وأطول في المدى الزمني.ولاجل الإستيلاء على قاعدة دراجى المسئولة عن القطاع الغربى في كل من الوادى والحصون الجبلية حوله.
كان لابد من مهاجمة حصنين آخرين يشكلان خطورة علي المهاجمين وهما: موسى خان، و سيد جى. إستخدم المجاهدون في ذلك الهجوم ثلاث دبابات تقدمت من المشاة مع جهه الغرب أما الهجوم الرئيسى على دراجى فقد تقدمت نحوه مجموعة أخرى من الجنوب تصاحبها دبابتان

وبدأ الهجوم في الخامسة والنصف صباحاً وتم فتح المواقع فى السابعة والنصف.
وغنم المجاهدون ثلاث دبابات مع كميات كبيرة أخرى من العتاد والأسلحة الثقيلة.
المهمة الأصعب كانت التمسك بالمراكز المفتوحة في وجه هجمات الجنود والميليشيات المدعومين بالدبابات والمدفعية الثقيلة وسلاح جوى في حالة من الهيستيريا.
صمد المجاهدون لمدة عشرة أيام فى ظل تلك الظروف الصعبة في مناطق منبسطة لاتوفر حماية طبيعية تذكر. وأخيراً إستسلم العدو للأمر الواقع وتوقف عن محاولاته.
والجدير بالذكر أن دبابات المجاهدين صمدت هى الأخرى في الدفاع ونجحت فيه فى وجه دبابات العدو. ولكن دبابة واحدة إحترقت فى المعركة بفعل قذائف الطائرات.
ولكن المجاهدون سجلوا بتلك المعركة، السابقة الأولى من نوعها فى الحرب الأفغانية، التى تمت بهذا الشكل وفى ظل تلك الظروف العصيبة وفى مناطق غير مناسبة جغرافياً.
ويلاحظ فى هذه المعركة كما فى سابقتها أنها بدأت عند أول ضوء للفجر وإنتهت في مطلع النهار قبل أن يأخذ الطيران حريته الكاملة فى العمل.
المعركة الثالثة كانت فتح قلعة تورغار الجبلية. والغريب أن تكون الدبابات ،وليس غيرها،هى السلاح الحاسم للمعركة، رغم أنها إستخدمت كمرابض ثابتة للمدفعية، وأن المعركه دارت علي قمة جبل مرتفعة (1575 متر فوق سطح البحر).
وتلخيصاً للمعركة نقول أن جبل تورغار يمتد من الشرق الى الغرب معطياً ظهره للمدينة وواجهته الطويلة إلي جنوب حيث مواقع المجاهدين فى منطقه بارى.
وإمتدت تحصينات العدو بطول الجبل لمقاومة أى هجوم قادم من بارى. وبنيت الخطة الدفاعية على هذا الأساس، وبثت حقول الألغام بكثافة جهة الجنوب ثم علي المحيط الدائرى للجبل كله بإستثناء طرقات ضيقة تأتى من الشمال ، جهة المدينة.
فكان أى هجوم من الجنوب سيجابه حقول الألغام ورماية كثيفة من فوق الجبل الذى تكدس بمرابض الرشاشات وأبراج الحراسة المحصنة.
وبدلاً من ذلك هاجم المجاهدون فى عمليتهم الناجحة الأخيرة من الطرفين الشرقى والغربى، حيث قوة نيران العدو أقل ما يمكن، وكانت إحتياطات العدو لمثل هذه الخطوة كامنة فى تحصينات قوية لرشاشات ثقيلة على كلا الجانبين مدعمة بمرابض للرشاشات الخفيفة وقواذف القنابل اليدوية وغيرها.
وهنا جاء دور الدبابات لتحطيم ركيزتى الدفاع للعدو على الطرفين الشرقى والغربى.
فتسللت دبابتى المجاهدين إلى الوادى فكانت الأولى فى محازاة الحافة الغربية والثانية ذهبت عمق الوادى، بعيداً بمسافة 2 كيلومتر خلف تورغار من الجانب الشمالى الغربى.
وأدت كل منها دورها كاملاً في تحطيم الإستحكامات الدفاعية على الأطراف. إضافة إلى ذلك صعدت دبابة ثالثة للمجاهدين على جبل مواجة لتورغار من الجنوب ، وساهمت فى تحطيم الإستحكامات الطرفية، مع ضرب خنادق الإتصال ومرابض الرشاشات علي طول الحافة الجنوبية والتى تحاول عرقلة طوابير المجاهدين المتقدمة علي سفحي الجبل.
وفى يوم غائم بدأت الدبابات عملها بعد صلاة الجمعة وحتى بعد العصر كانت قد حطمت قوة العدو فوق الجبل ، بدون أن يتدخل الطيران لعدم ملائمه الأحوال الجوية. أما المجاهدون المهاجمون فقد كانت العقبة الرئيسية لديهم تفادى الألغام والقضاء على بعض النيران الضعيفة تأتى من بين الأحجار، ومن لحظة تحركهم من مراكزهم الهجومية (كانت فوق ظهر الجبل

نفسه فى مناطق أكثر إنخفاضاً من مراكز الحكومة) وحتى سيطرتهم على ظهر الجبل الحصين إستغرقوا أقل من ساعة ليسقط بعدها الجبل الأسطورة بين أيديهم بعد ست سنوات عصيبة قضتها القوات الحكومية فوقه مسببة للمجاهدين متاعب لاحصر لها.

وقد إستغل المجاهدون الرعب الواقع فى نفوس الجنود الحكوميين من الدبابات، فقاموا بهجمات صغيرة على بعض المواقع عند الفجر بواسطة تسجيلات ومكبرات صوت تبث أصوات دبابات متحركه وقد نجحت الخدعة وأدت المطلوب منها.

سادسا ـ الشبكة اللاسلكية:

يمتلك المجاهدون شبكه إتصالات لاسلكيه ذات كفاءه مكنتهم من إيجاد إرتباط قوى بين الوحدات بعضها البعض، وبين القيادة العامة وقادة المجموعات المهاجمة والمساندة.

بل تربط أيضاً بين إجزاء المحافظة بعضها ببعض وبين المحافظة وبعض المحافظات المجاورة هذه القدرة الجيدة على الإرتباط أعطت مردوداً إيجابياً للغاية أثناء العمليات، وجعلت سيطرة القيادة علي القوات العاملة حقيقة واقعة ومؤثرة.

وتطورت إمكانات المجاهدين فى هذا المجال إلى درجة تمكنهم حالياً من التصنت والتشويش والتداخل مع شبكة اللاسلكى الخاصة بسلاح الجو المعادى والحصول على معلومات قيمة إلى جانب قدرتهم على إيجاد نوع من الإنذار المبكر من الهجمات الجوية.

وأثناء العمليات التى نتحدث عنها حالياً (ما بين يوليو 1989 وحتى تاريخه) ، كانت معدات اللاسلكى التى غنمها المجاهدون عوناً كبيراً في إحراز المجاهدين تقدماً نوعياً فى مجال الإتصالات اللاسلكية مع وجود كوادر تم تدريبهم فى السابق خلال خدمتهم في الجيش الأفغانى فى معارك تورغار الأخيرة كان فى مقدور قيادة المجاهدين متابعة وقيادة عمليات الهجوم على تورغار وتلقى التقارير اللاسلكية القادمة من لوجار وجارديز بخصوص القوة الحكومية المتحركة علي ذلك الطريق.

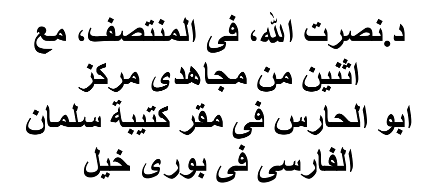
 إن تطور شبكةالإتصالات اللاسلكية لدى المجاهدين ونموها جاء كأثر ثانوى لمعاركهم في خوست، ولكنها تحولت، بدون عمد تقريباً، الى أحد أسلحتهم الحاسمة. فلم تخلو أى معركه من المعارك من لحظةحرجة يكون الإرتباط بين الوحدات والقيادة، عنصراً مصيرياً وفاصلاً بين النصر والهزيمة.

فكانت شبكةالإتصال اللاسلكى هى الجسر الذى مر عليه إنتصار المجاهدين فى اللحظات الحرجة. (إ . هـــ)

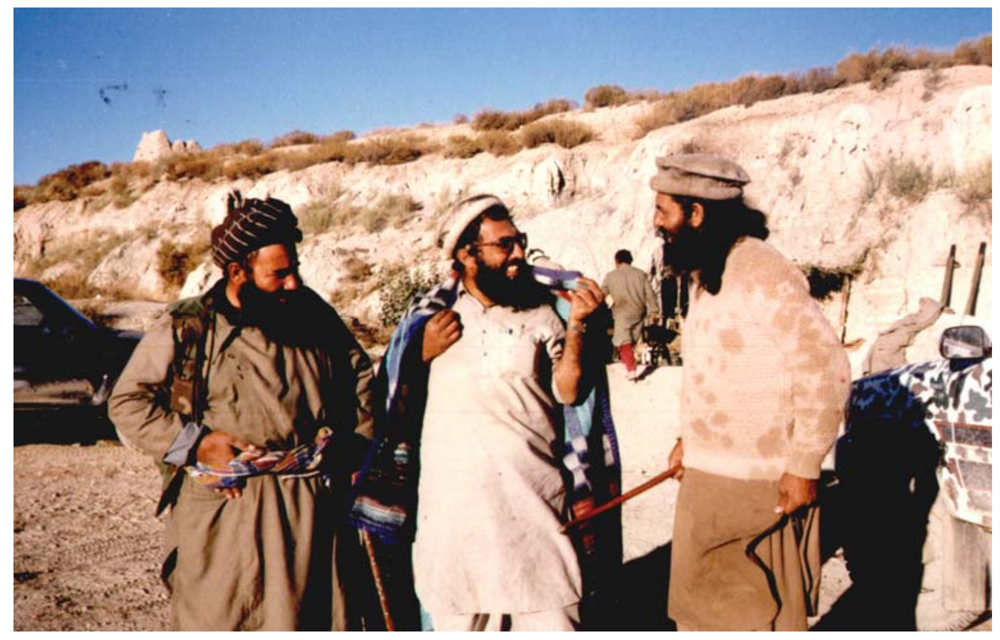
....



الدرويش: مصطفى التركى(شهيداً)



د.نصرت الله، فى المنتصف، مع
اثنين من مجاهدى مركز
ابو الحارس فى مقر كتيبة سلمان
الفارسى فى بورى خيل

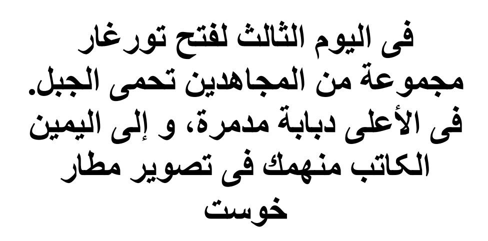




ضربة جوية بالعنقودى الحارق لأحد
الجروف التى أبدع المجاهدون فى
إستخدامها فى عملياتهم الهجومية فى
وادى خوست



كمية من ألغام الفراشة يتخلص منها مجاهد عربى فى مركز ابو الحارس



فى اليوم الثالث لفتح تورغار مجموعة من المجاهدين تحمى الجبل. فى الأعلى دبابة مدمرة، و إلى اليمين الكاتب منهمك فى تصوير مطار خوست



[إنتهى كتاب المطار 90]

الكتاب التالى: **بشرى الإنتصار ـ فتح خوست**